الدكتور حسين عطوان

الدعوة العباسية

مبادئ وأساليب

دار الجيل
بيروت







الدعوة العباسية

مبادئ وأساليب



الدعوة العباسية

مبادئ وأساليب

تأليف

الدكتور حسين عطوان

دار الجيل
بيروت

المحتويات

مقدمة

أفْرَدْتُ هذا الكتابَ لمبادئ الدّعْوَةِ العباسيَّةِ وأسَاليبها ، فدَرَسْتُ فيه المبادئ التي نادَى بها العباسيُّونَ ورَفعُوهَا ، وأهمها الدَّعْوَةُ الى بَيْعةِ الرِّضا مِنْ آلِ محمدٍ ، والدّعْوَةُ لِلْعمَلِ بالكتابِ والسُّنةِ. وَدَرَسْتُ فيه الأساليبَ التي اعتمدوا عليها واتَّبعوهَا ، وأَهَمُّهَا اختيارُ البيئةِ الصَّالحةِ للدَّعْوَةِ ، والتَّبشيرُ بالمَهْدِيِّ المُنْتَظَرِ ، واسْتِيعابُ أربابِ الدِّياناتِ الفارسيةِ ، واسْتِثَارةُ الروحِ القَوْمِيَّةِ الخراسانيَّةِ ، واسْتِغلالُ العَصَبيَّةِ الإقليميَّةِ الكُوفيَّةِ . وانتهازُ الفُرْصةِ المناسبةِ لإعْلَانِ الثَّوْرةِ. ودرستُ فيهِ أيْضاً اثرَ الموالي والعرب في الدَّعْوَةِ ، ومسَاهمَة كلِّ فريقٍ منهم فيها .

وبَسَطْتُ القَوْلَ في هذه المبادئ والأَسَاليبِ ، فَتَتَبَّعْتُ مَفَاهِيمَهَا ومَضَامينَهَا وأبعَادَها وحُدُودَها وأهدافها ومَقَاصِدَهَا في أثناءِ الدَّعْوَةِ ، ومَا طَرَأَ عليهَا من تَغْييرٍ بَعْدَ قِيامِ الدَّوْلَةِ ، فإنَّ العباسيينَ تَرَكُوا طَائفةً منها غامضةً فَضْفَاضَةً في أثناءِ الدَّعْوَةِ ، حتى يتمكَّنوا من اسْتِهْوَاءِ جميعِ الفِئاتِ المُتَذَمِّرَةِ من بني أميَّةَ ، والسَّاخِطَةِ عليهم ، والمُناوئةِ لهم. فلمَّا فازوا بالخلافةِ ، وابْتَدَأَتْ دَوْلَتهم ، أخذوا يُحَدِّدونَ معانِيَهَا ، ويُفَسِّرونها تَفْسيراً خاصًّا يَخْدِمُ قَضِيَّتهم ، ويُسَخِّرونَهَا تَسْخيراً قَوياً لتحْقيقِ مصْلَحتهم ، ونَفَوْا منها المعاني الغَريبةَ المُتَطَرِّفَةَ التي أدْخَلَهَا فيها الغُلَاةُ مِنَ الدُّعاة ،

ولا سيَّما مَنْ كانَ يُظْهِرُ منهم الإسلامَ ويُبْطِنُ الخُرَّمية والمجوسيَّةَ ، والتي اضْطرُّوا إلى التَّغاضِي عنها في أثناء الدَّعْوَةِ ، حتى يَجْتَذِبُوا الناسَ اليهم ، ولا يُنَفِّروا أحداً من العربِ والخراسانيين منهم ، وردُّوها إلى الأُصُولِ الإسْلَامِيَّة رَدًّا دقيقاً ، وتَمسَّكُوا بها تَمَسُّكاً شديداً ، وقمَعُوا كلَّ مَنْ قاومها قَمْعاً عَنيفاً.

واجْتَهدْتُ أنْ أُوَضِّحَ هذه المبادئَ والأساليبَ ، وأنْ أُبَيِّنَ نَصيبَ المَوَالي والعربِ مِنَ الدَّعْوَةِ ، فاسْتَعَنْتُ بأخبارٍ ونُصُوصٍ ورواياتٍ مُختلفةٍ ، وأثْبتُّ كثيراً منها على طُولِها ، لأنها تَكْشِفُ عن جَوانبِ كلِّ مبدإٍ وأسلوبٍ ، وتَدُلُّ على وُجُوهِهِ المُتعدِّدةِ ، وتَرْسِمُ صُورَتَهُ الكاملةَ.

ورَجَعْتُ في الكتابِ إلى أكثرِ المصادرِ التي رجعتُ اليها في كتابي : «الدَّعْوَة العباسيَّة تاريخٌ وتَطَوُّرٌ» ، وانْتَفَعْتُ بغيرِ قليلٍ من الدِّراساتِ الحديثةِ. وأشهرُ المصادرِ التي رجعتُ إليها هي كُتُبُ المغازي والسِّيَر ، وكُتُبُ التاريخ ، وكُتُبُ البُلْدَانِ ، وكُتُبُ الأنسابِ ، وكُتُبُ الفِرَقِ ، وكُتُبُ الحديثِ ، وكُتُبُ الأَدبِ والدَّواوينُ والحماسات.

ولستُ في حَاجةٍ إلى أنْ أذكُرَ أسماءَ الكُتُبِ من كلِّ نَوْعٍ من المَصَادِرِ التي اطَّلعتُ عليها ، ولا إلى أنْ أُشِيرَ إلى قيمةِ كلِّ نَوْعٍ منها ، فقد صَنَّفْتُ المصادِرَ وحَلَّلْتُهَا وأبَنْتُ عن أَهَمِيَّتِها في الكتابِ الأول.

وأرجُو أنْ يكونَ في هذا الكتابِ شيءٌ جديدٌ مفيدٌ ، فإن لم أُدْرِكِ الغايةَ ، أو لم أَبْلُغْ مشارِفَها ، فعُذْري أنني حاولْتُ وبَذَلْتُ أقْصى ما استَطَعْتُ. والله أسْأَلُ أنْ يَهْدِيَني إلى سَوَاءِ السَّبيل.

عمان في ١/ ٥/ ١٩٨٤

حسين عطوان

الفصل الأول

«اختيارُ البيئةِ الصَّالحةِ للدَّعْوَةِ»



(١) ظروفٌ مُختلِفةٌ مُناسِبةٌ لِبثِّ الدَّعْوَةِ

رَكَّزَ العباسيونَ دَعْوَتَهم في خراسان ، وإنما اصْطَفَوا هذه البيئةَ وفَضَّلُوهَا على غيرِها من البيئاتِ لأنها كانت مُهيَّأةً لِقَبُولِ دَعْوتِهم ، ومُلَائِمَةً لِتحرُّكِ دُعاتِهم ، فقد كانت قاصِيةً عن حَاضِرة الخلافةِ الأمويةِ قُصُوًّا كبيراً ، وكانت خاليةً من الأهْوَاءِ الحِزْبيَّةِ خُلُوًّا كثيراً[1] . وكانَ لها تَرْكيبٌ بَشَرِيٌّ مُتَميِّزٌ ، فإنَّ مُعْظَمَ سُكَّانِها كانوا مِنَ

---

(١) كانت خراسانُ مُتَّصلةً بالفِرَقِ الإسلامية ومَذَاهِبِهَا السياسية بعضَ الاتِّصال ، ولم تكن مُنْفَصلةً عنها كل الانْفِصالِ ، كما قد يُفْهَمُ من خبرِ اختيار الإمامِ محمد بن عليٍّ لها. وتَوْجِيهِهِ الدُّعَاةَ إليها. (انظر رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ١٦ ، وأنساب الاشراف ٣ : ٨١ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٦ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٩ ، ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص : ٣١٥ ، ومعجم البلدان : خراسان ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٦). ولكن خراسان لم تكن من مَوَاطِنِ الفِرَق الإسلامية المُهِمَّة في العصر الأموي ، بل كانت مَلْجأً لِزُعمائها يَفِرُّونَ إليه ، ويَعْتَصِمُونَ به بعد انْهِزامِهِم في العراق وفارس ، فلم تَنْتَشِرْ بهَا مَقَالَةُ فِرْقةٍ بعينها انتشاراً واسعاً ، ولم تَسْتحكم في أهْلِهَا استحكاماً شديداً. وليس ها هنا مَوْضعُ الحديث المُفَصَّل عن ذلك ، ويكفِي أنْ يُشَارَ في هذا المقام الى أنه كان لأكثر الفِرقِ الإسلامية وُجودٌ بخراسان في الرُّبعِ الأخير من القَرْنِ الأول ، وأنَّ وجودهَا ازدَادَ في النصف الأول من القرن الثاني ، فقد كان بها قوم من المرجئة الخالصة . (انظر طبقات ابن سعد ٥ : ٤٩٣ ، والتاريخ الكبير ٣ : ٢ : ١١٢ ، والمعارف ص : ٦٢٥ ، والجرح والتعديل ٢ : ٢ : ٣٩٤ ، ٣ : ١ : ٦٤ ، ومقالات الإسلاميين ١ : ٢١٤ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١٠٦ — ١١٠ ، والملل والنحل ١ : ١٢٨ ووفيات الأعيان ٥ : ٢٥٧ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٨ ، ٢ : ٦٢٨ ، وتهذيب التهذيب ١ : ١٣٠ ، ١٣١ ، ٦ : ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٨١ ، ١٠ : ٢٨٤ ، وتقريب التهذيب ١ : ٣٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٧ ، ٢ : ٢٧٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٤٦ ، ٢٥٧). وكان بها قوم من مُرْجئة الجَبْرية. (انظر تاريخ الطبري ٧ : ١٠٠ ، والأغاني ١٤ : ٢٦٩ ، والسيادة العربية ص : ٦٥ ، وتاريخ الدولة العربية ص : ٤٤١ ، والعصر الإسلامي لشوقي صنيف ص : ٢٣٩ ، والفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص : ٧٣٤ ، والشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٢٥٦). وكان بها قوم من الشيعة. (انظر المحبر ص : ٤٨٣ ، وأنساب

العَجَمِ ، وأقلُّهم كانوا مِنَ العَرب ، وكانَ لِلْعَجَمِ مُشْكِلاتٌ اجتماعيةٌ وماليَّةٌ مُزْمِنةٌ مُتَفاقِمةٌ ، وكان لِلْعرب مُشْكِلاتٌ سياسيّةٌ وماليَّةٌ مُتَأزِّمَةٌ مُسْتَفْحِلَةٌ .

الأشراف ٣ : ١٧١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٦ ، ٣٣١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٩ ، ٥٠٣ ، وتاريخ الموصل ص : ١٤٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٢٥ ، ومقاتل الطالبيين ص : ١٥٤ — ١٥٨ ، والفهرست ص : ٢٥٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٣ ، ٤٩٨ ، ونور القبس ص : ٢١ ، ووفيات الأعيان ٦ : ١٧٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٥ ، وتهذيب التهذيب ١ : ٢٤٣ ، ٣ : ٢٣٩ ، ٥ : ٢٨٨ ، ١١ : ١٧٢ ، وشذرات الذهب ١ : ١٧٥). وكان بها قوم من الخوارج. (انظر أنساب الأشراف ٣ : ١٣٠ ، ١٣١ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٨١ ، ٢٩٤ — ٣٠٢ ، ٣٠٨ — ٣١٠ ، ٣٢٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٦٢ ، ٣٨٥ ، والأغاني ١٤ : ٢٦٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٦٥ — ١٦٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٧ — ٣٦٨ ، ٣٨٢ — ٣٨٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٠ — ٣١ ، ٣٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣١٠). وكان بها قومٌ من الجَهْمِيَّة . (انظر مقالات الإسلاميين ١ : ٣١٢ ، والفرق بين الفرق ص : ١٢٨ ، والملل والنحل ١ : ٧٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٣٠ — ٣٣٥ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١٠٧ ، ١٠٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٢ — ٣٤٥ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤٢٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥ ، ١٠ : ٢٦ ، ولسان الميزان ٢ : ١٤٢).

(٢) تَبرُّمُ العجم بالتَّفرِقَةِ الطَّبقيَّةِ والقوْمِيَّةِ

أَمَّا العجَمُ فكانوا يَشْكُونَ من التَّفْرِقةِ الطَّبقيَّةِ المَوْرُوثةِ عن العَهْدِ السَّاساني ، فقد كانَ عَامَّتُهم من الفلاَّحينَ والحِرَفِيِّينَ يُمثِّلونَ الطبقَةَ الدنيا المُسْتَعْبَدَةَ المُضْطَهدة ، وكان خاصَّتُهم من الدَّهاقِنةِ والمرازبة والموابِذَةِ والهرابِذةِ يُمثِّلونَ الطَّبقَةَ العليا المُتَسَلِّطَةَ المُستَبِدَّة[١] .

ومن الحَقِّ أَنَّ العَرَبَ خالَطُوا العَجَمَ من أهلِ خراسانَ ، وأَصْهَرُوا إليهم ، وتَعلَّموا لُغَتَهم ، وتأَثَّروا بهم ، فلَبِسُوا مَلابِسَهم ، واحْتفلُوا بأعيادهم ، ولم يتدخَّلو ا في أُمُورهم الداخليةِ ، فقد تَركُوا إدارَةَ البلادِ في أيْدي الدَّهاقنةِ والمرازبةِ ، وَظَلَّت السُّلطاتُ المَحَلِّيَّةُ السابقةُ في المدُنِ العسكريةِ العربية وفي حَوَاضِرِ الدَّوْلَةِ باقيةً إلى جانبِ السُّلطاتِ العربيةِ ، ولم يتَدَخَّلوا أيضاً في المسائلِ الدينيةِ ، فقد كان الأساسُ في المعاهداتِ التي يُفْرَضُ فيها دَفْعُ إتاواتٍ أنْ يَبْقَى أَهْلُ البلادِ على دينهم ، بل كان للأعاجم أنْ يَبْقُوا على دِينهم حتى في المدُنِ التي كان يَسْكُنُهَا العرَبُ[٢] .

---

(١) السيادة العربية ص : ٤٦ ، وتاريخ الدولة العربية ص : ٤٦٩ ، ومقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص : ٧١ ، والعصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدودي ص : ٣٨ ، والشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٩٠.

(٢) تاريخ الدولة العربية ص : ٤٦٧ ، وانظر الحضارة العربية ، لهل ص : ٥٣ ، وتاريخ الحضارة الاسلامية ، لبارتولد ص : ١٧.

وقد تعرَّبَ كثيرٌ من المَوَالي ، فقد أسْلَمُوا وأتْقَنُوا العربيةَ ، واشْتَغَلُوا بالعِلْمِ ، واشتهرَ منهم رجالٌ في الحديثِ والتفسيرِ والفِقْه ، ومن أنْبَهِهم الحسين بن واقد مَوْلَى قريشٍ المَرْوزي[٣] ، وعطاءُ بن أبي مُسْلمٍ البلْخيُّ[٤] ، وصالحُ بن أبي جُبَيْرٍ مَوْلَى غِفارِ المَرْوزيُّ[٥] ، ومُقاتِلُ بن حَيَّانَ النَّبطيُّ البَلْخيُّ[٦] ، ومُقَاتل بن سليمانَ مَوْلَى الأزْدِ المَرْوزيُّ[٧] . وكان لهؤلاء العُلَماءِ مكانةٌ أدبيةٌ مَرْمُوقةٌ ، وكان بعضُهم مُقَرَّباً إلى عُمَّالِ خراسان ، مُقَدَّماً لَدَيْهم ، فكان يَتَولَّى لهم الحُكُوماتِ ، ويَفْصِلُ في الخُصُوماتِ[٨] . وكان لِلْمَوالي فِرَقٌ في الجيش العَربيِّ[٩] ، وكان جُنُودُهَا يُشاركونَ

---

(٣) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٧١ ، وطبقات خليفة بن خياط ٢ : ٨٣٤ ، والتاريخ الكبير ١ : ٢ : ٣٨٩ ، والجرح والتعديل ١ : ٢ : ٦٦ ، وتهذيب التهذيب ٢ : ٣٧٣ ، وتقريب التهذيب ١ : ١٨ .

(٤) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٦٩ ، وطبقات خليفة بن خياط ٢ : ٨٠١ ، والتاريخ الكبير ٣ : ٢ : ٤٧٤ ، والجرح والتعديل ٣ : ١ : ٣٣٤ ، وحلية الأولياء ٥ : ١٩٣ ، وطبقات الفقهاء ، للشيرازي ص : ٩٣ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٧٣ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٢١٢ ، وتقريب التهذيب ٢ : ٢٣ ، وتاريخ التراث العربي ١ : ١٩٢ .

(٥) انظر ترجمته في طبقات خليفة بن خياط ٢ : ٨٣٤ ، والتاريخ الكبير ٢ : ٢ : ٢٧٥ ، والجرح والتعديل ٢ : ١ : ٣٩٧ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ٣٨٤ ، وتقريب التهذيب ١ : ٣٥٨ .

(٦) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٧٤ ، وطبقات خليفة بن خياط ٢ : ٨٣٢ ، والتاريخ الكبير ٤ : ٢ : ١٣ ، والجرح والتعديل ٤ : ١ : ٣٥٣ ، والفهرست ص : ٥١ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ٢٧٧ ، وتقريب التهذيب ٢ : ٢٧٢ ، وتاريخ التراث العربي ١ : ١٩٧ .

(٧) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٧٣ ، والجرح والتعديل ٤ : ١ : ٣٥٤ ، وتاريخ بغداد ١٣ : ١٦٠ ، وحياة الحيوان الكبرى ١ : ٣٥٤ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٥٥ ، وميزان الاعتدال ٤ : ١٧٣ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ٢٧٩ ، وتقريب التهذيب ٢ : ٢٧٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٢٧ ، ومذاهب التفسير الإسلامي ص : ٧٦ ، وتاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ٤ : ٩ ، وتاريخ التراث العربي ١ : ١٩٨ .

(٨) تاريخ الطبري ٧ : ٣٣١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٢ .

(٩) تاريخ الدولة العربية ص : ٤٧٠ .

في غَزْوِ ما وراء النَّهْرِ، ومُحَارَبَةِ التُّرْكِ، وكان قُوَّادُها من الموالي، ومن أذْكَرِهم حُرَيْثُ بنُ قَطْبَةَ [١] ، وأخوهُ ثابتٌ [٢] ، وحيّانُ النَّبطيُّ [٣] ، وابنهُ مُقَاتِلٌ [٤] .

ولكنَّ العربَ لم يُلْغُوا النِّظامَ الطَبَقيَّ السَّاسانيَّ إلغاءً تاماً، ولم يَسْعَوا في إصْلَاحِهِ سَعْياً حثيثاً، بل إنهم ظلوا يَسْتَعْلُونَ على الموالي، فكَانوا يؤخرُونهم ويَسْتَصْغِرونهم، وكانوا يَشكُّونَ في نيَّاتِهِم ويَتَحرَّزُونَ منهم. وقد دَرَسَ فلهاوزن أحْوَالَ الموالي بخراسان دَرْساً دقيقاً، وذكر أنَّ العربَ لم يكونوا يَنْظُرونَ إليهم نَظْرتَهم إلى أنْفُسهم، فإذا كان الموالي في الجيش فإنهم كانوا يُحاربونَ مُتَرجِّلينَ، لا على الخَيْلِ، وكانوا إذا بَرَّزوا يُنْظَرُ إليهم بشيءٍ من الرِّيبَة. وهم وإنْ كانوا يتَقاضونَ رِزْقاً، ويأخذونَ نَصيباً من الغَنيمَةِ، فإنهم لم تكن لهم أَعْطياتٌ ثابتةٌ، فلم يكونوا مُقَيَّدينَ في الدِّيوانِ، ومع أنهم كانوا قد انْدَمجُوا في القبائِلِ العربية، فإنهم كانوا يُسَمَّوْنَ «أهْلَ القُرَى» تمييزاً لهم عن «أهْلِ القبائل»، ومع أنهم كانوا مسلمين، فإنهم لم تَسْقُطْ عنهم الجِزْيَةُ [٥] .

وعلى هذا النَّحْوِ استَمرَّتِ التَّفرقَةُ الطَّبقيةُ القديمةُ بخراسان، وزاد العربُ عليها تَفْرِقَةً جديدةً، فقد رَفَعُوا أنْفُسَهُم فوقَ الموالي، واتَّهموهم بعضَ الاتِّهام،

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٣١٤، ٣٥٢، ٤٠٢، والكامل في التاريخ ٤: ٤٤٥، ٤٧٤، ٥٠٩.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٣١٢، ٣١٤، ٣٥٣، ٤٠٣، والكامل في التاريخ ٤: ١٥٧، ٤٤٥، ٤٧٤، ٥٠٩.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ٤٤٥، ٤٨٠، ٥١١، ٥١٨، ٥٤١، ٥٩٥، ٦١٣، والكامل في التاريخ ٤: ٥٤٣، ٥٧٦، ٥: ١٤، ٣١، ٧٤، ٩٥، ١٨٨، ٢١٩.

(٤) تاريخ الطبري ٦: ٥٤١، ٥٦٧، ٧: ٥٢، ٩٤، ١٢٦، ٢٩٣، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٨٧، والكامل في التاريخ ٥: ٣٢، ٦٠، ١٨٣، ٢٠٦، ٣٠٨، ٣٤٢.

(٥) تاريخ الدولة العربية ص: ٤٧١.

وأبْعَدُوهم عن المناصبِ الإداريَّةِ والسياسيَّةِ والعسكريَّةِ والقياديَّةِ ، وحَرَموهُم حُقُوقَهُم الماليةَ الشَّرْعية ، فكانَ الموالي يَضجُّونَ من الظُّلمِ الاجتماعيِّ ، ويَتَطلَّعونَ الى مَنْ ينقذُهم ويُخَلِّصهم ، وكانوا ينشدونَ المساواةَ بين الناس ، على اختلافِ ألوانِهم وأجناسِهم ، ويترقَّبونَ من يَتَبَنَّى مَطَالِبَهُم ومَطامِحَهُم .

(٣) تَذَمُّرُ العَجَم من النُّظُمِ الماليةِ السَّيئة

ولم تكن أحْوَالُ أهل خراسانَ الماليةُ أحْسَنَ من أحْوالهم الاجتماعية ، بل كانت أسوَأ منها ، فإنَّ العرَبَ اتَّبعوا نِظَامَ الضرائِبِ السَّاسانيِّ ، وتَشَدَّدوا في تَطْبيقِهِ تَشَدُّداً ظاهراً ، فَقَدْ فَرَضُوا الخراجَ على مُلَّاكِ الأَرْض منهم ، وهو يُقَابِلُ ضريبةَ التَّاج التي كانُوا يَدْفَعُونَها الى الفُرس ، وفَرَضُوا الجِزْيَةَ على أهلِ الذِّمة منهم ، وهي تُقابِلُ ضَريبَةَ الرَّأسِ التي كانوا يَدفَعونَها إلى الفُرسِ أَيْضاً[١] .

وكانَ العُمَّالُ يأخذونَ الجزْيَةَ ممّن أَسْلَمَ من أهلِ خراسانَ وما وراءَ النَّهْرِ في الأَعَمِّ الأكثرِ ، فإنهم لَم يَضَعُوهَا عنهم إلاَّ في أيَّامِ عمر بن عبد العزيز ، وآخر أيَّامِ هشام بن عبد الملك ، وكانوا يَمْنَعُونَ العطَاءَ عن مُقَاتِلَتِهم ، ولا يُجْرُونَهُ عليهم . وكان للدَّاهاقينَ يدٌ في سوءِ أحْوَالهم المالية ، فإنَّ العَرَبَ وَكلُوا إليهم جِبَايَةَ الخَرَاجِ والجِزْيَةِ والإِتاوةِ[٢] ، وهي جميعاً قد تُستَعمَلُ للدَّلالةِ على مَجْمُوعِ الضَّرائبِ المشتركَةِ التي اتُّفِقَ عند الفَتْحِ والصُّلحِ على تَسْديدِهَا في كلِّ عامٍ ، ولكن الخَراج أكثرهَا استِعمالاً في خراسانَ والمَشْرِقِ للدَّلالةِ على الضَّرائِبِ المشتركَةِ التي فُرِضَتْ على بلدٍ أو ناحيةٍ[٣] . فكانَ الدَّهاقينَ يُستَوْفُونَ الجِزْيَةَ ممن أسْلَمَ منهم ، حتى يَفُوا بالمبالغِ

---

(١) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص : ٧١ ، والعصر العباسي الأول للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ١١ .

(٢) انظر فتوح البلدان ص : ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤٢١ .

(٣) أنظر نظام الضرائب في صدر الإسلام ، للدكتور عبد العزيز الدوري ، مقالة بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٤٩ ، الجزء الثاني ص : ٤ ، ١٢ .

التي تَعَهَّدُوا بأَدَائِهَا إلى بيتِ المال[١] . وكان للعرب المسؤولينَ عن الدَّهاقينَ يَدٌ في ذلك ، فإن الدهاقينَ كانوا يَرْشُونهم ، فكانوا يُواطِئُونهم على ما يريدونَ. وكان لِعُمَّالِ خراسانَ يدٌ في ذلك ايضاً ، فإنَّ الدَّهاقينَ كانوا يَسوقُونَ إليهم الأموالَ الطائلةَ ، وكانوا يُقَدِّمونَ لهم الهَدايَا النفيسَةَ ، فكانوا يُوافِقُونهم على ما يشاؤون ، وكانوا يأذنون لهم في استْخرَاجِ الجزْيَةِ ممن أسْلَمَ من العَجَمِ ، فكانوا يتَجبَّرونَ في استْخرَاجِهَا منهم. وكان العُمَّالُ أنفُسُهُم يُحَارِبُونَ مَن امتَنعَ عن اداءِ الجزْيَةِ مِمَّن أسْلَمَ منَ العَجَم ، وكانوا يَقتُلونَهم قَتْلاً ذَرِيعاً ، حتى يَجْمَعُوا أكبرَ مِقْدَارٍ من الأموالِ ، فَيُرْسِلُوا قِسْماً منها إلى الخليفةِ بدمَشْقَ ، فَيحْمَدَهم ، ولا يَتَّهِمَهم بالتَّقصيرِ ، ويَحْتَازُوا قِسْماً آخرَ منها ، ويَستَأْثِرُوا به[٢] .

وأظْهَرُ ما يُسَجَّلُ في النِّصْفِ الثاني من القَرْنِ الأول تَصَرُّفُ العُمَّالِ بخراسانَ في الأموالِ ، واستِيلَاؤهم عليها ، واخْتِيَانُهم لها ، حتى أصبحَ من المَأْلُوفِ أنْ يُحَاسِبَ العامِلُ الجديدُ وُلاةَ العامِلِ القديمِ ، ويُعذِّبَهُم ويَستَصْفِيَهُم ، وأنْ يَخلَعَ الخليفةُ بعضَ عُمَّالِهِ ويُصَادِرَهُم ، وأنْ يَحبِسَ الخليفةُ القائمُ عُمَّالَ الخَليفَةِ السابق ويُعاقِبَهم ويُغْرِمَهم.

ففي سنة ثمانٍ وخمسين عَزَلَ معاويَةُ بن أبي سفيانَ سعيدَ بنَ عثمانَ بن عفانَ عن خراسانَ ، وبَلَغَهُ أنه احْتَجَزَ مالاً لِنَفسِهِ ، فبعَثَ إليهِ من استَخلَصَهُ منه ، قال البلاذريُّ[٣] : «كان سعيدٌ احتالَ لشَريكِهِ في خراجِ خراسانَ ، فأخَذَ منه مالاً ،

---

(١) انظر السيادة العربية ص : ٥٠ ، وتاريخ الدولة العربية ص : ٤٥٥ .

(٢) السيادة العربية ص : ٤٨ ، وتاريخ الدولة العربية ص : ٤٥٤ ، والعصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ١١ــ ١٣ ، ومقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص : ٤٠ .

(٣) فتوح البلدان ص : ٤١٣ .

فوجَّهَ معاويةُ مَنْ لَقِيَهُ بحُلوان ، فأخَذَ المالَ منه . وكان شَريكُهُ أسلَمَ بنَ ذُرعَة ، ويقال : إسحاق بن طَلْحَةَ بن عبيدِ الله» .

وفي سنةِ تسعٍ وخمسينَ وَلِيَ عبدُ الرحمن بن زيادٍ خراسان ، فاعْتَقَلَ أسْلَمَ بن زُرْعَةَ الكِلابيَّ ، وطَالَبَهُ بما سَرقَ من مال ، قال المدائنيُّ(١) : «ذكر أبو حَفْصٍ الأزديُّ ، قال : حَدَّثني عمر ، قال : قدمَ علينا قيسُ بن الهيثم السُّلَميُّ ، وقد وجَّهَهُ عبدُ الرحمنُ بن زياد ، فأخذَ أسْلَمَ بن زُرْعةَ فحَبَسَهُ ، ثم قَدِمَ عبدُ الرحمن ، فأغْرَمَ اسْلَمَ بنَ زُرْعَةَ ثلاثمائةِ ألفِ دِرْهَمٍ» .

وسَلَبَ عبدُ الرحمن بنُ زيادٍ مالاً كثيراً ، فلما رَجَعَ من خراسانَ أقَرَّ به ، فوَهبَ له ، قال اليعقوبي(٢) : «قدمَ عبدُ الرحمن بمالٍ عَظيمٍ ، فقيل : إنه قال : قدمتُ معي بمالٍ يكفيني مائةَ سنةٍ ، لكلِّ يومٍ ألفُ دِرْهَمٍ» . وقالَ المدائني(٣) : «قال يزيدُ [بن معاوية] لبعبد الرحمن بن زياد : كم قدمتَ به معك من المالِ من خراسان؟ قال : عشرين ألف ألف دِرْهَمٍ . قال : إنْ شئتَ حَاسَبْنَاكَ وقَبَضْنَاهَام منك ، ورددْنَاكَ على عَمِلِكَ ، وإنْ شئتَ سَوَّغْنَاكَ وعَزَلْنَاكَ ، ونُعْطِي عبدَ اللهِ بن جعفرٍ خمسمائةِ ألفِ درهمٍ ، قال : بل تُسَوِّغني ما قلتَ ، ويُستَعْمَلُ عليها غيري» . قال الجهشيادي(٤) : «وكان معه من العُروض أكثرُ منها» .

---

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٣١٥ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٥٢١ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٣٧ ، والوزراء والكتاب ص : ٢٩ .

(٣) تاريخ الطبري ٥ : ٣١٦ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٥٢١ ، والبداية والنهاية ٨ : ٩٤ .

(٤) الوزراء والكتاب ص : ٢٩ .

وفي سنة أربعٍ وستين تَرَكَ سَلْمُ بنُ زيادٍ خراسان ، وَلَحِقَ بمكّةَ ، فأخذه عبدُ الله بنُ الزبير ، وطالبهُ بمَبْلَغٍ ضَخْمٍ ، قالَ البلاذريُّ[1] : «لَمَّا ماتَ يزيدُ بنُ معاوية ، التاثَ الناسُ على سَلْمٍ وقالوا : بئسَ ما ظنَّ ابنُ سُميَّةَ إنْ ظنَّ أنَّهُ يتأمَّرُ علينا في الجماعة والفتْنَةِ ، كما قيلَ لأخيهِ عُبَيْدِ اللهِ بالبصرة ، فَشَخَصَ عن خراسانَ ، وأتى عبدَ الله بنَ الزبير ، فأغْرَمَهُ أربعةَ آلافِ ألفِ دِرْهَمٍ ، وحَبَسَهُ».

وفي سنةِ خمسٍ وثمانين أقْصَى الحجاجُ بن يُوسُفَ الثَّقفيُّ يزيدَ بنَ المُهلَّبِ وأخاه المُفَضَّلَ عن خراسان ، وقبض عليهما وعلى إخوتهما ، وضَرَبهم وأهَانهم ، وأغْرَمَهم مبلغاً كبيراً ، قال اليعقوبي[2] : «كانَ الحجاجُ قد عَزَلَ يزيد بن المهلبِ عن خراسان ، ووَلّى المُفَضَّلَ ، فأقَرَّ المُفَضَّل ثم عَزَلَهُ ، وولّى قُتَيْبَةَ بن مسلمٍ الباهليَّ ، وكان قتيبةُ عامِلَهُ على الرَّيِّ ، وكتبَ إليهِ أن يَسْتَوثِقَ من المفضلِ وبني أبيه ، ويُشْخِصَهُم إليه ، فسار قتيبةُ من الريِّ حتى قدِمَ مَرْوَ ، فأخذَ المفضلَ ابنَ المهلبِ وسائرَ ولدِ المهلبِ ، فأشْخَصَهم إلى الحجاج ، فحَبَسَهم ، وطالبهم بستةِ آلافِ ألفٍ».

ووَشَى أحدُ بني تميمٍ بقُتَيْبَةَ إلى الحجاج ، واتّهمهُ بالخيانَةِ ، وذكر أنه أصبحَ من الأثرياء لكثرة ما أخذَ من الأموال ، قال أبو عبيدة معمرُ بن المثنى[3] : «كانوا يَرَوْنَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عبدِ اللهِ بن الأهْتَمِ أبا خاقان قد كتبَ الى الحجاج يسعَى بقتيبةَ ، ويُخْبِرُ بما صارَ إليهِ من المالِ ، وهو يومئذٍ خليفةُ قتيبةَ على مَرْوَ ، وكان قتيبةُ إذا غزا

---

(١) فتوح البلدان ص : ٤١٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٨٥ ، وانظر تاريخ الطبري ٦ : ٤٤٨ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٥٤٥ ، والبداية والنهاية ٩ : ٧٨.

(٣) فتوح البلدان ص : ٤٢٥ ، وانظر نقائض جرير والفرزدق ١ : ٣٥٠ ، ٣٦٧ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩٥ ، والأغاني ١٤ : ٢٩٣.

استخلفَهُ على مَرْوَ ، ..... ، فكتبَ بما كتبَ به إلى الحجاج ، فطَوَى الحجاجُ كتابَهُ في كتابِهِ إلى قتيبةَ ، ..... ، فلما انْتَهَى إلى قتيبةَ كتابُ ابن الأهْتَم إلى الحجاج ، وقد فَاتَهُ ، عَكَّرَ على بني عمِّهِ وبَنِيهِ ، وكان أحدهم شَبِيَّة أبو شبيبٍ ، فقتلَ تسعةَ أناسيَّ منهم ، أحَدُهم بشيرٌ ، فقال له بشيرٌ : اذكر عُذري عندك ، فقال : قَدَّمْتَ رِجْلاً ، وأخَّرْتَ رِجْلاً ، يا عَدُوَّ اللهِ ، فقتلهم جميعاً » .

وفي سنةِ ستٍ وتسعينَ قُتِلَ قتيبةُ ، وقامَ وَكيعُ بن أبي سُودٍ التَّميميُّ بأمْرِ خراسان ، ثم عَزَلَهُ سليمانُ بنُ عبد الملك ، واستعملَ يزيدَ بن المهلب ، فوجَّهَ ابنه مَخْلداً إلى خراسان ، فسجَنَ وكيعاً ، وعاقَبَهُ ، وطالبَهُ بما احتازَ من مالٍ ، قال البلاذريُّ[1] : « مكثَ تسعةَ أشهرٍ حتى قدِمَ عليه يزيدُ بن المهلبِ ، وكان بالعراق ، فكتبَ اليه سليمانُ أنْ يأتيَ خراسانَ ، وبَعَثَ إليهِ بعَهْدِهِ ، فقدَّمَ يزيدُ مَخْلداً ابنَهُ ، فحاسبَ وكيعاً وحَبَسَهُ ، وقالَ له : أدِّ مالَ اللهِ ، فقالَ : أوَخازِناً لله كنتَ » !

وذكر اليعقوبيُّ أنَّ يزيد بن المهلبِ بطشَ بوُلَاةِ الحجاجِ بالعراق ، ونَكَّلَ بخَاصَّةِ قتيبةَ وأهلِ بيتِهِ بخراسانَ ، واعتَقَلَ وكيعاً وَوُلَاتِهِ ، وسألهم أنْ يُؤَدُّوا إليه ما اجتمعَ عندَهم من أموالٍ ، يقول[2] : « ولَّى سليمانُ يزيدَ بن المهلب العراقَ وخراسان ، فكان يزيدُ بن المهلبِ في العراقِ ، فعذب عُمَّالَ الحجاج ، ثم استَخْلَفَ على العراقِ ونَفَذَ إلى خراسان ، فتَتَبَّعَ أصحابَ قُتَيْبَةَ وقَرَاباتِهِ ، فسَامَهم سُوءَ العذابِ ، وحَبَسَ وكيعَ بن أبي سُودٍ ، وقيَّدَهُ ، وأخذَ عُمَّالَهُ الذين كان وَلاَّهُم البلدانَ بعدَ قَتْلِ قتيبة ، فطالبهم بالأموالِ التي صارت إليهم » .

---

(١) فتوح البلدان ص : ٤٢٥ ، وانظر تاريخ الطبري ٦ : ٥٢٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٧٠ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩٦ .

وتصرَّفَ يزيد بن المهلبِ في أموالِ خراسانَ ، واحْتَجَنَ بعضَها لِنَفْسِه ، فعندما فتح جرجانَ وطَبَرِسْتَانَ كتبَ إلى سليمان بن عبد الملك : «قد صار عندي من خُمْسِ ما أفاءَ اللهُ على المسلمينَ ، بعدَ أنْ صارَ إلى كلِّ ذي حَقٍّ حَقُّهُ من الفَيْءِ والغنيمةِ ستَّةُ آلافِ ألفٍ ، وأنا حاملٌ ذلك إلى أمير المؤمنين إنْ شاءَ اللهُ[1]» . ولكنه لم يُرْسِلْهَا الى سليمان .

فلما استُخْلِفَ عمرُ بن عبد العزيز عزَلَ يزيدَ بن المهلبِ عن خراسان ، وكان كل واحدٍ منهما يَكْرَهُ الآخرَ ويَطْعَنُ عليه ، قال أبو مِخْنَفٍ[2] : «كان عمرُ يُبْغِضُ يزيدَ وأهلَ بيتِه ، ويقول : هؤلاء جَبابرةٌ ، ولا أُحِبُّ مِثْلَهم ، وكان يزيدُ بن المهلبِ يُبْغِضُ عمر ، ويقول : إني لأَظُنُّهُ مُرَائِياً» . ثم أمَرَ عمرُ بحَمْلِ يزيدَ إليه ، فلما قَدِمَ بهِ عليهِ سألَهُ عن الأموال التي كَتَبَ بهَا إلى سليمان بن عبد الملك ، فقالَ : كنتُ من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبتُ إلى سليمانَ لأُسمع الناسَ به ، وقد علمت أنَّ سليمانَ لم يكن لِيَأْخُذَنِي بشيءٍ سمعت ، ولا بأمرٍ أكْرَهُهُ . فقال له : ما أَجِدُ في أمْرِكَ إلاّ حَبْسَك . ، فاتَّقِ اللهَ وأَدِّ ما قبلَكَ ، فإنها حُقُوقُ المسلمين ، ولا يَسَعُنِي تَرْكُهَا ، فردَّهُ إلى مَحْبِسِهِ ، وبعثَ إلى الجرَّاحِ بن عبد اللهِ الحكَميِّ فسرَّحَهُ إلى خراسان . واقْبَلَ مَخْلَدُ بن يزيد من خراسانَ يُعْطِي الناسَ ، ولا يَمُرُّ بكُورةٍ إلاَّ أعْطَاهم فيها أموالاً عِظاماً . ثم خرجَ حتى قدمَ على عمر بن عبد العزيز ، فدَخَلَ عليه فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال : إنَّ اللهَ يا أميرَ المؤمنينَ صَنَعَ لهذه الأمةِ بولَايتك عليها ، وقد ابتُلِينَا بكَ ، فلا نكن أشْقَى الناسِ بولايتك ، عَلَامَ تَحْبِسُ هذا

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٥٤٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٨٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٦ : ٥٥٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٩ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٩٩ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٨ .

الشيخَ ! أنا أتحمَّلُ ما عليه ، فصَالحني على ما إياه تَسْأل . فقالَ عمر : لا ، إلاَّ أنْ تحملَ جميعَ ما نسألهُ إياه . فقالَ : يا أمير المؤمنين ، إنْ كانت لكَ بيِّنَةٌ فَخُذْ بها ، وإنْ لم تكنْ بيِّنَةٌ فَصدِّقْ مقالَةَ يزيد ، وإلاَّ فاستَحْلِفْهُ ، فإن لم يَفْعَلْ فصَالِحه ، فقالَ له عمر : ما أَجِدُ إلاَّ أخْذَهُ بجميعِ المال . فلما خرجَ مَخْلَدٌ قال : هذا خَيْرٌ عندي من أبيهِ ، فلم يلبثْ مَخْلَدٌ إلاَّ قليلاً حتى مات ، فلما أبَى يزيدُ أنْ يُؤدّي إلى عمرَ شيئاً ، أَلْبَسَهُ جُبَّةً من صُوفٍ ، وحَمَلَهُ على جَملٍ ، ثم قال : سيروا به إلى دَهْلَك . فلما أُخْرِجَ فَمُرَّ به على الناسِ ، أخذَ يقول : ما لي عشيرةٌ ، ما لي يُذْهَبُ بي الى دَهْلَك ! إنما يُذْهَبُ إلى دَهْلَك بالفاسقِ المُريبِ الخَارِبِ ، سبحانَ الله ! أمالي عشيرةَ !
فدخلَ على عُمَرَ سلامة ابنُ نعيمِ الخَوْلانيُّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، أُرْدُدْ يزيدَ إلى مَحْبِسهِ ، فإني أخافُ إنْ أمْضَيْتَهُ أنْ يَنْتَزِعَهُ قَوْمُهُ ، فإني قد رأيتُ قومَهُ غَضِبُوا له . فردَّهُ إلى مَحْبِسِهِ ، فلم يزلْ في مَحْبسِهِ ذلك حتى بلغَهُ مَرَضُ عُمر[1] » .

وفي بعضِ الرواياتِ أنَّ المبلغَ الذي كتبَ به يزيدُ الى سليمانَ كان أكبر مما ذكره المدائني وأبو مِخْنف ، قال اليعقوبيُّ[2] : «قال له عمرُ : إني وجدتُ لك كتاباً الى سليمانَ تذكرُ فيه أنك اجتمعَ قبلَكَ عشرونَ ألْفَ ألفٍ ، فأين هي؟ فأنكرها ، ثم قال : دَعْني أجْمَعْهَا ، قال : أين؟ قال : أسْعَى إلى الناس ! قال : تأخذُهَا منهم مرةً أخرى ! لا ، ولا نُعْمَى عينٍ[3] » . وقال البلاذريُّ[4] : «سارَ يزيدُ إلى خراسان ، فبلغتهُ الهدايا ، ثم وَلَّى ابنه مَخْلداً خراسانَ ، وانصرفَ إلى سليمانَ فكتبَ اليه أنَّ معه

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٥٥٧ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٠٢ ، والعيون والحدائق ٣ : ٥٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٩ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٩٩ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٨ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٠١.

(٣) نعمَى عين : أفعل ذلك كرامةً لك وإنعاماً بعينك .

(٤) فتوح البلدان ص : ٣٣٧ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٩٩ .

خمسةً وعشرينَ ألفَ ألفِ درهمٍ ، فوقعَ الكتابُ في يَدَيْ عمر بن عبد العزيز ، فأخذَ يزيدَ به وحَبَسَهُ».

وكان خيرةُ عُمَّالِ يزيد بن المهلبِ يَعْدونَ على الأموالِ ، ومنهم شَهْرُ بن حَوْشبٍ الأشْعَريُّ ، وهو أحدُ القُرَّاءِ الحِمْصِيِّينَ المشهورين[1] . قال المدائني[2] : «كان شَهْرُ بن حَوْشَبٍ على خزائن يزيد ابن المهلبِ ، فرفَعُوا عليه أنه أخذَ خَرِيطَةً ، فسألهُ يزيدُ عنها ، فأتاهُ بها ، فدعا يزيدُ الذي رَفَعَ عليه فشتَمهُ ، وقال لشَهْرٍ : هي لك ، قال : لا حاجةَ لي فيها ، فقالَ القُطَاميُّ الكَلْبيُّ ، ويقال : سنانُ بن مُكمِّلٍ النميريُّ :

لَقَدْ باعَ شَهْرٌ دِينَهُ بخَريطَةٍ فَمنْ يأْمَنُ القُرَّاءَ بَعْدَكَ يا شَهْرُ!
أخَذْتَ به شيئاً طفيفاً وبِعْتَهُ مِن أبنِ جَونبُوذَ انَ هذا هو الغَدْرُ!

وقال مُرَّةُ النَّخَعيُّ لِشَهْرٍ :

يا ابنَ المُهَلَّبِ ما أرَدْتَ إلى امْرِىءٍ لَوْلاكَ كانَ كَصَالحِ القُرَّاءِ»

وأخذَ سعيدُ بن عبد العزيز الأمويُّ ثمانيةً من اليَمانيةِ من عُمَّالِ يزيدَ بنِ المهلبِ ، فسَجنهم ثم أمَرَ بضَرْبهم حتى يُعِيدُوا ما سَرَقُوا من أموالٍ ، فماتَ بعضُهم في العذابِ ، ومكثَ بعضُهم في السِّجنِ إلى حينٍ ، ثم أُطْلِقُوا ، قال المدائني[3] : «إنَّ سعيداً رُفِعَ إليه أنَّ جَهْمَ بن زَحْر الجُعْفيَّ وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج

---

(١) انظر كتابي القراءات القرآنية في بلاد الشام ص : ٤٧ ، ٩٩.

(٢) تاريخ الطبري ٦ : ٥٣٨ ، وانظر المعارف ص : ٤٤٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٤٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٧٦ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ٣١٩.

(٣) تاريخ الطبري ٦ : ٦٠٦ ، وانظر أنساب الأشراف ٥ : ١٦٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٩٠ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٢٢.

الزُّبيديَّ، والمتجعَ بن عبد الرحمن الأزديَّ، والقعقاعَ الأزديَّ وَلُوا ليزيد بن المهلب، وهم ثمانيةٌ، وعندهم أموالٌ قد اختانوها من فَيْءِ المسلمين. فأرسلَ إليهم، فحَبَسهم في قُهُندزِ مَرْو، فقيل له: إنَّ هؤلاءِ لا يُؤدُّونَ إلاَّ أَنْ تَبْسُطَ عليهم، فأرسل إلى جَهْمِ بن زَحْر، فَحُمِلَ على حمارٍ من قُهُندزِ مَرْو، فمرُّوا به على الفَيْضِ بن عمران، فقام اليه فوجأَ أَنْفَهُ، فقالَ له جَهْمٌ: يا فاسقُ! هلاَّ فعلتَ هذا حين أتوني بك سكرانَ، قد شربتَ الخمرَ، فضَرَبْتُكَ حَدًّا! فغضب سعيدٌ على جَهْمٍ، فضربه مائتي سَوْطٍ، فكَبَّرَ أهلُ السوق حين ضَرَب جَهْمَ بن زَحْر، وأمرَ سعيدٌ بجَهْمٍ والثمانيةِ الذين كانوا في السِّجن فَدُفِعُوا إلى وَرْقَاء بن نصرٍ الباهلي، فاستَعْفَاهُ فأَعْفَاهُ. وقال عبد الحميد بن دِثارٍ أو عبد الملك بن دِثارٍ، والزبير بن نشيطٍ مَوْلى باهلةَ، وهو زوجُ أمِّ سعيدٍ خُذينة: ولِّنا مُحاسبتَهم، فَوَلاَّهُمْ، فقتَلُوا في العذابِ جَهْماً، وعبد العزيز بن عمرو، والمتجعَ، وعَذَّبوا القعقاعَ وقوماً حتى أشْرفوا على الموتِ، فلم يزالوا في السِّجنِ حتى غَزَتْهُمُ التركُ وأهلُ السُّغْدِ، فأمرَ سعيدٌ بإخْرَاجِ من بقيَ منهم، فكان سعيدٌ يقول: قَبَّحَ اللهُ الزبيرَ، فإنه قَتَلَ جَهْماً»!

هذا النَّهْبُ الدائمُ للأموالِ بخراسان، مع إرسالِ خَراجها إلى دمشقَ في كل عامٍ دونَ نَقْصٍ فيه أو تأخيرٍ له مَصْدَرُهُ أنَّ العمَّالَ كانوا يزيدُونَ الوَظائفَ المُقَرَّرةَ على أهلِ خراسان[١]، وكانوا يَسْتَخْلِصُونَ الجِزْيَةَ مِمَّنْ دَخَلَ منهم في الإسلام، وكانوا يَحْرِمُونَ مُقَاتِلتهم العَطاء، وكانوا يَبْخَسونَهم حُقوقَهم.

وعلى الرَّغْمِ من أنَّ الأخبار السابقةَ لا تُوَضِّحُ ذلك، ولا تَدُلُّ عليه، فإنَّ الأخبارَ اللّاحقةَ تكشفُ عنه، وتَقْطَعُ به. فهي تشيرُ إلى أنَّ العَجَمَ المسلمينَ كانوا

---

(١) انظر فتوح البلدان ص: ٤٢٨. وزيادة مِقْدار الضريبة على أهل الأمصار المختلفة ليس عليها شواهد كثيرة. (انظر مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص: ٤٥).

مَظْلُومين مَقْهورينَ، وأنهم لم يكونوا يَجدُونَ الفُرْصَةَ لكي يُفْصِحُوا عما وَقعَ عليهم من الحَيْفِ، ويَحتجُّوا على ما نَزَلَ بهم من الخَسْفِ، فإنهم كانوا مُسْتَضعَفينَ مُسْتَذَلّينَ، يخافُونَ العذابَ والعُنْفَ، ويَخْشَوْنَ القَتْلَ والعَسْفَ. فلما أُتيحت الفرْصَةُ لهم، تَذَمَّروا وشكوا، وطالبوا برَفْعِ الظُّلمِ عنهم، وسألُوا المساواةَ بالعَرب المسلمين.

وبيان ذلك أَنَّ مفاسِدَ السياسة الماليةِ تَراكمتْ واستَفحَلَتْ بخراسان في آخرِ القرن الأول، فلما استُخلِفَ عمر بن عبد العزيز، استعملَ عليها الجراحَ بنَ عبد الله الحكميَّ، وكانت أحوالُ أهْلِهَا من العَجَمِ المسلمينَ سيئةً مُتَرَدِّيةً، فكانوا ينتظرونَ أنْ يُنْصِفَهم، فَيُسْقِطَ الجزْيةَ عنهم، ويُزيلَ الظُّلْمَ الذي أجْحَفَ بهم، فلم يَصْنَعْ لهم شيئاً، وعَزَمَ أنْ يَستَخْرِجَ الجزيةَ منهم، وأرادَ أنْ يأخذهم بالشدَّةِ، ولكنه أحْجَمَ عن ذلك حتى يَسْتَشيرَ عمر، فلما استشارَهُ أَنَّبَهُ وكَفَّهُ، قال المدائني[1]: «كان الجَرَّاحُ لمّا قدمَ خراسانَ كتبَ إلى عمر: إني قدمتُ خراسان، فوَجَدْتُ قَوْماً قد أبطرتهم الفتنةُ، فهم يَنْزُونَ فيها نَزْواً، أحَبُّ الأمورِ إليهم أنْ تَعُودَ ليَمْنَعُوا حَقَّ اللهِ عليهم، فليسَ يَكُفُّهُمْ إلاَّ السَّيْفُ والسَّوْطُ، وكرهتُ الإقْدَامَ على ذلك إلاَّ بإذْنِكَ، فكَتَبَ إليهِ عمر: يا ابنَ أمِّ الجَرَّاح، أنتَ أحْرَصُ على الفتنةِ منهم، لا تَضْرِبَنَّ مؤمناً ولا معاهداً سَوْطاً إلاَّ في حَقٍّ، وأحْذَرِ القصاصَ، فإنَّكَ صائرٌ إلى مَنْ يَعْلَمُ خائنةَ الأعْيُنِ وما تُخْفِي الصُّدُورُ، وتقرأُ كتاباً لا يُغَادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاَّ أحْصَاها».

ثم أَوْفَدَ الجراحُ وَفْداً رَجُلَيْنِ من العرب، ورجلاً من الموالي من بني ضَبَّةَ، كُنْيَتُهُ أبوالصَّيْدَاء، واسمُهُ صالحُ بنُ طريفٍ، وكان فاضلاً في دينِهِ، فقَدِموا على عُمر،

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٥٦٠، والكامل في التاريخ ٥: ٥٢، وانظر العيون والحدائق ٣: ٦٢.

قال المدائني [١] : «فتكلَّمَ العربيانِ، والآخرُ جالسٌ، فقال له عمرُ: أما أنتَ من الوَفْدِ؟ قال: بلى، قال: فما يَمنعُكَ منَ الكَلام؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، عشرون ألفاً من الموالي يَغْزُونَ بلا عَطَاءٍ ولا رِزْقٍ، ومِثْلُهُمْ قد أسْلَمُوا من أهلِ الذِّمَّةِ يُؤْخَذُونَ بالخَرَاجِ [٢] ، وأميرُنا عَصَبيٌّ جافٍ يقومُ على مِنْبَرِنَا فيقولُ: أتيتكم حَفِيًّا، وأنا اليومَ عَصَبيٌّ! واللهِ لَرَجُلٌ من قومي أحَبُّ إليّ من مائةٍ من غيرهم!! وبلغَ من جَفائِهِ أنَّ كُمَّ دِرْعِهِ يَبْلُغُ نصفَ دِرْعِهِ، وهو بعدُ سيْفٌ من سُيُوفِ الحجاج قد عَمِلَ بالظُّلْمِ والعدوان!! فقال عمر: إذن مِثْلُكَ فَلْيُوفَدْ! وكتبَ عمر إلى الجراح: انْظُرْ مَنْ صَلَّى قبلَكَ إلى القِبْلَةِ، فَضَعْ عنه الجزْيةَ. فسَارَعَ الناسُ إلى الإسلامِ، فقيل للجراح: إنَّ الناسَ قد سارَعُوا إلى الإسلام، وإنما ذلك نُفوراً من الجِزْية، فامتَحِنْهُمْ بالخِتان! فكتبَ الجراح بذلك إلى عمرَ، فكتبَ إليه عمرُ: إنَّ اللهَ بعثَ محمداً صلّى اللهُ عليه داعياً ولم يَبعَثْهُ خَاتِناً»!!

ولكن الجراحَ لم يُنْفِذْ أوامرَ عمر، ولم يتَقَيَّدْ بها، بل خَرَجَ عليها، فقد كانَ أعْرَابياً جافياً في الدِّينِ، فكانَ يُنْكِرُ المساواةَ بين العرب والموالي، وكان يُقَدِّمُ العَرَبَ ويتَعَصَّبُ لهم، ويؤخر الموالي ويتَحزَّبُ عليهم. وكان جائراً غَشُوماً، وجَشِعاً مُخْتاناً، فكان يَوَدُّ أنْ يَجمَعَ الجزْيةَ ممن أسْلَمَ من العَجَمِ، لِيَحْتَجِنَ الأموالَ لنفسِه، ويُؤْثِرَ ببعضها أهْلَه وخاصَّتَهُ، ويُفَرِّقَ بَعضَهَا على غيرهم من المؤَيِّدينَ لسياستِهِ، قالَ البلاذري [٣] : «كان الجراح بن عبد الله يَتَّخِذُ نُقَراً [٤] من فِضَّةٍ

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٥٥٩، والكامل ٥ : ٥٠.

(٢) الخراج هنا: الجزية.

(٣) فتوح البلدان ص: ٤٢٧.

(٤) النُّقر: جمع نُقْرة، وهي السَّبيكة.

وذَهَبٍ ، ويُصَيِّرهَا تحتَ بساطٍ في مَجْلِسِه ، على أوزانٍ مختلفةٍ ، فإذا دَخَلَ عليه الدَّاخِلُ من إخوته والمُعْتَزِّينَ به ، رَمَى إلى كلِّ امْرِئٍ منهم مِقْدَارَ ما يُؤَهَّلُ له ». وقالَ المدائني[1] : «لما أرادَ الجراحُ الشُّخُوص من خراسانَ إلى عمر بن عبد العزيز ، أخذَ عشرينَ ألفاً ، وقالَ بَعْضُهم : عشرةَ آلافٍ من بيتِ المال ، وقال : هي عليَّ سَلَفاً حتى أُؤَدِّيَهَا إلى الخليفةِ ، فقدمَ على عمر ، فقال له عمر : متى خَرَجْتَ؟ قال : لأيامٍ بَقِينَ من شَهْرِ رَمَضَانَ ، وعلي دَيْنٌ فاقْضِهِ! قال : لَو أقَمْتَ حتى تُفْطِرَ ، ثم خَرَجْتَ ، قضَيْتُ عنك! فأدَّى عنه قَوْمُهُ في أعطياتهم». وذكر المدائنيُّ أيضاً أنه قال له[2] : «قدْ صَدَقَ مَنْ وَصَفَكَ بالجفَاء».

ويبدو أنَّ الجراحَ أسرَفَ في الانْحِيازِ إلى العرب والمُحاباةِ لهم ، ولجَّ في الظُّلْمِ للموالي والتَّحامُلِ عليهم ، واشْتَطَّ في جَمْعِ الجِزْيَةِ ممن أسْلَمَ من العَجَمِ ، وأبى أنْ يَفْرِضَ العطَاءَ لمُقَاتلتهم ، فصَرَفَهُ عمرُ عن خراسان ، قال البلاذري[3] : «بلغَ عمرَ عن الجراح عصبيةٌ ، وكتبَ اليه أنه لا يُصْلحُ أهلَ خراسانَ إلاَّ السَّيْفُ ، فأنكرَ ذلك وعَزَلَهُ». وقال اليعقوبي[4] : «بلغَ عمر عن الجراح أمُورٌ يكْرَهُها من أنه يأخذُ الجِزْيةَ من قَوْمٍ قد أسْلَموا . وأنه يُغْزي مَوَالِي بلا عَطَاءٍ ، وأنه يُظْهِرُ العَصَبِيَّةَ ، فكتبَ إليه أن اقدم». وقال ابن كثير[5] : «عَزَل عمرُ بن عبد العزيز الجراحَ بن عبد الله الحكميَّ عن إمْرَةِ خراسان ، بعدَ سنةٍ وخمسةِ أشْهُرٍ ، وإنما عَزَلَهُ لأنه كان يأخُذُ

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٥٦٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٦ : ٥٦٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥١ .

(٣) فتوح البلدان ص : ٤٢٦ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٠٢ .

(٥) البداية والنهاية ٩ : ١٨٨ .

الجِزْيةَ ممن أَسْلَمَ من الكُفَّارِ ويَقُولُ : أنتم إنما تُسْلمون فراراً منها ، فامْتَنعوا من الاسلام ، وثبَتُوا على دينهم ، وأدُّوا الجِزْيةَ ، فكتب إليه عمر : إنَّ الله إنما بعثَ محمداً داعياً ، ولم يَبْعَثْهُ جابياً » .

وبحَثَ عمر عن رَجُلٍ صَدُوقٍ له عِلْمٌ بخراسان وأهْلِهَا ، فقيل له : أبو مِجْلَزٍ لَاحِقُ بن حُمَيْدٍ السَّدُوسيُّ المَرْوَزيُّ[1] ، وكان فقيهاً سَديداً ، وعابداً رشيداً[2] ، فاسْتدعاه ، وسَأَلَهُ عن عبدِ الرحمن بن عبد الله القُشَيْريّ ، فقالَ : «يُكَافِئُ الأَكفاءَ ، ويُعادي الأعداءَ ، وهو أميرٌ يفعلُ ما يشاءُ ، ويُقْدِمَ إنْ وجَدَ مَنْ يُساعدُه » ، فولَّاهُ الخراجَ ، وسأله عن عبد الرحمن بن نُعَيْمٍ الغَامديِّ ، فقالَ : « ضعيفٌ لَيِّنٌ يُحِبُّ العافيةَ والتأنِّي ، وهو أحبُّ إليَّ » ، فولاهُ الصَّلاةَ والحَرْبَ . وكتب إلى أهلِ خراسانَ أنه استْعملَهُا عَلَى غَيْرِ مَعْرفةٍ منه بهما ولا اختيارٍ ، إلاّ ما أُخْبِرَ عنهما ، وكتبَ إليهما يأمُرُهما بالعَدْلِ والإحسان[3] .

ويظهرُ أنَّ عبد الرحمن بن عبد الله القُشَيْرِيَّ أهْمَلَ كتابَ عمر اليه ، ولم يَعْمَلْ به ، ومَضَى يَجُورُ ويَسْتَبِدُّ ، ويُكَلِّفُ الموالِيَ والعَجَمَ من الخَرَاجِ والجِزْيةِ ما لا يُطيقونَ ، حتى أرهَقَهم من أمرهم عُسْراً . وقد اتَّهمَهُ العَرَبُ بانْتهَابِ الأموال واحتجانها ، وألَحُّوا على عمر بن عبد العزيز أن يُرَاقِبَ عُمَّالَهُ ويُحَاسبهم ، فيرْدَعَ

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٦٨ ، وطبقات خليفة بن خياط ٢ : ٨٣١ ، والتاريخ الكبير ٤ : ٢ : ٢٥٨ ، والجرح والتعديل ٤ : ٢ : ١٢٤ ، وحلية الأولياء ٣ : ١١٢ ، وميزان الاعتدال ٤ : ٣٥٦ ، وتهذيب التهذيب ١١ : ١٧١ ، وتقريب التهذيب ٢ : ٤٦٩.

(٢) حلية الأولياء ٣ : ١١٢.

(٣) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري ٦ : ٥٦١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٢ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٨ .

المُنْحرفينَ المُفْسدِين منهم رَدْعاً ، ويقْمَعَهم قمعاً ، ولا يتورَّع عن قَتْلِهم قَتْلاً ، لكي يكونوا عبرةً ونكالاً لغيرهم . وليس أدل على ذلك من قَوْلِ كَعْب بن مَعْدَان الأشقريِّ[1] له وكان أكبر شعراء الأزدِ بخراسان[2] :

إنْ كنتَ تَحْفَظُ ما يَليكَ فإنَّما عُـمَّـالُ أرْضِكَ بـالـبلادِ ذِئَـابُ
لن يَسْتَجيبوا للذي تَدْعُو لهُ حتى تُـجلَّـدَ بالسُّـيوفِ رِقَـابُ
بـأكُفِّ مُنْصَلتيـنَ أهْـلِ بصَائرٍ في وَقْـعِـهِنَّ مَـزَاجِـرٌ وعِـقَابُ

وذكرَ ابنُ جرير الطبريِّ أنَّ بلادَ ما وراء النهر التاثَتْ على عبد الرحمن بن نعيمٍ الغَامِديِّ ولا سيما السُّغد ، فإن من دَخَلُوا من أهْلِهَا في الإسلام نَابَذُوهُ وثاروا عليه ، وامْتَنعُوا من أداءِ الجِزْيةِ زمناً ، يقولُ[3] : «كان أهْلُهَا كفروا في وِلَايَةِ عبد الرحمن بن نعيمٍ الغامديِّ ، وَوَلِيَهَا ثمانيةَ عَشَرَ شهراً ، ثم عَادُوا الى الصُّلْحِ » . والمظنونُ أنهم إنما فعلوا ذلك لأنه طالبَ المسلمينَ منهم بدَفْعِ الجِزْيةِ .

وذكر ابنُ جريرِ الطبريُّ أنَّ وُلَاةَ عبد الرحمن بن عبد اللهِ القُشَيْريِّ اختانوا أموالاً ، فلما وَلِيَ سعيد بن عبد العزيز الأمويُّ خراسان ، قبضَ عليهم وسَجَنهم ، فاسْتشفعَ لهم عبد الرحمن بن عبد الله القُشَيْريُّ ، وتَعهَّدَ بقضَاءِ الأموالِ عنهم ، فخلَّى سبيلهم ، يقول[4] : «قَدِمَ سعيدٌ فأخَذَ عُمَّالَ عبد الرحمن بن عبد الله القُشَيْريِّ الذين ولوا أيام عمر بن عبد العزيز ، فحَبَسَهم ، فكلَّمه فيهم عبد الرحمن

---

(١) انظر ترجمته في كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٢٦١ .
(٢) البيان والتبيين ٣ : ٢١٣ .
(٣) تاريخ الطبري ٦ : ٦٠٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٩٠ .
(٤) تاريخ الطبري ٦ : ٦٠٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٩٠ .

بن عبد الله القُشَيريُّ ، فقالَ له سعيد : قد رُفِعَ عليهم أنَّ عندهم أموالاً من الخراج ، قال : فأنا أضمنُهُ ، فَضَمِنَ عنهم سبعمائة ألفٍ ، ثم لم يَأْخُذْهُ بها » !

ومن أجل ذلك أقْصَى عُمَرُ عبد الرحمن بن عبد الله القشيريَّ عن خراجِ خراسان ،واستعملَ عقبةَ بن زرعة الطائي ، وأمَرَهُ أنْ يَسُوسَ الناسَ بالرِّفْقِ ، ويَجْبِي الخراجَ والجِزْيةَ بالحَقِّ ، ووعدَهُ أنْ يُرْسِلَ إليهِ الأموالَ إنْ كانت ضَرائبُ خراسان لا تَفِي بأرْزاقِ جُنُودِهَا ، قالَ المدائني[1] : « كتَبَ إلى عُقْبَةَ بن زُرْعَةَ الطائي ، وكان قد وَلاَّهُ الخراجَ بعدَ القُشَيْريِّ ، إنَّ للسلطانِ أركاناً لا يثبتُ إلاَّ بها ، فالوالي ركنٌ ، والقاضي ركنٌ ، وصاحبُ بيت المال ركنٌ ، والركنُ الرابع أنا . وليس من ثغورِ المسلمين ثغرٌ أهمَّ إليَّ ولا أعْظَمَ عندي من ثَغْرِ خراسان ، فاسْتَوْعَبَ الخراجَ وأحْرِزْهُ في غير ظُلْمٍ ، فإنْ يكُ كفافاً لأعْطياتهم فسبيل ذلك ، وإلاَّ فاكتبْ إليَّ حتى أحْمِلَ إليكَ الأموال ، فَتُوفِّرَ لهم أَعْطياتهم . فقدمَ عقبةُ فَوَجَدَ خَراجَهم يَفْضُلُ عن أَعْطياتهم ، فكتب إلى عمر فأعْلَمَهُ ، فكتَبَ إليه عمر : أن اقْسِمِ الفَضْلَ في أهلِ الحاجةِ » .

وعلى هذا النحو جَهَدَ عمرُ جَهْدَهُ حتى ضَبَطَ الخراجَ والجِزْيَةَ بخراسان وما وراء النهر ، فاسْتخلَصَ الخراجَ الصحيحَ ، ووَضَعَ الجزيةَ عمن دَخَلَ في الإسلام من العجم ، وأجْرَى العطَاءَ على مُقَاتِلَتِهم ، ورَعَى المُعوزين منهم ، واعْتَنَى بهم ، قال البلاذري[2] : « رَفَعَ عمرُ الخَرَاجَ[3] عمن أسْلَم ، وفَرَضَ لمن أسْلَمَ ، وابْتَنَى الخانات » ، فصَلحتْ حالُهم وحَسُنتْ وانْتَعَشَتْ .

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٥٦٨ .

(٢) فتوح البلدان ص : ٤٢٦ .

(٣) الخراج هنا : الجزية .

وبعدَ وفاةِ عمر بن عبد العزيز عَادَتْ الحالُ بخراسان وما وراء النهر إلى سابقِ عَهْدِهَا مِنَ الفَسَادِ والسُّوء ، فإنَّ الدَّهاقين جعلوا يتلاعَبُونَ بالجزْيةِ ، ويُحَصلونهَا ممن أسْلَمَ من العَجم ، وتَابَعهم عُمَّالُ خراسانَ على ذلك ، وقَطَعُوا العطاءَ عن المُقاتلةِ من الموالي ، وحاربوا العَجَمَ المسلمين ، ببلادِ ما وراء النهر ، ليَحْمِلُوهم على أداءِ الجزيةِ بالقُوَّةِ ، فتَبرَّموا وتسخَّطوا وقاتَلُوا عُمَّالَهم ، فهزمُوهم وغَلبُوهم على أمرهم عشرينَ عاماً ، فكانوا يُذْعِنونَ ويستكينون للظلمِ حيناً ، وكانوا يتحركُونَ ويثورون بأنفسهم حيناً آخر ، وكانوا يَخْرُجونَ مع الخارجين على عُمَّالهم حيناً ثالثاً . ولم يزالوا مُهْتَضَمِينَ مُتذَمِّرِينَ حتى سار فيهم نَصْرُ بن سيارٍ الليثي بسيرةِ عمرَ بن عبد العزيز .

فَعِندَما وَلِيَ مَسْلَمَةُ بنُ عبد الملك العراق وخراسانَ ليزيد بن عبد الملك سنةَ اثنتين ومائةٍ ، استعملَ سعيدَ بنَ عبد العزيز الأمويَّ على خراسان ، ولم يكن له معرفةٌ بأهلها ومُشْكِلاتها ، فاستْعانَ بالدَّهاقين ، وسألهم عمن يبعَثُ من العَرَبِ إلى البلدان لجبايةِ الخراجِ والجزْيةِ ، فرشّحوا له نفراً من المُتعصِّبينَ المُرْتَشين ، الذين كانوا يُشَايِعُونَهم على استْيفاءِ الجزْيةِ من العجمِ المسلمين ، فضجَّ أهلُ ما وراء النهر بالشكوى ، قال المدائني[1] : «لمَّا قدمَ خراسان ، دعا قوماً من الدهاقين ، فاستْشارهم فيمن يُوَجِّهُ إلى الكُوَرِ ، فأشاروا عليه بقَوْمٍ من العرب ، فولاَّهم . فشكُوا إليه ، فقال للناس يوماً وقد دَخَلُوا عليه : إني قدمتُ البلدَ ، وليس لي علمٌ بأهلِهِ ، فاستْشَرْتُ ، فأشاروا عليَّ بقَوْمٍ ، فسألتُ عنهم ، فَحمدُوا ، فوَلَّيتهم ، فأُحرِّج عليكم لما أخبرتُموني عن عُمَّالي ، فأثنى عليهم القومُ خيراً . فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيريُّ : لو لم تُجرِّجْ علينا لَكَفَفْنا ، فأما إذْ حَرَّجت علينا ، فإنك شاورتَ المشركين ، فأشاروا عليك بمن لا يُخالِفهم وبأشباههم ، فهذا عِلْمُنا فيهم » .

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٦٠٧.

فعزل شعبةَ بن ظهيرٍ النَّهشليَّ عن سَمَرقَنْدَ ، وولّى عثمان بن عبد الله الحرشيَّ حَرْبهَا ، وولّى سليمان بن أبي السريّ مَوْلَى عُوافةَ خراجها .

وكان سعيدٌ لَيِّناً مُتَنَعِّماً ، فضعَّفَهُ الناس ، وطَمِعَ فيه التركُ ، فجمعَهم خاقانُ ، ووجَّههم إلى السُّغْد فحاصروا قَصْرَ الباهليِّ ، وكان فيه مائةُ أهلِ بيتٍ من العربِ بذَراريهم ، وخافوا أنْ يُبْطئَ عنهم المَدَدُ ، فصالحوا التُّرْكَ على أربعينَ ألفاً ، وأعطوهم سبعةَ عشر رجلاً رهينةً . ثم جاء المددُ اليهم من جميع القبائلِ بسَمَرقَنْدَ ، ففكوا الحِصارَ عنهم ، واستنْقَذُوهم ، وحملوهم إلى سَمَرقَنْدَ[١] . ثم غزا سعيدٌ أهلَ السُّغْدِ ، لأنهم نَقَضُوا العَهْدَ ، وأعانوا التركَ على المسلمين ، فنَاوَشَهم ، ولم يَبْلُغْ منهم[٢] .

واضْطَرَبتْ بلادُ ما وراء النهر ، وانكسرَ خراج خراسان والعراق ، فعزلَ يزيدُ بن عبد الملك أخاه مَسْلَمةَ عن العراق وخراسان ، واستعملَ عليهما عمرَ بن هبيرةَ الفزاريَّ[٣] . فشخصَ إليه[٤] قومٌ من وُجُوهِ أهل خراسان ، فشكوا سعيداً ، فنَحَّاهُ عن ولَايتهم ، وأرسَلَ اليهم سعيدَ بن عمرو الحَرَشيَّ سنةَ ثلاثٍ ومائة ، فقدم خراسان ، قال البلاذريُّ[٥] : «وجَّه إلى السُّغْدِ يَدْعُوهم إلى الفيئة[٦] والمراجعةِ ،

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٦٠٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٩٢ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٢٢ .

(٢) فتوح البلدان ص : ٤٢٧ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٦١٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٩٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٦ : ٦١٥ ، ٦١٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ٧٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٩٧ ، ١٠٣ .

(٤) في فتوح البلدان : أنهم شَخَصُوا الى مسلمة بن عبد الملك ، وذلك مخالفٌ لأكثر الروايات .

(٥) فتوح البلدان ص : ٤٢٧ .

(٦) في الأصل : «الفئة» . وهو تحريف ، والفيئةُ : الحالة من الرجوع عن الشيء الذي يكون قد لَابَسَهُ الإنسان وباشره .

وكفَّ عن مُهَايَجتِهم حتى أتتهُ رُسُلُهُ بإقامتهم على خلافِهِ ، فزحفَ اليهم ، فانْقطَعَ عن عَظيمهم زهاء عشرةِ آلافِ رجلٍ ، وفارَقُوهم مائلينَ الى الطاعةِ ، وافتتحَ الحرشيُّ عامةَ حُصُونِ السُّغْدِ ، ونال من العَدُوِّ نَيْلاً شافياً » .

وساقَ المدائني تفاصيل أوْفَى عن محاربة الحرشي للسُّغدِ وإيقاعه بهم ، فروَى أنهم خافوا على أنفسهم ، لأنهم أعانوا التُّركَ ، فأجمع عُظماؤهم على الخروج عن بلادهم ، فقال لهم ملكهم : لا تَفْعَلُوا وأقيموا واحملوا إلى الحرشيِّ خراجَ ما مضى ، واضمنُوا له خراج ما تَستَقْبِلُونَ ، واضْمنوا له عمارةَ أرضكم والغزوَ معه إنْ أرادَ ذلك ، واعتذروا مما كان منكم ، واعطوهُ رهائنَ يكونون في يديه . فقالوا : نخاف ألا يَرْضَى ولا يَقْبَل منا ، ولكنا نأتي خُجَنْدَةَ ، فنستجير مَلِكَها ، ونرسلُ إلى الحرشيِّ فنسأله الصفحَ عما كان منا ، وَنُوثِّقُ له ألا يرَى أمراً يَكْرَهُهُ ، فنهاهم فأبوا وخرجوا الى خُجنْدَةَ ، وأرسلوا إلى مَلكِ فَرْغانَةَ يسألونه أنْ يمنَعَهم ، ويُنْزِلهم مدينتَهُ ، ففرَّغَ لهم شِعْبَ عصام بن عبد الله الباهلي ، على أنْ يُؤَجِّلُوه أربعين يوماً ، وليس لهم عليه عَقْدٌ ولا جِوَارٌ حتى يَدْخُلُوهُ ، وإنْ أتَتْهُمْ العربُ قبل أن يَدْخُلُوهُ لم يَمْنَعْهُمْ ، فرَضُوا بذلك . ثم سَرَّحَ ابن عمه الى الحرشيِّ ، فأخبرَهُ خبرَهم ، وأشار عليه أنْ يُعاجِلَهم قَبْلَ أنْ يصيروا إلى الشِّعْب ، فإنه ليس لهم عليه جوارٌ حتى يَمْضِيَ الأجَل . فسارَ اليهم ، فحصَرهُمْ بِخُجنْدَةَ ، ونَصَبَ عليهم المجانيق ، فلما أَيسُوا من نُصْرةِ ملكِ فرغانة لهم ، طلبوا منه الصُّلْحَ ، وسألوا الأمانَ ، وأنْ يَرُدهم الى السُّغْدِ ، فاشترط عليهم أنْ يَرُدُّوا مَنْ في أيديهم من نساءِ العرب وذَرَاريهم ، وأنْ يُؤَدُّوا ما كَسَرُوا من الخراج ، ولا يَغْتالوا أحداً ، ولا يتخلَّفَ منهم بخجندةَ أحَدٌ ، فإنْ أحْدَثوا حَدَثاً حَلَّتْ دماؤهم ، فأجابُوهُ إلى ما سأل . ثم بلَغَهُ أنَّ أميراً منهم قتَلَ امرأةً من النساءِ اللائي كُنَّ في أيديهم ، فلما تَيقَّنَ أنه قتلَها ، قتلَهُ بها . فخشي أميرٌ آخر منهم أنْ يُبيدَ سائرَ السُّغْدِ ، فارسل الى ابن أخيه يَسْتَنْجِدُهُ ، فأنجدَهُ ، وقتلَ ناساً من العرب ، ثم صُرِعَ ، فَقَتَلَ

السُّغْدُ خمسين ومائةً من أسراءِ العرب ، وعَلِمَ الحرشيُّ خبَرَهم ، فأمرَ بِقَتْلِ جميعِ جنودِ السُّغدِ ، فدافَعُوا عن أنفسهم بالخشبِ ، لأنه لم يكن معهم سِلَاحٌ ، فَقُتِلوا عن آخرهم . وفي اليوم التّالي استَعرضَ الحرَّاثين ، فقتَلَ منهم أربعةَ آلاف ، ويقال : سبعة آلاف ، وأهلكَ عُظماء السُّغد ودَهاقينَهم ، وكان أربعمائةٍ من تجارهم قَدِمُوا من الصِّينِ بمالٍ عظيمٍ ، فعزلَهم ولم يَقْتُلْهُمْ . ثم اصطفَى أموالَ السُّغْدِ وذَرارِيهم ، فأخذ منها ما أعجبَهُ . ثم رجَعَ إلى مَرْو الشاهجان ، ففتح في طريقه إليها بعضَ مُدنِ السُّغْدِ وحُصُونهم ، وأخْضَعهَا صُلْحاً وتسليماً ، وكان أهْلُهَا قد انتفَضُوا وخَلَعُوا الطاعة . وكتبَ بذلك إلى يزيد بن عبد الملك ، لأنه هو الذي أمرَ ابن هُبَيْرَةَ بتَوْليتِهِ خراسان [1] .

وكانَ الحرشيُّ يَسْتَخِفُّ بابن هُبَيْرَةَ ، ولا يُمْضي كُتُبَهُ ، وكانَ كتبَ إليه بإطْلاق دهقان سَمَرْقَنْدَ ، فَقَتَلَهُ ، فكانَ ذلك مما أوْغَرَ صَدْرَهُ عليه ، فعَزَلَهُ عن خراسان سنة أربعٍ ومائةٍ ، وأحْضَرَهُ إليه ، فحَبَسَهُ ، وعاقَبَهُ ، وأخَذَ منه أموالاً كثيرةً ، وهَمَّ بقَتْلِهِ ثم عَفَا عنه [2] ، واستعملَ مسلم بن سعيد الكلابيَّ على خراسان ، وأَمَرَهُ أنْ يستخرجَ الأموال من قَوْمٍ من العرب كانوا يَهوونَ هوَى يزيد بن المهلب ، قال المدائني [3] : «كان ابنُ هُبيرةَ حريصاً ، أخذَ قَهْرماناً (ترجماناً) ليزيد بن المهلب ، له عِلْمٌ بأهلِ خراسان وأشْرَافهم ، فحبَسَهُ ، فلم يَدَعْ منهم شريفاً إلاَّ قرَفَهُ ، فبعثَ أبا عُبَيْدَةَ العَنْبريَّ ورجلاً يقال له : خالد ، وكتب إلى الحَرَشيِّ ، وأمَرَهُ أنْ يَدْفَعَ الذينَ

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٦٢١ ، ٧ : ٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٠٣ ، ١٠٧ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٢٣ ، ٢٢٩ . ونسب اليعقوبي هذه الوقعة الى سعيد بن عبد العزيز الأموي ، وذلك وَهْمٌ . (انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣١١) ، وراجع ترجمة الحرشي في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٦٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ١٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١١٥ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٢٩ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ١٩ . وانظر البداية والنهاية ٩ : ٢٢٩ .

سَمَّاهُم إليهِ يَستأْدِيَهم ، فلم يَفْعَل ، فرَدَّ رَسُولَ ابنِ هُبَيْرَةَ . فلما استَعْمَلَ ابنُ هُبَيْرَةَ مسلم بن سعيدٍ ، أمَرَهُ بجبايةِ تلك الأموال ، فلما قَدِمَ مسلمٌ أرادَ أخْذَ الناسِ بتلك الأموال ، التي قُرِفَتْ[1] عليهم ، فقيل له : إنْ فَعَلْتَ هذا بهؤلاء ، لم يكن لك بخراسان قرارٌ ، وإنْ لم تَعْمَلْ في هذا حتى تُوضَعَ عنهم ، فسَدَتْ عليك وعليهم خراسان ، لأنَّ هؤلاء الذين تريدُ أنْ تأخُذَهم بهذه الأموال أعْيانُ البلد ، قُرِفُوا بالباطلِ ، إنما كان على مِهزَمِ بن جابرٍ ثلاثمائة ألفٍ ، فزادُوا مائةَ ألفٍ ، فصارت أربعمائة ألْفٍ ، وعامَّةُ مَنْ سُمُّوا لك مِمَّنْ كُثِّرَ عليه بمَنْزِلِهِ . فكتبَ مسلمٌ بذلك إلى ابن هُبَيْرَة ، وأوفدَ وفداً فيهم مِهزَمُ بن جابرٍ ، فقال له مِهزَمُ بنُ جابر : أيها الأميرُ ، إنَّ الذي رُفِعَ اليك الظُّلْمُ والباطلُ ، ما علينا من هذا كلهِ لو صَدَقَ إلاّ القليل الذي لو أُخِذْنا به أدَّيْناه ! فقال ابنُ هُبَيْرَةَ : «إنَّ اللهَ يأمُرُكُمْ أنْ تُؤَدُّوا الأماناتِ إلى أهْلِهَا» ، فقالَ : اقْرأ ما بَعْدَهَا : «وإذا حَكَمْتُمْ بينَ الناسِ أنْ تحكمُوا بالعَدْلِ» (النساء : ٥٨) ، فقالَ ابن هُبَيْرَة : لا بُدَّ من هذا المال ، قال : أمَا واللهِ لئن أخَذْتَهُ لتأخُذَنَّهُ من قَوْمٍ شديدةٍ شَوكَتهم ونكايتُهم في عَدُوِّكَ ، وليَضُرَنَّ ذلك بأهل خراسان في عُدَّتهم وكراعِهم وحَلْقَتهم ، ونحنُ في ثَغْرٍ نُكَابدُ فيه عَدُوًّا لا ينْقضي حَرْبُهُم ، إنَّ أحَدَنا ليَلْبَسُ الحديدَ حتى يَخْلُصَ صَدؤُهُ إلى جِلْدِهِ ، حتى إنَّ الخادمَ التي تَخْدُمُ الرجلَ لتَصْرِفُ وَجْهَهَا عن مَوْلاَهَا وعن الرجل الذي تَخْدِمُهُ لريح الحديد ، وأنتم في بلادِكم مُتَفَضِّلُونَ في الرِّقاقِ وفي المُعَصْفَرة ، والذينَ قُرِفُوا بهذا المال وُجُوهُ أهْلِ خراسان ، وأهْلُ الولاياتِ والكُلَفِ العِظَامِ في المغازي ، وقبلنَا قَوْمٌ قدموا علينا من كل فجٍ عميقٍ ، فجاءوا على الحُمُرَاتِ ، فَوُلُّوا الولاياتِ ، فاقْتَطَعُوا الأموالَ ، فهي عندَهم مُوَفَّرَةٌ جَمَّةٌ . فكتبَ ابن هُبَيْرَةَ إلى مسلم بن سعيد بما قال الوَفْدُ ، وكتبَ إليه

(١) في الأصل : «قُرِّفت» ، وفي بعض النُّسَخ : «قُرِفَتْ» ، وهو الصواب ، أي أُلْصِقَتْ بهم .

أنْ يَسْتَخْرِجَ هذه الاموالَ ممن ذكر الوَفْدُ أنها عندهم. فلما أتى مُسْلماً كتابُ ابن هُبَيْرَةَ أخذَ أهلَ العَهْدِ بتلك الأموال، وأمَرَ حاجبَ بن عمرٍو الحارثيَّ أنْ يُعَذِّبهم، ففعلَ وأخذَ منهم ما فُرِّقَ عليهم»!

والخبرُ واضحُ الدلالة على أنَّ خراسان كانت مَطْمَحَ أنظارِ العرب في تَكْوينِ الثَّروَةِ، فقد كان المُقيمونَ بها من قادتِهم وَوُلَاتهم عليها يختانونَ الأموالَ، ويستأثرون بها، وكانَ غيرُهم من أهل الأمصار الأخرى يَفِدُونَ اليها، طمعاً في احْتيازِ الأموالِ منها، وأملاً في أن يُصْبحوا من أهل الغِنى. وكان المُسْتَوْطِنونَ لها والطَّارئون عليها منهم يتنافَسُونَ في النَّهْبِ والسَّلْبِ، وكان المُسْتَوْطِنُونَ خاصةً، يَرَوْنَ أنَّ من حَقِّهم أنْ يَسْتَوْلوا على بعضِ الأموالِ، فإنهم هم الذين كانوا يُجَاهِدُونَ الأعداءَ، ويتعرَّضونَ للشدائدِ والأهْوَالِ، وكانوا أيضاً يَحْسُدونَ الطَّارئينَ على ما احتجَزوا من الأموال دونَ عناءٍ، فكانوا يَشُونَ بهم إلى العُمَّالِ.

وما مِنْ رَيْبٍ في أنَّ اخْتِيانَ الأموالَ كان أحَدَ الأسبابَ التي حَمَلَتْ عمال خراسان على استيفاء الجزْيَةِ ممن أسْلَمَ من العَجَمِ من أهلِ ما وراء النهرِ، وأخْذِهم لهم بالشِّدةِ وفَتْكِهِم بهم إذا امْتَنعوا من أدَائِهَا. فامْتَعَضَ السُّغْدُ وتمرَّدُوا وقاتلوا العرب، لأنهم قد دَخَلوا في الإسلام على أنْ تُوضَعَ عنهم الجزْيَةُ.

وتابَعَ مسلمُ بن سعيدٍ الكلابيُّ الحربَ مع السُّغدِ والتُّرْكِ، ففي سنةِ خمسٍ ومائةٍ غَزَا التركَ، فلم يَفْتَحْ شيئاً، ثم غزا في هذه السنة أفْشينةَ من مدائنِ السُّغْدِ، فصالَحَ أهْلَهَا وملكَهَا[1]. وفي سنةِ ستٍ ومائةٍ استَعدَّ لِغَزْو فَرْغَانَةَ، فلما قَطَعَ النَّهرَ تَشَغَّبَ عليه اليمانيةُ والربعيةُ بالبَرُوقان، ورفضُوا اللحاقَ به، فبعثَ إليهم نَصْرَ بن سيار

(١) تاريخ الطبري ٧: ٢١.

اللّيثي ، فقضى على فِتْنَتِهم ، وأخْرَجَهم إليه . فمضَى فلما بلغَ بُخَارَى أتاه كتابٌ من خالد بن عبد الله القسْري يُعْلِمُهُ أنه تَوَلّى العراق ، ويأمُرُهُ أنْ يُتَمِّمَ غزاتَه . وتَسَرَّبَ الخَبَرُ إلى مَنْ كان معه من الجُنْدِ ، فتخلَّفَ عنه أربعةُ آلافٍ منهم . فسار إلى فَرْغَانةَ ، فحاربَهُ الترك وهَزَمُوهُ ، وقَتَلُوا بعضَ فُرْسَانِهِ ، ثم حَصَرُوهُ وقطعوا الماءَ عنه ، فماتَ عددٌ من جُنْدِهِ بالجُوعِ والعَطَش . ولم يتمكن من الرُّجوع الى خُجندَةَ إلاّ بعدَ مَشَقَّةٍ شديدةٍ . وفيها وردَهُ خبرُ عَزْلِهِ ، واستعمالِ أسد بن عبد الله القَسْريِّ على خراسان . ثم قدمَ أسدٌ سَمَرْقَنْدَ ، فقَفَلَ إليه مسلمٌ بمن كانَ معه من الجُنْدِ[1] .

وفي ولايةِ أسدٍ ظَلَّتْ حالُ السُّغْدِ على ما كانت عليه من الفَسادِ والسُّوء . وقد غَزَا جبال نمْرود ، فصَالَحَهُ نمرود وأسْلَمَ ، وغزا الخُتَّلَ ، فلم يَقْدِرْ على شيءٍ منها ، وأصابَ الناسَ ضُرٌّ وجُوعٌ[2] . وتحزَّبَ على المُضَريَّة ، فآذاهم وأهانهم[3] . وأدْنَى الدَّهاقين وقَرَّبهم ، فكانوا من أصحابه ، حتى رَحَلُوا معه إلى العراقِ حين عُزِل عن خراسان[4] . ولعل في ذلك ما يشيرُ الى أنه كان يُواطِئُهم على استخراجِ الجزيةِ ممن أسْلَمَ من العجمِ . وبلغَ هشامَ بن عبد الملك أنه أساءَ السِّيرةَ حتى اضطربتْ خراسان ، فعزلَهُ عنها سنةَ تِسْعٍ ومائةٍ ، وفَصَلَها عن عاملِ العراق ، وقَرَّرَ أنْ يشرف على أمُورها بِنَفْسِه[5] . فعيَّنَ عليها أشرسَ بنَ عبد الله السُّلميَّ ، وكان أشرسُ فاضلاً

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٤ .

(٢) فتوح البلدان ص : ٤٢٨ ، وانظر تفاصيل أوْفَى في تاريخ الطبري ٧ : ٤٠ ، ٤٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٣٧ ، ١٣٩ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٤٤ ، ٢٥٦ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٢ .

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٤٩ .

(٥) تاريخ الطبري ٧ : ٤٧ ، والعيون والحدائق ٣ : ٨٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٢ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٥٩ .

خَيِّراً ، وكانَ يُسمَّى الكاملَ لِفَضْلِه . فسارَ إلى خراسان ، فلما قَدِمَهَا فرِحُوا بِقُدومِه ، وتولَّى صغيرَ الأمورِ وكبيرَها بنفسه[1] .

وفكَّرَ في تَسْكينِ أهلِ ما وراءَ النَّهْرِ ، وقدَّرَ أن ذلك لا يتمُّ إلاَّ بإصْلاحِ أحْوالِهِم البائسة ، وحلِّ مُشْكلاتِهم الفادحة ، فَقرَّرَ أنْ يَبْعثَ إليهم وَفْداً يَعْرِضُونَ عليهم الإسلام ، على أنْ تُرْفَعَ عنهم الجزْية . فلما وَصَلَ الوَفْدُ اليهم ، وعَرَضُوا عليهم الإسلام ، دَخَلُوا فيه أفواجاً ، فانكَسَرَتِ الجزْيةُ ، فقدمَ عليه دَهاقين بُخَادَى وسَمَرْقَنْدَ ، وشكوا إليه إنكسارَ الجزيةِ ، لكثرةِ الداخلين في الاسلام ، وسُقُوطِ الجزْيةِ عنهم ، وكان الدَّهاقين هم الذين يُحَصِّلونَ الجزيةَ ، وكانَ عليهم أن يُؤَدُّوا مبالغَ مُحدَّدةً لا يجوزُ أنْ تَنقُصَ . فضَيَّقَ على المسلمين الجُدُد ، وامتحنَهم ، وأمرَ أنْ لا تُرْفَعَ الجزيةُ إلاَّ عمن حَسُنَ إسلامُهُ منهم . فلم يَعْمَلْ هذا التدبيرُ على زيادةِ المبالغِ المُحَصَّلةِ ، ولم يزلْ انكسار الجزيةِ ، فَعَدَلَ عن خُطَّتِهِ كُلِّهَا ، وألغاهَا ، وعَزَلَ وُلاتَهُ الأوَّلينَ عن سَمَرْقَنْدَ ، واستعْملَ عليها ولاةً آخرينَ ، وأذِنَ لهم في استْيفاءِ الجزْيةِ ممن كانت تُسْتوفَى منهم . فجمعُوهَا من فُقَرائِهم ، واستهَانُوا بأُمَرائِهم ، فتذمَّرَ السُّغْدُ وتوثَّبوا ، وناصَرَهم بَعْضُ أهْلِ الوَرَعِ والتَّقوَى من العربِ مِنْ قبائل مُخْتلفةٍ فاعْتقلَهُمْ أشرسُ ، وصَرَفهم بالتَّرْهيبِ والتَّرْغيبِ عن تأييدِهم[2] ، قال البلاذري[3] : «استعملَ هشامٌ أشرسَ بن عبد الله السُّلميَّ على خراسان ، وكان

---

(1) تاريخ الطبري ٧ : ٥٢ ، والعيون والحدائق ٣ : ٨٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٥٩ .

(2) انظر تاريخ الدولة العربية ص : ٤٣٤ .

(3) فتوح البلدان ص : ٤٢٨ .

معه كاتبٌ نبطيٌّ ، يُسمَّى عَميرةَ[1] ، ويكَنَّى أبا أميةَ ، فزيَّنَ له الشرَّ ، فزاد أشرسُ في وظَائِفِ خراسانَ ، واستَخَفَّ بالدَّهاقين ، ودَعَا أهلَ ما وراءَ النهرِ إلى الإسلامِ ، وأمرَ بِطَرْحِ الجزْيةِ عمن أسلَم ، فسارعُوا إلى الإسلام ، وانكَسَرَ الخراجُ . فلما رأى اشرسُ ذلك ، أخَذَ المُسْلمةَ ، فأنكروا ذلك ، وألاحُوا منه[2] ، وغَضِبَ لهم ثابتُ قُطْنةِ الأزديُّ ، ..... ، فبعثَ إليهم أشرسُ مَنْ فَرَّقَ جَمْعَهم ، وأخذَ ثابتاً فحبَسَهُ ، ثم خَلاَّهُ بِكَفالةٍ » .

وأحاطَ ابنُ جريرٍ الطبريُّ بخُطَّةِ أشرس ، فذكَرَ تفاصيلَهَا ، وأشارَ إلى أثرِهَا في رَفْعِ الظُّلْمِ عمن أسلَمَ من العَجَم ، وتَهْدئةِ ثائرتِهم ، وصَوَّرَ تراجُعَهُ عنها ، وما نَجمَ عنه من تَعاظُم حَنَقِ السُّغدِ ، واشتدادِ عَداوَتِهم للعَرَب .

ومن المُفيدِ نَقْلُ قَوْلِه على طُوله ، فإنه يُوَضِّحُ أصْلَ المشكلة ، ويدُلُّ على ما فيه من مُخالفةٍ صريحةٍ لقواعد الإسلام ، فإن عُمَّالَ خراسانَ كانوا يأبَوْنَ أنْ يتنازلوا عن أخْذِ المبالغِ التي فُرِضَتْ على أهلِ خراسانَ وما وراء النَّهْرِ عند الفتح ، وكان دُخُولُ بَعضِهِم في الإسلامِ يَقْضِي أنْ تَسْقُطَ الجزيةَ عنهم ، وقد تَزَايدَ عَدَدُ المسلمين منهم على مَرِّ السِّنين . وكان الدَّهاقين مسئولين عن جباية تلك المبالغ ، ولم يكن في وُسْعِهِم جَمْعُهَا إذا وُضِعَتْ الجزيةُ عمن أسلَمَ من العَجَم ، فكانوا يُنَبِّهُونَ عمالَ خراسان على ذلك . ومن الغريب أنهم لم يَهتمُّوا بحَلِّ المُشْكلة حَلاًّ صحيحاً ، فقد كان عليهم أنْ

(١) من غريب الأمر أنَّ فلهاوزن ذهب الى أنَّ عميرة بن سعد مَوْلَى بني شيبان هو الذي أشار على أشرس بسلوك الطريق الذي سلكه عمر بن عبد العزيز لِتَهْدئةِ ثائرةِ السُّغد . وأسند ذلك الى ابن جرير الطبري ! (انظر تاريخ الدولة العربية ص : ٤٣٤) . وليس فيما رَوَاهُ ابنُ جرير الطبري ما يدل على ذلك ، بل فيه ما يُوَثِّقُ ما ذكره البلاذري ! (أنظر تاريخ الطبري ٧ : ٥٦) .

(٢) ألاح من الشيء : حاذَرَ وأشْفَقَ .

يُطَالِبُوا بتخفيضِ المبالغ التي كُلِّفوا بدَفْعِهَا في كلِّ عامٍ . ولكنهم لم يَصْنَعُوا ذلك ، بل ظلُّوا يُغْرُونَ العُمَّالَ بجبايةِ الجزيةِ مِمَّنْ أَسْلَمَ من العجم . ولولا أنهم كانوا يُصيبُونَ من ذلك فوائدَ جليلةً ، لما شَجَّعُوا العُمَّالَ عليه !

قال ابنُ جرير الطبري[١] : «ذُكِرَ أنَّ أَشْرَسَ قالَ في عَمَلِهِ بخراسان : ابْغُوني رَجُلاً له وَرعٌ وفَضْلٌ أُوجِّهُهُ الى مَنْ وراء النهر ، فيَدْعُوهم الى الإسلام . فأشاروا عليه بأبي الصَّيْدَاء صالح بن طريف ، مَوْلَى بني ضَبَّةَ ، فقالَ : لستُ بالماهِرِ بالفارسية ، فضَمُّوا معه الربيعَ بن عمرانَ التميميَّ ، فقالَ أبو الصيداء : أخرجُ على شريطةٍ أنَّ منْ أسْلَمَ لم يُؤخذْ منه الجزيةُ ، فإنما خراجُ خراسان على رؤوسِ الرجال ، قال أشرسُ : نعم ، قال أبوالصَّيْدَاء لأصحابِهِ : فإني أخرجُ فإنْ لم يَفِ العُمَّالَ أعَنْتُموني عليهم ، قالوا : نعم .

فشَخصَ الى سَمَرْقَنْدَ ، وعليها الحسنُ بن أبي العَمرطَةُ الكِنْديُّ ، على حَرْبها وخَرَاجها . فدعا أبو الصَّيْداء أهلَ سمرقندَ وما حولهَا إلى الإسلام ، على أن تُوضَعَ عنهم الجزيةُ ، فَسارعَ الناس ، فكتبَ غُوزَكُ[٢] إلى أشرس : إنَّ الخراجَ قد انكسرَ ، فكتبَ أشرس إلى ابن أبي العَمرَّطةِ : إنَّ في الخراج قوةً للمسلمين ، وقد بَلَغني أنَّ أهلَ السُّغدِ وأشباههم لم يُسْلموا رَغْبةً ، وإنما دخلوا في الإسلام تَعوُّذاً من الجزْيةِ ، فَانْظُرْ من اخْتَتَنَ ، وأقامَ الفرائضَ ، وحَسُنَ إسلامه ، وقرأ سورةً من القرآن ، فَارْفَعْ عنه خَرَاجَهُ . ثم عزَلَ أشرسُ بنَ أبي العَمرَّطَةِ عن الخراج ، وصَيَّرَهُ إلى هانئَ بن هانئ ، وضَمَّ إليه الإشحيذ ، فقال ابنُ أبي العمرطة لأبي الصيداء : لستُ من الخراج الآن في شيء ، فَدُونَكَ هانئاً والإشحيذ ، فقام أبو الصيداء يَمْنَعُهم من أخْذِ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٥٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٧ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٥٩ .

(٢) غوزك : دهقان سمرقند . (انظر السيادة العربية ص : ٤٧) .

الجزية ممن أسْلَمَ ، فكتبَ هانئ : إنَّ الناسَ قد أسْلَمُوا وبنوا المساجدَ. فجاء دهاقين بُخَارَى إلى أشْرَسَ ، فقالوا : ممن تأخذُ الخراجَ ، وقد صارَ النّاسُ كُلُّهُم عرباً[1] ؟ فكتبَ أشرسُ إلى هانئ وإلى العُمَّالِ : خُذُوا الخراجَ ممن كنتم تأخُذُونَهُ منه ، فأعادوا الجزيةَ على مَنْ أسْلَمَ ، فامْتَنَعُوا ، واعْتَزَلَ من أهْلِ السُّغدِ سبعةُ آلافٍ ، فَنَزلُوا على سبعةِ فراسخَ من سَمَرْقَنْدَ ، وخَرَجَ إليهم أبوالصَّيْدَاء ، وربيعُ بن عمران التميميُّ ، والقاسم الشيبانيُّ ، وأبو فاطمةَ الأزديُّ ، وبشر بن جُرْموزٍ الضَّبيُّ ، وخالد بن عبد الله النَّحْويُّ ، وبشر بن زنبورٍ الأزديُّ ، وعامر بن قشير الخُجَنديُّ ، وبيان العَنْبريُّ ، وإسماعيل بن عُقبةَ لِيَنْصُروهم .

فَعَزَلَ أشرسُ ابنَ أبي العَمْرَطَةَ عن الحربِ ، واستعمَلَ مكانَهُ المُجَشِّرَ بن مُزاحمٍ السُّلميَّ ، وضَمَّ إليه عُميرة بن سعد الشيباني . فلما قدم المجشرُ ، كتبَ إلى أبي الصَّيْدَاء يسألهُ أنْ يقدم عليه هو وأصحابُهُ ، فقدم أبو الصَّيْدَاء وثابت قُطْنةٍ ، فحَبَسَهما ، فقالَ أبو الصَّيْدَاء : غَدَرْتُم ورَجَعتم عَمَّا قُلْتُمْ ! فقال له هانئ : ليس بِغَدْرٍ ما كان فيه حَقْنُ الدِّماءِ ! وحمل أبا الصَّيْدَاء إلى أشرس ، وحَبَسَ ثابتَ قُطْنةٍ عندَه . فلما حُمِلَ أبو الصَّيدَاء ، اجتمع أصحابُهُ وَوَلُّوا أمْرَهُم ابا فاطمةَ ، لِيُقَاتلوا هانئاً ، فقال لهم : كُفُّوا حتى أكتبَ إلى أشرسَ ، فيأْتيَنا رأيُهُ فنعملَ بأمرِهِ ، فكتبوا الى أشرسَ ، فكتبَ أشرسُ : ضَعُوا عليهم الخراجَ ، فَرَجعَ أصحابُ أبي الصيْدَاء ، فَضَعُفَ أمْرُهم ، فتتبع الرؤساءُ منهم فأُخِذوا ، وحُمِلُوا إلى مَرْو ، وبقي ثابتٌ محبوساً . واشركَ أشرسُ مع هانئ بن هانئ سليمانَ بن أبي السَّريِّ مَوْلَى بني عُوافةَ في الخراج ، فألحَّ هانئٌ والعمالُ في جبايةِ الخراج ، واستَخَفُّوا بِعُظماءِ العَجمِ ، وسَلَّطَ المجشرُ

---

(١) صار الناس عرباً : دخلوا في الإسلام ، فأصبحوا كالعربِ ، فسقطت عنهم الجزْيةُ .

عُمَيْرَةَ بن سَعْدٍ على الدَّهاقين ، فأُقيموا ، وخُرِّقَتْ ثيابُهم ، وأُلْقِيَتْ مناطقُهم في أعناقِهم ، وأخذوا الجزيةَ ممن أسْلَمَ من الضعفاء » ! !

وهكذا شهدَ العُشْرُ الأولُ من القَرْنِ الثاني التَّحوُّلَ من سياسةِ العَدْلِ واللُّطفِ التي انْتَهجها عمرُ بنُ عبد العزيز إلى سياسةِ الظُّلْمِ والعُنْفِ التي كانت مُتَّبعةً قَبْلَهُ ، وظَلَّ ذلك قائماً في العُشْرِ الثاني من القرن الثاني . وقد زادَتْ هذه السياسةُ الجائرةُ المشكلةَ تعقيداً ، وضَاعَفَتْ نِقمةَ العجم المسلمين بما وراءَ النَّهْرِ على العرَب .

وكانَ السُّغْدُ اتَّعظوا بما حَلَّ بمن رَحَلَ منهم إلى خُجَنْدَةَ من قَتْلٍ في ولايةِ سعيدِ بن عمرو الحرشيِّ ، فاحْتَاطَ من تَجمَّعَ منهم على أميالٍ من سَمَرْقَنْدَ هذه المرة ، فقد اسْتجَاشُوا التُّرْكَ ، واسْتَعَدُّوا لِلحَرْبِ . فخَرَجَ إليهم اشرسُ غازياً سنةَ عشرٍ ومائةٍ ، وأقام بآمل على الضفةِ الغَرْبيةِ من نَهْرِ جَيْحُون أشْهُراً . ثم قَطَعَ قَطَنُ بن قتيبةَ بن مسلمٍ الباهليُّ النهرَ ، فأطبقَ عليه السُّغد والتركُ ، ومَنعُوهُ من التَّحرك . فسيَّرَ إليه أشرسُ كتيبةً فَكَّتْ عنه الحصارَ ، واجتازَ أشرسُ النهر ، وتَوجَّهَ إلى بيكَنْدَ ، فبلغَها بعدَ معاركَ طاحنةٍ ، فقطعَ عنه التركُ الماءَ فَهلكَ سبعمائةٍ من جُنْدِهِ عَطشاً . فخاطرَ نَفَرٌ من فُرْسانِهِ بأنفسهم ، فقُتِلَ بعضُهم ، وكشفَ سائِرُهُم التُّرْكَ ، وأزالُوهم عن الماء ، فشَرِبَ جُنْدُهُ ، وشَقُّوا طريقَهم إلى بخارَى بِصُعوبةٍ ، فَوَصَلُوا إليها ، وعسكروا فيها . ثم أرْسلَ أشرسُ منها فِرْقةً إلى كَمَرْجَةَ ، بالقُرْبِ من بيكَنْد ، فأسرعَ إليها خَاقانُ بكلِّ قُوتِهِ فأحاطَ بها ، وشَدَّدَ الطَّوْقَ عليها ، فقاتَلَ جُنْدُهَا قِتالاً مُرًّا ، وابوا الاسْتسلامَ ، فاحتالَ خسرو بن يَزْدَجَردَ لهم ، فأعطاهم الأمانَ ، على أنْ لا يَنْضَمُّوا إلى أشرس ببخارى ، بل على أنْ يعودوا الى الدَّبوسيَّةَ من أعمالِ السُّغْدِ . فَتَجزَّأَ جُنْدُ أشرس وتَفرَّقُوا بمواقع مُتباعدةٍ ، فَطمعَ خاقانُ فيه ، وتَفرَّغَ له ، وحَصَرَهُ ببخارى[1] .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٥٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٩ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٦٠ .

وبلغَ هشامَ بن عبد الملك خبرُ حَصْرِهِ ، وسوءُ تَدْبيره ، فَعزَلَهُ سنةَ إحدَى عشرةَ ومائةٍ ، واستعملَ مكانَهُ الجنيدَ بن عبد الرحمن المريَّ. فسار إلى خراسان ، فَعَبَرَ النهر ، وهزم التركَ عند رزمانَ ، وفَكَّ الحِصَارَ عَن سَمَرْقَنْدَ ، واستنقَذَ أشرسَ ، ومَنْ معه من الجندِ ، ورجع بهم إلى مرو الشاهجان(١) .

وفي سنة اثنتي عشرةَ ومائةٍ بعثَ الجنيدُ فِرقاً عديدةً من جُنْدِهِ لِغَزْو طخارستانَ من جهاتٍ شتَّى . وأغارَ السُّغْدُ والتركُ على سَمَرْقَنْدَ ، واستَنْجَدَ به واليها سورةُ بن الحرِّ التَّميميُّ ، فهب لإغاثته ، على قِلَّةِ مَنْ بقيَ معه مِنَ الجُنْدِ ، فَقَطَعَ النهرَ ، ونَزَلَ بكسَّ ، ثم تَوجَّهَ منها الى سمرقندَ ، وسَلَكَ إليها طريقاً جبلياً وعراً ، فلما كان بِشِعْبٍ ضَيِّقٍ غير بعيدٍ منها ، فاجأَهُ خاقان في جيشٍ ضَخْمٍ ، فصَمَدَ له ، واستَماتَ في صَدِّهِ ، ولكنه لم يقدر عليه ، وظلَّ خاقان مُحْدِقاً به ، فَطَلَبَ من سورةَ أنْ يُوَافِيَهُ ، فلما سار إليه ، تَلقَّاه خاقانُ فَقَتَلَهُ ومزَّقَ أكثرَ مَنْ خَرجَ معه من الجُنْدِ. فناهَضَهُ الجنيدُ ، واستطاعَ في النهايةِ أنْ يَدْحَرَهُ عن طريقِه ، ويدخلَ سمرقندَ. فاندَفَعَ خاقانُ إلى بخارَى ، فَقَصَدَهُ الجنيدُ من أقصرِ السُّبلِ وأيْسرِهَا ، وضَرَبَهُ عند الطَّواويسِ ضربةً قاصمةً . وبذلك كُلِّلَتْ حَمْلَةُ الجنيد بالنجاح ، فقد أوقعَ بالسُّغدِ والترك ، وردَّهُم عن سمرقندَ وبخارى . ثم نقلَ عيالاتِ المُقاتلةِ من سمَرقندَ إلى مَرْو الشَّاهجان ، وأقام بالسُّغدِ أربعة أشهرٍ ، وعادَ إلى مرو الشاهجان قبلَ حُلولِ الشتاء(٢) .

وقد فقدَ العربُ في معركة الشِّعْبِ ما يزيدُ على عشرة آلافِ رَجُلٍ ، ويبالغ بعضُ الشعراء في تصوير خسارةِ العربِ في المعركة ، فيزعم أنه قُتِلَ منهم فيها

---

(٢) فتوح البلدان ص : ٤٢٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٦٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٥٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٠٣.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٠٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٧١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٦٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٤١٥ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٠٣.

خمسونَ ألفاً[١] . وأسْفَرَتِ المعركةُ عن ضَعْفِ جانب العربِ ، وتَخوَّفَ الجنيدُ السُّغْد والترك ، فأرسل إلى هشامٍ يستغيثُ به ، فأغاثَهُ بالرجال والسلاح ، قال البلاذري[٢] : «كتبَ إلى هشام يَستَمِدُّه ، فأمده بعمرو بن مسلمٍ في عشرة آلافِ رجلٍ من أهلِ البصرةِ ، وبعبد الرحمن بن نعيم في عشرةِ آلافٍ من أهل الكوفة ، وحَملَ اليه ثلاثين ألف قناةٍ وثلاثين ألفَ ترسٍ ، وأطلقَ يدَهُ في الفَرِيضَةِ ، ففرضَ لخمسة عشرَ ألفَ رجلٍ».

ولم يزل الجنيدُ على خراسان إلى سنة ستَّ عشرةَ ومائةٍ ، فلما تَزَوَّجَ الفاضِلَةَ بنت يزيد بن المهلب ، غَضِبَ هشامٌ عليه ، لأنه كان يرى أنَّ ابن المهلب أكبر الثوار الذين هَدَّدُوا سلطانَ بني أمية ، فعزَلَهُ وولى عاصم بن عبد الله الهلالي ، وكان الجنيدُ سُقِيَ بَطْنُهُ ، فقال هشامٌ لعاصمٍ : إنْ أدْركتَهُ وبه رَمَقٌ ، فأزْهِقْ نَفْسَهُ ، فقدمَ عاصمٌ وقد مات الجنيدُ ، فحبسَ عُمارةَ بن حريمٍ المريَّ ، وكان ابنَ عم الجُنَيْدِ وخليفتَه ، وأخذَ عُمَّالَ الجُنَيْدِ وعَذَّبهم[٣] .

ولم يَكَدْ عاصمٌ يَستَقِرُّ بخراسانَ حتى ثارَ عليه الحارثُ بن سُرَيْج التميميُّ بالنَّخْذِ ، وكان الحارثُ في أوَّلِ أمْرِه يَميلُ إلى الخَوارجِ[٤] ، ولكنه لم يكن مُتَشدِّداً في مُتَابعةِ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٨٧.

(٢) فتوح البلدان ص : ٤٢٩ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٧٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٦٨.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٩٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤١٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣١٢.

(٤) تاريخ الموصل ص : ٣٧ ، وانظر تاريخ الدولة العربية ص : ٤٤١ ، والفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص : ٢٧٦.

آرائهم المُتَطَرِّفة[١] . وقد قاتَلَ السُّغْدَ والتركَ مع اشرسَ بنِ عبدِ اللهِ السُّلميِّ بِبِيكَنْدَ ، وأبْلَى في قِتَالِهم بَلاءً حسناً ، وعَصَمَ الجند من الهلاكِ عطشاً[٢] .

ثم عَدَلَ عن مقالةِ الخوارجِ ، واعْتَنَقَ مقالة مُرْجِئةِ الجَبْرِيَّةِ ، لأنَّها كانت وَسَطاً بينَ المقالاتِ ،فكانت تَسْمَحُ له بالنَّظَرِ في المُشْكلاتِ المُسْتَفْحِلَةِ التي لا خلافَ عليها ، والتي تَتَطَلَّبُ المُعَالَجةَ العَاجِلةَ ، وكانت تُتِيحُ له القَبولُ عند المسلمين من العربِ والعَجمِ ، والوُصُولِ الى ما يَصْبُو إليه من الزَّعامة. فزعم أنه المَهْديُّ المنتظرُ[٣] ، وأظْهَرَ أنه صاحبُ الرَّاياتِ السود[٤] ، ودَعا إلى البَيْعةِ للرِّضا من الأُمَّةِ ، والعملِ بالكتابِ والسُّنةِ[٥] ، وبَشَّرَ بالمُساواةِ بين العرب والموالي ، ووَعدَ بإسْقاطِ الجِزْيةِ عمن أسْلَمَ من العَجَم ، وفَرْضِ العطَاءِ لمُقَاتلتِهِم[٦] . فانْضَمَّ إليه كثيرٌ من العَجَمِ المسلمين من أهل القُرَى ، الذين عَانُوا الظُّلْمَ والعَسْفَ ، وكانوا يَطْمحونَ إلى العَدْلِ والإنصافِ ، وانضمَّ اليه بعضُ العربِ الذين أنكروا الجَوْرَ والاسْتِبدادَ ، وكان فيهم مَنْ بقيَ حيًّا من أصحابِ أبي الصَّيْدَاء صالح بن طريف ، مولى بني ضَبَّة ، مثل بِشرِ بنِ جُرْمُوزِ الضَّبيِّ ، وأبي فاطمة الأَزْدِيِّ[٧] .

---

(١) تاريخ الدولة العربية ص: ٤٤١.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٥٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٥٠.

(٣) سنن أبي داود ٤ : ٤٧٧ ، وانظر السيادة العربية ص: ٦٢ ، ١٢٧.

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٩٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٣ ، والسيادة العربية ص: ١٢٦.

(٥) تاريخ الطبري ٧ : ٩٥ ، ٩٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٣.

(٦) تاريخ الدولة العربية ص: ٤٤٢ ، والسيادة العربية ص: ٦٤ ، ٦٧ ، ومقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص: ٤٦.

(٧) تاريخ الطبري ٧ : ٩٥ ، ١٠٧ والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٩ ، وانظر تاريخ الدولة العربية ص: ٤٤٢.

وانْدَفَعَ الحارثُ من النُّخُدِ، فاستَوْلَى على أقاليمِ خراسانَ الشرقيةِ والشماليةِ والجنوبيةِ، وأقْبَلَ إلى مَرْو الشاهجان في جمعٍ كثيرٍ، يقال: في ستين ألفاً، ومعه فرسانُ الأزْدِ وتميمٍ، ودَهاقينُ الجوزجان والفارياب ومَرْو الرُّوذِ، وملكُ الطالقان وأشباهُهم، فنزل بمشارفها، وكاتَبَهُ مَنْ بها من العَرب، وأعلنوا تأييدَهم له. فأرسلَ إلى عاصمٍ يسألهُ العملَ بالكتاب والسُّنةِ، فضَعُفَ عاصمٌ، «وأجمع على الخروج وقال: يا أهلَ خراسان، قد بَايَعْتُمُ الحارثَ بنَ سُرَيْجٍ، لا يَقْصِدُ مدينةً إلاّ خَلَّيْتُموها له! إني لَاحِقٌ بأرضِ قَوْمي أبْرَشَهر، وكاتبٌ منها إلى أمير المؤمنين، حتى يُمِدَّني بعشرةِ آلافٍ من أهل الشام». فاعْتَذَرُوا إليه من مُكاتبتهم للحارث، وعَاهَدَهُ رجالُ قيسٍ وتميمٍ على القتالِ معه حتى الموت، فثَنَوْهُ عن رَأْيِهِ. وانْفَضَّ بعضُ مَنْ كان مَعَ الحارثِ من تميمٍ والأزْدِ، والْتَحَقُوا بقبائلهم بالمدينةِ. ثم الْتَقَى الحارثُ وعاصمٌ، فانهزمَ أصحابُ الحارثِ، وقُتِلوا قتلاً ذريعاً، وغرِقَ بعضهم في أنهارِ المدينة، ومضَى الدهاقين إلى بلادِهم. وكفَّ عاصمٌ عن الحارث، ولو ألحَّ عليه لأهلكه، واجتمع الى الحارث زهاء ثلاثة آلافٍ، فضَمِنَ له عاصمٌ الأمانَ، على أنْ يرتحلَ بهم، فَفَعَلَ، ولكنه أقام بقريةِ زَرْقٍ على مقربةٍ من المدينة[1].

وكتبَ عاصمٌ إلى هشام يَمْحَضُهُ النُّصْحَ: «إنَّ خراسانَ لا تَصْلُحُ إلاّ أنْ تُضَمَّ الى صاحبِ العراقِ، فتكون مَوادُّهَا ومَنَافِعُهَا ومَعُونَتُهَا في الأحداثِ والنَّوائبِ من قريبٍ، لتَباعُدِ أميرِ المؤمنين منها، وتَبَاطُؤ غيابِهِ عنها». فَسَخَطَ هشامٌ عليه، فخَلَعَهُ، وكتب الى خالد بن عبد الله القَسْرِيِّ أنْ يبعثَ أخاه أسداً الى خراسان، ليُصْلِحَ ما أفْسَدَ الحارث مِنْ أمرها[2].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٢: ٥٠٩، وتاريخ الطبري ٧: ٩٤، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٣، والبداية والنهاية ٩: ٣١٣.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢: ٥٠٩، وتاريخ الطبري ٧: ٩٩، وتاريخ الموصل ص: ٣٨، والعيون والحدائق ٣: ٩١، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٦، والبداية والنهاية ٩: ٣١٣.

وبلغَ عاصماً أنَّ أسداً قد أقْبَلَ ، « فَصَالح الحارثَ ، وكتبَ بينَهُ وبينَهُ كتاباً على أنْ ينزلَ الحارثُ أيَّ كُورِ خراسانَ شاء ، وعلى أنْ يَكْتُبَا جميعاً إلى هشامٍ يسألانِهِ كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نَبِيِّهِ ، فإنْ أبَى اجتمعا جميعاً عليه » . فختَمَ على الكتاب رؤساءُ تميمٍ والأزْدِ ، وأبَى يحيى بن حُضَيْن رئيسُ بَكْرٍ أنْ يختم ، وقال : هذا خَلْعٌ لأمير المؤمنين ، فانفسخَ الكتابُ . وعادَ الحارثُ إلى قتالِ عاصمٍ ، فانهزمَ أصحابُ الحارثِ ، وأُسِرَ منهم أسرى كثيرةً ، فَقَتَلَهُمْ عاصمٌ ، وتَحوّلَ الحارثُ إلى مَرْوالرُّوذ ، فنزلَ بها[1] .

وقَدِمَ أسدٌ وما يملكُ عاصمٌ من خراسانَ إلاَّ مَرْو الشَّاهجانِ وناحية نيسابور ، فحبس عاصماً ، وسألهُ عما أنفقَ ، وحاسَبَهُ فأخَذَهُ بمائة ألفِ درهم ، لأنه لم يَغْزُ ولم يَخْرُجْ من مرو الشاهجان[2] . ولم يُسْلِمْ نَفْسَهُ للأطماعِ الحِزْبية اليمانيةِ التي كانت سببَ عَزْلِهِ عن خراسانَ في ولايته الأولى ، فأطلقَ عمارة بن حُرَيمٍ المريَّ وعُمَّالَ الجُنَيْدِ الذين حَبَسهم عاصمٌ ، واجتهد أنْ يُسَوِّيَ بين اليمانية والربعية والمُضَرية في الحقوقِ ، فأشركهم في المَناصِبِ والولاياتِ ، ليَتجنَّبَ تَعصُّبَ بَعْضِهم على بعضٍ ويقْوَى بتماسكهم وتآزرهم على مُحاربةِ الحارثِ والسُّغْدِ والتُّرك[3] .

وقضى أسَدٌ ثلاث سنواتٍ في نَفْيِ الحارث وأنصارِهِ عن المُدُنِ التي غَلَبُوا عليها بخراسان وما وراء النهر ، فضَبَطَهَا وسَكَّنَ أهلها باللِّينِ والشِّدةِ ، وبالصُّلْحِ والسَّيْفِ ، وفي سنة تسعَ عشرةَ ومائةٍ هزم خاقان بِطُخارستان ، وكان الحارثُ قد اسْتَدْعَاهُ إليها ، فرجع خاقانُ إلى وَطَنه ، ورحَلَ الحارثُ معه إليها ، فأقام بها[4] .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ١٠١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٧ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣١٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ١٠٤ ، ومعجم الشعراء ص : ١١٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٨ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ١٠٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٨ ، وانظر تاريخ الدولة العربية ص : ٤٤٤ .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥١٣ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، وتاريخ الموصل

وبذلك أخفقَتْ ثورةُ الحارث بن سُرَيْحٍ التميميِّ المُرْجئي. وهي أقوى ثورةٍ أيّدَها العَجَمُ المسلمون، وعَلَّقوا عليها آمالَهم في الإصْلاحِ والمساواةِ مع العرب، وأوشكت أن تنجحَ وتَفْصِلَ خراسانَ عن سلطانِ بني أمية، وقد ساهمَ فيها العجمُ المسلمون من السُّغْدِ، ونَصَرهم إخوانُهم من أهلِ خراسانَ لأولِ مرّةٍ، وكانوا قبلَ ذلك خاضعينَ وادعينَ، لأنهم دَخلوا في الإسلام منذ زمنٍ بعيد، وأَلّفَتْ رابطةُ الإسلام بينَهم وبينَ العرب، ولكنهم كانوا في الحقيقة عاجزين عن الثورةِ مثلَ المسلمين الجُددِ من السُّغْدِ. وينطبقُ هذا القَوْلُ على أهلِ المدنِ الكبرَى بما وراء النهرِ، كَبخارى وسَمَرْقَنْدَ، فإنَّ قواعدَ السيادة العربية كانت قد تَوَطَّدَتْ فيها، فَرَضَخَ أهلُ خراسان وغيرهم من أهل بخارَى وسمَرْقَنْدَ للظُّلْمِ والتَّفرِقَةِ، وآثروا السَّلامةَ والعافيةَ، لأنّه لَمْ يَكُنْ لهم طاقةٌ بمُحاربةِ العرب[1].

وأعادَ أسدٌ الجِزْيةَ على مَنْ أسْلَمَ مِنَ السُّغْدِ وأهلِ خراسانَ، واستَخْلَصَها منهم بالقُوّةِ[2]، وكان أسدٌ مُحبَّباً إلى الدَّهاقين، لأنه كان يَصُونُ مَنَازِلَهم، ويُحافِظُ على مصالِحِهم، فكانوا يَوادُّونَهُ ويتقرَّبون إليه بالهدَايا الطَّريفةِ، وقد وَصَفَ ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ زيارةَ خراسانَ، دِهْقانَ هراةَ له، وما حملَ إليه من هديةٍ عجيبةٍ، يومَ المهرجانِ ببلخ سنةَ عشرين ومائةٍ، يقول[3]: «حَضَرَ المهرجانَ، وهو ببلخَ، فقدمَ عليه الأمراءُ والدَّهاقين، فكان ممن قدم عليه ابراهيمُ بن عبد الرحمن الحنفيُّ، عامِلُهُ

ص: ٣٧، ٣٩، والعيون والحدائق ٣: ٩١، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٨، ١٩٧، ٢٠٠، والبداية والنهاية ٩: ٣٢١، والنجوم الزاهرة ١: ٢٧٦، وشذرات الذهب ١: ١٥٣.

(١) تاريخ الدولة العربية ص: ٤٤٠.

(٢) انظر السيادة العربية ص: ٥٤.

(٣) تاريخ الطبري ٧: ١٣٩، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢: ٤٦٣، والكامل في التاريخ ٥: ٢١٦، والبداية والنهاية ٩: ٣٢٤.

على هراةَ ، وخراسانُ دهقانُ هراةَ ، فقدما عليه بهديةٍ قُوِّمَتْ بألفِ ألفٍ ، فكان فيما قَدِمَا بهِ قَصْرَانِ : قصرٌ من فضةٍ ، وقصرٌ من ذهبٍ ، وأباريقُ من فِضّةٍ ، وصِحَافٌ من ذهبٍ وفِضَّةٍ ، فأقبلَا وأسدٌ جالسٌ على السرير ، وأشرافُ خراسانَ على الكراسي ، فَوضَعا القَصْرَيْنِ ، ثم وَضَعَا خَلْفَهما الأباريقَ والصِّحافَ ، والديباجَ المَرْويَّ ، والقُوهيَّ ، والهَرويَّ ، وغير ذلك ، حتى امتلأ السِّماط ، وكان فيما جاء به الدهقانُ أسداً كرةٌ من ذهبٍ» .

وكان الدهاقينُ يُزَيِّنُونَ له استخراجَ الجزيةِ ممن أسلمَ من أهل بُلدانهم ، لأنَّ إلغاءها عنهم كان يَضرُّ بهم ، إذْ كان يُقَلِّلُ فوائِدَهم ، ويُعطِّلُ مكاسِبَهم ، كما كان يَضُرُّ ببَيْتِ المالِ ، إذْ كان يَنْقُصُ المبالغَ التي تَرِدُ إليه ، ويَخْفِضُهَا خَفْضاً شديداً[٢] . فحَكَّمهم في رقاب العَجَمِ المسلمين ، وسَلَّطَهم عليهم ، وأباحَ لهم قَتْلَ من امْتَنَعَ منهم عن أداءِ الجزْية ، وليس أدل على ذلك مِمَّا ذكرَهُ النَّرْشخيُّ من أنه أذِنَ لمَلكِ بُخَارى في سَفْكِ دماءِ المسلمين من أهلِ بلَدِهِ ، لأنهم أبوا أنْ يَدْفعُوا الجزيةَ ، وأعَانَهُ على ذلك ، فَلاَذُوا بالمسجدِ ، فأخَذَهم منه وهم يَرْفَعُونَ أصْوَاتَهم بالشَّهادَتَيْنِ ، ويَسْتَغِيثُونَ ويستَرحِمونَ ، فقتَلهم ، ونَصَبَ أجسادَهم ، ولم يَسْلَمْ منَ القَتْلِ إلاَّ عَددٌ ضَئِيلٌ منهم ، فاستَعْبَدَهم ، وسَاقَهم إلى أسدٍ ، فلم يزالوا على إسْلامِهم ، فلما تُوفِّيَ مَلِكهم ، رَجعوا إلى بلدهم ، فقد رَوَى[٣] «أنه في أيام أسد بن عبد الله القَسْرِي خرجَ رَجُلٌ ودَعَا أهلَ بُخَارَى إلى الإيمان ، وكان أهلُ بخَارَى في الأغلبِ أهْلَ ذِمَّةٍ ، يَدْفَعونَ الجزيةَ ، فأجابه قَومٌ وأسلَمُوا ، وكان طَغْشادة ملكَ بخارَى ، فغضبَ ، لأنه كان في السِّرِّ كافراً ، فكتبَ إلى أميرِ خراسان أسد بن عبد الله كتاباً

(٢) السيادة العربية ص : ٥٦.

(٣) تاريخ بخاري ، ترجمة الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ص : ٨٧.

يقول فيه : إنه ظهر ببخارَى رَجُلٌ يثيرُ علينا الولايةَ ، وجَعَلَ قَوْماً يخرجونَ علينا ، ويقولونَ : إننا أسْلَمْنا ، وهم كاذبون ، أسْلَمُوا بلسانهم ، وهم مشغولون بأمرهم ذاك (أي الكفر) في سرِّهم[1] ، ويُثيرون الوِلايةَ والملكَ بهذه الحجة ، ولا يؤدُّونَ الخراج . ولهذا كتبَ أسدُ بن عبد الله إلى عامِلِهِ شريك بن حريث ، وأمرَهُ بأن يَقْبِضَ على هؤلاء القَوْم ، ويُسْلِمهَهم للملك بُخارى ، لِيَفْعَلَ بهم ما يشاء . ورُوِيَ أنَّ هؤلاء القومَ كانوا في المسجد ، يقولون جميعاً بصوتٍ عالٍ : أشهَدُ أنْ لا إله إلّا الله ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورَسُولُهُ ، ويصيحون : وَامُحمداً ، وا أحمَدَا ، وكان بخارا خداة طَغْشَادة يضرب أَعْنَاقَهم ، ولم يكن أحدٌ يَجْرُؤُ على الكلام فيشفع لهم ، حتى ضَرَبَ أعناقَ أربعمائة شخصٍ ، وصَلَبهم ، واستَرَقَّ الباقينَ باسم أسدِ بن عبد الله ، وأرْسَلَهم إليه بخراسان . ولم يَرْتَدَّ أحدٌ قطُّ من هؤلاء القومِ عن الإسلام ، ولم يَثْنِ أسَدُ بنُ عبدِ اللهِ هؤلاء القومَ عن الإسلام . ولمَّا ماتَ طغشادةَ بخاراخداة ، عَادَ هؤلاء القومُ إلى بخارى[2] » .

وماتَ أسدُ بن عبد الله القسريُّ ببلخَ سنةَ عشرينَ ومائةٍ ، واستخلفَ قبلَ موتِهِ جعفرَ بنَ حَنْظَلَةَ البَهْرَانيَّ ، فَصَرَفَهُ هشامُ بن عبد الملك عن خراسان ، وَوَلَّاها نصرَ بن سيارٍ الليثيَّ [3] . وكان له صلاتٌ قويةٌ بكثير من الدَّهاقين وملوكِ ما وراءَ النهر ،

---

(١) في هذه الترجمة ركاكة ظاهرة ، وقارن بترجمة النص في السيادة العربية ص : ٥٤ــ ٥٥ . فهي أجود مما هنا .

(٢) ربما حَرَّرهم أسد . (أنظر تاريخ الطبري ٧ : ١٢٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٠٥ ، والسيادة العربية ص : ٥٥) .

(٣) انظر ملابسات تعيينه في تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٦ ، والأخبار الطوال ص : ٣٤٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٥٥ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٠٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٢٦ . وهي تشير إلى أن هشاماً ظل يشرف على خراسان ، ويختار ولاتها بنفسه . وهي تدعو الى النظر فيما يقال من أنه أعادها الى عامل العراق سنة سبع عشرة ومائة . (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٧ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣١٩ ، وتاريخ الطبري ٧ :

ولا سيما طغشادة ملكَ بُخَارَى ، فإنه كان يُكْرِمُهُ ويحترمُهُ لأنه زَوّجهُ ابنَتَهُ ، ولأنه أعطاه ضِياعَ خَنبون العليا من قُرَى بُخَارَى على طريق خراسان (١) ، فكان للدهاقين مكانةٌ رفيعةٌ عنده.

وقد رَوَى المدائنيُّ أنَّ دِهْقَانَيْنِ من أهلِ بُخَارَى قَتَلا طغشادَةَ ، وواصلَ بن عمرٍو القيسيَّ عامل بُخَارَى ، بفُسطاطِ نصرٍ بِسَمَرْقَنْدَ سنة إحدَى وعشرينَ ومائة ، ولم يُبيِّنْ سببَ قَتْلِهما لها ، وإنما ذكرَ أنَّ الدِّهْقَانَيْنِ قَدِمَا على نصرٍ يَشْكُوانِ إليه طَغْشَادَةَ ، وأنه كان بينهما وبينَهُ عَدَاوةٌ (٢) .

وحَمَلَ النرشخيُّ روايةَ المدائنيِّ ، ولكنه أكْمَلَهَا ، وأزالَ ما فيها من غُمُوضٍ ، وحَدَّدَ سببَ قَتْلِ الدِّهْقَانَيْنِ لطغشادة وعامل بُخَارَى ، وهو أنَّ طغشادَةَ استَوْلَى على ضِيَاعهما ، وأنَّ عَامِلَ بُخَارَى كان يُوَاطِئُهُ على اسْتِصْفَاءِ ضِياعِ كلِّ مَنْ خَالَفَهُ واسْتَعْصَى عليه ، وأنَّهما تَوهَّمَا أنَّ طغشَادَةَ نَاجَى نَصْراً بِقَتْلِهما ، بعدَ أنْ رَفعَا إليه أمْرَهما ، فاغْتَالاَهُمَا انتقاماً منهما لأنْفُسِهما ، يقول(٣) : « بينَمَا كان نصرُ بن سيار يتحدَّثُ مع بخاراخداة ، جاءَ دَهْقَانانِ من بُخَارى ، كِلَاهُمَا من اقاربِ بُخَارَاخدَاة ، وقد أسْلَمَا على يد نَصْرِ بن سيار ، وكانا من أبناء العظماء ، فتَظَلَّمَا

---

٩٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ٩١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤٦٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣١٣) . ومما يدعو الى النظر فيه أيضاً أن بعض الروايات تشير الى أن هشاماً هو الذي أمرَ خالد بن عبد الله القسري أن يولي أخاه أسداً خراسان . (أنظر تاريخ الطبري ٧ : ١٠٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٦) .

(١) تاريخ بخارى ص : ٨٩.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ١٧٦ .

(٣) تاريخ بخارى ص : ٨٩ ، وانظر ترجمة النص في السيادة العربية ص : ٤٩ ، فهي أجودُ مما هنا أيضاً.

كلاهما لدى نَصْرِ بن سيار من بخاراخداة ، وقالا : لقد غصَبنَا بخاراخداة قُرَانًا ، وكان واصلُ بن عمرو أميرُ بخارى حاضراً هناك ، فطلبا الانتصافَ منه أيضاً ، وقالا : إنَّ كلا هذين قد اتَّحدَا ، ويأخُذَانِ أملاكَ الناس . وكان طَغْشَادَةُ يتَحدَّثُ هَمْساً ، فَظَنَّا أن طغشادَة يَطْلُبُ من نَصْرِ بن سيارٍ أن يَقْتُلَهما ، وقال بعضُهما لبَعْضٍ : ما دام بخاراخداة سيَقْتُلَنا ، فلا أقل مِنْ أنْ نَشْفيَ أنفسَنَا » .

وقال ڤلهاوزن[1] : « المظنونُ أنَّ الظُّلْمَ الذي شكا منه هَذانِ الدِّهْقانانِ هو إلْزَامُها بِدَفْعِ الجزْيةِ ، مع أنَّهما كانا مُسْلِمَيْنِ » .

ومعنى ذلك أنَّ حال المسلمين من أهل خراسان وما وراءَ النهر في الشَّطْرِ الأول من ولايةِ نَصْرٍ ، بَقِيَتْ على اعْوجاجها والْتِوَائِهَا ، إذ ظَلَّت الجزيةُ مَفْرُوضةً عليهم ، وظَلَّ مُلوكُهم وكبارُ دَهَاقينهم يتجبَّرونَ في اسْتيفائها منهم ، بل لقد اصابَ الظُّلْمُ مَنْ أسْلَمَ من صِغارِ دَهَاقينهم !

ولكنَّ نَصْراً كان خبيراً بمُشْكِلاتِ خراسَانَ وأدْوَائِهَا ، وكان بَصِيراً بعُيوبِ السياسةِ الماليةِ وأسبابِهَا ، فإنه قضَى أكثرَ عمرِهِ بخراسان ، وتَقلَّبَ في أعْمَالِهَا ، وتنقَّلَ من مَنْصِبٍ عَسْكريٍّ إلى مَنْصِبٍ إداريٍّ فيها[2] . فلم يلبث أنْ أصْلَحَ النظامَ الماليَّ في آخر السنة الثانية من ولايتِهِ ، فقد عدَّل النظامَ القديمَ ، واحتكمَ في تَعْديلهِ إلى روح الإسلامَ ، وضَبَطَ الخراجَ والجزْيةَ ، وأحْسَنَ الوِلايَةَ والجِبَايَةَ[3] » ، حتى أزالَ الظُّلْمَ ، « وعَمُرَتْ خراسانُ عمارةً لم تُعْمَرْ قبلَ ذلك مثلَهَا[4] » .

---

(١) تاريخ الدولة العربية ص : ٤٥٢ .

(٢) انظر كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٥٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ١٥٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٢٧ .

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ١٥٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٢٧ .

وأعلَنَ خُطَّتَهُ في خُطْبَةٍ خَطَبهَا في مَسْجِدِ مَرْوِ الشَّاهجان ، بعدَ أنْ رجعَ من غَزْوِهِ لمَا وراء النهر ، سنة إحْدَى وعشرينَ ومائةٍ ، فقال [١] : « ألا إنَّ بَهْرَامْسيسَ كانَ مَانِحَ المَجُوسِ ، يمْنَحُهم ويَدْفَعُ عنهم ، ويَحْمِلُ أثْقَالَهم على المسلمين ، ألا إنَّ أشدادَ بن جريجور كان مانحَ النَّصارَى ، ألا إنَّ عقيبةَ اليهوديَّ كان مانِحَ اليهودِ ، يَفعَلُ ذلك ، ألَا إني مَانِحُ المسلمين ، أمْنَحُهم وأدْفَعُ عنهم ، وأحْمِلُ أثْقَالَهم على المشركين ، ألا إنه لا يُقْبَلُ مني إلاَّ تَوَفِّي الخَرَاجِ على ما كُتِبَ ورُفِعَ وقد استَعْمَلْتُ عليكم منصورَ بنَ عمرَ بن أبي الخَرْقاء ، وأمرْتُهُ بالعَدْلِ عليكم ، فأيُّمَا رجلٍ منكم من المُسْلمينَ كَانَ يُؤْخَذُ منه جِزْيةٌ من رَأسِهِ ، أوْ ثُقِّلَ عليه في خَرَاجِهِ ، وخُفِّفَ مثلُ ذلك عن المشركين ، فَلْيَرْفَعْ ذلك إلى المنصور بن عمر ، يُحَوِّلْهُ عن المسلم إلى المُشْرِك » .

قال المدائني [٢] : « فما كانت الجمعةُ الثانيةُ حتى أتاه ثلاثون ألفَ مسلمٍ ، كانوا يُؤَدُّونَ الجزيةَ عن رؤُوسهم ، وثمانون ألفَ رجلٍ من المشركين ، قد أُلْقِيَتْ عنهم جِزْيَتُهم ، فَحوَّلَ ذلك عليهم ، وألْقَاهُ عن المسلمين. ثم صَنَّفَ الخراجَ حتى وَضَعَهُ مَوَاضِعَه ، ثم وَظَّفَ الوظيفةَ التي جَرَى عليها الصُّلْحُ ، فكانت مَرْوُ يُؤْخَذُ منها مائةُ ألْفٍ سوى الخراج في أيام بني أمية » .

وما ذكرهُ المدائنيُّ من نَقْلِ الجزْيةِ من المشركينَ إلى المسلمينَ بمَرْأَى ومَسْمَعٍ من العُمَّالِ فيه إبْهَامٌ ! فكيفَ يَتصوَّرُ أنْ تُرْفَعَ الجزيةُ عن ثمانين ألفاً كان عليهم أنْ يُؤَدُّوهَا ، وأنْ تُوضَع على ثلاثين ألفاً لم يكنْ عليهم أنْ يؤَدُّوهَا ! إنَّ ذلك المَوْقف

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ١٧٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٣٦.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ١٧٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٣٦.

يمكن أنْ يُفْهَمَ بحَسْبِ ما هو مَعْرُوفٌ من المواقف المشابهةِ له في جباية الجزْيةِ ، وهو أنَّ دُخُولَ العجمِ في الإسلامِ لم يكن لِيُخرِجَهُم من عدَادِهم في الجماعةِ التي كان عليها أنْ تؤدِّي الجزْية . وكانت الجزيةُ بحَسْبِ ما جَرى عليه الصُّلْحُ من قبْلُ قد تقرَّرَتْ على مقدارٍ ثابتٍ لا يتغيَّرُ ، فإنْ لم يَدْفَعْهَا الداخلونَ في الإسلام ، وجبَ على بقية الجماعة التي ينتَمُونَ إليها أنْ تَدْفَعها عنهم . فصارَ أداءُ الجزْية عِبْئاً على من وَقَعَ على كاهِلِهم بمُقْتَضَى شروط الصُّلْح ، يُورِّثُونه أبناءَهم من بعدهم ، حتى لو دَخَلَ أولئك الأبناءُ في الإسلام . وكان الرُّؤساءُ المَحلِّيُّون يَعْمَلُونَ بهذا المَبْدَإِ بإذنٍ من الدَّوْلَة . فتكاثرَ عَددُ العجم الذين أسْلَمُوا ، وكان عليهم أنْ يُؤدّوا الجزْيةَ ، حتى بَلَغُوا آلافاً . وكان الدَّهاقينُ يُحابونَ أعوانهم ، ويُعْفونَهم من الجزْية ، فتكاثفَ عدَدُ أهل الذِّمة الذين أُسْقِطَت عنهم الجزْيَةُ حتى أصبحوا آلافاً أيْضاً[١] .

وشرحَ ڤلهاوزن تدابيرَ نَصْرٍ وتَراتيبَهُ التي أصْلَحَ بها نِظامَ الضَّرائبِ بخراسَان ، وأبانَ عن مَحَاسنِها ، وقارنَ بينَهَا وبينَ أحكامِ النِّظامِ القديمِ ، وكشفَ عن مساوئها[٢] . ولكنه أرْسَلَ القوْلَ وأطْلَقَهُ دون تَحْديدٍ أو تَقْييدٍ في مَسْأَلَتَيْنِ : الأولى مَعْنَى الخراجِ والجزْيةِ ، والثَّانيةُ دَفْعُ مُلاَّكِ الأرض من العَرب للضَّريبة . وقد دَرَسَ الدكتور عبد العزيز الدوري نظامَ الضرائبِ في صَدْرِ الإسلام دَرْساً عميقاً ، وَوَضَّحَ فيه هاتين المَسْأَلَتَيْنِ تَوْضيحاً دَقيقاً[٣] .

---

(١) تاريخ الدولة العربية ص : ٤٥٥ ، وانظر مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص : ٤٤ .

(٢) تاريخ الدولة العربية ص : ٤٥٤ — ٤٥٧ .

(٣) انظر مقالته : نظام الضرائب في صدر الإسلام ، بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد : ٤٩ ، الجزء الثاني ، وراجع كتابه : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص : ٣٠ .

فقد ذهبَ ڤلهاوزن إلى أنَّ كلَّ أنواعِ الضرائب كانت تُسَمَّى خَراجاً ، وأنه لم يكن سوَى ضَريبةٍ واحدةٍ ، تُسَمَّى الخراجَ أو الجزْيةَ ، وأَنَّ مَعْنَى الكَلِمَتَيْنِ حتى ذلك الحِينِ كان واحداً[1] وذَهب فان فلوتن الى ذلك قَبْلَهُ[2].

وفيما قالاهُ تعميمٌ شديدٌ ، وَوَهْمٌ ظَاهِرٌ ، فإنَّ الخراجَ استُعْمِلَ في المَشْرِقِ للدَّلالة على مجموعِ الضرائبِ المُشْتَركةِ من ضريبةِ الرَّأْسِ ، وربما ضرائب أهلِ الحِرَفِ والمِهَنِ التي كان رؤساءُ المدُنِ والنَّواحي يَتولَّوْنَ جباية ضَرَائِبِهَا ، ولم يكن خراجُ الأرْضِ جُزءاً منها ، بل كان مَفْصُولاً عنها . وهو أسلوبٌ ساسانيٌّ مألوفٌ في المشرق قَبْلَ كسرى أنو شروان . وبذلك بَقِيَ لِكَلِمَة الخراج عندَ العربِ في المشرقِ معناها المَحَليُّ الموروثُ ، وكان لذلك نَظَائِرَهُ في مصر ، فإن كلمةَ الجزْيةَ استُعْمِلَتْ فيها للدلالةِ على مجموعِ ضرائبِ القُرَى التي كانت مَجالِسُهَا تَقُومُ بجبايةِ ضرائبهَا ، وهو اسلوبٌ روميٌّ معروفٌ في مصر . وبذلك حافظتْ كلمةُ الجزْيةِ عندَ العرب في مصر على معناها المحليِّ الموروثِ أيضاً . ولا يدلُّ ذلك على أنَّ معنى الخراجِ ومعنى الجزْيةِ كانا مُتَرادِفَيْنِ مُتَطَابِقَيْنِ ، ولا على أنهما كانا مُخْتَلِطَيْنِ مُلْتَبِسَيْنِ ، فقد كان معنى كلِّ كلمةٍ منهما بَيِّناً مُحدَّداً ، أمَّا الخراجُ فهو الضريبةُ المفروضةُ على الأرضِ المفتوحةِ ، وأمَّا الجزْيةُ فهي ضريبةُ الرأسِ المفروضةُ على أهلِ الذِّمةِ . ولم ينجمِ التداخل في استعمالِ الكلمتين عن عدم التمييز بين الضَّريبتين ، بل نجم عن التَّأثر بأساليب تَحْصيل الضرائب المُشْتَركةِ ومُصْطلحاتها في البيئات المفتوحةِ ، وهو يُمَثِّلُ بقايا الإرْثِ المحلِّي في البيئات المختلفة[3] .

(١) تاريخ الدولة العربية ص : ٤٥٥ ، وراجع ص : ٢٦٨ .

(٢) السيادة العربية ص : ٥٠ .

(٣) انظر نظام الضرائب في صدر الاسلام ص : ١ — ٤ ، ومقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص : ٢٨ .

وذكر ڤلهاوزن أنَّ مُلاَّكَ الأرضِ من العرب بخراسان كانوا يُعْفَوْنَ من الضَّريبة[١] ، وذكر فان فلوتن ذلك قَبْلَهُ[٢] . وفيما زَعَماهُ نَظَرٌ ، فإنهم كانوا يؤدون العُشْرَ ، كما كان يُؤدِّيهِ مُلَّاكُ الأرض من العرب بالعراقِ والشام . والعُشْرُ هو الضريبةُ التي قَرَّرهَا الرسولُ الكريم على الأرض في الجزيرة العربية ، ثم فَرَضَ عمر بن الخطاب الخراجَ على الأرض في البلادِ المفتوحةِ . وكان بعض الفقهاء يكرهون شراءَ العرب لأرضِ الخراج ، وكان أكثر الخلفاء الأمويين يَنْهَوْنَ عن ذلك ويَمْنَعُونَهُ ويَفْسَخُون البَيْعَ . ولكنهم لم يَفْرِضوا الخراجَ على الأرض التي ابتاعَهَا العربُ ، بل قَرَّروا أنَّ أهل الذِّمةِ لا يحقُّ لهم بَيْعُ أرضهم للعرب ، لأنها وَقْفٌ على الأُمَّةِ . وكانوا على ذلك في أيام عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك ، وشَطْرٍ من أيام هشام بن عبد الملك . ولكن العرب ظلوا يُخَالفونَ القانونَ ، فقد استمروا يشترون الأرضَ الخراجيةَ ، ويَدْفَعونَ عنها العُشْرَ . ولذلك قَرَّرَ الخلفاءُ الأمويون فَرْضَ الخراجِ على كلِّ مَنْ يمتلكُ أرْضاً خراجيةً ، سواءٌ كان من أهلِ الذِّمةِ أو من العرب ، وقد قَرَّروا ذلك في آخر أيام هشام بن عبد الملك[٣] .

على أنَّ مُلاَّكَ الأرض من العرب بخراسان حُمِلُوا على دَفْع الخراجِ زمناً ، وكان أُميَّة ابن عبد الله الأموي هو الذي حَملهم على دَفْعِهِ سنة سبعٍ وسَبْعين ، فتبرَّموا به ، وتذمَّروا منه[٤] . ويظهرُ أنهم ظَلُّوا يُؤدُّونَ الخراجَ في أيام الوليد وسليمان ابني عبد

---

(١) تاريخ الدولة العربية ص : ٤٥٦ ، وراجع ص : ٢٦٧ — ٢٦٨ .

(٢) السيادة العربية ص : ٤٩ .

(٣) انظر نظام الضرائب في صدر الاسلام ص : ٥ — ٦ ، ومقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص : ٣٣ ؛ ٤٩ . وتاريخ الدولة العربية ص : ٢٧١ — ٢٨٥ .

(٤) تاريخ الطبري ٦ : ٣١٦ . والكامل في التاريخ ٤ : ٤٤٦ .

الملك ، ولكنهم رُدُّوا الى أداءِ العُشْرِ في أيام عمر بن عبد العزيز[١] ، ولم يزالوا يُؤدُّونه في أيام يزيد بن عبد الملك ، وأكثر أيام هشام بن عبد الملك[٢] ، حتى فَرَضَ نَصْرُ بن سيارٍ الخراجَ على جميع مُلاَّكِ الأرضِ بخراسان.

ويمكنُ تلخيصُ ما صَنَعَهُ نَصْرٌ في ثلاثة أمورٍ : الأولُ أنه أسْقَطَ الجزيةَ عن العجم المسلمين ، وفَرَضَهَا على الذِّمِّيِّينَ وَحْدَهُم ، وتوثَّقَ مِنْ أخذِهَا منهم. والثاني أنه جَبَى الخراجَ من مُلاَّكِ الأرض جميعاً بحَسْبِ ما يملكونَهُ. ويبدو أنه مسَحَ الأرضَ ، لأنه أعادَ تصْنيفَ الخراج ، فوَضَعَهُ بالحقِّ ، وجمعهُ بالعَدْلِ ، والثالث أنه ضَبَطَ الوظائفَ المقررةَ على المُدُنِ والنَّواحي في الصُّلْح ، واستوفَاهَا ، ولم يُفرِّطْ في شيءٍ منها[٣].

وقال فلهاوزن مُقَوِّماً تدابيرَ نَصْرٍ وتَراتيبَهُ التي أصْلَحَ بها نظامَ الضَّرائبِ ، ومُشيراً إلى تَطْبيقِهَا في سائرِ الأمْصَارِ[٤] : «تتجلّى لأول وَهْلَةٍ صَلَاحيَّةُ النظامِ الجديدِ الذي وضَعَهُ نصْرٌ إذا قُورِنَ بالنظامِ الذي كان من قَبْلُ يُعْتَبرُ هو النظامَ المتفقَ مع الشَّرْعِ ، والذي بمُقْتَضَاه كان [العربُ] المسلمون يُعْفَوْنَ من دَفْعِ الخراجِ. وهكذا ظلَّ الفرقُ بين معاملةِ الدولة للمسلمين وغير المسلمين قائماً ، أما المسلمون عرباً كانوا أو مواليَ ، فقد صاروا من حيث المبدأُ والقانونُ يَقِفُونَ على قَدَم المساواة. وعلى هذا الوَجْهِ أمْكَنَ تَفادي النَّقْصِ في الدَّخْلِ الثابتِ للدولةِ ، وذلك أنَّ تفاوتَ مقدارِ ما كان يتحصَّلُ من مالِ الجِزْيةِ ، وهو لم يكن كبيراً ، وكذلك تَناقصهُ المستمر شيئاً

---

(١) تاريخ الدولة العربية ص : ٢٧٧.

(٢) تاريخ الدولة العربية ص : ٢٧٩.

(٣) انظر نظام الضرائب في صدر الإسلام ص : ١٦ ، وتاريخ الدولة العربية ص : ٢٧٢ ، ٤٥٥.

(٤) تاريخ الدولة العربية ص : ٤٥٦ — ٤٥٧.

فشيئاً لم يكن له شأنٌ كبيرٌ. ومن الرّاجحِ جداً أنَّ النُّظُمَ التي وَضَعهَا نَصْرٌ لم تَقْتَصِرْ على ناحية مَرْوَ، بل شملت كلَّ الولايةِ فيادون نهر بَلْخَ وفيا وراءه، لأنَّ هذه النُّظُمَ لم تكن شيئاً خاصاً، وقد عُمِلَ بها في جميع أنحاءِ الدولةِ الإسلامية التي كانت أحوالُهَا مشابهةً لأحوال خراسان وما لحقَ بها، وصارت هذه النُّظُمُ هي القانونَ الصحيحَ الذي زَعَمَ الفقهاءُ فيا بعد أنه كان موجوداً من أول الأمْرِ، مع أنه في الحقيقةِ لم يتَكَوَّنْ إلاَّ شيئاً فشيئاً. وهذا هو السببُ في أنَّ المدائنيَّ تأَثَّر بمزاعم المتأخرين، فلم يستَطِعْ أنْ يَفْهَمَ ما وجَدَهُ نصرٌ وما ألغاهُ، وفي أنه يتَصوَّرُ في إصلاحاتِ نَصْرٍ أشياء عجيبةً وجَدَ أنها تخالفُ القانون بعضَ المخالفةِ».

وهو يريد أنَّ إصلاحَ نَصْرٍ لنظامِ الضرائبِ يتجاوز إصلاحَ عمرَ بن عبد العزيز له، ويتفوَّقُ عليه[1]، لأنَّ عمر لم يَفْرِضِ الخراجَ على الأرض الخراجيةِ التي امتلكَهَا العربُ قبلَ عهدِهِ، بل أبقاها عُشرِيَّةً، وفَرَضَهُ على مثيلاتِهَا منذ سنةِ مائةٍ، سواءٌ كان مالكُهَا أو زارعُهَا ذِمِّياً أو مُسْلِماً، عربياً أو مَوْلًى[2]، ومَنع بيعَ أرْضِ الخراجِ، وقَرَّرَ أنَّ البيعَ باطلٌ إذا وَقَعَ، وأوْجَبَ إعادةَ الأرضِ إلى صاحبهَا الأول، ومعاقبةَ البائعِ والمشتري[3]. أما نَصْرٌ فَفَرضَ الخراجَ على الأرضِ الخَرَاجيةِ كُلِّهَا، ولم يكْتَرِثْ لتاريخ امْتِلاكها.

والفَرْقُ بينَ سياسةِ الرَّجُلَيْنِ ضَئيلٌ، فإنَّ عمرَ ألْغَى الجزْيَةَ عن العجم المسلمينَ، ومَنَعَ بَيْعَ الأرضِ الخراجيَّةِ وتَحْويلَهَا إلى أرْضٍ عُشْرِيَّةٍ بعدَ سنةِ مائةٍ، فثبَّتَ بذلك أرْضَ الخَرَاجِ. وما من رَيْبٍ في أنَّ نَصْراً استَرْشَدَ بإصْلَاحِ عمرَ لنظامِ

---

(١) انظر تاريخ الدولة العربية ص: ٢٦٨ — ٢٧٣، وراجع السيادة العربية ص: ٥٨ — ٦٠.

(٢) تاريخ الدولة العربية ص: ٢٧١، وانظر مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص: ٣٣ — ٣٤.

(٣) نظام الضرائب في صدر الإسلام ص: ٦، وانظر تاريخ الدولة العربية ص: ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٩٣.

الضَّرائبِ ، واتَّبعَ أسْلُوبَهُ ، فقد أسْقَطَ الجزيةَ عن العجم المسلمين ، كما أسْقَطَهَا عمرُ عنهم ، ولكنه فَرَضَ الخَراجَ على جميع الأرضِ بخَراسان ، دونَ مبالاةٍ بتاريخ امتلاكها ، ونَظَّمَ الخَراجَ ، وقَضَى على تَلاعُبِ الدَّهاقين ، فزاد على عمرَ في ذلك شيئاً واحداً ، وهو أنه فَرَضَ الخَراجَ على الأرْضِ التي امْتلكها العربُ قبلَ سنةِ مائةٍ ، وكان عمر قد تركهَا عُشْرِيَّةً .

وهو يريدُ أيْضاً أنَّ إلغاءَ الجِزْيةِ عن العجمِ المسلمين أحْدثَ نَقْصاً في حَاصِلِ المالِ من الجِزْية ، وأنَّ فَرْضَ الخَرَاجِ على جميعِ مُلَّاكِ الأرْضِ ، وفيهم العربُ ، زادَ حَاصِلَ المالِ من الخَراجِ زيادةً كبيرةً ، فأعانَ ذلك على تَعْويضِ النَّقْصِ ، وصار الخراجُ أكبرَ مصادرِ الدَّخْل في الدَّوْلَةِ ، وقَلَّ الاعتمادُ على الجِزْيةِ ، لكثرةِ مَنْ أسْلَمَ من العجمِ ، وسُقُوطِ الجِزْيةِ عنهم ، فتَضَاءلتْ قيمةُ الجِزْيةِ ، ولم يَعُدْ لهَا أَهَمِيَّتها السابقةُ في دَخْلِ الدَّوْلَةِ.

وهكذا رَفَعَ نَصْرٌ الظُّلْمَ الذي أجْحَفَ بالعَجم المسلمين ، إذ أعْفاهم من الجِزْية ، وأزالَ التَّفرِقَةَ بينَهم وبينَ العربِ في أَدَاء ضَريبةِ الأرْضِ ، إذْ قَرَّرَ الخراجَ عليهم جميعاً . ولكن وَطْأَةَ الجَوْرِ عليهم امْتدَّت وثَقُلَتْ ، ومُعاناتهم له اتَّصَلَتْ وطَالَتْ ، فقد قُهِرُوا ما يَقْرُبُ من قَرْنٍ من الزمانِ ، وصُبَّ عليهم الظُّلْمُ في العِقْدَينِ الأَوَّلينِ من القَرنِ الثاني صَبّاً ، وأَصابَهُم فيهما من الاضطهادِ والعذابِ والقَتلِ ما لم يُصِبْهُم قبلَ ذلك مِثْلُهُ ، فكانوا يتشوَّقونَ فيهما إلى مَنْ يُمَنِّيهم بالانتصارِ لهم ، ويَبحَثُونَ عمَّنْ يَعِدُهُم بِرَفعِ الظُّلمِ عنهم !

واحتَملَ الدَّهاقينُ في أول الأمْرِ ذهابَ خُطُورتهم السياسية نظيرَ ما نَالُوا من الامْتيازات الاقتصاديةِ والاجتماعية[1] ، فقد كانت الجِزْيةُ المُشْتَرَكةُ تُوَزَّعُ على

(١) الحضارة الإسلامية ، لبارتولد ص : ٦٥ .

رُؤوسِ الأهلينَ ، لا على مساحةِ الأرض [1] ، فكان الدَّهاقينُ يَدْفَعُونَ من الضَّرائب قَدْرَ ما يَدْفَعُ منها صِغارُ الفلاحين ، فلما أَصْلَحَ نَصْرٌ نِظام الضَّرائبِ أَنْهَى تَلاعُبَ الدَّهاقين ، وحرمَهم مَنافِعَهم [2] ، ووقَعَ أكثر الخَرَاجِ عليهم ، لأنهم كانوا يَمْلِكُونَ مُعْظَمَ الأرضِ ، فأضَرَّ ذلك بهم وآذاهُمْ ، فجعلوا يَتطَلّعون إلى من يَسْتَعِينُ بهم ، ويُداعِبُ أحلامهم ، ويَتَشَوَّقونَ إلى مَنْ يُعيدُ لَهُمْ مكانَتَهم ، ويَرُدُّ عليهم بَعْضَ فوائِدهم .

فالْتَقَى العجمُ المسلمونَ والدَّهاقين من أهْلِ خراسانَ على الكُرْهِ للدَّوْلَةِ الأموية ، ورَغبوا على تَبايُنِ مَطامحهم ومراميهم في التَّطويحِ بها ، لأنها اسْتَعْبَدتْهُمْ ، وتَسَلَّطَتْ عليهم .

---

(١) العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ١١ .

(٢) العصر العباسي الأول ص : ٣٩ ، ونظام الضرائب في صدر الإسلام ص : ١٦ ، ومقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص : ٤٥ .

(٤) اشتغال العرب بالعَصَبيَّة القَبليّةِ والسياسيَّةِ

وأمَّا العرَبُ فكانوا مُنْهَمكينَ في العَصَبيَّة بخراسان ، فقد تحزَّبَ بعضُهم على بَعْضٍ ، وتَوزَّعَهُمْ حِلْفانِ كانا يَخْتلفان ويتصارعانِ طويلاً ، ويتكافَّان ويتوادَعان قليلاً. ولم تكن العَصبيَّةُ التي ثارتْ بينَهم وفرَّقتهم عصبيةً جاهلية تَقْليديَّةً ، بل كانت عصبيةً سياسيةً اقتصاديةً ، نَشأَتْ عن الظروفِ الجديدة التي طرأتْ عليهم في صدرِ الاسلامِ ، وأثَّرتْ في حياتهم تأثيراً شديداً.

فقد كان العربُ بخراسان يتَنازعُونَ في الولايةِ ، ويتسابَقُونَ إلى الرئاسةِ ، ويتزاحَمونَ على ما تُسبِّبُهُ الوِلَايَةُ من فوائدَ ومَغانمَ ، ويتنافَسُونَ فيما تَجْلُبُهُ الرئاسةُ منْ نباهةٍ ورفعةٍ. وكانت قبائلُ كل حِلْفٍ منهم تَطْمَحُ الى الحُكْمِ ، وتَسْعَى لِلْفَوْزِ به ، فإذا أصبحَ العاملُ منها خَصَّ أبناءَها بالمناصبِ ، وآثرهم بالمنافعِ ، وحَرَمَ قبائلَ الحلف الثاني نَصيبَهَا منها ، وجارَ عليها. وكان لانْحيازِ الخُلفاءِ إلى بعضِ القبائلِ ومُحابَاتِهم لها أثرٌ في إذكاء العَصبيةِ السياسيةِ الاقتصادية بينها وبين غيرها ، فإنَّ منهم مَنْ كان يميلُ الى المُضريّة ، ومنهم مَنْ كانَ يميلُ إلى اليَمانيةِ ، وكانَ أحَدُهُمْ ، إذا اصْطَنَعَ قبيلةً واعتمدَ عليها ، يَخْتارُ عُمَّالَهُ منها ، ويُطْلِقُ يَدهَا. فأدّى هذا الأسلوبُ في مُعَاملةِ القبائلِ إلى تأجيجِ العدَاوَةِ بينهَا ، وتَمْزيقِ صُفُوفهَا ، وأفْضَى بها إلى

الحِرْصِ على مَصَالحِهَا ، والتَّعلُّقِ بِحُلفائِهَا ، وزاد تَحدِّيَ كل قبيلةٍ للقبيلةِ التي كانت تُعارِضُهَا ، ومَدَّ في مُنَاوءتِهَا لهَا ، وضَاعفَ انْتِقَامَهَا منهَا[1] .

ولم يزل العربُ متآلفينَ بخراسانَ إلى خلافةِ يزيد بن معاوية ، وكان سَلْمُ بن زيادٍ آخر وُلَاتِهِ عليهم. ومات يزيدُ فكتَم سَلْمٌ مَوْتَهُ ، فلما بَلَغهم هاجُوا واضطربوا ، فأظهرهم عليه ، ودَعَاهم الى البَيْعة على الرِّضا حتى يَسْتَقيمَ أمرُ الناسِ على خليفةٍ ، وكان سَلمٌ مُحْسِناً إليهم ، محبوباً فيهم ، فبايَعُوه ، ثم نكثوا بَيْعَتَهُ بعدَ شهْرَيْنِ وشَغَبُوا عليه ، فخرج عن خراسانَ ، وخَلَّفَ عليها المُهَلَّبَ بن أبي صُفْرَةَ الأزديَّ ، فلما كان بِسَرْخَس لَقِيَهُ سليمانُ بن مرْثَدٍ البَكْرِيُّ ، فقال له : مَنْ خَلَّفْتَ على خراسان؟ فقال : المهلب ، فقال : ضاقَتْ عليك نزارٌ حتى وَلَّيْتَ رجلاً من اليَمَن ! فولاَّهُ مَرْوَ الرُّوذ والفارياب والطالقانَ والجوزجان ، وولَّى أوْسَ بن ثَعْلبة البكريَّ هرَاةَ. ومَضَى فلما صارَ بنيسابُورَ لَقِيَهُ عبدُ الله بن خازمٍ السُّلميُّ ، فقال له : من وَلَّيْتَ خراسان؟ فأخبره ، فقال : أما وَجَدْتَ في مُضَرَ رجلاً تَسْتَعْمِلُهُ حتى فَرَّقْتَ خراسانَ بين بكر بن وائلٍ ومَزونِ عُمَان؟! وقال له : اكْتُبْ لي عهداً على خراسان. فقال : أَوَالي خراسانَ أنا !! قال : اكتبْ لي عهْداً وخَلَاكَ ذَمٌّ ! فكتَبَ له وأعانَهُ بمائةِ ألفِ درهمٍ.

وأقبلَ ابنُ خازمٍ إلى مَرْو الشاهجان ، وعَلِمَ المهلبُ أنه مُقْبِلٌ ، فَرحلَ عنها وأنابَ عليها رجلاً من بني جُشَم بن سَعْدٍ من تميم ، فلما وصَلَ ابنُ خازمٍ إليها ، منعه الجشميُّ من دُخُولهَا ، فكانت بينَهما مُنَاوَشَةٌ ، فأصابت الجُشَميَّ رَمْيَةٌ بحَجرٍ في جَبْهَتِهِ ، وتحاجَزَ الفريقان ، فدَخَلَ ابن خازمٍ المدينةَ ، وماتَ الجشميُّ بعد ذلك بيَوْمَيْنِ.

---

(١) انظر كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٧٣ ، وتاريخ الدولة العربية ص : ٢٠٣ .

ثم سارَ ابنُ خازمٍ من مَرْو الشاهجان إلى مَرْو الرُّوذ، فقتلَ سليمانَ بن مَرْثدٍ البكريَّ، ثم سارَ إلى الطالقان، فقتلَ عمرو بن مَرْثدٍ البكريَّ، وانهزمَ أصحابُهُ، فلحقوا بأوْس بن ثعلبةَ البكريِّ بهرَاة، وعادَ ابنُ خازمٍ إلى مَرْو الشاهجان.

وهَرَبَ مَنْ كانَ بمَرْو الرُّوذ من بكرٍ إلى هراةَ، وانضمَّ إليها مَنْ كانَ منهم بكُورَ خراسان، فكان لهم بها جَمْعٌ كثيرٌ. فعَرَضُوا على أوس بن ثعلبةَ البكريِّ أن يُبَايِعُوهُ على أنْ يسيرَ إلى ابن خازمٍ، ويخرج مُضَر من خراسانَ كلها، فأبَى عليهم، فقال له بنو صُهَيْبٍ، وكانوا من مَوَاليهم: لا نَرْضَى أنْ نكونَ نحن ومُضَرَ في بلدٍ واحدٍ، وقد قَتَلُوا ابني مَرْثَدٍ، فإنْ أجَبْتَنا إلى هذا، وإلاَّ أمَّرنا علينا غَيْرَك، فأجابَهم فبَايَعُوهُ.

وسار ابنُ خازمٍ إلى هَرَاةَ، فنزلَ على وادٍ بَيْنَهُ وبينَهَا، فخرجَ البَكْرِيُّونَ منها فخَنْدَقُوا خندقاً دونها، استعداداً لمحاربته. فأجبرَهُ التَّميميُونَ على مُفاوضتهم، وكان هلالُ الضَّبي هوالذيأشار عليه أنْ لا يُقَاتلهم قبلَ أنْ يُعْذِرَ إليهم، فأرسله إليهم، وسَأَلَهُ أنْ يُرْضِيَهم. فلقيهم وفَاوَضَهم، فتَشَدَّدَ بنو صُهَيْبٍ، وأصرُّوا على خُرُوجِ مُضَرَ من خراسان كلها. فرجعَ إليه يائساً، وكان ابنُ خازمٍ يتوقَّعُ أنْ تُخْفِقَ المفاوضاتُ، لأنه كانَ على يَقِينٍ من حَسَد بَكْرٍ لمضَرَ، وحِقْدِهَا عليها، فقال له: «قد أَخْبَرْتُكَ أنَّ ربيعَةَ لم تَزَلْ غِضَاباً على ربهَا منذ بعثَ اللهُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم من مُضَرَ»!! فاقتَتَلَ الفريقان، وأقام ابن خازمٍ يقاتلُ البَكْرِيِّينَ أكثرَ من سنةٍ، وهو لا يَقْدِرُ عليهم، لأنهم جعلوا المدينة من ورائهم، والخَنْدقَ من أمامهم. فقال لهم يوماً: «يا معشر ربيعةَ، إنكم قد اعتصَمْتُمْ بخندقكم، أفرضيتم من خراسان بهذا الخندق»! فأحْفَظهم قَوْلُهُ، وتنادَوْا للقتالِ، وخرَجُوا من خندقهم، فقال ابنُ خازمٍ لأصحابهِ: إجعلوه يَوْمكم، فيكونَ المُلْكُ لمن غَلَبَ». فاقْتَتَلُوا ساعةً، فانهزمَ البكريونَ حتى انتهوا الى خَنْدَقهم، وأُخذوا يميناً وشمالاً، وسَقَطَ ناسٌ في الخندق، فَقُتِلوا قَتْلاً ذريعاً، وحَلَفَ ابنُ خازمٍ لا يُؤْتَى بأسيرٍ إلاَّ قتَلَهُ حتى تَغِيبَ

الشمسُ ، وهربَ أوس بن ثعلبة البكريُّ إلى سجِسْتَانَ ، وبهِ جراحاتٌ ، فلما صارَ بهَا أو قريباً منها مات. وقُتِلَ من بكرٍ يومئذٍ ثمانية آلافٍ ، وغَلَبَ ابن خازمٍ على هراةَ ، واستعمل عليها ابنه محمداً ، ورجع إلى مَرْو الشاهجان[1] .

وهكذا كان التّنافُسُ في السُّلطانِ سببَ ما نَشَبَ بينَ العرب من خصامٍ وصدامٍ بخراسان ، فقد كانت كلُّ قبيلةٍ منهم تريدُ أنْ تَغْلبَ على الولايةِ ، وتَسْتَبدَّ بها ، وتَدْفَع غيرها عنها وتُجرِّدَهَا منها ، وقد بدأَ التّنافُسُ في أوّلِ الأمرِ بين بَكْرٍ وسُلَيْمٍ ، وانْضَافَتْ تميمٌ إلى سُلَيْمٍ ، لأنهما من مُضَرَ ، أما الأزْدُ فلم يَنْحَازُوا إلى بَكْرٍ ، ولم يشتركوا في القتالِ ، لأنهم كانوا قِلَّةً ، ولأنهم لم يكونوا قد تحالَفُوا مع بكرٍ ، فَفَضَّلَ زعيمهم المهلبُ بن أبي صفرةَ السلامةَ ، وخرج من خراسان ، ورجع الى البَصْرَةَ.

وكانت خرأسان من فُتُوحِ أهْلِ البَصْرَة ، فكان لطبيعةِ العلاقةِ بين قبائلها أثرٌ كبيرٌ في حياة من انْتَقَلَ منها إلى خراسان. وكانت مُضَرُ تَكْثُرُ ربيعة بالبصرةِ ، حين مُصِّرَت[2] . وكان ما بينهم مُتباعداً لاختلافِ أهوائهم ومواقفهم السياسية ، وتضاربِ مَنافعهم ومَصَالِحهم الاقتصادية. وكان عمر بن الخطاب قد حَوَّلَ من تَنَخَ من المسلمين الى البصرة ، فأقامت جماعةُ الأزد ، فلم يتَحَوَّلُوا إليها ، ثم لحقوا بها بعد ذلك في آخر خلافة معاوية بن أبي سُفْيَانَ ، وأول خلافةِ يزيد بن معاوية . فلما قَدِمُوا لم يُبَادِرْ الأحْنَفُ بن قَيْسٍ إليهم ، لأنه خافَ أنْ يصيرَ قَوْمُهُ من تميم أتباعاً لهم .

---

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٥٤٥ ، وانظر فتوح البلدان ص : ٤١٣ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٥٢ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٥٥ ، وانظر تاريخ الدولة العربية ص : ٣٩٧ ، وكتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٧٨.

(٢) انظر التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن لأول الهجري ص : ٣٣ ، والجاحظ في البصرة ص : ٥١.

فأتاهم مالكُ بن مِسْمعٍ ، رئيسُ بَكْرٍ ، وكان مسعود بن عمرو ، رئيسَ الأزْدِ يومئذٍ ، فقال له مالك : « جَدِّدوا حِلْفَنَا وحِلْفَ كِنْدَةَ في الجاهلية ، وحِلْفَ بني ذُهْلِ بن ثَعْلَبَة في طَيِّئٍ » ، « فلما أنْ جَرَتْ بَكْرٌ إلى نَصْرِ الأزْدِ على مُضَرَ ، وجَدَّدُوا الحِلْفَ الأولَ[1] ، وأرادُوا أنْ يَسيرُوا ، قالت الأزْدُ : لا نَسِيرُ معكم إلاّ أنْ يكونَ الرَّئيسُ منا ، فرأَسُوا مَسْعُوداً عليهم[2] » .

فآذن ذلك بتَبَدُّلِ قُوَّة المَجْمُوعَتَيْنِ القَبَلِيَّتَيْنِ المُتَنَافِسَتَيْنِ بالبصرةِ ، أمَّا ربيعةُ فازْدَادَتْ قُوَّةً بانضمامِ الأزْدِ اليها ، وأمَّا مُضر فبَقِيَتْ قُوَّتُهَا على حَالِهَا . ووسَّعَ ما وَقَعَ من أحْداثٍ بعد ذلك شُقَّةَ الخِلافِ بينهما ، فقد تُوُفي يزيدُ بنُ معاويةَ ، وكان عُبَيْدُ الله بن زيادٍ عاملَهُ على العراق ، فدَعَا أهلَ البَصْرَةِ الى بيْعَتِهِ حتى يَنْجليَ الأمرُ ، ويجتمعَ الناسُ على خليفةٍ ، فبايَعُوهُ ، ثم ثاروا عليه وخلَعُوه ، فاستَجَارَ بمسعود بن عمرو ، فأجَارَهُ ومَنَعَهُ إلى حينٍ ، ثم خرجَ ابن زيادٍ إلى الشام ، واسْتَخْلَفَ مسعود بن عمرو على البصرة ، فلم يَقْبَلْ بنو تميمٍ وقَيْسٍ به ، ولم يُذْعِنُوا له ، ونادوا بأَنْ يتولَّى أمرَ الناس رَجُلٌ تَرْضَاهُ الجماعَة . فتَشبَّثَ مسعودٌ بالولايةِ ، واحْتَلَّ القَصْرَ والمسجد ، وصعدَ المِنْبَرَ ، فدخل بنو تميمٍ المسجدَ ، وقَتَلُوه ، ويقال : إنَّ الأحْنَفَ بن قَيْسٍ أغْرَى به عصابةً من الخوارجِ ، فقَتَلَتْهُ .

ثم نُميَ إلى الأزْدِ أنَّ بني تميمٍ يزعمون أنهم قَتَلُوا مسعوداً ، فبَعَثُوا يَسْأَلُونَ عن ذلك ، فإذا أناسٌ من تميمٍ يَقُولُونَهُ ، فاجتمعَ الأزْدُ ، فرأسُوا عليهم زيادَ بنَ عمرو العَتَكيَّ ، وخرجَ معهم مالكُ بن مِسْمَعٍ في بكرٍ ، فأقْبَلُوا نحوَ بني تميمٍ ، وجاء بنو

---

(١) من الطريف أن أبا حنيفة الدينوري حَفِظَ نَصَّ الحلف . (انظر الأخبار الطوال ص : ٣٥٣) .

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٥١٦ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٣٦ ، وتاريخ الدولة العربية ص : ٢٠٣ ، والشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٧٧ .

تميم إلى الأحنف بن قَيْسٍ فالْتفُّوا حَوْلَهُ ، وخرجَ معهم بنو قَيْسٍ ، فالتقوا فاقْتَتَلُوا أشدَّ القِتَالِ ، فَقُتِلَ من الفَريقَيْنِ قَتْلَى كثيرةً . فكَفَّ بنو تميمٍ عن القتالِ ، ودعوا الأزْدَ إلى المُوادعةِ ، وقالوا لهم : « بيننَا وبينكم القرآنُ ومَنْ شِئْتُمْ مِنْ أهلِ الإسْلَام ، فإنْ كانت لكم علَيْنَا بَيِّنَةٌ أنا قَتَلْنَا صاحِبكم ، فاختاروا أفْضَلَ رَجُلٍ فينا فاقْتُلُوهُ بصاحبكم ، وإنْ لم تكن لكم بَيِّنةٌ فإنا نَحْلِفُ بالله ما قَتَلْنَا ولا أمَرْنَا ، ولا نَعْلَمُ لصَاحبكم قاتلاً ، وإنْ لم تُريدُوا ذلك فنحن نَدِي صاحِبَكم بمائةِ ألفِ درهمٍ ، فاصْطَلِحوا » . وأتاهُمُ الأحْنَفُ بن قَيْسٍ في وُجُوهِ مُضَرَ ، فاعْتَذَرَ إليهم ، فقالوا : أتَدُونَ صاحِبَنَا عَشْرَ دياتٍ ! فأجابَهم إلى ما سألوا ، واصْطَلَحوا عليه[١] .

فزادَ ذلك العَدَاوَةَ بين قبائل البَصْرَةِ ، وأثَّرَ في حياةِ مَنْ رَحَلَ منها إلى خراسان تأثيراً قويًّا .

وفي سنة ثمانٍ وسبعين استَعْمَلَ الحجاجُ بن يوسفُ الثَّقفيُّ المُهَلَّبَ بنَ أبي صُفْرَةَ على خراسان ، فسارَ معه إليها جماعةٌ من الأزْدِ من أهْلِ البصرة[٢] . ولم يزل الأزْدُ وغيرُهم من اليمانية يَنْتَقِلونَ إلى خراسان ويَسْتوطِنُونَهَا بعد ذلك ، فقد تَحوَّلَ إليها عَدَدٌ منهم في ولاية يزيد بن المهلبِ الثانية ، وفي ولايةِ أسَدِ بن عبد الله القَسرِيِّ الأولى والثانية ، ونزلها عَدَدٌ آخر منهم جاءُوهَا في البُعوث التي كانت تُوَجَّهُ إليها من البَصْرَةِ والكوفةِ وأجْنَادِ الشام[٣] . فكَثُرَ الأزْدُ بخراسان ، وأصْبَحُوا ثاني أخْمَاسِهَا وقبائلها عدداً ، وكان بنو تميمٍ أكبرَ منهم بها ، فإنهم كانوا أكثرَ أهْلِهَا عَرَبياً[٤] .

---

(١) نقائض جرير والفرزدق ١ : ١١١ ، ٢ : ٧٤٠ ، وأنساب الأشراف ٤ : ٢ : ٩٧ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٥٢٣ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٣٦ .

(٢) الأغاني ١٤ : ٢٦٣ ، ٢٨٣ ، وأنظر تاريخ الدولة العربية ص : ٤٠٨ .

(٣) انظر كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٦٢ .

(٤) نقائض جرير والفرزدق ١ : ٣٦٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٥٧ .

وحَالَفَ الأزْدُ بكراً بخراسان[1] ، كما حَالَفُوهم بالبصرةِ ، فضاعفَ ذلك الخُصُومَةَ بينَ المَجْمُوعَتَيْنِ القَبَلِيَّتَيْنِ المُتَنَافِسَتَيْنِ بخراسانَ ، إذ جَعلَتْ كلُّ مجموعةٍ منها تَتَرَبَّصُ بالأخرى ، وتكيدُ لها ، ومَضَتْ تسعى إلى التسلُّط عليها ، واشتَدَّتْ الخصومة بينهما حتى بلغت الاقتتالَ والاحترابَ.

في ولاية المهلبِ بن أبي صُفْرَةَ ارْتفعَتْ مكانةُ الأزْدِ وحُلَفَائِهم من بَكْرٍ ، وعَظُمَتْ مَنافِعُهم ، وانْحَطَّتْ منزلةُ تميمٍ وقَيْسٍ ، وتَقَلَّصَتْ مَصَالحهم ، وليس أدَلَّ على ذلك من قَوْلِ يزيد بن المهلب للأزْدِ ، وقد رجعَ والياً على خراسان سنة ستٍ وتسعين[2] : «يا مَعْشَرَ الأزْدِ ، كنتم أذَلَّ خُمْسٍ بخراسان ، حتى إنَّ الرجلَ من الحيِّ الآخر ليشتري الشيءَ فَيَتَسخَّرُكم فتَحْمِلُونَهُ له ، حتى قَدِمَ المهلبُ وقدمتُ ، فلم نَدَعْ مَوْضِعاً يُسْتَخرَجُ منه درهم إلاّ استَعْمَلناكم عليه ، وحَملناكم على رقابِ الناسِ حتى صِرْتُمْ وُجُوهاً».

وتُوفي المهلبُ سنةَ اثنتين وثمانين ، واستَخْلَفَ ابنَهُ يزيدَ ، فأقَرَّهُ الحجاجُ ، فتعصَّبَ يزيدُ لقومِهِ من الأزْدِ وحلفائهم من بَكْرٍ ، وبلغَ من تَعَصُّبِهِ لهم أنهأمْهَلَ ثُوَّارهم الذين هربوا الى خراسان ، بعد القضاء على ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي ، وكان عبد الرحمن بن العباس الهاشمي زعيمهم ، فأرسل إليه يزيد «قد كان لك في البلادِ مُتَّسَعٌ ، ومَنْ هو أكلُّ مني حَدًّا ، وأهْوَنُ شوكةً ، فارتَحلْ إلى بلدٍ ليس فيه سُلْطانٌ ، فإني أكرَهُ قِتَالَكَ ، وإنْ أحْبَبْتَ أنْ أُمِدَّكَ بمالٍ لسَفَرِكَ أعَنْتُكَ به ، فأرسل إليه : ما نزلنا هذه البلاد لمحاربةٍ ولا لمقَامٍ ، ولكنا أرَدْنَا أنْ نُريحَ ، ثم نَشْخَصَ إنْ شَاءَ اللهُ ، وليست بنا حاجةٌ إلى ما عَرَضْتَ. فانصرفَ

---

(١) الأغاني ١٤ : ٢٩٠.

(٢) نقائض جرير والفرزدق ١ : ٣٦٧.

رسولُ يزيد اليه ، وأقبل الهاشميُّ على الجباية ، وبلغَ يزيد فقال : مَنْ أرادَ أنْ يُريحَ ثم يجتاز لم يَجْبِ الخراج » ، فسارَ إليه بهَراةَ ، وأرسلَ إليه : «قد أرَحْتَ وأسْمَنْتَ وجَبَيْتَ ، فلكَ ما جَبَيْتَ ، وإنْ أردتَ زيادةً زِدْنَاكَ ، فاخْرُجْ فواللهِ ما أُحِبُّ أنْ أُقاتِلكَ ، فأبَى إلاَّ القتالَ» . وعلمَ يزيدُ أنَّ الهاشميَّ يَدُسُّ إلى جُنْدِهِ يُمَنِّيهم ويدْعُوهُم إلى نَفْسِهِ ، فتَأهَّبَ لقتالِهِ ،وتَهايَجوا فلم يكنْ بينهم كبيرُ قتالٍ حتى تَفرَّق الناسُ عن الهاشميِّ ، فأمرَ يزيدُ بالكفِّ عن اتّباعهم ، وأخذَ ماكان في مُعسكرهم ، وأسرَ منهم أسْرَى ، فخلَّى عن اليمانيةِ ، وبعثَ بالمُضَرية الى الحجاج ، فقتَلَهم[1] ، قال ابن جريرٍ الطبريُّ : « ذكر أبو عبيدةَ أنَّ يزيد لمَّا أرادَ أنْ يُوَجِّهَ الأسْرَى إلى الحجاج قال له أخوه حبيبٌ : بأيِّ وَجْهٍ تنظرُ الى اليمانية وقد بعثتَ ابنَ طَلْحةَ ! فقال يزيد : هو الحجاجُ ولا يُتَعَرَّضُ له ! وقال : وَطِّنْ نفسَكَ على العزل ، ولا تُرْسِلْ به ، فإنَّ له عندنا بلاءً ، قال : وما بَلاَؤُهُ؟ قال : لُزِمَ المهلبُ في مسجدِ الجماعة بمائتي ألفٍ ، فأدَّاها طلحةُ عنه ، فأطْلَقَهُ ، وأرْسَلَ بالباقين» .[2]

وكان الحجاجُ عاملَ العراقِ وخراسان ، وكان قيسيَّ الهوَى ، فكان يَوَدُّ أنْ يستعملَ على خراسان رجلاً من قَيْسٍ ، فعمل في خَلْعِ يزيد بن المهلب ، ولم يزلْ يُراجعُ عبد الملك بن مروان في خَلْعِهِ ، مُتَّهماً له بالزُّبيريَّةِ ، ومُخَوِّفاً لَهُ غَدْرَهُ ، حتى أذنَ له في خَلْعِهِ ، فَعَزَلَهُ ، وولَّى قُتيبةَ بن مسلم الباهلي[3] . فقَدَّمَ المُضَريَّةَ ، وأخَّرَ اليمانيةَ والرَّبعيةَ ، واضْطَهَدَ أعوانَ المهالبة[4] .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري ٦ : ٣٧٠ - ٣٨٠ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٤٨٥ - ٤٨٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٦ : ٣٧٩ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٤٨٧ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٨٦ ، وفتوح البلدان ص : ٤١٧ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٣٩٣ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٥٠٢ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٨٩ ، والبداية والنهاية ٩ : ٥٥ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٨٥ .

ولم يلبَث يزيد بن المهلب أنْ عادَ والياً على خراسان في خلافة سليمان بن عبد الملك ، فتحيزَ لليمانية والرَّبعيةِ وحَابَاهم ، وتحاملَ على المضَرية وآذاهُم ، وأخذَ خاصة قتيبةَ وأهلَ بيتِهِ فحَبسهم وعذَّبهم[1] . ثم أقصاه عمرُ بن عبد العزيز وحَاسَبَه[2] ، فتدنَّتْ مكانةُ اليمانيةِ والرَّبعيةِ ، وضَعُفَ سُلْطانهم .

ثم ثار يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك ، فَهُزِمَ وقُتِلَ ، وَوَلِيَ العراقَ وخراسانَ مسلمةُ بنُ عبد الملك ، فاستعملَ سعيدَ بن عبد العزيز الأمويَّ على خراسان ، فضَيَّقَ على اليمانية تضييقاً شديداً ، وتَتَبَّعَ أصحابَ يزيد بن المهلبِ وعُمَّالَهُ ، فسَجنهم وضَرَبهم ، فهلكَ بعضُهم في العذابِ ، وأشرفَ بعضُهم على الموتِ[3] . وَوَلِيَ خراسانَ غيرُ قَيْسيٍ في خلافة يزيد بن عبد الملك[4] ، فجاروا على اليمانية وظَلَمُوهُم .

وفي سنةِ ستٍ ومائةٍ اشتعلت الفتنةَ بين اليمانيةِ والربعيةِ وبين المُضَرية ، وكانت بينهم وقعةُ البروقان من أرض بَلْخ . وسببُ ذلك أنَّ مسلمَ بن سعيد الكلابيَّ قطعَ النهرَ وأرادَ أنْ يغزو فرغانة ، فتباطأ الأزدُ وبكرٌ عنه ، وأظهروا أنهم لم يلحقوا به لأنه لم يَدْفَعْ لهم أعْطياتهم ، ولكنهم كانوا يُضْمرون التَّمردَ والعصيان ، فردَّ إليهم نَصْرَ بن

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩٦.

(٢) فتوح البلدان ص : ٣٣٧ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٠٢ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥٥٧ ، والعيون والحدائق ٣ : ٥٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٩ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٩٩ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٨ .

(٣) أنساب الأشراف ٥ : ١٦٢ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٦٠٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٩٠.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٤ ، وفتوح البلدان ص : ٤٢٧ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣١٢ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٦٠٦ ، ٧ : ١٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٠٣ ، ١١٥ .

سيارٍ الليثيَّ ، فساقَ إليهم أعطياتهم ، ودَعاهُم إلى اللحاقِ بأميرِهم ، فامْتَنَعُوا عليه ونابذوهُ ، فنَاهَضَهم بمَنْ معه من المُضَريَّةِ ، فهزمهم وقَتَلَ منهم ، فأذْعَنُوا له[1] .

وكان هشامُ بن عبد الملك قد عَزَلَ عمر بن هبيرة الفزاريّ عن العراق وما كان إليه من عمل المشرق وَوَلّى ذلك كلَّهُ خالد بن عبد الله القسريَّ ، سنة خمس ومائة[2] . فاستعمَلَ خالدٌ أخاه أسداً على خراسان[3] . فخضعت العراقُ وخراسانُ لسلطان اليمانية . وانحاز أسدٌ إلى اليمانيةِ والرّبعية وقرّبَ قومَهُ من اليمانيّة ورَفَعَهم . وأفْرطَ في التحزّبِ لهم . وأبْعَدَ المُضَريّة وجَفاهُم . وأسرفَ في التَّعَصُّبِ عليهم . حتى أهانَهم وأذلّهم . قال البلاذريّ[4] : « بلغَهُ عن نَصْرِ بن سيار كلامٌ فَضَرَبَهُ وبعث به إلى خالد مع ثلاثة نفرٍ اتُّهِمُوا بالشغب » . وقال ابنُ جريرٍ الطبريّ[5] : « تَعَصَّبَ على نَصْرِ بن سيارٍ ، ونفرٍ معه من مُضَر ، فَضَربهم بالسياط ، وخطب في يومِ جمعةٍ فقال في خطبتِهِ قَبَحَ اللهُ هذه الوُجُوه ، وُجُوهَ أهلِ الشقاق والنِّفاق ، والشَّغب والفساد . اللّهُمَّ فَرِّقْ بيني وبينَهم . وأخرِجْني إلى مُهاجري ووطني . وقَلَّ مَنْ يرُومُ ما قبلي أو يترمرَمُ[6] . وأمير المؤمنين خالي . وخالد بن عبد الله أخي . ومعي

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٢٧ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٥ ، وفتوح البلدان ص : ٤٢٨ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣١٦ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٦ ، وتاريخ الموصل ص : ٢٢ . والعيون والحدائق ٣ : ٨٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٢٤ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٣ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٧ ، وفتوح البلدان ص : ٤٢٨ . وتاريخ الطبري ٧ : ٣٧ . وتاريخ الموصل ص : ٢٣ ، والعيون والحدائق ٣ : ٨٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٣١ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٤ .

(٤) فتوح البلدان ص : ٤٢٨ .

(٥) تاريخ الطبري ٧ : ٤٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٣ .

(٦) ترمرم : حَرَّكَ فاه .

اثنا عشر ألف سيفٍ يمانٍ» ! وقيل [١] : «إنه حَلَقهم بعدَ الضَّرْبِ ، ودَفَعَهم إلى عبد ربِّه بن أبي صالح مَوْلى بني سليم ، وكانَ من الحرس وعيسى ابن أبي بُرَيْق ، ووجَّهَهُم إلى خالدٍ ، وكتبَ إليه : إنهم أرادوا الوثوبَ عليه ، فكان ابنُ أبي بُرَيْق كلما نَبَتَ شعرُ أحدهم حَلَقَه ، وكان البختريُّ بن أبي درهمٍ يقول : لوددْتُ أنَّهُ ضربني وهذا شهراً ، يعني نَصْرَ بن سيارٍ ، لما كان بينهما بالبَرُوقان ، فأرسل بنو تميم إلى نَصْرٍ : إنْ شئتُم انْتَزَعْناكُمْ من أيديهم ، فكفَّهم نَصْرٌ ، فلما قُدم بهم على خالد لامَ أسداً وعنفهُ ، وقال : ألا بعثَ برؤوسهم» ! !

«فلما تَعَصَّبَ أسَدٌ ، وأفْسدَ الناسَ بالعصبيّة ، كتَبَ هشامٌ إلى خالد بن عبد الله : اعْزِلْ أخاكَ فَعَزَلَهُ» [٢] .

وفصلَ هشامٌ خراسان عن عاملِ العراقِ ، وتَوَلَّى أمورهَا بنفسهِ ، فأرسلَ إليها أشْرسَ بن عبد الله السُّلَميَّ [٣] ، فَخَرَجَتْ خراسانُ من سُلْطانِ اليمانية ، فساءهم خُروجُهَا ، وساءَ حُلفَاءهم من الرَّبعية ، وعَبَّرَ يحيى بن الحُضَيْنِ البكريُّ عن ذلك بقوله [٤] : «رأيتُ في المنامِ قَبْلَ قُدُومِ أشرسَ قائلاً يقول : أتاكم الوَعْرُ الصَّدْرِ ، الضَّعيفُ النَّاهِضةِ ، المَشْؤُمُ الطَّائرِ ، فانْتَبهْتُ فزعاً ، ورأيتُ في الليلةِ الثانية : أتاكم الوَعْرُ الصَّدْرِ ، الضعيفُ النَّاهضةِ ، المشؤومُ الطائرِ ، الخائن قومه» .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ١٤٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ٨٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٣ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٧ ، وفتوح البلدان ص : ٤٢٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٥١ ، والعيون والحدائق ٣ : ٨٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٥٩ .

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٥٢ .

وفي سنة إحدى عشرة ومائة عزلَ هشامٌ اشرسَ عن خراسان، واستعملَ عليها الجنيدَ بن عبد الرحمن المريَّ[1]، وكان من قَيْسٍ، فلم يزل المضريةُ مُقَدَّمِينَ في ولايته، ويقال: إنه «لم يَسْتَعْمِلْ إلاَّ مُضَريًّا[2]».

وفي سنةِ ستَّ عشرةَ ومائةٍ أقْصَى هشام الجُنَيْدَ، وَوَلَّى مكانَهُ عاصم بن عبد الله الهلالي[3]، وكان من قَيْسٍ أيضاً، فظل المضرية يُسَيْطرون على خراسان.

وفي السنةِ نفسها نَحَّى هشامٌ عاصماً، وأوْصَى خالدَ بن عبد الله القَسْريَّ أنْ يرسلَ أخاه أسداً إلى خراسان[4]، ليَرُمَّ ما انْتشَرَ من أمْرِهَا، بعد اسنيلاء الحارث ابن سريْجٍ التميمي المُرْجئيِّ على أكثر أقاليمها، ومُحالفةِ عاصمٍ له، واتِّفاقها على مُخَالفةِ هشامٍ إنْ لم يَعْدِلْ في الحكْمِ. فعادَ لليمانيةِ سُلْطَانُهُمْ، وعلا شأْنُهُمْ. واجْتَهَدَ أسَدٌ أنْ يُسَوِّيَ بين القبائلِ المتنافسة[5]، فلم يتحزَّبْ لقومِهِ من اليمانية في ولايته الثانية، كما تحزَّبَ لهم في ولايتِهِ الأولى، فأدْنَاهُمْ ومَالَأَهم بعض المُمَالَأةِ، وأسَرَّ ذلك، ولم يَجْهَرْ به، وتَحفَّظَ منه، ولم يُبالِغْ فيه.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٧، وفتوح البلدان ص : ٤٢٩، وتاريخ الطبري ٧ : ٦٧، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٤١٥، والكامل في التاريخ ٥ : ١٥٦، والبداية والنهاية ٩ : ٣٠٣.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٦٩، والكامل في التاريخ ٥ : ١٥٧.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٧، وفتوح البلدان ص : ٤٢٩، وتاريخ الطبري ٧ : ٩٣، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٢، والبداية والنهاية ٩ : ٣١٢.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٧، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣١٩، وتاريخ الطبري ٧ : ٩٩، وتاريخ الموصل ص : ٣٨، والعيون والحدائق ٣ : ٩١، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤١٢، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٦، والبداية والنهاية ٩ : ٣١٣.

(٥) تاريخ الطبري ٧ : ١٠٤، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٨.

وفي سنةِ عشرينَ ومائةٍ ماتَ أسد ، فولّى هشامٌ نصرَ بن سيارٍ اللَّيْثيَّ على خراسان(١) ، ثم عَزَلَ خالد بن عبد الله القسريَّ عن العراق(٢) ، واستعملَ عليها يوسفَ بن عمر الثَّقفيَّ ، فغَلَبَ المضَرِيَّةُ على العراق والمَشْرِقِ.

واختارَ نَصْرٌ عُمَّالَهُ من المُضَرِيَّةِ في أوّلِ ولايته ، وأبْعَدَ اليمانيةَ عن المناصبِ ، وجرَّدهم من المكاسبِ ، فامتَعَضوا وتَذَمَّروا ، قال المدائني(٣) : «قال رجلٌ من أهلِ الشام مِنَ اليمانية : ما رأيتُ عَصَبيَّةً مثلَ هذه ! قال [نَصْرٌ] : بلَى التي كانت قَبْلَ هذهِ» !

وذكر اليعقوبيُّ «أنَّ نَصْرَ بن سيارٍ تحامَلَ على اليَمنِ وربيعة ، وقدَّمَ المُضَرِيَّةَ ، فوثَبَ بهِ جُدَيْعُ بن علي الكِرْماني الأزديُّ ، وكان رئيسَ الأزْدِ يومئذٍ وَرَجُلَهم ، وقال له : لا نَدَعُكَ وفِعْلَكَ ، ومَالَتْ معه اليمانيةُ وربيعةُ(٤)» .

وقال أبو حنيفةَ الدينوريُّ(٥) : «كانَ نَصْرُ بن سيارٍ مُتَعَصِّباً على اليماينة ، مُبْغِضاً لهم ، فكان لا يَسْتَعِينُ بأحدٍ منهم ، وعادَى ايضاً ربيعةَ ، لمَيْلِهَا الى اليمانية ، فعاتَبَهُ الكِرْمانيُّ في ذلك» .

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٧ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٦ ، والأخبار الطوال ٥٥ : ٣٤٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٥٥ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٠٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٢٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٥ .

(٢) انظر ملابسات عزله في كتابي الوليد بن يزيد عَرْضٌ ونَقْدٌ ص : ٤١٩ــ ٤٢٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ١٥٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٢٧ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٣ .

(٥) الأخبار الطوال ص : ٣٥١ .

وفي قولِها بعضُ التَّعْميم ، فإنَّ نَصْراً إنما انحازَ إلى المُضَريَّةِ في صَدْرِ وِلَايتِهِ ، قال المدائني[١] : « لم يَستَعْمِلْ أرْبَعَ سنين إلاَّ مضريًّا » . ثم عَدَلَ عن العَصَبيَّةِ عندما ثارت الفِتْنةُ بين اليمانيةِ والربعيةِ وبينَ المُضَريَّةِ سنةَ ستٍ وعشرينَ ومائةٍ ، وأشْرَكَ القبائلَ كلها في الأعمال ، قال المدائني[٢] : «ولَّى نَصْرُ بنُ سيارٍ ربيعةَ واليمن ، ووَلَّى يعقوبَ بن يحيى بن حُضَيْن على أعْلَى طُخارستان ، ومَسْعَدَةَ بنَ عبد الله الشكريَّ على خُوَارَزْمَ ، ..... ، ثم أتْبَعَهُ بأبان بن الحكم الزَّهْرَاني ، واستَعْملَ المغيرةَ بنَ شُعْبَةَ الجَهْضَميَّ على قُهستَانَ ، وأمَرَهم بحُسْنِ السِّيرة » .

ولكن تَحوُّلَ نَصْرٍ عن تَقْديمِ المُضَريَّةِ ، واستعْمَالهُ القبائلَ المختلفةَ في الأعْمالِ ، وتَحَرِّيَهُ العَدْلَ في الحُكْمِ لم يُخَفِّفْ مُناوأةَ اليمانيةِ والرَّبعيةِ لهم ، فقد تأصَّلَت العداوةُ في نُفوسهم ، وانْطَوَتْ قُلوبهم على كثيرٍ من السَّخائم والأحْقادِ والأطْماعِ ، وكانوا يُحسُّونَ أنهم غُبِنُوا حقَّهم في الوِلايةِ ، وأنهم اضْطُهِدُوا واستُعبدوا ، فإنَّ معظم عمال خراسان كانوا مَن القَيْسيَّة ، وكان فيهم عَصَبيَّةٌ للمُضَريَّةِ ، فجاروا على خصُومهم وظلمُوهُم ، فاستَمرَّ اليمانيةُ والرَّبعيةُ يُطاولونَ المُضَريَّةَ ، ويُعارِضُونهم ، ويُحَاوِلونَ قَهْرَهُم[٣] ، فثارت الحربُ بينَهم ، وتقاتَلُوا بَقيَّةَ وِلَايةِ نَصْرٍ حتى تَفَانَوْا[٤] .

فسَئِمَ فريقٌ منهم الخِصامَ ، ومَلُّوا الحَرْبَ ، وكَرِهُوا القَتْلَ ، وشَعَرُوا بالضياعِ ،

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ١٥٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٢٧.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٢٧٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٩٨.

(٣) انظر كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٨٦ ، ١٥٠ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨.

(٤) انظر تفصيل ذلك في كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ١٣٣ - ١٤٩.

ويئسوا من الصَّلاحِ ، فاعتَزَلُوا أقْوَامَهم ، وجعلوا يرْجونَ الخلاصَ من غير زُعمائهم. ووَقَفَ فريقٌ منهم مَوْتُورينَ حانقينَ ، يُفكِّرون في الثَّأرِ والانتقامِ ، ويَغصُّونَ بالسَّلمِ والوئام. وانتهَى سَائِرُهم إلى النَّهْكِ والعَجْزِ، فإنهم استَفْرَغُوا قُوَّتهم في قتالِ بعضهم لبعضٍ، ولم يَعُدْ لهم طاقةٌ بمناهضةِ عَدُوٍّ يُهدِّدُ وُجُودَهم ودَوْلتهم ! !

(٥) ضِيقُ العرب بالضَّرائب الباهظة

وكان لمُلَّاكِ الأرضِ من العرب مُشْكِلاتٌ ماليةٌ نجمت عن التَّذَبْذُبِ بين التَّخْفيفِ عنهم والتَّثقيلِ عليهم في الضَّريبةِ ، فحيناً كانوا يؤخذونَ بأداءِ العُشْرِ ، وحيناً كانوا يُؤْخَذُونَ بأداءِ الخَرَاجِ ! فقد سكنَ بعضُ العربِ المُدُنَ ، وشَاطَروا أهلَ خراسان وما وراء النَّهرِ دُورَهم ، ونزلوا بمشارفِ المُدُنِ ، واستَقرُّوا بما حَوْلَهَا من القُرَى [1] .

وكان اهتمامُهم بالأرضِ والزراعةِ مَحْدُوداً في بداية استيطانهم لخراسان ، ثم أَخَذَ يَنْمُو بالتَّدريجِ ، فأَقْبَلُوا على اقتنَاء الأرض ، والاشتغالِ بالزراعةِ ، وأكثروا من ذلك في الرُّبعِ الأخيرِ من القَرْنِ الأول ، وأصْبَحَ بعضهم من كبارِ مُلَّاكِ الأرض في الرُّبْعِ الأولِ من القرنِ الثاني [2] ، إذ كان سادتُهم وأشرافهم يمتلكون القُرَى والضِّياعَ في واحة مَرْوِ الشَّاهجان الكبرى ، ومما يَدُلُّ على ذلك أنها كانت تُنْسَبُ إليهم وتُعْرَفُ بهم ، وقد حَفِظَ مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية [3] وابنُ جريرِ الطبريُّ [4] أسماءَ المَشْهورِ من قُرَاهُم وضياعهم .

---

(١) انظر كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٦٣ — ٦٧ ، والعباسيون الأوائل ١ : ٤٢ .

(٢) انظر كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٦٨ — ٦٩ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٢ — ٣٦٣ ، ٣٦٥ — ٣٦٧ ، ٣٧٨ — ٣٨٥ ، وانظر الكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

وكانت أرْضُهم في أولِ الأمر عُشْرِيَّةً ، فجنوا من الزراعةِ أرباحاً طائلةً ، وكَوَّنُوا لأنفسهم ثرواتٍ ضَخْمةً . ثم جُعِلَتْ أرْضُهم خَراجيَّةً ، حين فَرَضَ الحجاج بن يوسف الثقفيُّ الخَراج على الأرض التي امتلكها العرب بالعراقِ وخراسان ، لانكسار الخَراج[1] . فزادت الضريبةُ التي أصبحَ عليهم أنْ يَدْفَعوهَا زيادةً كبيرةً ، فنَدَّدُوا بتدابير الحجاج ، وقاوَمُوهَا ، وثاروا عليه بالعراق مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعثِ الكندي ، وأحْرَقُوا السِّجلاتِ ، وادَّعوا بعد إخمادِ الثورة أنَّ أرْضَهُمْ كانت في الأصل عشْرِيَّةً ، وأنها لم تكن خَراجِيَّةً[2] .

وقد طُبِّقَتْ تدابيرُ الحجاج الجديدةُ على مُلاَّكِ الأرضِ من العربِ بخراسان في وِلَايةِ أميَّةَ بن عبد الله الأمويِّ ، فضَاقوا بها ، وتَذَمَّروا منها ، لأنَّهَا حَرَمتهم كثيراً من دَخْلهم ، فإن الفَرْقَ بين ضريبةِ الأرضِ العُشْرِيَّة وضريبةِ الأَرْضِ الخَراجيَّةِ كبيرٌ ، فضريبةُ الأرضِ العُشْرِيَّةِ تُساوي عُشْرَ المَحْصُولِ ، وضَريبةُ الأرض الخَرَاجيةِ لا تَقِلُّ عن رُبْعِ المَحْصُولِ . وقد تَصِلُ إلى أرْبعةِ أعشارِهِ أو خمسة أعشاره[3] ، قال المدائني[4] : «أخذَ أميةُ الناسَ بالخراجِ ، واشْتَدَّ عليهم فيه ، فجلَسَ بكيرُ [بنُ وَشَّاحٍ التميميُّ] يوماً في المسجدِ ، وعندَهُ ناسٌ من بني تميمٍ ، فَذكروا شِدَّةَ أمية على الناسِ ، فَذَمُّوهُ وقالوا : «سَلَّطَ علينا الدهاقين في الجبايةِ» .

وظَلَّ عُمَّالُ خراسانَ يَسْتَوْفُونَ الخَراجَ منهم في بقيةِ خلافةِ عبد الملك بن مروان ،

---

(١) تاريخ الدولة العربية ص : ٢٧٠ . ومقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص : ٣٢ .

(٢) فتوح البلدان ص : ٢٧٣ . وأدب الكاتب . للصولي ص : ٢١٩ . والأحكام السلطانية . للماوردي ص : ١٨٥ . وانظر نظام الضرائب في صدر الإسلام ص : ٩ . ومقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص : ٣٣ .

(٣) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص : ٢٧ .

(٤) تاريخ الطبري ٦ : ٣١٦ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٤٤٦ .

وفي خلافةِ الوليدِ وسليمان ابنيْ عبد الملك ، فلما قامَ عمرُ بنُ عبد العزيز ، ردَّهُمْ إلى أدَاءِ العُشْرِ ، سنةَ مائة[1] ، واستَمرُّوا يَدْفعُونَ العُشْرَ في خلافةِ يزيد بن عبد الملك ، وفي معظم خلافةِ هشامِ بن عبد الملك[2] . ثم فرَضَ عليهم نَصْرُ بن سيارٍ الخراجَ ، حين أصْلَحَ نِظَامَ الضرائب بخراسان ، سنةَ إحدى وعشرين ومائةٍ .

ويرى الدكتور محمد عبد الرحيم عثمان أنَّ العرَب المُستَقِرِّينَ بخراسان كانوا طَبَقَتَيْن : طبقةَ الفَلاَّحينَ الكَادحينَ الذين شارَكُوا أمْثَالَهُمْ مِنَ الفَلاَّحين المُستَضْعَفينَ مِنْ أهْلِ خراسان في دَفْعِ الضَّرائبِ البَاهِظَةِ للدَّوْلَةِ ، وطبقةَ الولاةِ والأشراف المُتحكِّمينَ الذينَ قاسَمُوا أشْبَاهَهُمْ من الدَّهاقين المُسْتَغِلِّينَ المغانمَ والمنافعَ المُتَعَدِّدةَ[3] .

على أنَّ فَرْضَ نَصْرِ بن سيارٍ الخراجَ على جميع مُلاَّكِ الأرْضِ بخراسانَ ، دونَ تَفْريقٍ بينَ العربيِّ والمَوْلَى ، ولا بينَ المُسْلمِ والذميِّ ، أفْقَدَ أصحابَ الضِّياعِ والمزارعِ من العرب قِسماً كبيراً من دَخْلِهم ، فصاروا هُمْ وسائر الفلاَّحين يتضجَّرونَ من أداءِ الخراجِ ، وجعلوا يُعَادُونَ الدَّوْلَةَ الأموية ، لأنها سَوَّتْ بينهم وبينَ العَجمِ في الضَّريبةِ ، واستَوْفَتْ منهم ما قد يَقْرُبُ من نِصْفِ غَلَّةِ أرضهم .

---

(١) تاريخ الدولة العربية ص : ٢٧٧ .

(٢) تاريخ الدولة العربية ص : ٢٧٩ .

(٣) الجذور الاجتماعية والسياسية للثورة العباسية ص : ١٧ ، نقلاً عن العباسيين الأوائل ١ : ٣٥ .

(٦) انضمام العجم والعرب إلى الدعوة

وفي ذلك ما يَدُلُّ على أنَّ خراسان كانت بيئةً مُلائمةً لبثِّ الدَّعْوَةِ العباسية ، فإنَّ ظُرُوفَها وأَوْضاعها كانت تُرَشِّحُ لِقبولِ الدَّعْوَةِ ، وتُؤَهِّلُ لانْتِشارِها ، وتُبَشِّرُ بنَجاحِهَا ، إذْ كانت خراسانُ نائيةً عن مَرْكزِ الدولةِ الأمويةِ ، وكانت مَعْزُولةً عن التَّياراتِ الحِزْبيةِ ، فلم تَغْلُبْ عليها فِرْقةٌ من الفِرَقِ السياسيةِ ، وكانت أَحْوالُ سُكَّانِهَا من العجَمِ والعرَبِ مُلْتويةً سيِّئةً ، إذ كان لهم مُشكلاتٌ اجتماعيَّةٌ وماليةٌ وسياسيةٌ ، طالَ عليها الزَّمَنُ ، فاستَحكمَتْ وتَفاقَمَتْ ، وأصْبَحَتْ تَتَطَلَّبُ الحُلُولَ السريعةَ ، وتَسْتَوجِبُ المُعالجَةَ الناجعةَ ، فأهْمَلَهَا الأمويونَ وعُمَّالُهم ، ولم يَهْتَمُّوا بهَا ، واضْطربوا في إصْلَاحِهَا ، ولم يَضَعُوا حدًّا لبَعضِهَا إلاَّ في آخر أيامهم. فقد كانَ العَجَمُ يتَذمَّرُونَ من التَّفْرقةِ الاجتماعيةِ ، وكانوا يتَظَلَّمونَ من سُوءِ المعاملةِ الماليةِ. فلما سمعوا نِدَاءَ الدَّعْوَةِ انْتَظَمَ بعضُهم فيها ، ولم يزالوا يُجيبُونَهَا ، حتى إذا قدم أبو مُسْلمٍ ، وبثَّ دُعَاتَهُ في أرجاءِ خراسانَ وما وراءَ النَّهْرِ ، وَوَعَدَ الناسَ ومَنَّاهُم ، دَخَلُوا في الدَّعْوَةِ أفواجاً[١] ، وكان أكثرُ مَنْ دَخَلَ منهم فيها من الفَلاَّحين[٢] ، وكانوا مِنْ قُرَى نيسابورَ ، ومَرْو الشَّاهجان ، ومَرْو الرُّوذِ ، وبَلْخَ ، وطُخارستانَ ،

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٥٥ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٠.

(٢) تاريخ الدولة العربية ص : ٥٠٣ ، والعصر العباسي الأول للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٣٩.

وخُوَارَزْمَ، وبُخَارَى، والسُّغْدِ[1]. ورَوى المدائنيُّ أنه عندما أظهرَ أبو مُسْلِمٍ الدعوَةَ «وَافَاهُ في يومٍ واحدٍ أهْلُ ستينَ قريةً[2] من قُرَى مَرْوِ الشَّاهجان ونَاحِيَتِهَا.

وانْضَمَّ إليها الدَّهاقينُ الذينَ جَرَّدَهُمْ إصْلَاحُ نَصْرِ بن سَيَّارٍ لنظَامِ الضرائبِ، وضَبْطُهُ لِطُرقِ جِبَايتِهَا من الفوائدِ التي كانوا يَتمتَّعُونَ بها قَبْلَ ذلك[3].

وأشارَ نَصْرُ بنُ سيارٍ في رسائِلِهِ إلى مروانَ بن محمدٍ إلى كَثْرةِ مَنْ تبعَ أبا مُسْلِم مِنْ أهْلِ خراسان[4]، وذكر أنَّ المحْصيَ المُقَلِّلَ لهم يَزْعُمُ أنه قد بايَعَهُ مائتا ألْفِ رجلٍ من أقطارِ خراسان[5]»، وَوَصَفَهُمْ بأنهم «من شِرارِ العَجَمِ وسُقَّاطِ العَرب[6]».

ونَبَّهَ مُصَنِّفُ أخبارِ الدولةِ العباسيةِ على كَثْرَةِ مَنْ سَارَعَ إلى الدَّعْوَةِ من العَجم، وأسْنَدَ إلى أبي مُسْلمٍ أنه كان يقول: إنَّ الامامَ إبراهيمَ بنَ محمدٍ أمَرَهُ أنْ يَدْعُوَ

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٤٥، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، والأخبار الطوال ص: ٣٦١، وتاريخ الطبري ٧: ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٧، والعيون والحدائق ٣: ١٨٧، ١٨٨، والكامل في التاريخ ٥: ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٥٥، والكامل في التاريخ ٥: ٣٥٨، والبداية والنهاية ١٠: ٣٠.

(٣) العصر العباسي الأول، للدكتور عبد العزيز الدوري ص: ٣٩، ومقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص: ٤٤، ٤٥، ونظام الضرائب في صدر الإسلام ص: ١٦.

(٤) أنساب الأشراف ٣: ١٣٤، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٤١، والأخبار الطوال ص: ٣٥٧، وتاريخ الطبري ٧: ٣٦٩، والعقد الفريد ٤: ٤٧٨، وتاريخ الموصل ص: ١٠٦، والبدء والتاريخ ٦: ٦٣، ومروج الذهب ٣: ٢٥٥، والأغاني ٧: ٥٦، والعيون والحدائق ٣: ١٨٩، والإمامة والسياسة ٢: ١٢٨، والكامل في التاريخ ٥: ٣٦٥، ووفيات الأعيان ٣: ١٤٩، والبداية والنهاية ١٠: ٣٢، والفخري في الآداب السلطانية ص: ١٢٧، والنجوم الزاهرة ١: ٣١٠.

(٥) الأخبار الطوال ص: ٣٥٧.

(٦) أخبار الدولة العباسية ص: ٣٢٥.

العجم ، ويستكثِرَ منهم ، ويَختَصَّ بهم[1] . وروَى المدائني في خبر فَتْحِ مَرْو الشاهجان أنه كان في جُنْدِ أبي مُسْلمٍ عددٌ من العَجَم[2] .

وكانَ العَرَبُ يتَنَازعُونَ في الزَّعامةِ السياسيةِ ومنَافِعهَا المَادِيَّةِ بخراسان ، فتَفرَّقُوا في حِزْبَيْنِ ، ومَضُوا يتَنَافَسُونَ ويَختَصِمُونَ . واستَطارَ الشرُّ بينهم في العقد الثالث من القَرْنِ الثاني ، فاقْتَتَلُوا ، ولم يتَوَادَعُوا إلاَّ بعدَ أنْ أهلَكَ بَعْضُهم بَعْضاً ، فلمَّا تَوَادَعُوا حَرَّضَ أبو مسلمٍ اليمانيةَ على المُضَرِيَّةِ ، فنشبَتِ الحربُ بينهم من جديدٍ ، ولم يزلْ كُلُّ فريقٍ منهم يُقَارِعُ الآخرَ ، ويُوقِعُ به ، ويَرومُ التَّغَلُّبَ عليه .

وانْتَهَزَ أبو مسلمٍ استِغرَاقَهم في الحَرْبِ ، وما نَشأَ عنه من تَمزُّقِهم ، وضَعْفِ نَصْرِ بن سَيَّارٍ عن السَّيْطرةِ عليهم ، فمكَّنَ لنفسِهِ ولأتباعِهِ ، قال البلاذريُّ[3] : «كان مِمَّا زادَ أمْرَ أبي مُسْلمٍ بخراسانَ قُوَّةُ العَصَبِيَّةِ التي وَقَعَتْ بينَ مُضَر وربيعة واليَمنِ ، بسببِ تقديم نَصْرِ بن سيارٍ الكِنانيٍّ بني تميمٍ ، وتَوْليتِه إيَّاهم ، وتَعَصُّبِهِ على ربيعةَ واليمنِ ، حتى غَضِبَ جديع بن سعيد ، ويقال : ابن علي الأزدي المعروف بالكِرماني ، وإنما قيل له : الكِرْماني لأنه وُلِدَ بجَيرفْتَ من كِرْمان ، وَكَلَّمَ نَصْراً مرةً بعدَ مَرَّةٍ ، فأغْلَظَ له حتى أمَرَ بحَبْسِهِ ، وأخْرَجَهُ غُلَامٌ له من مَجْرَى ماءٍ ، وهو مُتَسلِّخٌ ، فاجْتَمَعَتْ إليه اليمنُ وربيعةُ ، فلم يزلْ نَصْرٌ يُحَارِبُهُ ، ثم انْفَرَدَ بمُحاربتِهِ الحارثُ بنُ سُرَيْج بن يزيد المجاشعيُّ ، فقَتَلَهُ الحارثُ ، وصَلَبَهُ نَصْرٌ ، وعَلَّقَ معه

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٤ . والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨١ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٢٩ . وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٠ — ٣٤١ ، والأخبار الطوال ص : ٣٥١ — ٣٥٧ . وتاريخ الطبري ٧ : ٣٣٠ — ٣٤٤ ، ٣٦٣ — ٣٧١ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٢ — ٦٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٨٤ — ١٨٦ ، ١٨٨ — ١٨٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٢ — ٣٤٧ ، ٣٦٣ — ٣٧٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦ — ٢٧ .

سمكةً ، يُعَيِّرُهُ بِعُمانَ وصَيْدِ السَّمك ، وقام عليٌّ بنُ جُدَيْعٍ مقامَ أبيهِ ، فقاتَلَهُ الحارثُ ، فقتَل الحارثَ ، ويقال : إنَّ الحارثَ قاتلَ جُدَيْعاً ، فَقَتَلَهُ جُدَيْعٌ ، ثم وَثَبتْ تميمٌ ، وفيهم حاتمُ بنُ الحارثِ بن سُرَيجٍ ، فَقَتَلُوا جُدَيْعاً ،..... ، وكان تشاغُلُ نَصْرٍ فُرْصَةً لأبي مسلمٍ ، فَقَوَّى أَمْرَهُ حتى أظهر دَعْوَتَهُ ، وكتبَ إلى دُعاتِهِ في الكُور بإِظْهَارِهَا » .

وقال أبو حنيفةَ الدينوريُّ[1] : « مَكَثُوا بذلك عشرينَ شهراً ، يَنْهَضُ بَعضُهم إلى بعضٍ كلَّ يومٍ ، فيَقْتَتِلونَ هَوِيًّا[2] ، ثم يَنْصَرِفُون ، وقد انْتَصَفَ بَعْضُهم من بَعْضٍ . وشَغَلهم ذلك عن طَلَبِ أبي مُسْلمٍ وأَصْحَابِهِ حتى قَوِيَ أَمْرُهُ ، واشْتَدَّ رُكْنُهُ ، وعَلَنَ شأنُهُ في جميعِ كُورِ خراسان » .

وقال المقدسي[3] : « تَشَوَّشَتْ لذلك [خراسانُ] واضْطَربتْ ، فأصابَ أبو مُسْلِمٍ الفُرْصَة ، وجدَّ في إقامةِ الدَّعْوَةِ ، ونَصْرُ بنُ سيارٍ يُنَاوِشُ ابنَ الكِرْمانيِّ ، لا يتفرَّغُ لأبي مسلمٍ ، وقد بَثَّ الدعاةَ في الأقطارِ ، فدَخَلَ الناسُ أفواجاً أفْواجاً ، وفَشَتِ الدَّعْوَةُ » .

وأتاحَ ذلك لأبي مسلمٍ أنْ يَجْتَذبَ قَوْماً من العَرب إلى الدَّعْوَةِ ، وكانَ أكثَرُ مَنِ اجْتَذَبَهُمْ من اليمانيةِ والرَّبعية ، وكان أقلَّهم مِنَ المُضَرِيَّةِ[4] ، لأنَّ اليمانية

---

(١) الأخبار الطوال ص : ٣٥٥.

(٢) الهَوِيُّ هنا : المدة القصيرة ، وأصل الهَوِيِّ الساعة الممتدة من الليل ، وقيل : هو الحِينُ الطويل من الزمان.

(٣) البدء والتاريخ ٦ : ٦٢.

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٨٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨١.

والرَّبعية كانوا ألَدَّ أعْدَاء بني أميةَ في هذه الحِقْبةِ من حُكمِهم ، ولأنَّ المُضَرِيَّةَ كانوا أشَدَّ أنْصَارِهم[1].

ويبدو أنه كان فيهم طائفةٌ من العرب الذين كَرِهُوا العَصَبيَّة ، وتَنَحَّوْا عن الفِتْنَةِ ، فلَمَّا قَنَطُوا من صَلاح الأمْرِ ، وتَيقَّنوا من سُقُوطِ الدولةِ الأموية ، انْضَافُوا إلى الدَّعْوَةِ العباسيةِ ، مُلْتَمِسينَ فيها النَّجاةَ والخَلَاصَ ، ومُبْتَغِينَ من أهْلِهَا العَدْلَ والفَضْلَ. ومما يشيرُ إلى ذلك قَوْلُ مُصَنِّفِ العيون والحدائق[2] : «لما رأى الناسُ قُوَّةَ أبي مسلمٍ وإقدامَهُ وجُرْأَتَهُ ، وأنَّ الناسَ قد جاءُوهُ من كلِّ صَوْبٍ طائِعينَ قاصِدينَ لِلْبيعَةِ ، وأَنَّ شيعةَ بني مروان قد وَقَعَ بينهم الخِلافُ ، وبعضُهم يَقْتُلُ بَعْضاً ، وأَنَّ جُدَيْعاً الكِرْمانيّ قد قَتَلَ الحارثَ بنَ سَرَيحٍ ، وتَسَلَّمَ مَرْوَ ، ثم إنَّ نَصْرَ بن سيارٍ قَتَلَ جُدَيْعاً ، وأَنَّ عليًّا وعثمانَ ابني جُدَيْعٍ الكِرْماني مَالَا إلى أبي مسلمٍ وصَادَقاه وحَلَفا لَهُ ، دَخَلَ أكثرُ الناسِ في طاعتِهِ ، وقَوِيَ أمرُهُ ، وضَعُفَ أمْرُ نَصْرِ بن سيارٍ».

وكان فيهم طائفةٌ من العرب الذين فَرَضَ نَصْرُ بن سيارٍ الخراجَ عليهم ، وتَشَدَّدَ في أخْذِهِ منهم ، فحَنَقُوا على الدَّوْلَةِ الأمويةِ ، وانْضَمُّوا الى الدَّعْوَةِ العباسيةِ ، مُتَوَسِّمينَ فيها الخَيْرَ ، وراجينَ من أصْحَابِهَا أنْ يَرُدُّوهُمْ إلى أدَاءِ العُشْرِ. ومما يُرَجِّحُ ذلك أَنَّ أهْلَ قُرَى مَرْو الشَّاهجان الذين أتوا أبا مسلمٍ عندما أظْهَرَ الدَّعْوَةَ لم يكونوا جميعاً من العَجَمِ ، بل كان فيهم جماعة من العَرَب ، فإنَّ عِدَّةً من هذه القُرَى كان

(١) انظر كتابي الوليد بن يزيد عرضٌ ونقد ص: ٤٣٣.

(٢) العيون والحدائق ٣ : ١٨٨ ، وانظر أخبار الدولة العباسية ص : ٣٠٧.

لليمانية[1] ، وبَعْضُهَا كانَ للرَّبعية[2] ، وبعضها كان لِلْمُضَرِيَّة[3]. ويقولُ الدكتور محمد عبد الرحيم شعبان[4] : «إنَّ هؤلاء العربَ المُسْتَقِرِّين سكان القُرَى هم الذين تَقَاطَرُوا من قُرَاهُم ، لمَّا سمعوا نِدَاءَ الثَّوْرةِ ، واشْتَرَكُوا فيها». وروى أبو الخطاب حمزة بن علي بن محفزٍ أنه اجتمعَ في خَنْدقِ مُحْرِزِ بن إبراهيم الجُوباني المَرْوزيِّ بجيزَنْجَ نحوٌ من ألفِ رجلٍ من أهلِ القُرَى ، وأَنَّ أبا مسلمٍ أمَرَ بِعَرْضِهم وإحْصَائِهم في دفترٍ بأَسْمَائِهم وأسماءِ آبائهم وقُرَاهم ، وذكَرَ أسماءَ قُوَّادهم المعروفين ، وهم خليطٌ منَ العَربِ والعجمِ المسلمين ، ومنهم من العربِ زياد بن سَيَّارٍ الأزدي من قرية اسْبوادق ، وحمزةُ بن زُنيمٍ الباهلي من قرية ميلاذجرد ، وخِذام بن عمار الكندي من قرية الأوايق[5].

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٩٩ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٣١٤ ، ٧ : ٢٩٠ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٩.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٥٥ . والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٧.

(٣) تاريخ الطبري ٦ : ٣١٣ . وانظر كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٦٥.

(٤) الجذور الاجتماعية والسياسية للثورة العباسية ص : ١٧ ، نقلاً عن العباسيون الأوائل ١ : ٣٥.

(٥) تاريخ الطبري ٧ : ٣٥٨.



الفصل الثاني

«الدَّعْوَةُ لِبَيْعَةِ الرِّضا من آل محمد»



(١) مَبْدأٌ خَلاَّبٌ فَضْفاضٌ غامضٌ

نادَى العباسيون بالبَيْعةِ للرِّضا من آل محمدٍ ، وكان هذا المبدأُ من أهمِّ مبادئهم ، إذ كان من أدَقِّهَا إحْكاماً ، وأعْلاَهَا قَدْرَاً ، وأكبَرِهَا خَطراً ، وأقْوَاهَا أسْراً ، وأشَدِّهَا سِحْراً ، وأوْسَعِهَا أثَراً ، فقد كانَ يناهضُ المبدأَ الذي رَفَعَهُ الخوارجُ[1] ومُرْجئةُ الجَبْريةِ[2] ، والقَدرية[3] ، وهو أنَّ الخلافةَ حَقٌّ لكلِّ مسْلمٍ يَقُومُ بالكتابِ والسُّنَّةِ ، وأنها لا تَنْعَقِدُ إلاَّ بإجماعِ الأُمَّةِ . وكان يُضَيِّقُ دائرةَ المبدأ الذي آمَنَ به أهْلُ السُّنَّةِ ، وهو أنَّ الخلافةَ حَقٌّ لِقُرَيشٍ وحْدَهَا ، وأنها لا تَجوز لغَيْرِهَا من العَربِ والمسلمين[4] ، إذ كان يَحْصُرُ الخلافةَ في أهْلِ البَيْتِ من قريشٍ ، ويخرجُ الأُمويِّينَ

---

(١) مقالات الإسلاميين ١ : ١٨٩ ، ٢ : ١٣٤ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٣٦ ، والفرق بين الفرق ص : ١٥ ، والملل والنحل ١ : ١٠٧ ، وشرح نهج البلاغة ٩ : ٨٧ ، وفجر الإسلام ص : ٢٥٨ ، وضحى الإسلام ٣ : ٣٣٢ ، والفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص : ٢٠٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٩٥ ، ٣٣٠ ، ٣٣٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٣٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، وضحى الإسلام ٣ : ٣٢٣ ، والسيادة العربية ص : ٦٣ .

(٣) الملل والنحل ١ : ١٢٧ .

(٤) مقالات الإسلاميين ٢ : ١٣٥ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٣٧ ، والفرق بين الفرق ص : ١٥ ، ٢١١ ، والملل والنحل ١ : ٣١ ، ٣٣ ، وشرح نهج البلاغة ٩ : ٨٧ .

منها ، ويُبْطِلُ حقَّهم فيها . وكان يُتيحُ لِدَعْوتهم أكبر عَدَدٍ من الأنْصَارِ والمُؤيِّدينَ ، فهوَ يُطابقُ أفكارَ المُعْتَقِدينَ بحق أهل البَيْتِ في الخلافةِ ، ويُوَافِقُ آراءهم ، ويُلَبِّي رَغباتهم ، ويُحقِّقُ غاياتهم ، وهو يُحرِّكُ عَواطفَ المسلمين الآخرين ، ويُثيرُ مَشَاعِرهُم ، ويَحْمِلُ فريقاً منهم على الانْضِمامِ إلى الدَّعْوَةِ ، ومُؤازَرة أصْحابهَا. وكان يَجْعَلُ للعباسيِّينَ نَصيباً من الخلافةِ ، فهم أحَدُ فَرْعَيْ أهْلِ البَيْتِ. وكانَ يُواري أشْخَاصَهم ، ويُخْفي مَطَامِحَهم ، فهو يُوحي أنَّ قضيَّتهم هي نُصْرَةُ الحقِّ على الباطلِ[1] ، وإقامةُ العَدْلِ ، وإزالةُ الظُّلْمِ ، وأنَّهُمْ لا يَبْتغونَ غيرَ اسْتِخْلَاصِ الخلافةِ من الأُمويينَ ، ورَدِّهَا على أهْلِ البَيْتِ ، أصْحابهَا الشَّرْعِيِّينَ ، وهو يَمْنَعُ النِّزَاعَ بينَهم وبينَ أبناء عُمومَتهم العَلويِّينَ ويَجْمَعُهم تحتَ رايةٍ واحدةٍ ، إذ يُوهِمُ أنهم لا يدَّعُونَ الخلافةَ لأنْفُسِهم ، بل يَطْلُبونها لأنْفُسِهم ولأبناء عُمُومتهم ، ويُوَفِّرُونَ على كل فريقٍ منهم حَظَّهُ منها ، ويُعْطُونَهُ حَقَّهُ فيها .

---

(١) العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٢٥ ، وتاريخ الدولة العربية ص : ٤٨٩ ، والعصر العباسي الأول ، للدكتور شوقي ضيف ص : ١٣ .

(٢) إخفَاءُ العبَّاسيينَ لشَخْصِيَّةِ الإمَام

وأَسَرَّ العباسيُّونَ شَخْصيَّةَ الإمام، وبالَغُوا في كَتْمِهَا مُبَالَغَةً شديدةً، فلم يَكُنْ يَعْرِفُ اسمَ الإمامَ ونَسَبَهُ إلاَّ كبيرُ دُعاتهم ونُقَباؤهم وقَليلٌ من دُعَاتهم، أمَّا سائر دُعاتهم وشيعتهم فكانوا يَجْهلُونَ الإمامَ ولا يَعْلَمونَ من أمْرِهِ شيئاً. ولم تكن البَيْعةُ تُؤْخذُ لهم، بل كانت تُؤخذُ لرَجُلٍ مَجْهولٍ من أهلِ البَيْتِ، يُتَّفَقُ عليه بعدَ ذلك[1]. وقد دَأَبَ دُعَاتُهم على الدَّعْوَةِ للرِّضَا من آلِ محمدٍ في المَرْحَلَةِ السرِّيةِ من دَعْوتِهم[2]، كما دَأَبُوا عَلَيْهَا بعدَ إعْلَانِ الثورة بمَرْوِ الشَّاهجان سنة ثلاثين ومائة، فإن البَيْعَةَ كانت تُؤْخَذُ على الجُنْدِ من الهاشميَّةِ للرِّضَا من أهْلِ البَيْتِ[3]، ولَزِمَهَا قادَتُهُمْ ولم يُفارقُوهَا حين بدأت الحربُ بين الجيوشِ العباسيةِ والجيوشِ الأُمويَّة،

---

(١) تاريخ الدولة العربية ص: ٤٨٩.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٨٢، ٣٠٨، ٣١٧، ٣٢١، وأنساب الأشراف ٣: ١١٥، ١٣٠، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٣٣، والأخبار الطوال ص: ٣٣٥، وتاريخ الطبري ٦: ٥٦٢، ٧: ٢٦، ١٠٨، ٣٥٥، ٣٧٩، ٣٨٠، والبدء والتاريخ ٦: ٥٩، والعيونُ والحدائق ٣: ١٨٠، والكامل في التاريخ ٥: ٥٣، ١٢٥، ٣٨١، ٤٠٨، والبداية والنهاية ٩: ١٨٩، ١٠: ٢٨.

(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣٨٠، والكامل في التاريخ ٥: ٣٨٠.

فإنهم كانوا إذا بلَغُوا مدينةً وحَاصَروهَا ، يَسْأَلُونَ أهْلَهَا البَيْعَةَ للرِّضَا من آلِ محمدٍ ، دون تسميةٍ له ، فإنْ أجابوهم إلى ذلك أمَّنوهم ، ودَخَلُوا مدينتهم صُلْحاً ، وإنْ أبَوْا قاتَلُوهم ، وفَتَحوا مدينَتهم عنْوةً (١) .

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٥ ، والأخبار الطوال ص : ٣٣٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٩٠ ، ٤٢١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٦ ، ٣٩٧.

(٣) انتفاع العباسيين بالعلويين وشيعتهم

واستَغَلَّ العباسيون أبناءَ عُمُومَتهم العلويِّين استِغلالاً واسعاً ، فإنهم كانوا مِنْ ألدِّ خُصُومِ الأمويين ، وأشدِّ أعدائهم ، وقد ثاروا عليهم مِراراً ، واستبسَلُوا في مُنَاهَضَتِهِمْ ، فَنَصبَ الأمويون الحربَ لهم نَصْباً ، وصَبُّوا العذابَ عليهم صَبًّا ، فانْتَفَعَ العباسيون بمُعَارَضَتِهِم للأمويين ، واستَفَادُوا من تَضْحِيَتِهم بأنفسهم في سبيل إعادةِ الخلافةِ إلى الهاشميين ، وعَوَّلُوا على شيعةِ أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحَنَفِيَّةِ تَعْويلاً كبيراً ، فمنهم اتَّخذُوا كِبارَ دُعَاتهم بالعِراق ، ومنهم كَوَّنوا أكثر الوُفُودِ التي أرْسَلُوهَا لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ بخراسان(١) .

وكانَ الدُّعاةُ يدعُونَ إلى أهلِ البَيْتِ ، وكان منهم مَنْ يَدْعُو لِلْعلويِّين ، ومنهم مَنْ يَدْعُو للعباسيين ، قال أبو الفرج الأصفهاني(٢) : «خرجت دُعاةُ بني هاشم الى النواحي عندَ مَقْتَلِ الوليد بن يزيد ، واختلافِ كلمةِ بني مَرْوَان ، فكان أوَّلُ ما يُظْهِرُونَهُ فَضْلَ علي بن أبي طالبٍ وَوَلدِه وما لَحِقَهم من القَتْلِ والخَوْفِ والتَّشْرِيد ، فإذا استَتَبَّ لهم الأمر ومَلَكُوا ، ادَّعَى كل فريقٍ منهم الوَصِيَّةَ لمن يَدْعُو إليه» .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٦٧ .

(٢) مقاتل الطالبيين ص : ٢٣٣ ، وانظر العيون والحدائق ٣ : ١٨٠ .

وظَلَّ العباسيون يُدَاهِنُونَ العَلويِّينَ ويُنَافِقُونهم بعد قيام دَوْلتهم ، فإنَّ داودَ بن علي أبْطَلَ خلافةَ الخلفاء الرَّاشدينَ ورَفضَهَا ، إلاَّ عليَّ بن أبي طالبٍ ، فإنَّهُ صَحَّح خِلافَتَهُ وارْتضَاهَا ، كما أنْكَرَ خلافةَ الخلفاء الأمويينَ وأسْقَطَهَا ، وقَرَّرَ أنَّ خلافةَ أبي العبّاس استِمْرَارٌ لخلافة عليٍ ، وجعلها إحياءً لحُكْمِ أهْلِ البَيْتِ ، وعَدَّهَا تَجْديداً لما انْقَطَعَ من مُلْكِ الهَاشِميِّين ، إذ يقولُ في خطبتِهِ التي خَطَبَهَا بعد ظهور ابي العباس ومبايعته بالكوفة[1] : «إنه والله ما بينكم وبينَ رسولِ اللهِ ، صلى الله عليه وسلم ، خليفةٌ إلاَّ علي بن أبي طالب ، وأميرُ المؤمنين (يعني أبا العباس) ، وما بَايَعتُم قَطُّ بَيْعةً هي أهدَى من بَيْعتكمْ هذه».

وذكَرَ فيها أنَّ العباسيينَ ثَارُوا على الأمويين وحاربوهم لِيَنْتزعوا الخلافةَ منهم ، ويَثْأروا لأبناء عُمُومتهم العلويين ، إذ يقول[2] : «إنما أخرَجَنَا الأنَفَةُ من ابْتِزَازِهِمْ حَقَّنا ، والغَضَبُ لبني عَمِّنا».

وقد صَنَعَ العباسيون ذلك مُخَادعةً للعلويين ، ومُدَاراةً لهم ، وكَسْباً لمودَّتهم ، وطَمعاً في مُساندتهم ، وتَغْريراً بشيعتهم ، وتَضْليلاً لهم ، واستِهْوَاءً لأفْئِدتهم ، وأمَلاً في مُؤازرتهم[3] ، فإنهم كانوا يَخْشُونَ إذا صَرَّحُوا بِطَلَبِهم للخلافة أنْ يَسْتَاءَ العلويون منهم ، ويَسْخَطوا عليهم ، ويُنَدِّدوا بهم ، ويَنْقَطِعُوا عنهم ، وأنْ يَنْفرَ شيعتُهم من مُوَالاتهم ، ويَجْهَرُوا بمُعاداتهم ، ويكُفُّوا عن مُعَاونتهم ، فيدبَّ الشِّقَاقُ بين أهلِ البيت ، ويَضْعفَ أمْرُهُمْ ، وتَفْشَلَ دَعْوَتُهُمْ.

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٤٠ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٢٨ ، وتاريخ الموصل ص : ١٢٤ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٧٠ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٥ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٢.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٤ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤١.

(٣) انظر الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣١.

(٤) خداع العباسيين للعلويين وشيعتهم

ولكن العباسيين كانوا يَسْعَوْن للفوزِ بالخلافةِ ، وكانوا يُضْمِرون أنْ يَغْلِبُوا عليها ، ويَسْتَبِدُّوا بها ، وإنْ أظهروا أنهم يَدْعُونَ للرِّضا من آل محمدٍ ، ومما يَدُلُّ على ذلك أنهم كانوا يَنْهَوْنَ دُعَاتهم عن مخالَطةِ دُعاةِ العلويين بخراسان ، حتى لا يَنْصَرِفَ وَهْمُ شيعَتهم بها إلى أنهم أتْبَاعٌ للعلويين ، وأنهم يَعْمَلُونَ لهم ، فقد أوْصَى محمدُ بن عليٍ أبا عِكْرِمةَ السرَّاجَ ، حين وَجَّهَهُ إلى خراسان ، أنْ يَبْتَعِدَ عن غالبِ النِّيسابُوريِّ ، ولا يَلْقَاهُ ، وأنْ يَعْتَزِلَ مَجالِسَهُ ، ولا يَشْهدَ مُنَاظرَاتِهِ في فَضْلِ العلويين وحَقِّهم في الخلافةِ[١] .

ومِمَّا يَدُلُّ عليه أيْضاً أنهم كانوا يَنْصَحُونَ شيعَتهم أنْ يَنْتَبِذُوا انْتِفاضاتِ العلويين ، ولا يُشاركوا فيها ، لكَي لا يَذُوبُوا في شيعتهم ، ولا يُقْضَى عليهم ، فقد أمرَ محمدُ بن عليٍ أبا هاشمٍ بكير بن ماهان أن يُشيرَ على شيعتهم بالكوفة أنْ يُعْرِضُوا عن الانضمامِ إلى زيد بن عليٍ ، والقتالِ معه ، عندما بَلَغَهُ أنه يَسْتَعِدُّ للثورة ، قال أبو هاشم[٢] : «قال لي محمد بن علي : قد أظَلَّكُمْ خروجُ رَجُلٍ من أهْلِ بيتي

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٣ .

(٢) اخبار الدولة العباسية ص : ٢٣٠ .

بالكوفة ، يُغَرُّ في خُرُوجه كما غُرَّ غيرُهُ ، فيُقْتَلُ ضَيْعةً ويُصْلَبُ ، فحذِّرِ الشِّيعَةَ قِبلَكُمْ أمْرَهُ » . ونُقِلَ عن أبي هاشمٍ أَنَّ محمد بن عليٍ أوصاه حين أرْسَلَهُ إلى خراسان أنْ يَصُدَّ شيعَتَهم بها عن الظُّهورِ مع العلويين ، والالتحاق بهم ، والاندفاع في مُناصرتِهم ، وأنه أخبَرَهُ أنَّ العلويين نُحُّوا عن الخلافة وحُرِموهَا ، وأنهم لن يَظْفَرُوا بهَا ، وأنه كُتِبَ على قَادَتِهم الإخفاقُ والهَلاكُ ، وأَنَّ العَبَّاسيين لن يَجْنُوا خَيْراً منهم ، بل سَيَصْلَوْنَ عواقبَ طَيْشِهم وتَسَرُّعِهم ، وأنهم سينتَقمونَ لهم عندما تَؤُولُ الخلافةُ إليهم ، فقد رُويَ عن أبي هاشم أن محمد بن علي قال له [1] : « حَذِّرْ شيعَتَنا التَّحَرُّكَ في شيءٍ مما يتحرَّكُ فيه بنو عمنا من آل أبي طالبٍ ، فإن خارجَهُمْ مَقْتُولٌ ، وقَائِمَهم مَخْذُولٌ ، وليس لهم في الأمْرِ نَصيبٌ ، وسَنُدْرِكُ بثأرهم ، وسَنُبْتَلى بِسَعْيِهم ، ثم لا يكون ضَررُ ذلك إلاَّ عليهم » . وحُمِلَ عنه أنه أمرَ شيعة العباسيين أنْ لا يَقْرَبُوا يحيى بن زيدٍ ، ولا يَلْتَفُّوا عليه ، ولا يثوروا معه ، بعد أنْ صُرِعَ والدُهُ ، فَفَرَّ من الكوفة ، واستُخْفَى بخراسان ، وأنه أعْلَمهم أَنَّ محمدَ بن عليٍ ذكَرَ أَنَّ مَصيره الموت ، قال مُصَنِّفُ أخبارِ الدولة العباسية [2] : « لمَّا رجعَ بكيرٌ إلى خراسان قال لهم : « إنَّ يحيى ابن زيدٍ كامنٌ بين أظْهُرِكم ، وكأنكم به قد خَرَجَ على هؤلاء القوم ، فلا يَخْرُجَنَّ معه أحدٌ منكم ، ولا يَسْعَى في شيءٍ من أمرِهِ ، فإنه مَقْتُولٌ ، وقد نَعاهُ الإمام الى أهْلِ بيْتِه » .

ومما يَدُلُّ عليه أن ابراهيم بن محمد أَبَى أنْ يُسلِّمَ لمحمد بن عبد الله بن الحسن برئاسة الهاشميين ، ودَفَعهُ عنها دَفْعاً قَوِيًّا ، وكان أبوه عبد الله بن الحسن زكاه لها ، وسأَلَ الهاشميين أنْ يُبايعوا له بها في مُؤْتَمرِ الأبْوَاءِ الأول ، سنة ستٍ وعشرين

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٠ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٤٢ .

ومائة[1] ، وفي مُؤتمرِ الأبْوَاءِ الثاني ، سنةَ تسعٍ وعشرين ومائة[2] . فرفَضَ ابراهيم بن محمد أنْ يبايع له ، ويُقَدِّمَهُ على شيوخِ أهْلِ البيتِ وذَوي الاسنانِ منهم ، فعَرَفَ عبد الله بن الحسن أنَّ ابراهيمَ بن محمدٍ يُمهِّدُ الأمْرَ لنفسه ، فامْتَعضَ منه وحَنَقَ عليه[3] .

وفي بعض الروايات الشِّيعيَّةِ أنَّ جميعَ الهاشميين أطْبقُوا على محمد بن عبد الله بن الحسن ، وأنَّ إبراهيم بن محمدٍ ، وإخوته وأعمامه بايَعوا له[4] ، وفيها أنَّ جعْفَرَ بن محمد الصادق[5] هو الذي امْتَنَعَ من مُبايعتِهِ لصِغرِهِ ، وأنه ذكَرَ أنَّ الأمرَ لا يصيرُ إلى عبد الله بن الحسن ، ولا إلى ولَدَيْهِ : محمدٍ وإبراهيم ، وأنَّ وَلَدَيْهِ يَخْرُجانِ ويُقْتَلانِ ، وأنَّ الأمر يصيرُ الى أبي العباس ، وإلى أبي جَعْفرٍ من بعده[6] ، وفيها أنَّ مُخَالَفَتَهُ له ترجعُ إلى المنافسة بينَ بني الحَسن وبني الحسين العَلويِّينَ في الإمامة ، وتَسَابُقِهم اليها ، ومُغالبة بعضهم لبعضٍ عليها[7] ، وفيها أنَّ جعفرَ بن محمدٍ الصادق كان يَميلُ

---

(١) مقاتل الطالبيين ص : ٢٥٤.

(٢) مقاتل الطالبيين ص : ٢٠٦ ، ٢٥٧ ، وانظر النجوم الزاهرة ١ : ٣٥٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٢١٣.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٨٨ ، وانظر مقاتل الطالبيين ص : ٢٥٧.

(٤) مقاتل الطالبيين ص : ٢٣٣ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٥١٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥١٣.

(٥) انظر ترجمته في طبقات خليفة بن خياط ٢ : ٦٧٣ ، والتاريخ الكبير ١ : ٢ : ١٩٨ ، والمعارف ص : ٢١٥ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٨١ ، والجرح والتعديل ١ : ١ : ٤٨٧ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٩٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٨٩ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤١٤ ، ولسان الميزان ٢ : ١٢٦ ، وتهذيب التهذيب ٢ : ١٠٢ ، وتقريب التهذيب ١ : ١٣٢ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٨ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٢٠ ، وضحى الاسلام ٣ : ٢٦١.

(٦) مقاتل الطالبيين ص : ٢٠٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦.

(٧) مقاتل الطالبيين ص : ٢٠٧ ، ٢٥٥ ، وانظر العباسيون الأوائل ١ : ٢٣٢.

إلى العباسيين، ويؤْثِرهم عَلى بني الحسن العَلَوِّينَ، فلما استُخْلِفَ العباسيون أدْنَوهُ وقَرَّبُوهُ، واصْطَنَعُوهُ وأكرمُوهُ، وبَالَغُوا في الإشادة بمكانتِهِ، والتَّنْويهِ بِفَضْلِهِ، والثَّناء على عِلْمِهِ، اعترافاً بتأييدِهِ لهم، وتَقْديراً لجميلِهِ عليهم[1]، فإنه كان أثيراً عند أبي العباس[2]، ثم عند أبي جَعْفَرٍ[3]، لأنهما كانا يثقان به، ويَطْمئنان إليه، فكانا يُكاتبانه ويُشاورانه، وكانا يَصْدُرَان عن رأيِهِ في بعض الأمور.

---

(١) مقاتل الطالبيين ص: ٢٥٦، وانظر العباسيون الأوائل ١ : ٢٣٢.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٧١.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٩٥.

(٥) استبداد العباسيين بالخلافة بعد قيام الدولة

وقد أعْلَنَ أبو العباس في خطبته الأولى بالكوفة أن العباسيين هم المُمَثِّلُونَ المُقَدَّمونَ لأهلِ البَيْتِ ، لأنهم أبناءُ العباس بن عبد المطلب ، عم الرَّسولِ الكريم ، فهم ورثتُهُ الشَّرْعيُّونَ ، وهم أصحابُ الخلافة وأرْبَابُهَا ، لا يَحْجُبُهم أحدٌ عنها ، ولا يُنَازِعهم مُنازِعٌ فيها ، وغَمَزَ غُلاةَ الشيعة ، وتوسَّلَ بِغَمْزِهِ لهم إلى نَقْضِ ادّعاءِ العَلَوِيِّينَ لِلْخلافةِ ، وإبْطَالِ مُطَالبتهم بها ، إذ يقول[١] : «زَعَمت السَّبَئِيَّةُ الضُّلالُ أنَّ غَيرَنَا أحَقُّ بالرِّياسةِ والسِّياسةِ والخلافة منا ، فشَاهَتْ وُجُوهُهم ! بِمَ ولِمَ أيها الناس؟ وبنا هَدَى اللهُ الناسَ بعدَ ضَلالتهم ، وبَصَّرهم بعدَ جَهَالتهم ، وأنْقَذَهم بعد هلكتهم ، وأظهرَ بنا الحقَّ ، وأدْحَضَ بنا الباطلَ ، وأصْلَحَ بنا منهم ما كان فاسداً ، ورَفَعَ بنا الخَسيسةَ ، وتَمَّ بنا النَّقيصَةَ ، وجمعَ الفُرْقَةَ ، حتى عادَ الناسُ بعدَ العَداوةِ

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٥ . وانظر أنساب الأشراف ٣ : ١٤٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٧٠ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٠ . والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٢ . وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤١ . والنجوم الزاهرة ١ : ٣٢٠ . وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٧ .

أهْلَ تعاطُفٍ وبِرٍّ، ومواساةٍ في دينهم ودُنياهُم، وإخواناً على سُرُرٍ مُتَقابِلينَ في آخِرتِهم، فتَحَ اللهُ ذلك مِنَّةً ومِنْحةً لمحمدٍ، صلى الله عليه وسلم، فلما قبضَهُ اللهُ إليه، قام بذلك الأمر من بعده أصحابُهُ، وأمرهم شُورَى بينهم، فَحَوَوْا مواريثَ الأمم، فَعَدلُوا فيها، وَوَضَعُوهَا مَوَاضِعَهَا، وأعطوهَا أهْلَهَا، وخَرَجُوا خماصاً منها. ثم وَثَبَ بنو حَرْبٍ ومروانَ، فابْتَزُّوهَا وتَدَاوَلُوهَا بينهم، فجَارُوا فيها، واستَأْثروا بهَا، وظلمُوا أهْلَهَا، فأمْلَى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فلما آسَفُوهُ انتقم منهم بأيْدينَا، وردَّ علينا حَقَّنا، وتَدارَكَ بنا أُمَّتنا، ووَلِيَ نَصْرَنَا والقيامَ بأمْرِنَا، ليَمُنَّ بنا على الذين استُضْعِفُوا في الارضِ، وختَمَ بنا كما افْتَتَحَ بنا».

وأشار داودُ بن علي في خطبته التي خَطَبَهَا بعدَ ظُهورِ أبي العباس ومُبايعته بالكوفةِ إلى ذلك، فقد أكَّدَ أنَّ الخلافةَ حَقٌّ خالصٌ للعباسيين دونَ غيرهم من أهل البَيْتِ، وزادَ عليه أنها باقيةٌ فيهم مُدَّةَ الحياة، إذ يقول[1]: «اعْلَمُوا أنَّ هذا الأمرَ فينا، ليس بخارجٍ منا حتى نُسْلِمَهُ إلى عيسى بن مريم».

وكَرَّرَ أبو مُسْلمٍ في خُطْبَتِهِ التي ألْقَاهَا بالمدينة، حين حَجَّ سنةَ ستٍ وثلاثين ومائة رأيَ العباسيين في الخلافة، فإنه استَلْهَمَ كثيراً من أفكار أبي العباس، وداودَ بن علي، واستَوحَى الأدلة التي وردَتْ في خُطْبَتَيْها، ونَقَلَ بَعْضَهَا بألْفاظِها، وأضافَ اليها براهين جديدةً، ولم يزلْ يُدْلي بها ويَستَرْسِلُ في عَرْضِهَا، حتى بَسَطَ القَوْلَ في حَقِّ العباسيين في الخلافة، واحتجَّ له احْتِجاجاً قويًّا، ووَضَّحَهُ توضيحاً

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٨، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠١، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٥، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٤، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٢.

شديداً ، إذ يقول[1] : «زَعَمُوا أَنَّ غيرَ آل محمدٍ أَوْلَى بالأمرِ منهم ! فَلِمَ وبِمَ أيها الناس؟ أَلَكُمُ الفَضْلُ بالصَّحابةِ دُونَ ذَوِي القَرَابةِ ، الشركاءِ في النَّسبِ والوراثةِ في السَّلب[2] ، مع ضَرْبِهم على الدِّينِ جَاهِلَكُمْ ، وإطْعامهم في الجَدْبِ جَائِعَكم ! والله ما اخْتَرْتُمْ مِنْ حيثُ اختارَ الله لنفسه ساعةً قَطُّ ، وما زلتم بعدَ نَبِيِّهِ تَخْتَارُونَ تَيْمِيًّا مَرَّةً[3] ، وعَدويًّا مَرَّةً[4] ، وأُمويًّا مَرَّةً ، وأسَدِيًّا مَرَّةً[5] ، وسفيانياً مَرَّةً ، ومَرْوَانيًّا مرةً ، حتى جاءكم مَنْ لا تَعْرِفُونَ اسْمَهُ ولا بَيْتَهُ[6] ، يَضْرِبكم بسَيْفِهِ ، فأعطَيْتُمُوها عَنْوةً ، وأنتم صاغرون ! أَلَا إنَّ آلَ محمدٍ أئمةُ الهُدَى ، ومَنَارُ سَبيلِ التُّقَى ، القادةُ الذَّادةُ السادة ، بنو عمِ رَسولِ الله ، ومَنزِلُ جبريلَ بالتَّنْزيلِ ، كم قَصَمَ الله بهم مِنْ جَبَّارٍ طاغٍ ، وفاسقٍ باغٍ ، شَيَّدَ اللهُ بهم الهُدَى ، وجَلَا بهم العمى ، لم يُسْمَعْ بمِثْلِ العباس ! وكيف لا تَخْضَعُ له الأممُ لوَاجبِ حَقِّ الحُرْمَةِ ! أبو رَسُولِ الله بعدَ أبيه ، وإحْدَى يَدَيْهِ ، وجِلْدَةُ بينَ عَيْنَيْهِ ، أمِينُهُ يومَ العَقَبةِ[7] ، وناصِرُهُ بمكةَ ، ورَسُولُهُ إلى أَهْلِهَا ، وحامِيهِ يوم حُنَيْنٍ ، عند مُلْتَقَى الفِئَتَيْنِ ، لا يُخَالِفُ له رسماً ، ولا يَعْصِي لهُ حُكماً ، الشافعُ يومَ نِيقِ العُقَابِ[8] إلى رَسُولِ الله في الأحْزَابِ ، ها إنَّ في هذا أيها الناس لَعِبْرَةً لِأُولي الأبْصار» .

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٦١ .

(٢) السلب : ما يُسْلَبُ .

(٣) التيمي : أبو بكر الصديق .

(٤) العدوي : عمر بن الخطاب .

(٥) الأسدي : عبد الله بن الزبير .

(٦) من لا يعرفون اسمه ولا بيته : ابو مسلم الخراساني .

(٧) يوم العقبة : يوم مبايعة الأنصار للرسول الكريم بمكة .

(٨) يوم نيق : يوم فتح مكة ، شفع العباس ذلك اليوم في ابي سفيان وأهل مكة ، فعفا النبي عنهم .

وعندما ثارَ محمدُ بن عبد الله بن الحسن على أبي جعْفَرٍ بالمدينةِ ، سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومائةٍ ، ودَعَا إلى نَفْسِهِ ، وذكَرَ أنه أوْلَى منه بالخلافة ، وأجْدَرُ بهَا ، وأصْلَحُ لها ، لأنه ابنُ بنت رسول اللهِ ، أنكرَ أبو جَعْفرٍ عليه ذلك ، وجهر بأن الخلافةَ من نَصِيبِ العباسيين ، لأنهم أبناءُ عمِّ الرّسُولِ ، فهم أقْرَبُ إليه ، وأحَقُّ من العَلويينَ بوراثته ، لأنهم ابناءُ بِنْتِهِ ، فإن العَمَّ مُقَدَّمٌ على الأسْبَاط في الوِراثة ، إذ أرْسَلَ إليه يقول[1] : « فقد بَلَغَني كَلامُكَ ، وقَرَأْتُ كِتَابَكَ ، فإذا جُلُّ فَخْرِكَ بِقَرابَةِ النِّسَاءِ ، لِتُضِلَّ به الجُفَاةَ والغَوْغاءَ ، ولم يَجْعلِ اللهُ النِّسَاءَ كالعمُومةِ والآباءِ ، ولا كالعَصَبةِ والأوْلياءِ ، لأنَّ اللهَ جَعَلَ العَمَّ أباً ، وبَدأَ به في كتابهِ عَلَى الوَالدةِ الدُّنْيَا » .

وبذلك شَرَحَ أبو جَعْفَرٍ نَظريَّةَ العباسيين في الخلافة ، وأبانَ أنها تَقُومُ على أحكامِ الوِراثة في الشريعة الإسلامية ، وانْتَصرَ لحقِّهم فيها ، وأكَّدَهُ تأكيداً ، وألْغَى ادِّعاءَ العَلويِّينَ للخلافة ، وأقْصَاهُم عنها ، وجَرَّدَهم منها تَجْريداً .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٥٦٨ ، والعقد الفريد ٥ : ٨١ ، وتاريخ الموصل ص : ١٨٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٣٨ ، وانظر الكامل للمبرد ٤ : ١١٦ ، ففيه بعض الاختلاف والزيادة .

(٦) خلاصةٌ وتعقيبٌ

وفيما مَضَى ما يكشفُ عن ذكاءِ العباسيين ودَهَائهم ، حين نادوا بالبَيْعةِ للرِّضَا من آلِ محمدٍ ، فإنهم اصْطَنَعوا هذا المبدأَ الفَضْفَاضَ الغَامضَ ، ليَسْتَحْوِذُوا على عَوَاطفِ الناسِ ، ويُغْروهم بالانضمام إليهم في المَرْحَلةِ السريَّةِ من دَعْوتهم ، ويَستَوْعِبُوا أبناءَ عُمُومتهم العلويين ، ويَفُوزُوا بمُظاهرتهم ، ويَستُروا أشخاصَهم ، ويُخْفُوا أهْدَافَهم . ثم أخَذُوا يُفْصِحون بالتَّدريج عن حَقِّهم في الخلافة بعد ابتداء دولتهم ، ولكنهم ظَلُّوا يلاطِفُونَ العلويين ، ولا سيما الحَسَنِيِّينَ منهم ، فإنهم كانوا يَتَودَّدُونَ إليهم في عَهْد أبي العباس ، ويُسْنُونَ الجوائزَ لهم ، ويَصْبرون عَلى تَعْريضهم بهم ، ويَسعُونَ طَعْنَهم عليهم ، ويتغافلونَ عن تَطلُّعهم إلى الخلافة ، تَوَقِّياً لغَضبهم ، وتَلافِياً لثَوْرتهم ، قال البلاذري[٢] : «أقدمَ أبو العباس عبدَ الله بن الحسن عليه ، فَبَرَّهُ وأكرمَهُ وأعْطَاهُ ألفَ ألف درهم ، فلما انصرفَ إلى المدينة ، أتاهُ أهلها مُسَلِّمِينَ عليه ، وجَعَلُوا يَدْعُونَ لأبي العباس لبرِّهِ بهِ وإجزالِهِ صِلَتَهُ ، فقال عبد الله : يا قوم ، ما رأيتُ أحْمقَ منكم ! تشكرون رَجُلاً أعْطَانا بعضَ حَقِّنا ، وتَرَكَ أكثرَهُ . فبلغ ذلك أبَا العباس ، فدعا إخوته وأهْلَ بيتِه ، وجَعَلَ يُعَجِّبهم من قولِ عبد الله ،

---

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٦٦ . وانظر البداية والنهاية ١٠ : ٥٨ .

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنما يتم إحسانُكَ إليه وإنْعامُكَ عليه بالصَّفْح عنه . وتكَلَّمَ أبو جعفرٍ فيه بكلامٍ شديدٍ ، وقال[1] : إنَّ الحديدَ بالحَديد يُفْلَحُ[2] ، فقال أبو العباس : مَنْ تَشَدَّدَ نَفَّرَ[3] ، ومَنْ لانَ تألَّفَ ، والجَاهِلُ تَكْفِيهِ مَساوِئُهُ » .

وقال ابن العماد الحنبلي[4] : «كانَ يَحْتَمِلُ من عبد الله بن الحسن المُثَنَّى مُوَاجَهَتَهُ له بما يَكْرَهُ ، ويُعْطِيهِ العَطَاءَ الجزيلَ . وقال له أخُوهُ المنصُورُ يوماً في عبد الله بن الحسن وابنه محمدٍ : إنَّ هؤلاء شَنَؤُونا ، فآنِسْهُمْ بالإحسان ، فإن استَوْحَشُوا ، فالشرُّ يُصْلِحُ ما عَجزَ عنه الخيرُ ، فقالَ له السَّفاحُ : مَنْ شَدَّدَ نَفَّرَ ، ومَنْ لانَ تَألَّفَ ، والتَّغافُلُ مِنْ سَجايا الكرام» .

فلما ازدادت معارضةُ العلويين للعباسيين في عهد أبي جَعْفرٍ ، واشْتَدَّ تَهْديدُهم لِمُلكهم ، صَرَّحَ أبو جَعْفرٍ بأنَّ الخلافةَ حَقٌّ مُقَرَّرٌ للعباسيين ، وميراثٌ صافٍ لهم ، لأنهم أبناءُ عَمِّ الرَّسول ، ونَحَّى العلويين عنها ، وأسْقَطَ حَقَّهم فيها ، لأنهم أبناءُ بنت الرسول ، واضْطَهَدَ الحَسَنِيِّينَ منهم ، لأنهم همُ الذينَ نَازَعُوهُ وناهَضُوهُ ، ثم أمَرَ باعْتِقَالهم ، فأُخِذَ أكثرهم ، وحُمِلُوا إليه من المدينة إلى العراق ، فحَبَسَهم ، وأنزلَ

---

(١) انظر المثل في مجمع الأمثال ١ : ٨ ، وأساس البلاغة ، واللسان : فَلَح .

(٢) يُفْلَح : يُشَقّ ويُقْطَع .

(٣) في الأصل : «أنفرَ» ، وكأنه تحريفٌ ، فإنَّ المعنى لا يستقيمُ به ، لأنَّ : «أنفر» بمعنى نَصَرَ ومَدَّ ، أو بمعنى قَضَى عليه بالغَلَبةِ . (انظر اللسان : نَفَرَ) . والتَّنفيرُ في النَّص يُقَابِلُ التألّف . وانظر أيضاً مختصر التاريخ لابن الكازروني ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، طبع بغداد ١٩٧٠ ، ص : ١١٣ ، وشذرات الذهب ١ : ١٩٥ ، فقد وَرَدَ فيها اللفظُ صحيحاً غيرَ مُحَرَّفٍ ، ووَرد فيها «شَدَّد» مكان «تَشَدَّد» ، والمعنى واحدٌ .

(٤) شذرات الذهب ١ : ١٩٥ .

بهم أصنافَ العقاب[1] ، ثم قاتلَ محمداً وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن ، وفَتَكَ بهما[2] .

ومنذ أنْ قضى أبو جَعْفَرٍ على ثورة الحَسنيِّين ، انتهتِ المُراوَغةُ والمُهادنةُ بينَ العباسيين والعلويين ، واستطارتِ الفُرْقةُ والقطيعةُ بينهم[3] .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٥٣٩ ، وتاريخ الموصل ص : ١٨٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٣٠٦ ، ومقاتل الطالبيين ص : ٢١٨ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٣٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٢١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨١ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٥٣ ، وشذرات الذهب ١ : ٢١٣ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٤٩ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٢٦٨ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٧٥ ، والأخبار الطوال ص : ٣٨٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٥٥٢ ، ٦٦٢ ، وتاريخ الموصل ص : ١٨٧ ، ١٨٨ ومروج الذهب ٣ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ومقاتل الطالبيين ص : ٢٦٠ ، ٣١٥ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٣٧ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٤٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٢٩ ، ٥٦٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨٦ ، ٨٧ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٣ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٦١ ، وشذرات الذهب ١ : ٢١٣ .

(٣) مروج الذهب ٣ : ٣١٤ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٦١ .

الفصل الثالث

«الدَّعْوَةُ لِلْعَمَلِ بالكتابِ والسُّنَّةِ»



(١) تَشْهِيرُ العباسيِّينَ بمفاسدِ الأُمويِّين

تأَخَّرَ العباسيون في الدَّعْوَةِ للْعَملِ بالكتابِ والسُّنَّةِ . فإنهم لم يَرْفَعُوا هذا المبدأ إلاَّ في نهاية العُشْرِ الثاني من المائةِ الثانية ، بعدَ أن انْحَرَفَ خداشٌ عن مِنْهَاجِ الدَّعْوَةِ ، وخالَفَ تعاليم الإسلام[١] . ثم توَسَّعَ دُعَاتهم في نَشْرِهِ والتَّبْشير به في نهاية العُشْرِ الثالث من المائةِ الثانية ، ولم يَزَالُوا يَدْعُونَ إليه بعد إظهارِ الدَّعْوَةِ وإعْلَانِ الثَّوْرةِ[٢] . وكانوا قبلَ ذلك يُنَدِّدونَ بحكم الأُمويِّين ، ويتَّهمونهم بالظُّلْمِ ، ويَرْمُونهم بالخروج على الإسلام ، وكانوا يَعِدُونَ بالإصْلَاحِ ، ويُبَشِّرونَ بتحقيق العَدْلِ ، ويَرْبِطونَ ذلك بقيام الرِّضا من آل محمد وتَوَلِّيهِ الخلافةَ[٣] .

وكان من دُعاتهم مُتَكلِّمونَ مُتَخَصِّصونَ ، أحَاطُوا بمثالبِ الأمويين ومَساوئهم ، وعَرَفُوا مَنَاقِبَ الهاشميين ومحَاسنهم . فكانوا يدعون الناس بمُدن خراسان ، مُكَرِّهينَ إليهم الأمويين ، ومُؤَلِّبينَ لهم عليهم ، ومُحَبِّبينَ إليهم الهاشميين ، ومُزَيِّنين

---

(١) انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٢ .

(٢) انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٢ . ٢٨٧ . ٢٩٠ . ٢٩٢ .

(٣) الأخبار الطوال ص : ٣٣٣ . ٣٣٥ . وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٠ . وتاريخ الطبري ٧ : ٥٠ . والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٤ .

لهم اتِّباعَهم ، ومنهم القاسم بن مُجاشعٍ التميميُّ[1] ، وكان أحد النُّقباء ، وطَلْحة بن رُزيق مَوْلَى خزاعة[2] ، وكان أحدَ النُّقبَاء أيضاً ، ومُحْرِزُ بن إبراهيم الجُوباني المَرْوَزيُّ[3] ، وكان من مَجْلسِ السبعين ، ومُصْعَبُ بن قَيْسٍ الحَنفيُّ ، وكان من مَجْلسِ السبعين ، وكان داعيةً لِلْعَبيدِ خاصةً[4] . وكان بجانبهم متكلِّمونَ آخرونَ كثيرونَ لم يُسَمَّوْا بأسمائهم ، وقد اعتمد عليهم أبو مسلمٍ في بَثِّ الدَّعْوَةِ ، حينَ حَاصَرَ مَرْوَ الشَّاهجان ، قال مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية[5] : «أمَّرَ أبو مسلمٍ شِبْلَ بن طَهْمَان على مَرْو . وأمَرَ المُتَكَلِّمينَ من أصْحابِهِ أنْ يَدْخُلُوا مَرْوَ فَيَنشُرُوا أمْرَهُم ، ويَدْعُوا الناسَ إلى رأيهم ، ويَصِفوا ما هم عليه من اتِّباع السُّنَّةِ ، والعملِ بالحَقِّ ، فجعلوا يَدْخُلونَ ويتكلَّمونَ ، فأجابهم الناس إلى ذلك وجَعلوا يَخْرُجُونَ إلى أبي مسلمٍ ، وبلَغَ ذلك نَصْراً ، فوَهَنَ أمْرُهُ ، واستُخِفَّ به وبِعَامِلِهِ فيها» .

وقدألحَّ العباسيون ودُعاتهُم على التَّشْهيرِ بمُمارساتِ الأُمويِّين الفَاسدةِ ، وعلى إظهار أخطائهم فَصَوَّرُوهُم مُبْتَزِّينَ للخلافة ، مُخَالِفينَ للإسلام ، مُعَطِّلينَ لحدُودِهِ ، مُخْتَلقينَ لخَبيثِ السِّيَرِ ، مُحْدِثينَ للبدَعِ ، مُقْتَرفينَ للجَرائم ، مُرْتكِبينَ للآثام ، مُنْتَهكينَ لِلْمَحارِمِ ، مُعْتَدِينَ على الرَّعية . وكانوا يَبْتَغُونَ من ذلك التَّمييزَ بين سياستهم العَادلةِ التي كانوا يُبشِّرون بها ، وسياسة الأمويين الجائرة التي كان الناسُ يَشْكُونَ منها ، حتى يُقْنِعُوا الناس بإجابة دَعْوتهم ، والإنْتِظامِ فيها ، والانْتِصارِ لها ،

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٦٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٠ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٥٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٧٠

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨١ .

(٥) أخبار الدولة العباسية ص : ٣١٠ .

والذَّوْدِ عنها ، ويَدْفَعُوهم إلى مُنَاهضةِ الدولة الأُموية ، والوُثوبِ عليها ، والتَّطْويح بها .

وكان ذلك مُرادَهم وهَمَّهم في المَرْحلةِ السرِّية من دَعْوتهم ، وبعدَ إعْلانِ ثَوْرَتهم ، وأبْدأُوا فيه وأعادُوا بعدَ قيام دَوْلتهم ، فإنهم استكثروا من إبْرازِ تَجاوزِ الأمويين لِقَواعدِ الحُكْمِ الصَّالحِ في الإسلامِ ، واسْتبدادِهم بالأمورِ ، وتَسْخيرِهَا لمآربهم وشَهواتهم ، واستعبادهم للناس ، وبَغْيِهم عليهم ، وأسْهَبُوا في ذَمِّهم والقَدْحِ فيهم ، فقد أفاضَ أبو العباس في خطبتِهِ الأولى التي خطَبَها بالكوفة في وَصْفِ عُدْوانِ الأمويين وطُغْيانهم[١] ، ورجعَ إلى الحديث عن ذلك في خطبتِهِ الثانية التي ألقاها بعدَ قيامِهِ بأيامٍ بينَ الكوفةِ والحيرةِ ، إذ يقول فيها[٢] : «إنَّ أهْلَ بيتِ اللَّعْنَةِ كانوا عليكم عذاباً ، سَامُوكم الخَسْفَ ، ومَنَعوكم النَّصْفَ ، وأخَذُوا الجارَ منكم بالجار ، وسَلَّطُوا شِرارَكم على خِيارِكم . وقد مَحَا الله جَوْرَهم ، وأزْهَقَ باطِلهم ، وأصْلَحَ بأهلِ بَيْتِ نَبِيِّه ما أفْسَدوا منكم» .

وقال داود بن علي في خُطْبتِهِ بعد ظُهورِ ابي العباس ومبايعته بالكوفة[٣] : «لقد كانت أُمُورُكُم تُرْمِضُنا ونحن على فُرُشِنا ، ويَشْتَدُّ علينا سُوءُ سيرةِ بني أمية فيكم ، وخُرْقُهُمْ بكم ، واستِذْلالُهمْ لكم ، واسْتئثارُهُم بِفَيْئِكُمْ وصَدَقاتكم ومَغانمكم عليكم ، ..... ، تَبًّا تَبًّا لبني حَرْبِ بن أمية وبني مَرْوان ! آثروا في مُدَّتهم وعَصْرِهم

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٦ ، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ١٤٢ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٢ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤١ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٢٠ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٧ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٤١ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٢ ، وانظر العقد الفريد ٤ : ١٠١ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٤ .

العاجلةَ على الآجلة، والدارَ الفانيةَ على الدار الباقية، فركبوا الآثامَ، وظلَموا الأنامَ، وانتهكُوا المحارمَ، وغشُوا الجرائم، وجاروا في سيرَتهم في العباد، وسُنّتهم في البلاد، التي بها استَلذُّوا تَسَرْبُلَ الأوْزارِ، وتَجَلْبُبَ الآصار[1]، ومَرَحُوا في المعاصي، وركضوا في ميادينِ الغيِّ، جَهْلاً باسْتدراجِ الله، وأمْناً لمكْرِ الله، فأتاهُم بأسُ الله بياتاً وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث، ومُزِّقوا كلَّ مُمزَّقٍ، فبُعْداً لِلْقَوْمِ الظالمين، وأدالَنا الله من مروان، وقد غرَّه بالله الغَرُور، أرْسَلَ لِعَدُوِّ الله في عِنانِه، حتى عَثَرَ في فَضْلِ خِطامه، فظَنَّ عَدُوُّ اللهِ أنْ لن نَقْدِرَ عليه، فنادَى حِزْبَهُ، وجمعَ مكَايِدَهُ، ورَمَى بِكَتائبِهِ، فوَجَدَ أمامَهُ ووراءه وعن يَمِينِه وشِمالِهِ من مَكْرِ الله وبأسِهِ ونِقْمتِهِ ما أماتَ باطِلَهُ، ومَحَقَ ضَلالَهُ، وجَعَلَ دائرةَ السَّوْءِ به، وأحْيَا شَرَفنا وعِزَّنا، ورَدَّ إلينا حقَّنا وإرْثَنا».

وقال اليعقوبي[2]: لما دخَلَ عبدُ الله بن عليٍ دمشقَ، صار إلى المسجدِ الجامع، «فخَطبهم خُطْبَةً مَشْهورةً، يذكُرُ فيها بني أمية وجَوْرهُمْ وعَدَاوتهم، وأنهم اتَّخذوا دِينَ الله هُزُوًا ولَعِباً، ويَصِفُ ما استَحَلُّوا منَ المحارمِ والمظالمِ والمآثمِ، وما سارُوا به في أمَّةِ محمدٍ من تَعْطيلِ الأحكام، وازْدراءِ الحُدودِ والاسْتئثارِ بالفَيْءِ، وارتكابِ القَبيحِ، وانْتِقامِ الله منهم، وتَسْليطِ سيفِ الحقِّ عليهم».

وروى ابنُ عَبْدِ رَبِّهِ أنه خَطَبَ بالشام، بعد قَتْلِ مروان بن محمدٍ، فقال[3]: «ألم تَرَ إلى الذينَ بَدَّلُوا نِعْمةَ اللهِ كُفْراً وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ البَوارِ، جَهنَّمَ يَصْلَوْنَها وبِئسَ القَرار» (ابراهيم: ٢٨، ٢٩). نكصَ بكم يا أهلَ الشام آلُ حَرْبٍ وآلُ

---

(١) الآصار: جمع إصْر. وهو الذنب والعقوبة.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٥٦.

(٣) العقد الفريد ٤: ٩٧.

مَرْوانَ ، يتسكَّعُونَ بكم الظُّلْمَ ، ويتهوَّرونَ بكم مَدَاحِضَ الزَّلَقِ ، يَطَؤونَ بكم حرمَ اللهِ وحرمَ رَسُولِهِ ، ماذا يقولُ زُعماؤكم غداً؟ «رَبَّنا هؤلاءِ أضَلُّونا فآتِهِمْ عذاباً ضِعْفاً مِنَ النار» (الأعراف : ٣٨). إذاً يقول اللهُ عزَّ وجلَّ : «لِكُلٍّ ضِعْفٌ ولكنْ لا تَعْلَمُونَ» (الأعراف : ٣٨)».

وخَطَب عيسى بن علي بعد قَتْلِ مروان فقال [١] : «الحمدُ للهِ الذي لا يَفُوتُهُ مَنْ طَلَبَ ، ولا يُعْجِزُهُ مَنْ هَرَب . خَدَعَتْ واللهِ الأشْقَرَ نَفْسُهُ ، إذ ظَنَّ أنَّ اللهَ مُمهلُهُ ، «ويأْبَى اللهُ إلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ولو كَرِهَ الكَافِرُون» (التوبة : ٣٢). فحتى متى؟ وإلى مَتى؟ أمَا واللهِ لقد كَرِهتُمُ العِيدَانَ التي افْتَرَعُوهَا [٢] ، وأمْسكَتِ السماءُ دَرَّهَا [٣] ، والأرْضُ رَيْعَهَا [٤] ، وقَحَلَ [٥] الضَّرْعُ ، وجَفَرَ الفَنِيقُ [٦] ، وأسْمَلَ [٧] جِلْبابُ الدينِ ، وأبْطِلَتِ الحُدودُ ، وأُهْدِرتِ الدِّماءُ ، وكان رَبُّكَ بالمِرْصادِ ، «فَدَمْدَمَ [٨] عليهم رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِم فَسَوَّاهَا ، ولا يَخافُ عُقْباها» (الشمس : ١٤ ، ١٥)».

وقال ابو مسلم في خطبتِه بالمدينة في السنة التي حجَّ فيها [٩] : «إنَّ قَوْماً من

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٥ .

(٢) العيدان : أعواد المنابر . افْتَرَعُوهَا : اعتَلَوها .

(٣) دَرُّهَا : مطرها .

(٤) رَيْعُهَا : نماؤها .

(٥) قحَل : يَبِسَ جلدُهُ على لحمه .

(٦) جَفَر : انقطع عن الضراب ، وقَلَّ ماؤه . الفنيق : الفَحْلُ المُكْرَمُ من الابل ، المُودَعُ لِلْفِحلَةِ ، لا يُرْكَبُ ولا يُهانُ لكرامته عليهم .

(٧) أسْمَل : خلَقَ وبَلِي .

(٨) دَمْدَم عليهم : طحنهم فأهلكهم .

(٩) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٦١ .

بيتِ أهْلِ رَسُولِ الله ، صلى الله عليه ، جَاهدُوا على مِلَّةِ نَبيِّهِ وسُنَّتِهِ ، بعدَ عَصْرٍ مِنَ الزَّمان ، مَنْ عَمِلَ بطاعةِ الشيطانِ ، وعداوةِ الرحمن ، بين ظَهْرَانَيْ قوْمٍ آثَرُوا العاجلَ على الآجل ، والفانيَ على الباقي ، إنْ رُتِقَ جَوْرٌ فَتَقُوه ، وإنْ فُتِقَ حَقٌّ رَتَقُوهُ ، أهْلِ خُمورٍ ومَاخُورٍ ، وطَنابيرَ ومَزَاميرَ ، إنْ ذُكِّروا لم يَذكروا ، أوْ قُدِّمُوا إلى الحقِّ أدْبَرُوا ، وجَعلُوا الصَّدقَاتِ في الشُّبهَات ، والمغانمَ في المحارم ، والفَيءَ في الغيِّ ، هكذا كان زَمانُهم ، وبه كان يعمل سُلطانهم».

ولم يَزَلِ العباسيونَ يجرّحونَ الأمويينَ ويُهاجمونهم في أيام أبي العباس وأيام أبي جَعْفرٍ ، قال عيسى بن علي في خطبته التي نَعَى فيها أبا العباس[1] : «إنَّ خليفتكم عبد الله أبا العباس أمير المؤمنين ، رحمة الله عليه ، كان عبداً من عباد الله الذين كتبَ عليهم الموتَ ، ونقلَهم الى دار الثواب ، أكرمَهُ الله بخلافته ، وأحيَا به سُنَّةَ نَبيِّهِ ، ورَدَّ به حَقَّ أهْلِ هذا البيتِ اليهم ، حتى استَقَرَّ في مَقَرِّهِ ، وحَلَّ محلَّهُ ، وخرجَ من أيدي الفَجرةِ الظَّلَمة ، أهل بيت اللَّعْنَةِ ، الذينَ أخذوه اغْتِصاباً ، وظُلْماً وابْتِزَازاً ، بالتَّمْويهِ والشُّبهِ ، وادِّعاءِ الأباطيلِ».

وقال ابن جرير الطبري[2] : «حَجَّ المنصُورُ بعدَ بناءِ بغداد ، فقام خطيباً بمكة ، فكانَ مما حُفِظ من كلامه[3] : «ولقد كَتَبْنَا في الزَّبُورِ منْ بعدِ الذِّكْرِ أنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٨٦.

(٢) تاريخ الطبري ٨ : ٩١ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٢٨.

(٣) روى ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤ : ٩٩ : أنَّ الخطبة لسليمان بن علي ، ونَقَل عنه ذلك ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٦ ، وزاد عليه أنه خَطبهَا لمَّا قتل بني أمية بالبصرة. وروايةُ ابن جرير الطبري أقدم من رواية ابن عَبْدِ ربه ويَبْدُو أنَّ ابنَ عبد ربه وابن أبي الحديد قد وَهِمَا في نِسْبَةِ الخطبة إلى سليمان بن علي ، وهما يُخلِّطان في بعض ما يرويان من أخبار قتل العباسيين للأمويين ، وكان سليمان بن علي حليماً رفيقاً ، لم يَعْرِضْ لمن كان بالبصرة من بني أمية ، فلم يَسْلَمُوا في بلدٍ سلامتهم بالبصرة. (انظر أنساب الأشراف ٣ : ٩١).

عبادِيَ الصَّالحون» (الأنبياء : ١٠٥). أمْرٌ مُبْرمٌ ، وقَوْلٌ عَدْلٌ ، وقَضَاءٌ فَصْلٌ ، والحمدُ للهِ الذي أفْلَحَ حُجَّتَهُ ، وبُعْداً للقومِ الظَّالمين ، الذين اتَّخذوا الكعبةَ غَرَضاً ، والفَيْءَ إرْثاً ، وجَعَلُوا القرآنَ عِضينَ[1] ، لقد حاقَ بهم ما كانوا به يَسْتَهْزِئُونَ ، فكم تَرَى من بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وقَصْرٍ مَشيدٍ. أمْهَلَهُمُ اللهُ حتى بَدَّلُوا السُّنَّةَ ، واضْطَهَدُوا العِتْرَةَ[2] ،وعَنَدُوا واعْتَدوا ، واستكبروا ، وخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، ثم أخذهم ، فَهَلْ تُحِسُّ منهم من أحَدٍ أو تَسْمَعُ لهم رِكْزاً[3] ».

(١) عِضين : أي جَزَّأوه أجزاءً ، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، أو فَرَّقوا فيه القَوْلَ فقالوا شعرٌ وسحرٌ وكهانة.

(٢) العترة : أقرباء الرجل من وَلده وَوَلدِ وَلَدِه ، وبني عمه دِنْياً.

(٣) رِكْزاً : همساً.

(٢) رَفْعُ العباسيين لِمَبْدَأ العمل بالكتابِ والسُّنة

وكان شذوذُ خداشٍ عن قواعدِ الدَّعوة ، وخُرُوجهُ على حُدودِ الإسلامِ أقْوى الأسباب التي أدَّتْ إلى أنْ يتنبَّهَ العباسيون لأهميَّةِ الدَّعْوَةِ لِلْعمل بالكتابِ والسُّنةِ ، فتَنَصَّلَ الإمام محمد بنُ عليٍ من خِداشٍ ، وأنكرَ ما أظْهَرَ من دينِ الخُرَّميَّةِ[١] ، وألْزَمَ شيعَتَهُ العملَ بالكتابِ والسُّنَّةِ ، وأوْصَاهم أنْ يتمسَّكوا بهذا المَبْدإِ ، ويَرْفُضُوا كل ما يُناقِضُهُ ، مِمَّا قد يُنْسَبُ إليه أنه أحَلَّ الأخْذَ به ، وكتبَ اليهم بذلك كتاباً ، وأرْسَلَهُ إليهم معَ بكير بن ماهانَ سنةَ عشرين ومائةٍ[٢] ، فاسْتجابُوا له ، وأطاعوه ، ورَفَعُوا هذا المبدأ وبَشَّروا به.

وعندما ظَهَرَ أبو مسلمٍ بقرية سَفِينَذْنجَ على مقربةٍ من مَرْو الشاهجان في شَهْرِ رَمضَان سنةَ تِسْعٍ وعشرين ومائةٍ ، وكَثُرَ شيعتُهُ ، وثَقُلَ أمْرُهم على نَصْرِ بن سيَّارٍ ، وقَصَّرَ عن مُقارعتهم وهزيمتهم بالسَّيْفِ. لجأ إلى مُقَاوَمتِهم ومُنَاهَضَتهم بالأراجيفِ ، فجعل يَقْذِفهم بالمُروقِ من الدِّين ، والانْسِلاخِ من الإسلام ، ويَقْرِفُهم بالوَثَنِيَّةِ

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١١٨ . وتاريخ الطبري ٧ : ١٤١ . ١٤٢ . والبدء والتاريخ ٦ : ٦١ . والكامل في التاريخ ٥ : ٢١٨ . والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٦.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٢.

والمانَوِيَّةِ والمَزْدكيَّةِ ، ويشيعُ أنهم يَعْبُدونَ السَّنانيرَ والرُّؤوسَ ، ويُبيحُونَ المحارمَ ، ولا يؤمنون بالله ، ولا يُقيمونَ الصلاةَ ، ويزعم أنهم يريدون تَحْطيمَ الإسلام ، وتَدْميرَ العَرب[1] ، وأذاعَ ذلك في جُنْدِهِ وخَاصَّتِهِ ، فَصَدَّقُوهُ وتَنَاقَلُوهُ[2] . فأمرَ أبو مسلم المُتَكَلِّمينَ والدُّعاةَ من شيعةِ العباسِيِّينَ أنْ يَتَصَدَّوْا له ويَرُدُّوا عليه ، وأَمَرَهم أنْ يُؤَكِّدوا إيمانهم الراسخ بالكتاب والسُّنَّةِ ، فانْطَلَقُوا يجْهَرون بذلك جَهْراً ، ويَنْشُرونَهُ في الناسِ نَشْراً[3] .

وفي أثناء المُوادعةِ والمفاوضةِ بين أبي مسلمٍ ونَصْرٍ كان رُسُلُ نَصْرٍ يتَّهمونَ أبا مُسْلمٍ وشيعةَ العباسيين بأنهم كافرون مشركون[4] ، وكان رُسُلُ أبي مُسْلِمٍ يَنْفُونَ ذلك عن أنفسهم وإخوتهم ، ويذكرونَ أنهم مسلمون صالحون[5] ، ويقولون[6] : «إنَّا قَوْمٌ اللهُ رَبُّنا ، ومحمدٌ صلى الله عليه وسلَّم نَبِيُّنَا ، والكَعْبَةُ البَيْتُ الحرامُ قِبْلَتُنا ، والرِّضا من آل محمدٍ إمامُنَا ، نَدْعُوكُمْ إلى كتابِ الله وسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلَّم ، وإحْيَاءِ ما أحْيَا القُرْآنُ ، وإماتةِ ما أماتَ القرآنُ ، والرِّضا من آل محمدٍ» .

وأَوْشَكَ نَصْرٌ أنْ يُوقِعَ بأبي مسلمٍ وشيعةِ العباسيين بالأباطيل التي كان يُلْصِقُهَا بهم ، فَشَقَّ كَيْدُهُ عليهم ، فراحوا يتدبَّرونَ أمْرَهم ، ويُقدِّرونَ لردِّ التُّهَمِ التي نَسَبهَا

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٢ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦١ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣١٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٧ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٢ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٣١٠ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٢ ، ٢٩٠ .

(٥) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٢ .

(٦) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٧ .

إليهم ، فأجمعوا أن يُظهِرُوا مبادئهم ، فأظْهَرُوهَا بمُعَسْكَرهم ، وأخذوا عليها البَيْعةَ من شيعَتهم ، وكانَ منها العَملُ بالكتاب والسُّنةِ [1]. فكان لذلك أثرٌ كبيرٌ في نَقْضِ أضاليلِ نَصْرٍ وتَقْويضها ، وفي إقبال الناس على الدَّعْوَةِ ، وتَشبُّثهم بها .

ومنذ ذلك التاريخ جَدَّ أبو مسلمٍ في الدَّعْوَةِ للعملِ بالكتابِ والسُّنّةِ ، وأوْصَى دُعَاتَهُ أنْ يَصْدَعُوا بذلك ويُعْلنُوهُ بقوةٍ. وكانَ هذا المبدأُ من أهمِّ المبادئ التي دَعَا قَادَتُهُ إليها بعدَ أنْ اندلعَتِ الحربُ بين الجيوشِ العباسيةِ والجيوشِ الأموية ، فإنهم كانوا إذا وَصَلُوا مدينةً وأحَاطُوا بها ، يَعْرِضُونَ على أهْلِهَا البَيعَةَ على العملِ بالكتابِ والسُّنةِ ، مع البَيْعةِ للرِّضَا من آل محمدٍ ، فإنْ قَبِلُوا ذلك سَالَمُوهم ، ودَخَلُوا مدينَتَهُمْ طَوْعاً ، وإن امْتَنَعُوا منه ، نَاجَزُوهم واحْتَلُّوا مَدينَتَهُم كَرْهاً[2] .

وخَطَبَ قحطبةُ بن شبيبٍ الطائيُّ بعدَ أنْ عَبَرَ الفراتَ ، وهَزَمَ يزيدَ بن عمر بن هُبَيْرَةَ الفَزَاريَّ ، فَذَكَرَ في خطبتِهِ أنَّ غايةَ الثورةِ العباسية هي رَفْعُ الظُّلْمِ عن المُسْتَضْعفينَ ، وإشاعةُ العَدْلِ بينَ المسلمين ، إذ يقول[3] : «أيها الناسُ ، إنَّا واللهِ ما خَرَجْنَا إلاَّ لإقَامةِ الحَقِّ ، وإزالةِ دَوْلَةِ البَاطِلِ» .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٩٢.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٥ ، والأخبار الطوال ص : ٣٣٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٩٠ ، ٤٢١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٦ ، ٣٩٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٤.

(٣) شرح العبَّاسيينَ لمعنَى العمل بالكتاب والسُّنَّةِ

وتَحدَّثَ العباسيون عن العَملِ بالكتابِ والسُّنَّةِ بعد قيام دوْلَتهم ، وشَرَطُوا على أنفسهم أنْ يَلْزَمُوا هذا المبدأ ولا يَحيدُوا عنه في سياستهم ، وبَشَّرُوا الناس بالحُكْمِ القَويمِ والخيرِ العَميمِ ، فوَعَدُوهم باسْتِئْصالِ أنواعِ الظُّلْمِ ، وحَلِّ مُشْكلاتهم الماليةِ والاجتماعية ،وتَكَفَّلُوا بإنْصافهم والمساواة بينهم ، وتحقيقِ الحياةِ الكَريمةِ لهم ، ومَنُّوهم بالحِرْصِ عليهم ، والبُعْدِ عن كُلِّ ما يُؤْذِيهم ، قال أبو العباس في خطبته الأولى بالكوفة[1] : «إني لأَرْجُو ألاَّ يأتيكم الجَوْرُ من حيثُ أتاكُمُ الخيرُ، ولا الفسادُ من حيث جاءكُم الصَّلاحُ ، وما تَوْفِيقُنا أهل البيت إلاَّ بالله». وقال في خطبته الثانية بعد قيامهِ بأيامٍ بين الكوفة والحيرة[2] : «نَحْنُ مُتَعهِّدوكم بالأعْطيةِ والصَّدقة والمعروفِ ، غيرُ مُجَمِّرينَ لكم بَعْثاً ، ولا رَاكبينَ بكم خَطراً».

وقال داود بن علي في خطبته بعد ظُهورِ أبي العباس ومبايَعتِهِ بالكوفة[3] : «لكم ذِمَّةُ اللهِ تباركَ وتعالى ، وذِمَّةُ رَسُولِهِ صلى الله عليه وآلِهِ ، وذِمَّةُ العباسِ رحمَهُ الله ،

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٦ . وانظر أنساب الأشراف ٣ : ١٤٢ . والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤١.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٤١ . وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٨ . والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٤ . وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٤ . والبداية والنهاية ١٠ : ٤١.

أَنْ نَحْكُمَ فيكم بما أنزلَ اللهُ، ونَعْمَلَ فيكم بكتابِ الله، ونسير في العَامَّةِ منكم والخاصةِ بسيرةِ رسول الله صلىٰ اللهُ عليه وسلَّم». وقال في خطبتِه بمكة لما قدم والياً عليها[1] : «والله ما قُمْنا إلاَّ لإحياء الكتابِ والسُّنة، والعَملِ بالحَقِّ والعَدْلِ، وربِّ هذه البِنْيَةِ، وَوَضَعَ يده على الكعبة، لا نهيجُ منكم أحداً، إلاَّ أنْ يُحْدِثَ بعدَ يَوْمِهِ هذا حَدَثاً. أمِنَ الأَسْود والأبيضُ ممن لم يأت بعدَ هذا اليوم سُوءاً، ولم يُحاوِلْ لأمْرنا نَقْضاً، ولا علَينا بَغْياً. ما بالُ الوُحوشِ والطَّيْرِ تأْمَن في حَرَمِ الله، ويَخافُ من أَمَّناهُ على سالفِ ما كان منه»؟

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٨٧.

(٤) استئثارُ العباسيِّين بتمثيلِ الإسلام والمسلمين

وصَرَّحَ أبو العباس في خطبتِه الأولى بالكوفةِ أنَّ العباسيين هم مَهْدُ النُّبوَّةِ، ومَوْطِنُ الرِّسالةِ، ومَهْبطُ الوَحْي، ومَنْزِلُ القرآن، وحَمَلَةُ الدين، وأعلامُ الإسلام، ومَنائرُ الحقِّ، وأهْلُ العَدْلِ، وأصحابُ الوَرعِ، وأربابُ الرَّحْمة، إذ يقول[1]: الحمدُ للهِ الذي اصطَفى الإسلامَ لِنَفْسِهِ، فكَرَّمَهُ وشَرَّفَهُ وعَظَّمَهُ، واخْتارَهُ لنا، وأيَّدَهُ بنا، وجَعَلَنا أهْلَهُ وكَهْفَهُ وحِصْنَهُ، والقُوَّامَ بِهِ، والذَّابِّينَ عنه، والنَّاصرينَ له، وألْزَمَنا كَلمةَ التَّقْوى، وجَعَلَنا أحَقَّ بها وأهْلَها، وخصَّنا بِرَحِمِ رسول الله، صلى اللهُ عليه وسلم، وقَرابَتِهِ، وأنْشأنا من آبائِهِ، وأنْبَتَنا من شَجَرَتِهِ، واشْتَقَّنا من نَبْعَتِهِ، جَعَلَهُ من أنْفسِنا، عَزيزاً عليه ما عَنِتْنا، حَريصاً علينا بالمؤمنين رَؤُوفاً رَحِيماً، وَوَضَعنا من الإسلامِ وأهلِهِ بالمَوْضِعِ الرفيعِ، وأنْزَلَ بذلك على أهلِ الإسلامِ كتاباً يُتْلَى عليهم، فقال عَزَّ مِنْ قائلٍ فيما أنزلَ من مُحْكَمِ القرآن: «إنَّما يريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً» (الأحزاب: ٣٣)، وقال: «قُلْ لا أسألُكُمْ عليه أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ في القُرْبَى» (الشورى: ٢٣)، وقال: «وأنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأقْرَبينَ» (الشعراء: ٢١٤)، وقال: «ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٤٢٥، وأنظر أنساب الأشراف ٣: ١٤١، والعيون والحدائق ٣: ١٩٩، والكامل في التاريخ ٥: ٤١١، وشرح نهج البلاغة ٧: ١٥٤، والبداية والنهاية ١٠: ٤٠، والنجوم الزاهرة ١: ٣٢٠، وتاريخ الخلفاء ص: ٢٥٧.

أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ ولِلرَّسُولِ ولذي القُرْبَى واليَتامى » (الحشر : ٧) ، وقال : « واعلَمُوا أَنَّ ما غَنِمتُمْ مِنْ شيءٍ فإِنَّ للهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ ولِذي القُرْبَى واليَتامَى » (الأنفال : ٤١) . فأعْلَمهم جَلَّ ثَناؤُهُ فَضْلَنا ، وأَوْجَبَ عليهم حَقَّنا ومَوَدَّتنا ، وأجْزَلَ من الفَيْءِ والغَنيمةِ نَصِيبَنَا ، تَكْرِمةً لنا ، وفَضْلاً علينا ، واللهُ ذو الفَضْلِ العظيم » .

فَقَدَّمَ العباسيين على المسلمين كافةً في العِلْمِ بالإسلام ، والفَهْمِ له ، والعَمَلِ به ، لأنهم مَصْدَرُهُ وأَصْلُهُ ، وحَفَظَتُهُ وأهْلُهُ ، وَمنْبَعُهُ ومَعْقِلُهُ ، ومَوْرِدُهُ ومَوْئِلُهُ ، كما قَدَّمهم من قَبْلُ هو وأخُوهُ ابو جَعْفرٍ وعَمُّه دَاوُد ، وأَمينُهم أبو مسلمٍ على العَلَويِّينَ في وراثة الرَّسولِ الكريمِ ، لِقَرابتهم القَريبةِ منه ، وهي قرابةٌ تَفْضُلُ غيرها من القراباتِ ، وتَرِثُ الإمامةَ ، وتَحُوزُ الخلافةَ !

ثم قَرَّرَ أبو جَعْفرٍ المنصورُ أنَّ الخليفة هو ظِلُّ الله في الأرضِ ، وَوَلِيُّهُ في البلادِ ، وَوَصِيُّهُ على العباد ، لأنه يملك بقضائِهِ واختيارِهِ ، ويَحْكُمُ بتأييدِهِ وتَقْديرِهِ ، إذ يَقُولُ في خُطْبةٍ لَهُ[١] : « أيها الناس ، إنَّما أنا سلطانُ اللهِ في أَرْضِهِ ، أَسُوسُكم بتَوْفيقِهِ وتَسْديدِهِ ، وأنا خازِنُهُ على فَيْئِهِ ، أَعْمَلُ بمَشيئتِهِ ، وأَقْسِمُهُ بإِرَادَتِهِ ، وأُعْطِيهِ بإِذْنِهِ ، قد جَعَلني اللهُ عليه قُفْلاً ، إذا شاءَ أنْ يَفْتَحني لأَعْطياتكم وقَسْمِ فَيْئكم وأَرْزاقكم فتحَني ، وإذا شاءَ أن يَقْفلني قَفَلني . فارْغَبُوا إلى اللهِ أيها الناسُ ، وسَلُوهُ في هذا اليومِ الشريفِ الذي وَهَبَ لكم فيه مِنْ فَضْلِهِ ما أعْلمكم به في كتابهِ ، إذ يقولُ تباركَ وتعالى : « اليومَ أَكْمَلْتُ لكم دينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عليكُمْ نِعْمتي ورَضِيتُ لكم الإسلامَ ديناً » (المائدة : ٣) أنْ يُوَفِّقني لِلصَّوابِ ، ويُسَدِّدني للرَّشادِ ، ويُلْهِمَني الرَّأفةَ بكم والإحسان إليكم ، ويَفْتَحني لأَعْطياتكم وقَسْمِ أَرْزاقكم بالعَدْلِ عليكم ، إنه سميعٌ قريبٌ » .

---

(١) تاريخ الطبري ٨ : ٨٩ . وانظر عيون الأخبار ٢ : ٢٥١ . والعقد الفريد ٤ : ٩٩ .

(٥) خلاصة وتعقيبٌ

وهكذا أطْلَقَ العباسيون الدعوة للعملِ بالكتابِ والسُّنَّةِ إطْلاقاً، وأَرْسَلُوهَا في المَرْحلةِ السرِّيةِ من دَعْوتهم إرْسالاً، دُونَ تَقْييدٍ لها أو تَعْيينٍ لمن يَسْتَطيعون القِيامَ بها حتى يَسْتَقْطِبُوا الناسَ إلى دَعْوتهم، ويَجْتَذِبُوهُم إلى صُفوفِ شيعتهم.

فلما ابْتدأَتْ دولتهم، شرَحُوا مَعْنَى العَملِ بالكتابِ والسُّنَّةِ، ورَسَمُوا أبْعَادَهُ، ووَضَّحوا أهْدَافَهُ، وَسَمَّوْا أصْحابَهُ، فقد ذكروا أنه يَدُلُّ على الأحكامِ والأصول التي وَرَدت في الذِّكْرِ الحَكيم وفي الحديثِ الشريفِ، وأَنَّ غايَتهم مِنَ الالْتِزامِ لها تَتَمثَّل في حِرْصِهم على تَطْبيقِ الإسلام، ومَحْقِ الظُّلْمِ، السِّياسي والاجتماعيِّ والاقتصاديِّ، وإحْقاقِ الحقِّ، ونَشْرِ العَدْل، وبَسْط الخَيْرِ على جميعِ المسلمين، وأنهم أقْدَرُ الناس على القيام بذلك. لأنهم أبْصَرَ من غيرهم بِرُوحِ الإسلام وقواعده، وأعْرَفُ بمراميه ومَقَاصِده.

ثم زَعَمُوا بعدَ أن استَقَرَّ سُلْطَانُهُم أنهم تَقَلَّدُوا الخِلاَفَةَ بأمْرِ اللهِ ومَشيئتِهِ، وأنهم يَسُوسُونَ الناسَ بِتَوْفيقِهِ وهِدَايتِهِ، فَعَادُوا إلى مَذْهبِ الجَبْرِ في المُلْكِ، ونَظريَّةِ

التَّفْويضِ الإلَهيِّ في الحُكْمِ ، وضَارَعُوا الأمويين في ذلك[1] ! بل إنَّ أبا جَعْفرٍ نَقَلَ أكثرَ ما جاء في خطبته التي قَرَّرَ فيها تلك المعاني من خطبة زيادِ بن أبيهِ بالبصرة[2] ! ! ولكنهم اعتمدوا على الدِّينِ ، واتَّخذُوهُ وسيلةً إلى تَثْبيتِ حُكْمِهم ، فَقَرَّبُوا الفُقَهاء ، واسْتَشارُوهم ، وَصَدرُوا عن رَأْيهم في حَلِّ كثيرٍ من مُشْكلاتِ الدَّوْلَةِ ، والْتزمُوا العَمَلَ بالكتابِ والسُّنَّةِ[3] . فقال ابن الطقطقي[4] : «اعلم أنَّ هذه دولة من كبار الدُّوَلِ ، سَاسَتِ العالمَ سياسةً مَمْزُوجةً بالدِّينِ والمُلْكِ ، فكان أخْيَارُ الناس وصُلحاؤهم يُطيعونها تَدَيُّناً ، والباقونَ يُطيعونَها رَهْبَةً أو رَغْبَةً» .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابي الوليد بن يزيد عَرْض ونقد ص : ٣٧٠ـــ ٣٨٢ .

(٢) انظر خطبة زياد في البيان والتبيين ٢ : ٤٩ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٤١ ، وانساب الأشراف ٤ : ١ : ١٨٠ . وتاريخ الطبري ٥ : ٢٢٠ . والعقد الفريد ٤ : ١١٢ . وذيل الأمالي والنوادر ص : ١٨٥ . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٤١٥ . والكامل في التاريخ ٣ : ٤٤٧ . وشرح نهج البلاغة ١٦ : ٢٠١ . وجمهرة خطب العرب ٢ : ٢٦٠ .

(٣) العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٤٣ ، والعباسيون الأوائل ٢ : ٧٥ .

(٤) الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٣ .

الفصل الرابع

«التَّبشيرُ بالمَهْدِيِّ المُنْتَظَرِ»



(١) أسبابُ التَّعلُّقِ بالمَهْدِيِّ المُنْتَظر

اضطربَ الأمرُ في آخرِ أيامِ الدولةِ الأموية، لاحْتدامِ العَصَبيَّةِ القَبليَّةِ، واسْتِفحَالِ المُنافسةِ السياسية، واشْتِعالِ الفتن والحروب الأهْليَّةِ، واتّصالِ ثورات الخوارجِ والشيعةِ، وتَفرُّقِ كَلمةِ الأمويين، وتَنَازُعهم في الملك، وقَتْلِ بَعْضِهم لبَعْضٍ.

وقد بقيت قصائدُ معدودةٌ لشعراء من الامويين وأنْصارهم، نَظَمُوهَا في زمنِ الوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، ومروان بن محمدٍ. وهي وثائقُ مُهمَّةٌ، لأنهم صَوَّروا فيها تَرَدِّيَ الأحوالِ في الأمصارِ المختلفةِ، وما شاعَ بين القبائلِ مِنْ تَصَدُّعٍ وتَقَطُّعٍ، وتَنابُذٍ وتَطَاحُنٍ، وما فَشا بين الأمويين مِنْ تَفَسُّخٍ وتَفكُّكٍ، وتَصَارُعٍ وتَنَاحُرٍ، وما تَغَلْغَلَ في نُفُوسِ الناسِ مِنْ بُغْضٍ لهم، واسْتِثْقَالٍ لِعَهْدِهِم، وما أخذَ يَظْهَرُ مِنْ قُرْبِ انْهيارهِم، ودُنُوِّ سُقُوطهم. منها قصيدةٌ للحارث بن عبد الله بن الحَشْرج الجَعْديِّ القَيْسيِّ، هَتَفَ بها بعدَ أنْ تفَاقَمَ الخِلَافُ بين اليمانيةِ والرَّبعية والمُضَريَّةِ بخراسان، واسْتَطَارَ الشرُّ بينهم، وجَعَلَ كل فريقٍ منهم يُفْني الآخر، في وِلَايةِ نَصْرِ بن سَيَّارٍ اللَّيْثي. وهو يَسْأَلهم فيها أَنْ يتَآلفوا وَيتَّحدُوا، ويَنْسَوا الإحَنَ والأحْقادِ القديمة، ويُبَصِّرُهُم بِعَوَاقِبِ تَمزُّقهم واحْتِرَابهم، ويُحَذِّرُهم الخطرَ

الدَّاهِمَ ، الذي جَعَلَ يُطْبِقُ عليهم ، ويُهدِّدُ وُجُودَهم ومَصِيرَهم ، ويُنْذِرُ بتَدَاعي دَوْلتهم ، ويُعْرِبُ عَنْ خشيتِهِ مِنْ ضَعْفِ الإسلام ، فإنه يقول[1] :

أبِيتُ أرْعَى النُّجومَ مُرْتَفِقاً إذا استَقَلَّتْ تَجْري أوَائِلُهَا[2]
مِنْ فِتْنَةٍ أصْبَحَتْ مُجَلِّلةً قَدْ عَمَّ أهْلَ الصَّلاةِ شَامِلُهَا[3]
مَنْ بخراسانَ والعِرَاقِ ومَنْ بالشَّامِ كُلٌّ شَجَاهُ شَاغِلُهَا
فالنَّاسُ منها في لَوْنِ مُظْلِمةٍ دَهْمَاءَ مُلْتَجَّةٍ غَيَاطِلُهَا[4]
يُمْسي السَّفيهُ الذي يُعَنَّفُ بالجَهْلِ سواءً فيها وَعَاقِلُهَا
والناسُ في كُرْبَةٍ يَكَادُ لهَا تَنْبِذُ أولادَهَا حَوَامِلُهَا[5]
يَغْدُونَ منها في ظِلِّ مُبْهَمَةٍ عمياءَ تَغْتَالُهم غَوَائِلُهَا[6]

ومنها قصيدةٌ للمفضَّلِ بن خالدٍ السُّلَميِّ القَيْسيِّ، أذاعَهَا في تلك الأزمةِ بخراسان. وهو يُعْلِنُ فيها أنه اشار على اليمانية أنْ يكفوا عن التَّمرُّدِ والشَّغبِ والتَّصَدِّي لِلْمُضَرِيَّة ، ويَمْتَنِعُوا من مُتابعةِ زعيمهم جُدَيعٍ بن علي الكِرْماني ، فإنه مُتَهوِّرٌ لا يُبَالي ما أقدمَ عليه ، فلم يَعْتَبِروا بِقَوْلِهِ ، بل مَضَوْا يتحدَّونَ المُضَرِيَّةَ ، ويُحَارِبونهم ، ويُفْحِشُونَ في الرَّدِّ على كُلِّ مَنْ نَصَحهم ، ثم يُخَوِّفهم الهَلاكَ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٢٨٦.

(٢) المُرْتَفِقُ : المتَّكِئُ على مرفقه. استقلت : تحركت وسارت.

(٣) المجللة : العامة.

(٤) الدهماء : الفتنة السوداء المظلمة. الغياطل : جمع غَيْطلة . وهي الظلمة المتراكبة. المُلْتجة : الشديدة الكثيفة.

(٥) تنبذ : تطرح وترمي.

(٦) المبهمة : المعضلة المستغلقة لا مأْتى لها ولا مَخْرَج منها.

والدَّمار ، فإنَّ العَدُوَّ يترصَّدُ لهم ، ولأَخْلَافِهِم من الرَّبعية ، وخُصُومهم من المُضَرِيَّةِ ، بل إنه قد أحاطَ بهم ، وجَعَلَ يَنْتَظِرُ الفُرَصَ فيهم ، فإذا أمْكنته أبادَهم ، ولم يَتْرُك أحداً منهم ، إذ يقول[1] :

قَدْ قُلْتُ للأزْدِ قَوْلاً ما أَلَوْتُ به ... نُصْحاً وأَعَدْتُ القَوْلَ لَوْ نَفَعَا
يا مَعْشَرَ الأزْدِ إني قد نَصَحْتُ لكم ... فلا تُطِيعوا جديعاً أيَّما صَنَعَا
فما تَنَاهَوْا ولا زَادَتْهُمُ عِظَةٌ ... إلاَّ لَجاجاً وقالوا الهُجْرَ والقَذَعَا[2]
يا مَعْشَرَ الأزْدِ مَهْلاً قد أظَلَّكُمُ ... ما لا يُطَاقُ له دَفْعٌ إذا وَقَعَا

ومنها قصيدةٌ للعباسِ بن الوليد بن عبد الملك ، صاغَهَا حين علم أَنَّ أخاه يزيد بن الوليد يتربَّصُ بابن عمه الوليد بن يزيد ، ويَسْعَى في خَلْعِهِ . وهو يَنْهَى فيها قَوْمَهُ عن الفُرْقةِ ، ويَدْعُوهم إلى الوَحْدةِ ، ويسألهم أنْ يتأسوا بالأمويين الأوائل ، أهلِ الوَرعِ والتَقْوَى ، والقُوَّةِ والبَأْسِ ، والعَزْمِ والحَزْم ، الذين أحْسَنُوا السِّيرةَ ، فاسْتَتَبَّ مُلكُهم ، وانقادَ الناس لهم ، فإنهم إنْ فَعلوا ذلك حَموا دولتهم ، وصَانُوا عِزَّتهم ، ويُذكِّرُهُم أنَّ الناسَ زَهدُوا في خلافتهم ، وسَئِمُوا سِيَاستهم ، وأنه لا بقاءَ لهم إلاَّ إذا اسْتَقامُوا ، فإن الناس لا يَصلُحون إلاَّ إذا صَلَحَ القَوَّامون عليهم ، إذ يقول[3] :

يا قَوْمَنَا لا تَمَلُّوا نِعْمَةً لكمُ ... إنَّ الإلهَ لكم فيما مَضَى صَنَعُ[4]

---

(١) معجم الشعراء ص : ٢٩٨ .

(٢) اللجاج : التمادي في الشر . الهُجْر : القبيح من القول . القذع : الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧٢ ، وأنساب الأشراف المخطوط ٢ : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٣٩ ، والأغاني ٧ : ٧٥ ، ومعجم الشعراء ص : ١٠٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٩ .

(٤) الصَّنَع : الحاذق الماهر ، ولعله يريد أن الله أكرمهم وتَوَلاَّهم برحمته وهدايته .

فأنتمُ اليومَ أهْلُ المُلْكِ مُذْ حِقَبٍ وأهْلُ دُنيا ودينٍ ما به طَمَعُ
فانفُوا عَدُوَّكم عن نَحْتِ أثْلَتِكُمْ واستَجْمِعُوا إنَّ أمرَ الدِّينِ مُجْتَمعُ(1)
قُومُوا عليه كما قامَ الأُولَى نُصِرُوا حتى تَوَلَّوْا وما خافوا وما جَزِعُوا
إنَّ الكبيرَ عليكم في وِلاَيَتِكُمْ أنْ تُصْبِحُوا وعَمُودُ الدين مُنْصَدِعُ
لا تُلْحِمُنَّ ذئابَ الناسِ أنْفُسَكم إنَّ الذئابَ إذا ما أُلْحِمَتْ رَتَعُوا(2)
لا تَبْقُرُنَّ بأيْديكم بُطُونَكُمْ فَثَمَّ لا حَسْرَةٌ تُغْني ولا جَزَعُ
إني أُعيذكم باللهِ من فِتَنٍ مِثْلِ الجِبَالِ تَسَامَى ثم تَنْدَفِعُ
لَسْتُم كمن كان قَبْلَ اليوم يُسْعِرُها بالمَشْرَفِيَّةِ بيضاً حين تُنْتَزَعُ(3)
والسَّمْهَرِيَّةِ مَطْرُورٍ أسِنَّتُهَا وحَوْمَةَ الموتِ تَغْلي وِرْدُهَا شَرَعُ(4)
إنَّ البَرِيَّةَ قَدْ مَلَّتْ وِلاَيَتكُمْ فاستَمْسِكوا بِعَمُودِ الدِّين وارْتَدِعُوا
فَلَنْ تزالوا رُؤوسَ الناسِ ما صَلَحُوا وما شَكَرْتُم وأضْحَى العَهْدُ يُتَّبَعُ

ومنها قصيدةٌ لعبد الله بن عمر العَبْليِّ العَبْشَميِّ، نَظَمَها بعدَ أنْ صَرَعَ يزيدُ بن الوليد ابنَ عَمِّهِ الوليدَ بن يزيد، وانْتَزَعَ مروانُ بن محمدٍ الخلافَةَ من إبراهيم بن الوليد، وقاتَلَهُ عليها نفَرٌ من الأُمَرَاءِ الأمويين. وهو يَتَألَّمُ فيها لِما آلَ إليه قومُهُ مِنْ تَنَافرٍ وتَدَابُرٍ، وتَعْويلٍ عَلَى السُّيوفِ والرِّماح في حَلِّ ما يَنْشأُ بينهم مِنْ خُصُوماتٍ ومشاحَنَاتٍ، ويُناشِدُهم أنْ يُمْسِكُوا عن التباغُضِ والتَّصادُمِ وإراقةِ دمائهم

(1) نَحَتَ: نَشَرَ وقَطع. الأثلة من كل شيء: أصله، ويقال: فلان ينحت أثلتنا: إذا قال في حَسبه قبيحاً.

(2) ألحم: أطعم اللحم. رتع: نَعِمَ وَلَهَا.

(3) المشرفية: السيوف المنسوبة إلى المشارف، وهي قرًى من أرض اليمن.

(4) السمهرية: جمع سمهري، وهو الرمح الصليب العود، ينسب إلى رجل اسمه سمهر، كان يبيعُ الرِّماح بالخَطِّ في سيف البحرين وعمان. المطرورة: المحددة المسنونة. شرع: مفتوحٌ مبذول.

بأَيْديهم ، واغتِيالِ أحَدِهم للآخر ، ويُهيبُ بهم أنْ يَحْتكِموا إلى العَقْلِ حتى لا يُفْنوا أنْفُسهم ، فهم أهْلُ الرِّياسة والسِّياسةِ والرَّصانةِ والسَّماحة ، وهم أُولو ماضٍ مُشْرِقٍ ، ومَجْدٍ عَريقٍ ، فخليقٌ بهم أنْ يَتَوادَعُوا ويتَصافوا ، ويتَضامنوا ويتكاتَفُوا ، لكي يَحْفَظوا سُلطانَهم من الزَّوال . ويُصَرِّحُ أنه رَجَا مَرْوَانَ بن محمدٍ أنْ يسْعَى في رأْبِ الصَّدْعِ بينهم ، ويستعين بكرامهم وأهل الفَضْل منهم . ويتمنَّى على الله أنْ يَعْصِمهم من الفَناءِ ، ويُثَبِّتَ مُلكَهم ، فهم عامةً أضْخَمُ الناس عِزًّا وشَرَفاً ، وسَادَتُهُمْ خاصةً أعْظَمُ الرِّجالِ حِكْمةً وحُنْكَةً ، إذ يقول[1] :

ما بالُ عَيْنِكَ جَائلاً أقْذَاؤُهَا ... شَرِقَتْ بِعَبْرَتِهَا وطَالَ بُكَاؤُهَا[2]
ذَكَرَتْ عَشيرَتَها وفُرْقَةَ بَيْنِهَا ... فَطَوَتْ لذلكَ غُلَّةً أحْشَاؤهَا[3]
واعْتَادَهَا ذِكْرُ العشيرةِ بالأسَى ... فَصَباحُهَا نابٍ بها ومَسَاؤها
شَرِكُوا العِدَا في أمْرِهم فتَفاقَمَتْ ... منها الفُتُوقُ وفُرِّقَتْ أهْوَاؤُهَا[4]
ظَلَّتْ هناكَ وما يُعاتِبُ بَعْضُهَا ... بَعْضاً فيَنْفع ذا الرَّجاءِ رَجَاؤُهَا
إلا بمُرْهَفَةَ الظُّباتِ كأنَّها ... شُهُبٌ تَقِلُّ إذا هَوَتْ أخْطاؤهَا[5]

---

(١) الأغاني ١١ : ٣٠٧.

(٢) الجائل : المُتَرَدِّد. القَذَى : ما يقع في العين من ترابٍ أو تِبْنٍ أو وَسَخٍ ، وما ترمي به. شرقت عينه بالدَّمع : مجاز وأصله من شرق بالريق وبالماء أي غصَّ به.

(٣) البين هنا : الوصلُ والالتحامات والمودّات. طوت هنا : فعل لازم بمعنى انطوت. والغلة هنا : حرارة الحزن ، أي : فانطوت أحشاؤها لذلك على غلةٍ من الحزن.

(٤) الفتوق : جمع فتق ، وهو الشق والصدع.

(٥) مرهفة الظبات : السيوف الرقيقة الحادة.

وبِعُسَّلٍ زُرْقٍ يكونُ خِضَابُهَا عَلَقَ النُّحورِ إذا تَفِيضُ دِمَاؤُهَا(١)
فَبِذاكُمُ أَمْسَتْ تَعَاتَبُ بينَها فَلَقَدْ خَشِيتُ بأنْ يُحَمَّ قَضَاؤُهَا(٢)
ماذا أُؤَمِّلُ إنْ أميَّةُ وَدَّعَتْ وبقاءُ سُكَّانِ البلادِ بَقَاؤُهَا
أَهْلُ الرِّياسةِ والسِّياسةِ والنَّدَى وأُسُودُ حَرْبٍ لا يَخيمُ لِقَاؤُهَا(٣)
غيثُ البلادِ هُمُ وَهُمْ أمراؤُهَا سُرُجٌ يُضِيءُ دُجَى الظَّلامِ ضِياؤُهَا
فَلَئِنْ أُميَّةُ وَدَّعَتْ وتَتَابَعَتْ لِغَوايةٍ حَمِيَتْ لها خُلَفَاؤُهَا(٤)
لَيُوَدِّعَنَّ مِنَ البَرِيَّةِ عِزُّهَا ومِنَ البلادِ جَمَالُهَا ورَجاؤُهَا
ومِنَ البَلِيَّةِ إنْ بَقِيتَ خِلافَهم فَرْداً تَهيجُكَ دُورُهُمْ وخَلاؤُهَا
لَهَفِي عَلَى حَرْبِ العشيرةِ بينَهَا هَلاَّ نَهَى جُهَّالَهَا حُلَمَاؤُهَا
هَلاَّ نُهًى تَنْهَى الغَوِيَّ عَنِ التي يُخْشَى على سُلْطَانِها غَوْغاؤُهَا(٥)
وتُقًى وأَحْلاَمٌ لها مُضَرِيَّةٌ فيها إذا تَدْمَى الكُلُومُ دَوَاؤُهَا
لمَّا رَأَيْتُ الحربَ تُوقَدُ بينَهَا ويَشُبُّ نارَ وَقُودِها إذْكَاؤُهَا(٦)
نَوَّهْتُ بالمَلِكِ المُهَيمنِ دَعْوَةً ورواحُ نَفْسي في البلادِ دُعَاؤُهَا(٧)
لِيَرُدَّ أُلْفَتَهَا ويَجْمَعَ أَمْرَهَا بخيارِهَا فَخِيارُهَا رُحَمَاؤُهَا

---

(١) العُسَّل: جمع عَسُول، وهو الرُّمحُ اللَّدْنُ المضطرب الشديدُ الاهتزاز. الزُّرْق: الصافية. العَلَق: الدم الجامدُ الغليظُ، واحِدُهُ عَلَقة، وهي القطعة منه.

(٢) يحم: يُقْضَى.

(٣) خام في الحرب: نكص وَجَبن، فلم يَظفَرْ بخير.

(٤) تتابعت: أسرعت في الشر.

(٥) النُّهى: جَمْعُ نُهْيَة، وهي العقل، ويقال: يكون واحداً وجمعاً.

(٦) الوَقود: الحَطب. وإذكاءُ النار: رَفْعُهَا بعدَ إشعالها.

(٧) الرَّواح: الارتياح.

(٨) حبا: أعْطَى.

فأجابَ رَبِّي في أميَّةَ دَعْوَتي وَحَمى أُميَّةَ أنْ يُهدَّ بِنَاؤُهَا
وحَبَا أُمِيَّةَ بالخِلافةِ إنَّهم نُورُ البِلادِ وزَيْنُهَا وبَهاؤُهَا
فَبنُو أُميَّةَ خيْرُ مَنْ وَطِئ الثَّرَى شَرفاً وأفْضَلُ ساسة أُمرَاؤُهَا

وهذه صورةٌ مُظْلمةٌ استَقرَّتْ عليها الأحْوَالُ في آخرِ العُشْرِ الثالث من القَرْنِ الثاني ، وهي صُورةٌ إطارُهَا الفَسادُ والانْحِرافُ ، وزَواياها التَّفَرُّقُ والانحِلَالُ ، وخُطُوطُهَا التَّدهْوُرُ والانْحِطاط ، وألْوانُهَا الهَوَاجِسُ والوَساوِسُ ، وظِلَالُهَا الفَزَعُ والذُّعْرُ!

ومن أجْلِ ذلك مَلَّ النَّاسُ الأُمويِّينَ ، وكَرِهُوا حُكْمَهم ، واستَثْقَلُوا أيَّامَهم ، واستَبْطَأُوا زَوالَهم ، واستَعْجَلُوا نهايَتَهم ، وغَلبَ عليهم الحُزْنُ ، وسَيْطَرَ عليهم التَّشاؤُمُ ، وتمكَّنَ منهم القُنُوطُ ، واعْتراهُم الوَهَنُ ، وتَعَمَّقَهم الإحساس بالضَّياعِ ، واسْتَبدَّ بهم الخوفُ على الإسلام.

ومن أجلِ ذلك أيضاً أخذوا يَتطَلَّعُونَ إلى المُنْقِذِ الذي يُخَلِّصُهُمْ من البَلاءِ الدائمِ ، ويُنَجِّيهم من الشَّقاء المُقيم. وكان المَهْدِيُّ المُنْتَظَرُ هو ذلك المُنْقِذُ الذي يَحْلُمونَ به ، ويَتَوَقَّعُون خُرُوجَهُ ، ويتشوَّقُونَ إلى رُؤْيَتِهِ . ويَرْجُونَ قِيامَهُ ، ويَتَرَقَّبُونَ حُكْمَهُ ، ويَعْقِدُونَ عليهم أمَانِيَّهم في التَّصْحِيحِ ، ويرْبِطونَ به آمالَهم في الإصْلَاحِ[1] .

---

(١) انظر السيادة العربية ص : ١٢٢ ، وضحى الإسلام ٣ : ٢٣٨ ، والمهدية في الإسلام ص : ٤٣ .

(٢) نُشوءُ عقيدة المَهْدِيِّ

وتَحدَّثَ فان فلوتن[١] وأحمد أمين[٢] عن عَقيدَةِ المَهْديِّ حديثاً طويلاً ، وبَحثَهَا الشيخُ سعدُ محمد حسن بحثاً مُفَصَّلاً ، إذ أفْرَدَ لها كتاباً كاملاً[٣] ، ثم دَرَسها الدكتور عبد العزيز الدوري في القرْنَين الأولِ والثاني الهجْرِيَّين ، فاستَقصَى القَوْلَ فيها استِقصاءً شديداً ، ومَحَّصَهَا تَمْحيصاً دقيقاً[٤] ، ورَجَّحَ أنها فكرةٌ إسلاميةٌ مُبكِّرَةٌ ، ولكنها تأَثَّرتْ بمؤَثِّراتٍ أجْنبيةٍ بمرورِ الزَّمَنِ[٥] ، فإنها كانت معروفةً في العُشْرِ الرُّبْعِ من القَرْنِ الأول ، ففي وَقْعةِ صفين كانَ شيعةُ علي بن أبي طالبٍ يُسَمُّونَهُ

---

(١) السيادة العربية ص : ١١٥ — ١٢٧ .

(٢) ضحى الإسلام ٣ : ٢٣٥ — ٢٤٦ ، وانظر كتابه المَهْدي والمَهْدَوية ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٥١ .

(٣) انظر كتابه المهدية في الإسلام ، طبع دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٣ .

(٤) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ، مقالة في دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى إحسان عباس ، الجامعة الأميركية في بيروت ١٩٨١ ص : ١٢٣ — ١٣٢ .

(٥) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص : ١٢٤ ، وانظر السيادة العربية ص : ١٠٨ ، وضحى الإسلام ٣ : ٢٤٣ ، والمهدية في الإسلام ص : ٤٩ .

المَهْدِيَّ[1] ، وكان أنصارُ معاويةَ بن أبي سُفيانَ يُسَمُّونَ عثمانَ بنَ عَفَّانَ المَهْدِيَّ[2] .

وذهبَ أحمد أمين إلى أنَّ الشيعةَ هم الذين اختَرَعُوا عقيدةَ المَهْدِيِّ ، ثم أخَذَهَا عنهم السُّفيانيُّونَ والعباسيُّونَ ، وقَلَّدُوهم فيها ، وكان اليَأْسُ هو السَّبب النَّفْسيَّ الذي حَمَلَهم على اختِراعها ، فإنهم كانوا يُعبِّرون بها عن طُمُوحِهم السياسيِّ ، وأنَّ الخلافةَ تصيرُ إليهم بعدَ حين[3] .

وانْتَحَلَ زعماءُ الأحزابِ المعارضةِ للأمويِّينَ عقيدةَ المَهْدِيِّ ، كما انْتَحَلَهَا الأمويون وغَالَبُوهم عليها ، وحَارَبُوهم بها . وأعْرَبُوا عن ذلك بأسماء مختلفةٍ كالمَهْدِيِّ ، والسُّفيانيِّ ، والقَحْطانيِّ ، والقائم ، والنَّاصِر ، والمنصور[4] .

---

(١) وقعة صفين ص : ٣٨١ .

(٢) وقعة صفين ص : ٢٠٠ .

(٣) ضحى الإسلام ٣ : ٢٤٢ . وانظر المهدية في الإسلام ص : ٤٨ ، ٩٣ .

(٤) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص : ١٢٤ .

(٣) المَهْديُّونَ من العَلويِّينَ

وكان العَلَويُّونَ وشيعتُهم أوْسَعَ الأحْزابِ استِغلالاً لتلك العقيدة ، وأكثَرَهم تَداولاً لها ، وأشَدَّهم تَعْويلاً عليها ، فقد ظَلَّ الغلاةُ من شيعَتِهم يُسَمُّونَ عليَّ بن أبي طالبٍ بعدَ وَفاتِهِ المَهْدِيَّ[١] ، وكان سليمان بن صُرَدٍ الخُزَاعيُّ يصفُ الحسين بن علي بن أبي طالبٍ بأنه «المهْدِيُّ ابن المَهْدِيِّ[٢]» وكان محمد بن علي بن أبي طالبٍ المعروف بابن الحَنفيَّة يَدَّعي أنه المَهْدي ، وكان الناسُ يُسلِّمُون عليه بذلك ، وكان المُخْتارُ بن أبي عبَيْدٍ الثَّقفي يُسَمِّيهِ المَهْدي[٣] ، ويقول كثير بن عبد الرحمن الخزاعي[٤] :

هوَ المَهْدِيُّ خَبَّرناهُ كَعْبٌ أخو الأحْبارِ في الحِقَبِ الخَوالي

---

(١) مقالات الإسلاميين ١ : ٨٥ ، والفرق بين الفرق ص : ١٤٣ ، والملل والنحل ١ : ١٥٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٥٨٩ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٧٨ .

(٣) نسب قريش ص : ٤١ ، وطبقات ابن سعد ٥ : ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٢١٨ ، ٢٢٢ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٠٢ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٥٨٠ ، ٦ : ١٤ ، ١٦ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٦٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٧٢ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٤) نسب قريش ص : ٤١ ، ومروج الذهب ٣ : ٨٧ ، والأغاني ٩ : ١٦ ، وديوانه ص : ٢٠

وكان بعضُ شيعةِ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبٍ يُلَقِّبونَهُ المَهْديَّ ، وفي ذلك يَقُولُ بعضُ الشعراءِ المؤيدين للأمويين يُخاطب الطَّالبين بعدَ خُروجِ زيدٍ وقَتْله[٣] :

صَلَبْنا لكم زَيْداً على جِذْعِ نَخْلةٍ ولم أرَ مَهْدِيًّا على الجِذْعِ يُصْلَبُ

وأشاعَ الحَسَنِيُّونَ في العُشْرِ الثالث من القَرْنِ الثاني أَنَّ المَهْديَّ منهم ، وذكروا من نَسَبِهِ وَوَصْفِهِ ما يَدُلُّ على ذلك ، قال أبو الفرج الأصفهاني[٤] : «كانَ يُوجَدُ في الرواية أنه يَمْلِكُ رَجُلٌ اسمُهُ اسمُ النبي صلى الله عليه وآله ، واسمُ أُمِّهِ على ثلاثةِ أحْرُف ، أَوَّلُهَا هاءٌ وآخرها دَالٌ ، وكانوا يَظُنُّونَ محمد بن عبد الله بن الحسن ، وأمه هند[٥] » ، وقال[٦] : «كان من أفْضَلِ أهلِ بَيْتِهِ ، وأكبر أهل زمانه في زَمانِه ، في عِلْمِهِ بكتابِ الله ، وحِفْظِهِ له ، وفِقْهِهِ في الدِّين ، وشجاعتِهِ ، وجُودِهِ ، وبأسِهِ ، وكلِّ أمْرٍ يَجْمُلُ بمِثْلِهِ ، حتى لم يَشُكَّ أحدٌ أنه المَهْدِيُّ ، وشاعَ ذلك في العَامَّةِ» . وقال[٧] : «كانَ أهلُ بيته يُسَمُّونَهُ المَهْدِيَّ ، ويُقَدِّرونَ أنه الذي جاءت فيه

---

(١) مروج الذهب ٣ : ٢١٩ . وانظر رسائل الجاحظ للسندوبي ص : ٧٩ ، وشرح نهج البلاغة ١٥ : ٢٣٨ .

(٢) مقاتل الطالبيين ص : ٢٣٩ . ومنتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٣٠ . وانظر الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص : ١٢٩ .

(٣) هي هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى بن قصي . (انظر مقاتل الطالبيين ص : ٢٣٥ . وجمهرة أنساب العرب ص : ١١٨ - ١١٩) .

(٤) مقاتل الطالبيين ص : ٢٣٣ .

(٥) مقاتل الطالبيين ص : ٢٣٣ . وانظر الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص : ١٢٩ .

الرواية». وكان أبوهُ يُذيعُ ذلك ويُروجُ له في قومه، إذ كان يقول لهم[1]: «قد عَلِمتُمْ أنَّ ابني هذا هو المَهْدِيُّ». وعندما ثار محمد بن عبد الله بن الحسن على أبي جعفرٍ بالمدينة سنة خمسٍ وأربعين ومائةٍ، وجَعلا يتَرَاسلان، سَمَّى نفسه المَهْديَّ، إذ يقول في رَدِّهِ على كتابِ أبي جعفرٍ إليه[2]: «من عبدِ اللهِ محمدٍ المَهْديِّ أميرِ المؤمنين إلى عبد الله بن محمدٍ».

(١) مقاتل الطالبيين ص: ٢٠٦، ٢٥٤.

(٢) الكامل للمبرد ٤: ١١٤، وتاريخ الطبري ٧: ٥٦٧، وتاريخ الموصل ص: ١٨٢.

(٤) القَحْطَانيُّ المُنْتَظر

وكان اليمانيةُ يَتَعَلَّقُونَ بالقَحْطَانيِّ المُنْتَظَرِ ، ويَرْجُونَ ظُهورَهُ ، ويَعْتَقِدُونَ أنه يَرُدُّ السُّلْطَان إليهم ، وكانوا يَرْوُونَ الأحاديثَ في ذلك ، ومن غريب الأمْرِ أن البخاريَّ ، على جَلَالِهِ وإهْمَالِهِ لجميع أحاديث المَهْدِيِّ ، قد رَوى حديثَ القَحْطاني وصَحَّحه ! ! يقول[1] : «حَدَّثنا عبد العزيز بن عبد الله حَدَّثني سليمانُ عن ثَوْرٍ عن أبي الغَيْثِ عن أبي هَريرةَ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقومُ الساعةُ حتى يخرجَ رجل من قحطان يَسُوقُ الناسَ بِعَصَاهُ» . وأسندوا إلى حذيفة بن اليمان أنه سمع الرَّسولَ يقول[2] : «سيكونُ بعدي خلفاءُ ، ومن بعدِ الخلفاءِ أُمَرَاءُ ، ومن بعد الأمراء مُلُوكٌ ، ومن بعد المُلُوكِ جبابرةٌ ، ثم يخرجُ رجلٌ من أهلِ بَيْتي ، يملأُ الأرضَ عَدْلاً كما ملئت جَوْراً ، ثم يُؤَمَّرُ بعدَهُ القَحْطانيُّ ، فوالذي بعثَني بالحَقِّ ما هو بِدُونِهِ» .

وفي سنة إحدى وثمانين خَرَجَ عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكِنْدِيُّ

---

(١) صحيح البخارى ٩ : ٥٨ . والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢ : ١٩٣ .

(٢) منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٣٠ .

بسجستانَ، وأقْبَلَ نحو العراق، وخَلَعَ الحجاجَ بن يوسفَ وعبدَ الملك بنَ مروانَ، وزعم أنه القحطانيُّ الذي يترقَّبه اليمانيةُ، وأنه يرجعُ الولايةَ إليهم، ولَقَّبَ نَفْسَهُ الناصرَ، قال المسعودي[1] : «سَمَّى نفسه ناصرَ المؤمنينَ، وذَكَرَ أنه القحطانيُّ الذي تَنْتَظِرُهُ اليمانيةُ، وأنه يُعيدُ الملك فيها. فقيل له: إنَّ القَحْطانيَّ على ثلاثةِ أحْرفٍ، فقال: اسمي عَبْدٌ، وأمَّا الرحمنُ فليس من اسْمي». ولَقَّبتْهُ ابنةُ سَهْم بن غالبٍ الهُجَيْمِيَّةُ التَّميميَّةُ بالمَنْصور، إذ تقول فيه[2] :

يا أيها السَّائلُ عَمَّا قَدْ كانْ ... أَبْشِرْ أتاكَ الغَوْثُ من سِجْسْتَانْ
إبنا نِزارٍ وسَراةُ قَحْطَانْ ... وفيهم المنصورُ عبدُ الرحمنْ»

---

(1) التنبيه والإشراف ص: ٢٧٢، وانظر البدء والتاريخ ٢: ١٨٤، وراجع السيادة العربية ص: ١٢١، والمهدية في الإسلام ص: ١٧٦.

(2) أنساب الأشراف المخطوط ٢: ٢٢، وانظر الفهرست ص: ١٣٧.

(٥) المهديُّ من المُرْجِئة

وكان الحارثُ بن سُرَيْجٍ التميميُّ المُرْجِئيُّ يَدَّعي أنه المَهْدِيُّ المُنْتَظَر، وأنَّ الله بَعَثَهُ لإنْقَاذِ المُضْطَهَدينَ، وإنْصَافِ المظلومين (١). ويبدو أنه أشاعَ ذلك في أنصارِهِ من العرب والموالي بعدَ أنْ أخفقتْ ثورتُه الأولى بخُراسانَ سنة ستٍّ عشرةَ ومائة (٢)، ونَفَاهُ أسدُ بنُ عبد الله القَسْريُّ عنها، فسارَ إلى فَارَاب وراءَ نهر سَيْحُونَ في تُخُوم بلادِ الترك واستَقَرَّ بها، ومن المحتمل أنْ يكونَ وَضَعَ حديثاً أثناءَ إقامته فيها، أكَّدَ به ما زَعَمَهُ من أنه المهديُّ المُنْتَظَر. وقد رَوَاهُ أبو دَاوُدَ فقال (٣): «يخرجُ رَجُلٌ وراءَ النهر، يقال له: الحارث، حَرَّاثٌ على مُقَدِّمَتِهِ رجلٌ يقال له: المَنْصُور، يُوَطِّئُ أو يُمَكِّنُ لآلِ محمد كما مَكَّنَتْ قريشٌ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَجَبَ على كُلِّ نَصْرُهُ».

---

(١) السيادة العربية ص: ٦٢، ١٢٧، والمهدية في الإسلام ص: ١٨٤.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٩٤، ٣٢٩، وتاريخ الموصل ص: ٣٧، والعيون والحدائق ٣: ١٨٤، ١٨٨، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٣، ٣٠٧، ٣٤٢، والبداية والنهاية ٩: ٣٣٣، ١٠: ٢٦، والسيادة العربية ص: ٦٠، وتاريخ الدولة العربية ص: ٤٤٢.

(٣) سنن أبي داود ٤: ٤٧٧، وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١: ٢٨، وتاريخ ابن خلدون ١: ٥٥٩، ومختصر تذكرة القرطبي ص: ١٣٣.

وعندما رجعَ الحارثُ بن سُرَيْجٍ التَّميميُّ إلى مَرْو الشَّاهجان سنةَ سبعٍ وعشرين ومائةٍ[1] ، بأمان يزيد بن الوليد له سنةَ ستٍ وعشرين ومائةٍ [2] ، أشاعَ أنه صاحبُ الأعلامِ السُّود ، وأنه يُقاتِلُ بني أميةَ فَيَهْزِمُهم ويَنْتَزِعُ المُلْكَ منهم ، قال المدائني[3] : «كان الحارثُ يُظْهِرُ أنه صاحبُ الرَّايات السُّود ، فأرسلَ إليه نَصْرٌ: إنْ كنتَ كما تَزْعُمُ ، وأنكم تَهْدِمونَ سُورَ دمشق ، وتُزيلُونَ أمْرَ بني أمية ، فَخُذْ مني خمسمائة رأسٍ ومائتي بعيرٍ ، واحْمِلْ من الأموال ما شِئْتَ وآلةِ الحَرْبِ ، وَسِرْ ، فلَعمري لئن كنتَ صاحب ما ذكرتَ إني لَفِي يَدِكَ ، وإنْ كنتَ لستَ ذلك ، فقد أهْلكتَ عشيرتَك . فقالَ الحارث : قد علمتَ أنّ هذا حَقٌّ ، ولكن لا يُبايعُني عليه مَنْ صَحبني ، فقال نَصْرٌ: فقد استَبانَ أنهم ليسوا على رأيك ، ولا لهم مثل بَصِيرتِك ، وأنهم هم فُسَّاقٌ ورَعَاعٌ ، فاذْكُرِ اللهَ في عشرين ألفاً من ربيعةَ واليَمن سَيَهْلكُون فيما بينكم» .

وكان شعارُهُ في الحَرْب : يا منْصُور ، وكان أنصارُهُ يُنادونَ به حين قَاتَلُوا نَصْراً ، وحَاوَلوا الاسْتِيلاءَ على مَرْوِ الشَّاهجان سنة ثمان وعشرين ومائة[4] .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٠٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٢٧.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٢٩٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٠٧.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٣٣١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦ .

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٣٣٣ ، والسيادة العربية ص: ١٢٦ ، ١٢٧ .

ونادى الحارث بالبَيْعَةِ للرِّضا من الأُمَّة . (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٩٥ . والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٣).
ونادى بأنْ يكون الأمْر شورى بين المسلمين. (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٣٠ . ٣٣٩ . والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٢ . ٣٤٥). وكان ذلك مما يدعو إليه مُرْجئةُ الجَبْرية والقَدَرِيَّة والخوارج.

ويقال إنَّ الحارث دَعَا إلى البَيْعةِ للرِّضا من آل محمد. (انظر سنن أبي داود ٢ : ١٣٥ ، والسيادة العربية ص : ١٢٧).

ودعا الحارث أيضاً إلى العَملِ بالكتاب والسُّنة ، واستعمالِ أهل الخير والفَضْل. (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٠٩ ، ٣٣١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٢٨ ، ٣٤٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦ ، والسيادة العربية ص : ٦٤).

(٦) السّفيانيُّ المنتظر

وحاكى السُّفيانيون سائر الأحزاب والفئاتِ المعارضة في اعتِناقِ فكرةِ المَهْدي والتّرْويجِ لها ، فإنَّهُم سَلَّمُوا بها واستَغَلُّوهَا[١] ، فقد جَعلوا لأنفسهم مَهْديًّا مُنتظراً ، بعد أنْ خرجت الخلافةُ منهم ، وانْتَقَلَت إلى المروانيين ، وافْتَعلُوا بعضَ الأحاديث التي تشير إلى ظُهوره ، ورجوعِ الخلافةِ إليهم على يَدِهِ . ولكنهم لم يُسَمُّوه المَهْديَّ ، بل سَمُّوهُ السُّفْياني ، ويبدو أنَّ خالد بن يزيد بن معاوية هو الذي صَنَعَ حديثَ السُّفياني ، قال مُصْعبٌ الزبيري[٢] : «زَعَمُوا أنه هو الذي وَضَعَ ذِكْرَ السُّفياني وكثَّره ، وأراد أنْ يكون للناس فيهم طَمَعٌ ، حين غَلَبَهُ مروان بن الحكم على المُلْك» . وقال ابن تَغْري بردي[٣] : «قيل : إنه هو الذي وَضَعَ حديثَ السُّفياني » : أنه يأتي في آخر الزمان[٤] ... » ، لَمَّا سمع بحديث المَهْدي» .

وأنكر أبو الفرج الأصفهاني قَوْلَ مُصْعَبٍ الزُّبيري ، وذهب إلى أن الناس حَملُوا

---

(١) ضحى الإسلام ٣ : ٢٣٩ ، ٢٤٢ .

(٢) نسب قريش ص : ١٢٩ .

(٣) النجوم الزاهرة ١ : ٢٢١ .

(٤) :نظر الحديث في مختصر تذكرة القرطبي ص : ١٤٦ .

حديثَ السفياني من طُرُقٍ مختلفةٍ ، ولا سيما من طريق أهل البَيْتِ ، يقول[1] : « هذا وَهْمٌ من مُصْعَبٍ ، فإن السفياني قد رَواهُ غير واحدٍ ، وتَتَابَعت فيه روايةُ الخاصة والعامة ، وذكَرَ خَبَرَ أمْرِهِ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، وغيره من أهل البيْتِ » .

وعلى الرغم مما ذكره أبو الفرج الأصفهاني فالراجح أن خالداً هو الذي اخْتَلَقَ حَديث السُّفياني ، ثم نقلَهُ الناس ، واستَفاضَتْ روايتُهُ بينهم من جهاتٍ متعددة[2] ، وسببُ ذلك أنَّ خالداً كان يَطْلُبُ الخلافةَ بعد موت أخيه معاوية[3] ، وكان أَخْوالُهُ من كَلْبٍ يُرَشِّحونه لها[4] . ولكنهم كانوا يعلمون أنَّ صِغَرَ سِنِّه يَطْعَنُ في تَزْكيتهم له ، وتَقْدِيمهم إياه . ومن أجل ذلك استَقَرَّ اليمانية في مؤتمر الجابية سنة أربع وستين على البَيْعةِ لمروان بن الحكم ،ثم لخالد بن يزيد من بَعْده[5] ، وبايعوا لهما بذلك[6] . فكان خالدٌ وَلِيَّ العَهْدِ بعد مروان بن الحكم[7] . ولم يلبث مروان أنْ صَرَفَهُ عن ولاية العَهْدِ ، وصَيَّرهَا لابنه عبد الملك بن مروان[8] ، فاستأثَرَ المروانيون

---

(١) الأغاني ١٧ : ٣٤١.

(٢) انظر ضحى الإسلام ٣ : ٢٣٨ ، والسيادة العربية ص : ١٢٠ .

(٣) أنساب الأشراف ٥ : ١٤٤ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٥٣٧ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٨ .

(٤) أنساب الأشراف ٥ : ١٢٨ ، ١٣٤ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٧ ، والبداية والنهاية ٨ : ٢٤٠ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٢٢١ .

(٥) أنساب الأشراف ٥ : ١٣٥ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٥٣٧ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٨ .

(٦) أنساب الأشراف ٥ : ١٣٥ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٥٦ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٥٣٧ ، ومروج الذهب ٣ : ٩٥ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٩ .

(٧) البداية والنهاية ٩ : ٨١.

(٨) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٢٨ ، وأنساب الأشراف ٥ : ١٤٥ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٥٧ ، والأخبار الطوال ص : ٢٨٥ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٦١٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٩٧ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٨٩ ، والبداية والنهاية ٨ : ٢٥٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٦٩ .

بالخلافة من دون السفيانيين. ولم تَزَل نَفْسُ خالدٍ تَطْمحُ إلى الخلافة، وتَهْفُو إليها، فَصَنع حديثَ السُّفياني، وعَبَّر به عن أمله فيها. وكانَ أخواله من كَلْبٍ أقْوَى أعْوانِهِ، فَتداوَلُوا حديثَ السُّفياني بينهم، وظَلُّوا يَرْجُون أن تَعُودَ الخلافةُ إلى أحدٍ من حَفَدةِ ابن أُخْتِهِم!.

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ خرج أبو محمدٍ زيادُ بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان على أبي العباس بحلب، وادَّعَى الخلافة، وقال[1]: «أنا السُّفياني الذي يُرْوَى أنه يَرُدُّ دَوْلَةَ بني أمية»، وآزرَهُ الكلبية من أهل تَدْمُرَ وحِمْصَ، والقَيْسيَّةُ من أهلِ قِنَّسْرِينَ، «ودَعوا إليه، وقالوا: هو السُّفياني الذي كان يُذْكَرُ[2]». فقاتله عبد الله بن علي وهَزَمه، فَفَرَّ إلى تَدْمُرَ، واستَتَرَ عندَ أخْوالِهِ من الكَلْبيَّةِ مُدَّةً، ثم مَضَى إلى المدينة، واختَبَأَ بقرية قُبَا، على مِيلَيْنِ منها، فَدُلَّ عليه، وقُتِلَ في أيام أبي جَعْفَرٍ.

وقال المأمونُ يُصَوِّرُ تَرَقُّبُ اليَمانيَّةِ من أهلِ الشام للسفياني[3]: «أمَّا قضاعة فَسادَتُها تَنْتَظِرُ السُّفيانيَّ وخُرُوجَهُ فتكون من أشياعه».

وأصبحَ السُّفياني بعدَ سُقوطِ الدولةِ الأمويةِ يُمثِّلُ تَطَلُّعَ بَقَايا الأمويين ومَوَاليهم وأنصارهم من الشَّاميين إلى عَوْدةِ المُلْكِ إليهم، فَعَلَّقُوا عليه آمالَهم السياسية، وأقَامُوا يَنْتَظرونَ خُرُوجَهُ ورَجْعَتَهُ، ثم وضَعوا في ذلك مُلْحمةً طويلة، قال المَسْعُودي[4]: «رأيتُ في سنة أربعٍ وعشرين وثلاثمائة بمدينة طبرية من بلاد

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ١٧٠.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٤٤٤، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥: ٤٠٦، والكامل في التاريخ ٥: ٤٣٣.

(٣) تاريخ الطبري ٨: ٦٥٢، وتاريخ الموصل ص: ٤٠٩، والكامل في التاريخ ٦: ٤٣٢.

(٤) التنبيه والإشراف ص: ٢٩١.

الأُرْدُنِّ من أرْضِ الشام ، عندَ بعضِ مَوالي بني أمية ، مِمَّن يَنْتَحِلُ العِلْمَ والأدبَ ، ويَتَحَيَّزُ إلى العُثْمانيَّةِ كتاباً فيه نَحْوٌ من ثلاثمائةِ ورقةٍ ، بخَطٍّ مجموعٍ مُتَرْجمٍ بكتاب : «البراهين في إمامة الأمويين» ، ونشر ما طُويَ من فَضَائِلهم ، أبوابٌ مُتَرجمةٌ ودلائلُ مُفَصَّلَةٌ ، ... ، وذكَرَ من بعد ذلك أخباراً من أخبارِ المَلاحمِ الآتيةِ والأنباءِ الكائنة ، مِمَّا يَحْدُثُ في المُسْتَقْبلِ من الزمان والآتي من الأيام ، من ظُهورِ أمْرِهم ، ورُجوعِ دولتهم ، وظُهورِ السُّفياني في الوادي اليابس من أرضِ الشام في غَسَّانَ وقضاعة ولَخْم وجُذَام ، وغَارَاته وحُروبِه ومسيرِ الأمويين من بلادِ الأَنْدَلُس إلى الشام ، وأنهم أصحابُ الخيلِ الشُّهْبِ ، والرَّاياتِ الصُّفر ، وما يكونُ لهم من الوقائع والحُروب والغَاراتِ والزُّحُوفِ» .

ومن طريفِ ما رُويَ في هذا الباب أنَّ الشيعةَ لَفَّقُوا بعضَ الأحاديث التي تشيرُ إلى أنَّ المَهْديَّ يقاتلُ السُّفيانيَّ إذا ظَهَرَ ، ويَقْضي عليه وعلى مَنْ يتبعهُ من الكَلْبيَّة ، فقالوا[(١)] : «فَسيبايعُ الناسُ المَهْدِيَّ يومئذٍ بمكةَ بينَ الرُّكْنِ والمقام ، ثم إنَّ المَهْدِيَّ يقول : أيها الناسُ ، اخْرُجُوا إلى قتال عَدُوِّ الله وَعَدُوِّكم ، فَيُجيبُونَهُ ولا يَعْصون لَهُ أمْراً ، فيخرجُ المَهْدِيُّ ومَنْ معه من المسلمين مِنْ مكة إلى الشام لمحاربة عروة بن محمد السُّفياني ، ومَنْ معه مِنْ كَلْبٍ» ! !

وحُكِيَ عن عبد الله بن عباس أنه كان يَتَنبَّأُ بما يُشْبِهُ ذلك ، وأنه كان يقول[(٢)] : «يَخْرجُ رَجُلٌ يُقَالُ له : السُّفياني في عُمقِ دمشقٍ ، وعَامَّةُ مَنْ يتبعُهُ من كَلْبٍ ، فَيَقْتُلُ حتى يبقُرُ بُطونَ النِّساءِ ، ويَقْتُلَ الصبيانَ ، فَتَجْمعُ لهم قَيْسٌ ، فَيَقْتُلُها

---

(١) مختصر تذكرة القرطبي ص : ١٣٤ ، وراجع ما ورد في سنن أبي داود ٤ : ٤٧٥ ، وسنن ابن ماجة ٢ : ١٣٥ ، وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١ : ٢٧ ، وتاريخ ابن خلدون ١ : ٥٦٠ .

(٢) منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٣١ .

حتى لا يُمْنَعَ ذَنَبُ تَلْعةٍ ، ويخرجُ رجُلٌ من أهْلِ بَيْتِي في الحَرَّة ، فيَبْلُغُ السُّفيانيَ ، فيبعثُ إليه جنداً من جُنْدِهِ ، فيهزمهم ، فيسيرُ إليه السفيانيُّ بمن معه ، حتى إذا صار بِبَيْدَاءَ من الأرضِ خُسِفَ بهم ، فلا يَنْجُوَ منهم إلاَّ المُخَبِّرُ عَنْهم » ! !

وعلى هذا النَّحْوِ امتدت الحَرْبُ بين شيعةِ الأمويين وبين شيعةِ العلويينَ والعَبَّاسيين الى القَصَصِ والمَلَاحم ، فكان شيعةُ الأمويين يَذْكُرونَ أَنَّ السُّفياني إذا خرجَ يَهْزِمُ العَبَّاسيين ويَستَخْلِصُ الخلافة منهم ، وكان شيعةُ العلويين والعباسيين يُرَدِّدُونَ أَنَّ المَهْدِيَّ يتَصَدَّى للسُّفياني إذا ظَهَرَ ويَقْتُلُهُ ويَقْتُلُ أنصارَهُ من الكَلْبية ، أو أَنَّ اللهَ يُفْنيهِ ويُفْنِيهم جميعاً إلاَّ من يَرْوي خبرَ هلاكهم !

(٧) المَهْديُّونَ من الأمويين

ونازعَ الأُمويُّونَ الفرق والجماعات المناهضة لهم في لَقَبِ المَهْدِيِّ قَبْلَ سُقُوطِ دَوْلتهم ، وسَعَوا إلى أنْ يَغْلِبُوا عليه ، ويشْتَهِروا به ، وجَدُّوا في تَنْحِيَةِ خصُومهم عنه وتجْريدهم منه ، فمنذ العُشْرِ الأخير من القَرْن الأول جعل أنصارُ الأمويين وشعراؤهم يُسبِغُونَ على خُلفائهم لَقَبَ المَهْديِّ ، ويَخْلَعُونَ عليهم صفاتِ أئمةِ العلويين والعباسيين وغيرهم ، ويَنْسِبونَ إليهم فَضَائِلَهم ومنَاقِبهم ، فقد كانَ الوليد بن عبد الملك ومَنْ سَبَقَهُ من الخُلفاءِ الأمويين « هُداةً ومَهْدِيِّينَ » عند أتْباعِهم ، قال الفرزدق في مديحه للوليد بن عبد الملك [١] :

ومِنْ عَبْدِ شَمْسٍ أنتَ سادسُ سِتَّةٍ خَلائفَ كانُوا منهمُ العَمُّ والأبُ
هُداةً ومَهْدِيِّينَ عثمانُ منهمُ ومروانُ وابن الأبْطَحَيْنِ المُطَيَّبُ

وكان سليمان بن عبد الملك مُقَدَّماً مُعَظَّماً عِنْدهم ، وَلَقَّبُوهُ المَهْدِيَّ لِلينِ جانبه ، وحُسْنِ سيرته ، ورُجُوعِه إلى الدِّين ، واتِّباعِهِ للقرآنِ والسُّنةِ ، وإحيائِه لشَرائعِ الإسلامَ ، ومَحَبَّتِهِ للحقِّ وأهْلِهِ ، وكرهه لِسَفْكِ الدماءِ ، وخُضُوعه للأتقياء من

(١) ديوان الفرزدق ١ : ٨٠.

النُّصحاء، قال الجاحظ[1] : كان أنصارُ الأمويين يقولون : «كان سليمانُ جواداً خَطيباً جميلاً، صاحب سلامةٍ ودعَةٍ وحُبٌّ للعافيةِ وقُرْبٍ منَ الناس، حتّى سُمِّيَ المَهْدِيَّ، وقيلت الأشعارُ في ذلك». وقال الفرزدقُ يَصِفُه بذلك، ويُثْني على سياسته، ويُنَوِّهُ بتَعْيينه لعمر بن عبد العزيز وليًّا لِعَهْدِه[2] :

فإنَّ إمَامَكِ المَهْدِيَّ يَهْدي بهِ الرحمن مَنْ خَشيَ الضَّلالَا
وَليَّ العَهْدِ من أَبَوَيْكَ فيه خَلائقُ قد كَمُلْنَ به كَمَالَا
تُقًى وضَمانَةً للنَّاسِ عَدْلاً وأكْثَرَ مَنْ يُلَاثُ بهِ نَوالَا[3]
أَلَسْتَ ابنَ الأئمةِ مِن قُرَيشٍ وحَسْبُكَ فارسُ الغَبْراءِ خالَا[4]
إمامٌ منهمُ للناسِ فيهمْ أقَمْتَ المَيْلَ فاعْتَدَلَ اعْتِدالَا
عَمِلْتَ بسُنَّةِ الفَارُوقِ فيهمْ ومِنْ عثمانَ كنتَ لهمْ مِثالَا

ومَضَى الفرزدقُ يصفُ سليمانَ بن عبد الملك بالمَهْدِيِّ في أكثرِ القصائدِ التي مَدحَهُ بها، ويذكُرُ أنَّ أحْبارَ اليهودِ وقَساوِسَةَ النَّصارَى كانوا يتكهَّنُونَ بِظُهورِهِ، ويُبَشِّرون بِحُكْمِهِ، فإنه يقول[5] :

كم كانَ مِنْ قَسٍّ يُخَبِّرنا بخلافةِ المَهْدِيِّ أو حَبْرِ

---

(١) رسائل الجاحظ. للسندوبي ص : ٩٧، وشرح نهج البلاغة ١٥ : ٢٦٣.

(٢) ديوان الفرزدق ٢ : ٩٩.

(٣) يلاث به : يُلاذُ به.

(٤) كانت أم سليمان والوليد ابني عبد الملك بن مروان من عَبْس، وهي وَلَّادةُ بنت العباس بن جَزْء العبسي. (انظر نسب قريش ص : ١٦٢، وأنساب الأشراف المخطوط ١ : ١١٦٠، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٨٣، ٢٩٣، وتاريخ الطبري ٦ : ٤١٩، والكامل في التاريخ ٤ : ٥١٩). وفارس الغبراء : قيس بن زهير العبسي. والغبراء فرسه التي سابقت داحساً.

(٥) ديوان الفرزدق ١ : ٢٦٤.

ويقول[1] :

أَلا تَشكُرُونَ اللهَ إِذْ فَكَّ عَنْكُمُ أَدَاهِمَ بالمَهْدِيِّ صُمًّا ثِقَالُهَا[2]

ويقول[3] :

فأصْبحَ صُلْبُ الدِّينِ بعدَ الْتِوائِهِ علَى الناسِ بالمَهْدِيِّ قُوِّمَ مَائِلُهْ

ويقول[4] :

وأَلْقَيْتَ منْ كَفَّيكَ حَبْلَ جماعةٍ وطاعةَ مَهْدِيٍ شديدِ النَّقائِمِ

ولَقَّبهُ بعضُ الشعراءِ الموالين للأمويين بالمَهْدِيِّ ايضاً ، قال جرير[5] :

سليمانُ المُبارَكُ قد عَلِمْتُمْ هوَ المَهْدِيُّ قد وضَحَ السَّبيلُ

وقال نهارُ بن تَوْسعة البكري[6] :

على طاعةِ المَهْدِيِّ لم يَبْقَ غَيْرُهَا فَأُبْنَا وأمرُ المسلمينَ جَميعُ
على خَيْرِ ما كانتْ تكُونُ جَماعةٌ على الدِّين ديناً ليسَ فيه صُدُوعُ

---

(١) ديوان الفرزدق ٢ : ٧٣.

(٢) الأداهم : جمع دهماء ، وهي الفتنة السَّوْدَاءُ المُظْلمة. والصُّم : جمع صَمَّاء : وهي الفتنةُ التي المُنْسَدة الشديدة التي لا سبيل إلى تسكينها.

(٣) ديوان الفرزدق ٢ : ٩٠.

(٤) ديوان الفرزدق ٢ : ٣١١.

(٥) ديوان جرير ٢ : ٧٧١.

(٦) نقائض جرير والفرزدق ١ : ٣٦٤ ، وانظر كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ١١٦.

وكان عمر بن عبد العزيز مثالاً للخليفة الكاملِ الفاضلِ العادلِ عندهم ، وقد لَقَّبُوهُ بالمَهْدِي[1] . وزعم أنصار الأمويين وأصْهَارُهم من القَيْسية أنَّ العباسيين كانوا يُقِرُّون بأنَّ المَهْدِيَّ ليس منهم ، بل من الأمويين ، وأنهم كانُوا يُشيرون إلى أنه عمر بن عبد العزيز ، فقد أسْنَدَ ابن سَعْدٍ إلى محمد بن عبيد الله العَرْزمي الفزاريِّ أنه قال[2] : «سمعتُ محمدَ بن علي يقول : النبيُّ منا ، والمَهْدِيُّ مِنْ بني عبد شمس ، ولا نَعْلَمُهُ إلاَّ عمر بن عبد العزيز» ، وأسندَ إلى مَوْلًى لهند بنت أسماء بن خارجةَ الفزاري[3] أنه قال[4] : «قُلْتُ لمحمدِ بن علي : إنَّ الناسَ يَزْعُمُونَ أنَّ فيكم مَهْدِيًّا ! فقال : إنَّ ذاكَ كذاك ، ولكنه من بني عبد شمس . قال : كأنه عَنَى عمر بن عبد العزيز» .

ونَسَجُوا حَوْلَهُ قصصاً كثيراً ، ساقوا فيه أحاديثَ وأخباراً ضعيفةً تقْطَعُ بأنه المَهْدِيُّ المُنْتظَر[5] . وقالَ جرير يُصَوِّرُ هِدايتَهُ وصَلاتَهُ ، ويُسَمِّيهِ المهدي[6] :

أنتَ المبـاركُ والـمَـهْـدِيُّ سيرَتُهُ تَعْصِي الهَوَى وتَقُومُ الليلَ بالسُّوَرِ

---

(1) طبقات ابن سعد ٥ : ٣٣٣ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٣٥ .

(2) طبقات ابن سعد ٥ : ٣٣٣ .

(3) هي زوج بشر بن مروان بن الحكم . (انظر جمهرة أنساب العرب ص: ١٠٦) .

(4) طبقات ابن سعد ٥ : ٣٣٣ .

(5) انظر ترجمته بتاريخ دمشق المخطوط ، الجزء الثالث عشر ، الورقة : ١٢٩ ظ ، وسيرته لابن كثير ص : ٦٣ ، ١٠٥ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٩٢ ، ١٩٦ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٢٨ ، وشذرات الذهب ١ : ١١٩ .

(6) ديوان جرير ١ : ٤١٦ .

وكان هشام بن عبد الملك من خَيْرِ خُلفائهم عندَهم ، وقد وصَفَهُ شعراؤهم بالمَهْدِيِّ ، وإمامِ الهُدَى ، وأمينِ الله ، قال جرير[1] :

إلى المَهْدِيِّ نَفْزَعُ إنْ فَزِعْنَا ونَسْتَسْقِي بِغُرَّتِهِ الغَمَاما

وقال الفرزدقُ[2] :

هوَ المالِكُ المَهْدِيُّ والسَّابقُ الذي له أوَّلُ المَجْدِ التَّلِيدِ وآخِرُهْ

وقال[3] :

وما الناسُ لَوْلا آلُ مروانَ منهمُ إمامُ الهُدَى والضَّارباتُ الجماجمِ

وقال[4] :

هشامٌ أمينُ اللهِ في الأرضِ والذي بهِ تَمْنَعُ الأيامُ ذاتَ المحارمِ

وجَاوزَ الشعراءُ المُوَالُونَ للأمويين والمُنافقونَ لهم القَصْدَ في إطلاقِ لَقبِ المَهْدِيِّ على خُلفائهم ، فإنهم لم يُضْفُوهُ على أتقيائهم وصُلَحائهم فحسب ، بل

---

(1) ديوان جرير ١ : ٢٢٥.

(2) ديوان الفرزدق ١ : ٢٨١.

(3) ديوان الفرزدق ٢ : ٣٠١.

(4) ديوان الفرزدق ٢ : ٣٠١.

أَضْفَوْهُ أيضاً على مُجَّانهم وخُلعائهم ! فقد وَصَفُوا يزيد بن عبد الملك بالمَهْدِيِّ ، وإمام الهُدَى ، والمَنْصُور ، قال الفرزدق[1] :

صَلَّى صُهَيْبٌ ثلاثاً ثم أَنْزَلَهَا على ابنِ عَفَّان مُلْكاً غيرَ مَقْصُورِ[2]
وصيَّةً مِنْ أبي حَفْصٍ لسِتَّتِهِمْ كانوا أَحِبَّاءَ مَهْدِيٍ ومَأْمُورِ[3]

وقالَ[4] :

أَرَى اللهَ قد أَعْطَى ابنَ عاتكةَ الذي لهُ الدِّينُ أَمْسَى مُسْتَقِيمَ السَّوالفِ[5]
تُقَى اللهِ والحكْمُ الذي ليسَ مثلَهُ ورأفة مَهْدِيٍ على الناس عَاطفِ

وقال[6] :

إمامٌ كَأَيِّنْ مِنْ إمامٍ نَمَى به وشَمْسٍ وبَدْرٍ قَدْ أَضَاءَا فنَوَّرا

---

(١) ديوان الفرزدق ١ : ٢١٤ .

(٢) هو صهيب بن سنان النمري ، صحابي جليل ، أوصى إليه عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس حتى يَجتَمعَ أهلُ الشورى على رجل ، مات سنة ثمانٍ وثلاثين . (انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٣ : ٢٢٦ ، وطبقات خليفة بن خياط ١ : ٤٢ ، ١٤٥ ، والتاريخ الكبير ٢ : ٢ : ٣١٦ ، والمعارف ص : ٢٦٤ ، والجرح والتعديل ٢ : ١ : ٤٤٤ ، وحلية الأولياء ١ : ٣٧٣ ، والاستيعاب ٢ : ٧٢٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٤٤٨ ، وأسد الغابة ٣ : ٣٠ ، والبداية والنهاية ٧ : ٣١٨ ، والإصابة ٢ : ١٩٥ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ٤٣٨ ، وتقريب التهذيب ١ : ٣٧٠ ، وشذرات الذهب ١ : ٤٧) .

(٣) الستة هم : مروان بن الحكم ، وابنة عبد الملك ، والوليد وسليمان ابنا عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك .

(٤) ديوان الفرزدق ٢ : ١٧ .

(٥) هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . والسوالف : جمع سالفة ، وهي جانب العنق .

(٦) ديوان الفرزدق ١ : ٣٤٦ .

وكان الذي أعطاهُا اللهُ منها إمامَ الهُدَى والمُصْطَفى المُتنظَّرا

وقال جرير[1] :

فَذُو العَرْشِ أعْطَانا على الكُرْهِ والرِّضا إمامَ الهُدَى ذَا الحِكْمةِ المُتَخَيَّرا

وقال[2] :

زانَ المنابرَ واختَالَتْ بمُنْتَجبٍ مُثَبَّتٍ بكتابِ اللهِ مَنْصُورِ

وقال كُثَيِّر[3] :

إمامُ هُدًى قَدْ سَدَّدَ اللهُ رَأْيَهُ وَقَدْ أحْكَمَتْهُ ماضياتُ التَّجاربِ

وقالَ الفَرَزدق في الوليد بن يزيد[4] :

فإنْ يَبْعَثِ المَهْدِيُّ لي نَاقَتي التي يَهيجُ لأصْحَابي الحَنينَ بُكاؤُها

وقالَ طُرَيْحُ بن اسماعيل الثَّقَفيُّ يَصِفُهُ بالخليفة الفَاضلِ، وإمامِ الهُدَى، والمَلِكِ الجَليلِ، ويُصَوِّر سُرورَ الناسِ بِعَهْدِهِ، وتَبْجيلَهم لشَخْصِيَّتِهِ، لأنّه أعزَّ ضَعيفَهم، وأنْصَفَ مظلومهم، وأمَّنَ خائِفَهم، وأغْنَى فقيرهم، وطَهَّرَ نُفُوسَهم،

---

(1) ديوان جرير ١ : ٤٧١.

(2) ديوان جرير ١ : ١٤٨.

(3) ديوان كثير ص : ٣٤٢.

(4) ديوان الفرزدق ١ : ١٢.

وألَّفَ بين صُفوفهم ، وحَمَى دِيارَهم ، فإذا هُمْ بسياستِهِ أُمّةٌ واحدةٌ مُتَماسِكَةٌ مُتَعاونةٌ[1] :

دَعْ عَنْكَ سَلْمَى لغيرِ مَقْلِيَةٍ وَعُـدَّ مَـدْحـاً بيُـوتُـهُ شُرُدُ[2]
للأَفْضَـلِ الأَفْضَلِ الخليفةِ عَبْـ ـدِ الله مِنْ دون شَأْوِهِ صَعَدُ[3]
أنتَ إمامُ الهُدَى الذي أَصْلَحَ الـ ـلهُ به النـاسَ بعدَمـا فَسَدُوا
لَـمَّا أتى الناسَ أنَّ مُلْكَهُم إليكَ قدْ صارَ أمْرُهُ سَجَدُوا
واستَبْشَـروا بـالـرِّضا تُبَاشِرُهُمْ بالخُلْدِ لَوْ قِيلَ إنكُمْ خلُدُ
واسْتقبَلَ الناسُ عِيشَةً أُنُفاً إنْ تَبْقَ فيها لَهُمْ فقدْ سَعِدُوا
رُزِقْتَ مِنْ وُدِّهِمْ وطَاعَتِهِمْ ما لم يَجِدْهُ بوَالِدٍ وَلَـدُ[4]
أثْلَجَهُمْ مِنكَ أنهم عَلِمُوا أنَّكَ فيما وَلِيتَ مُجْتَهِدُ
وأن ما قَدْ صَنَعْتَ مِنْ حَسَنٍ مِصْداقُ ما كنتَ مَرَّةً تَعِدُ
أَلَّفْتَ أهْوَاءَهُم فأصْبحتِ الأَ ضْغَانُ سِلْماً ومَاتَتِ الحِقَدُ
فأنتَ أمْنٌ لِمَنْ يخافُ وَلِلْـ ـمَخْذولِ أوْدَى نَصِيرُهُ عَضُدُ

وَوَصَفَهُ غيرُ شاعرٍ بأنه الخليفةُ الذي أَحَقَّ الحَقَّ ، وأزْهقَ الباطلَ ، قالَ إبراهيم بن هَرْمة القرشي[5] :

خَليفَةُ حَقٍّ لا خَليفةُ باطلٍ رمَى عن قناةِ الدِّينِ حتى أقامَها

---

(١) الأغاني ٤ : ٣٢٣.

(٢) المقلية : الكره. الشرد : السائرة في البلاد.

(٣) الصعد : المشقة.

(٤) وَجَدَ به : أحبه حباً شديداً.

(٥) الأغاني ٤ : ٣٩٦ ، وديوان إبراهيم بن هرمة القرشي ص : ٢١١.

وقال يزيدُ بن ضَبَّةَ مولى ثقيفٍ[(١)]:

إمامٌ يُوضِحُ الحَقَّ ... لهُ نُورٌ على نُورِ

وذكَرَ بعضُ الشعراء أنه الخليفةُ المباركُ، قال ابن مَيَّادةَ المريُّ[(٢)]:

رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيدِ مباركاً ... شديداً بأعباء الخلافَةِ كَاهِلُهْ

وقال مروان بن أبي حَفْصةَ[(٣)]:

إنَّ بالشَّامِ بالمُوَقَّرِ عِزّاً ... وملوكاً مباركينَ شهودا

وجاء في قَصصِ الأمويين الذي وَضَعَهُ أنصارُهم بعد سُقوطِ دَوْلتهم أنه كان لخلفائهم ألقابٌ كألقابِ الخلفاء العباسيين، قال المَسْعودي[(٤)]: «وقد رأينا بعض المُتأخِّرين ممن ينحرفُ عن الهاشميين الطالبيين منهم والعباسيين، ويتحيَّزُ إلى الأمويين، ويقول بإمَامتهم، يذكرُ أنه كانت لِمَنْ مَلَكَ من بني أميَّة ألقابٌ كألقابِ خلفاءِ العباسيين، وذكَرَ في ذلك روايتين: إحداهما: قال: روَى محمد بن عبد الله بن محمد القُرَشي، قال: حَدَّثنا مُصْعبُ بن عبد الله عن أبيه عن جده، قال: حدثني سابقٌ مولى عبد الملك بن مروان، قال: سمعتُ أمير المؤمنين عبد الملك

---

(١) الأغاني ٧: ٩٩.

(٢) شرح الشواهد الكبرى، بهامش خزانة الأدب للبغدادي ١: ٢١٩، وشرح شواهد المغني ١: ١٦٤، وتاريخ الخلفاء ص: ٢٥٢، وخزانة الأدب للبغدادي ١: ٣٢٨، ولسان العرب: زيد.

(٣) شعر مروان بن أبي حفصة ص: ٣٣.

(٤) التنبيه والإشراف ص: ٢٨٩.

يقول : تَلَقَّبَ أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان بالناصِرِ لحقِّ اللهِ ، ويزيد بن معاوية بالمُسْتَنْصِر على الربيع ! ومعاوية بن يزيد بالرَّاجع إلى الله ، ومروان بالمؤمن بالله .

والثانية : قال : حَدَّثنا أبو مطرف عن أبيه عن جَدِّه ، قال : تلقَّبَ عبدُ الملك بالمُؤْثِر لأمرِ الله ، والوليد بن عبد الملك بالمُنْتَقِم لله ، ولُقِّبَ سليمان بن عبد الملك بالمَهْدي ، وتَلَقَّب هو بالدَّاعي إلى الله ، وعمر بن عبد العزيز بالمَعْصُوم بالله ، ويزيد بن عبد الملك بالقادرِ بِصُنْعِ الله ، وسُمِّيَ هشام بن عبد الملك بالمنصور ، وذلك أنه وُلِدَ في الساعةِ التي وَرَدَ الكتابُ فيها بما كان من مَقْتَلِ مصعب بن الزبير ، فلما قَدِمَ أبوهُ جِيءَ به إليه ، وخُبِّرَ باسمه ، فقال : ليس هذا من أسمائنا ، بل سَمُّوه باسم جَدِّه لأُمِّه هشام ، ولَقِّبُوه المَنْصُورَ ، فلم يزل على ذلك حتى عَهِدَ إليه يزيد ، فَلُقِّبَ بالمُتَخَيَّرِ من آل الله ، وتَلَقَّبَ الوليد بن يزيد بالمكتفي بالله ، ويزيد بن الوليد بالشاكر لأَنْعُمِ الله ، وابراهيم بن الوليد بالمُتَعَزِّزِ بالله ، ومروان بن محمد بالقائم بحق الله ، وكان عبد العزيز بن مروان إذْ كان وَلِيَّ عَهْدٍ يُدْعَى له على المَنابِرِ بالمُعَظِّمِ لحُرماتِ الله ، وكان مسلمة بن عبد الملك لَمَّا بني مدينته على خليج القسطنطينية سَمَّاها مدينة القَهْرِ ، وتسَمَّى بالقاهرِ بِعَوْنِ الله » .

وهي ألقابٌ مُفْتَعلةٌ ، وقد قطع المسعودي بافتعالها ، يقول(١) : « وهو وإنْ جاء بهاتين الرّوايتين ، فإنَّ الكافَّةَ على خِلافِه ، فلو كانَ الأمرُ على ما ذكر لَظَهر ، واشتهرَ ، واستفاض ، وجاء في الأخبار المنقولة القاطعة لِلْعُذْر ، والأعمال المَوْروثة ، فَلَمَّا لم يذكرهُ الجمهورُ من حَملةِ الأخبارِ ونَقَلةِ السيِّر والآثار ، ولا دَوَّنَهُ مُصَنِّفُو

---

(١) التنبيه والإشراف ص : ٢٩٠.

الكتب في التواريخ والسير، مِمَّنْ ذكرَ أخْبارهم، ووَصَفَ أيامهم، مِمَّن تَوَلاَّهم وانْحَرَفَ عنهم، عُلِمَ أَنَّ ذلك لا أصْلَ له».

وأشار إلى أنه لم يَجِدْ لذلك أثراً في مَلاحِم الأمويين، ولا سيما كتاب: «البراهين في إمامة الأمويين»، إذ «لم يذكر في هذا الكتاب هذه الألقاب ولا شيئاً منها[1]».

(١) التنبيه والإشراف ص: ٢٩٢.

(٨) استغلالُ العباسيِّينَ لعقيدةِ المَهْدِيِّ

وبَدأَ العباسيُّونَ الدعوةَ لأنْفُسِهِم ، والعملَ لإقامةِ دَوْلَتِهم في هذا الجو المشحونِ بالحديثِ عن المَهْدِيِّ المُنْتَظرِ ، والتَّعلُّقِ به ، وانْتِحالِ الأمويين والأحْزَابِ الأخرى له ، ودَفْعِ بَعْضهم لبعضٍ عنه ، فرأَوْا أنْ يكونَ لهم سلاحٌ من جِنْسِ سلاحِ خُصُومِهم ، فاستَغَلُّوا عقيدةَ المَهْدِيِّ في الدَّعْوَةِ لأنفسهم ، والتَّبشيرِ بخلافتهم ، وأفْرَطوا في الاعتمادِ على التَّنبؤاتِ والإخبارِ بالمُغَيَّباتِ ، فذكروا في قَصَصِ الدَّعْوَةِ سَنَةَ الحِمارِ(١) ، وهي سنةُ مائةٍ ، وهي المَوْعدُ الذي ضَرَبُوهُ لِنَشْرِ دَعوتِهم(٢) ، وذكَرُوا الرَّاياتِ السُّود(٣) ، وهي شعارُ الثَّوْرةِ على الظُّلْمِ(٤) ،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٩٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٦ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٨٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٢١ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٨ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣١٩ .

(٣) كانت راية رسول الله سوداء . (انظر فتوح البلدان ص : ١١٢ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٤٥ ، وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١ : ٢٩) وفي وقعة بدرٍ كان أمامَ رسول الله رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالبٍ ، يقال لها : العقاب ، والأخرى مع بعضِ الأنصار » . (انظر السيرة النبوية ٢ : ٢٥١) . وكانت راية علي بن أبي طالب سوداء . (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٤٥) وفي وقعة صفين كانت رايات أهل العراق سوداً وغير سودٍ ، وألويتهم دُكناً وسُوداً . (انظر وقعة صفين ص : ٢٣٢) . وكان لواء بهلول بن بشر الشيباني الخارجي سنة تسع عشرة ومائة أسود . (أنظر تاريخ الطبري ٧ : ١٣١) وكانت أعلام أبي حمزة الخارجي سنة تسعٍ وعشرين ومائة سوداً . (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٧٤ . والكامل في التاريخ ٥ : ٣٧٣) وكانت رايات الحارث بن سريج التميميِّ المرجئيِّ سنة ثمانٍ وعشرين ومائة سوداً . (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٣١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٢) ومعنى ذلك أن السواد شعارٌ إسلاميٌّ ثوري قديم .

(٤) السيادة العربية ص : ١٢٥ ، والفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص : ١٢٦ .

وأشاعوا أنَّ أصْحابَهَا يُقْبِلُونَ من المَشْرِقِ ، فيُزيلُونَ دَوْلَةَ بني أمية ، ويُوَطِّئون لِلمهديِّ سُلْطانَهُ[١] .

وزَعَمُوا أنَّ المَهْدِيَّ منهم ، وأنكَروا أنْ يكونَ من غَيْرِهم ، ورَوْوا في ذلك أحاديثَ كثيرة [٢] ، وقد اقْتصَروا في بعضهَا على الإيحاء بأنَّ المَهْدِيَّ من أهْلِ البَيْتِ[٧] ، ولكنهم لم يُسَمُّوهُ ولم يَنْسِبُوهُ ، بل تَركُوهُ مجهولَ الإسم ، مُبْهَمَ النَّسبِ ، لا يُعْلَمُ هل هو عباسيٌّ أوْ عَلَويٌّ ، ويبدو أنهم رَوَّجوا هذا الضَّرْب من الأحاديثِ في أوَّلِ دَعْوَتهم ، لِيَسْتَميلُوا الناسَ إليهم ، ويُرَغِّبُوهم في مَهْدِيِّهم ، ويُلَبِّسُوا الأمرَ على العَلَوِيِّينَ أبناءِ عُمُومَتهم ، ويَضُمُّوهم تَحْتَ لوائهم .

وأشاروا في بعضها إلى أنَّ المَهْدِيَّ من وَلَدِ العباس بن عبد المطلب [٣] ، ولكنهم

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٢٧٧ ، وسنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٦ . ١٣٦٧ . ١٣٦٨ . وسنن الترمذي ٤ : ٥٠٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٥ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٩٩ . ٢٠٧ . ٢٤٥ . وتاريخ الطبري ٧ : ٣٣٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٥ ، والبدء والتاريخ ١ : ١٧٤ . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٥ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٧ . وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١ : ٢٨ ، ٢٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥١ . ٦٧ . وتاريخ ابن خلدون ١ : ٥٦٦ ، ٥٧١ ، ومختصر تذكرة القرطبي ص : ١٣٣ ، ومنتخب كنز العمال في سنن الاقوال والأفعال . بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٢٩ ، ٣٠ . والفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص : ١٢٦ .

(٢) ضحى الإسلام ٣ : ٢٣٩ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١ : ٨٤ . وسنن أبي داود ٤ : ٤٧٤ ، ٤٧٥ . وسنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٧ ، وسنن الترمذي ٤ : ٥٠٥ . وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١ : ٢٥ ، وتاريخ ابن خلدون ١ : ٥٥٨ ، ٥٦١ ، ٥٦٧ ، ومختصر تذكرة القرطبي ص : ١٣٣ ، ومنتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٣٠ . ٣١ . والفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص : ١٢٩ .

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ٤٧ ، ٤٨ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٩ ، ٢٠٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٠ ، ومنتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٣١ .

لم يُسَمُّوه ولم يَصِفُوهُ ، بل اكْتَفُوا بذِكْرِ نسَبِه. وكأنَّهم أذَاعُوا هذا الضَّربَ من الأحاديثِ بعدَ بداية دَعْوَتِهم بزَمنٍ ، ليُوقعُوا في أخْلَادِ الناس أنَّ المَهْدِيَّ منهم ، ويَحْمِلُوهم على الاعتقادِ بأنه مَعْقِدُ رَجائِهم ، ويستَطِلعُوا رأيَ العَلَوِيِّينَ أبناءِ عُمُومتِهم في مُنَافَسَتِهم لهم في عقيدَةِ المَهْدِيِّ ، ويَتَبَيَّنُوا مَوْقِفَهم وَرَدَّهم.

وقَرَّروا في بعضها أنَّ المَهْدِيَّ منهم دونَ غيرهم ، وأنه لا يكون في سِواهم ، وحَدَّدوا اسمَهُ واسمَ أبيهِ وأمِّهِ وصِفَتِهِ. ويظهرُ أنهم بَثُّوا هذا الضربَ من الأحاديثِ بعدَ أن ازْدادتِ المسابقةُ بينَهم وبينَ العَلَوِيِّينَ أبناءِ عُمُومتهم في عقيدةِ المَهْدِيِّ ، واشتدت المُشاحنةُ بينَهم فيها ، وجَعَلَ كلُّ فريقٍ منهم يَدَّعيهَا لِنَفْسِه ، ويَصْرِفُ خَصْمَهُ عنها. وقد بدأ الخلافُ بينهم فيها في العُشْرِ الثالثِ من القَرْنِ الثاني ، ثم تَفَاقَمَ وبلغَ العداوةَ في العُشْرِ الخامس من القَرْنِ الثاني. وكانوا في أثناءِ ذلك يُقاومُ بعضُهم بعضاً بما يَرْوي من أخبارٍ وأحاديثَ[1] ، وبما يَسُوقُ من نصُوصٍ وأحْكامٍ على حَقِّهِ في المَهْدِيِّ المُنْتظَرِ. ثم تَخَطوا الحربَ باللسان إلى الحرب بالسَّيْف ، ولم يزالوا يقْتَتلونَ حتى قَتَلَ أبو جَعْفرٍ محمدَ بنَ عبد الله الحَسَنِيَّ ، وكانَ أعْلَنَ أنه المَهْدِيُّ ، ونَازع أبا جَعْفرٍ في الإمامةِ ، وغَالبَهُ على المُلْك.

---

(١) انظر الأحاديث التي كان العلويون يُرَوِّجونها ويحتجون بها في سنن أبي داود ٤ : ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٧ ، وسنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٨ ، وسنن الترمذي ٤ : ٥٠٥ ، وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١ : ٢٧ ، وتاريخ ابن خلدون ١ : ٥٥٧ ، ومختصر تذكرة القرطبي ص : ١٣٤ ، ومنتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٣١.

(٩) تَسْمِيةُ أبي العباس بالمَهْدِيِّ

وَوَرَدَ في قصَصِ الدَّعْوَةِ أنَّ اسمَ القائم بالأمْرِ هو عبدُ الله[١] ، ومن أجلِ ذلك سَمَّى محمدُ بن عليٍّ بن عبد الله بن العباس اثنين من أبنائِهِ بهذا الاسم[٢] . ووَردَ فيها أَنَّ صاحبَ الأمْرِ من وَلَدِهِ هو عبدُ الله أبو العباس ، وأنه أخْبَرَ الدعاةَ بذلك حينَ قَدِمُوا عليه من خُراسان ، بعدَ مَوْلدِ أبي العباس ، فإنه أخْرَجَهُ إليهم وقال لهم[٣] : «هذا صَاحِبكم الذي يَتمُّ الأمرُ على يَده» .

وتَرَدَّدَ في قَصَصِ الدَّعْوَةِ أنَّ القائمَ بالأمْرِ منهم هو ابنُ الحارثية[٤] ، وروَى اليعقوبي في خبر لقاء الإمام محمد بن علي للنقباء من أهل خراسان قبلَ وَفاتِهِ أنه قالَ

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩٧ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٦ .

(٢) العقد الفريد ٤ : ٤٧٧ ، وكتاب المكافأة وحسن العقبى ص : ٢٦ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ٨٢ ، وانظر الأخبار الطوال ص : ٣٣٣ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١١٥ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩٧ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٦٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٧ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٩ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٩٣ . وانظر ما ورد في خبر تَنَبُّؤ أبي العباس بموته في الأخبار الموفقيات ص : ١٩٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٧٨ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ٥١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٦٠ .

لهم[1] : «لَن تَلْقوني بعد وَقْتي هذا ، وأنا ميتٌ في سنتي هذه ، وكان ذلك في أوَّلِ سنة خمس وعشرين ومائةٍ ، وصاحبكم ابني إبراهيم مَقْتُولٌ ، فإذا قَضَى اللهُ فيه قضاءه ، فصاحبكم عبدُ الله ابن الحارثية ، فإنه القائم بهذا الأمْرِ ، وصاحبُ هذه الدَّعْوَةِ الذي يُؤْتيهِ اللهُ المُلْكَ ، ويكون على يدِهِ هلاكُ بني أمية» . وتَرَدَّدَ فيها أنَّ بني أمية كانوا يعلمون ذلك[2] .

وجاء في قَصَصِ الدَّعْوَةِ أنَّ صفة ابن الحارثية كانت شائعةً مُتَداولةً ، وأنَّ بني أمية كانوا يعرفونها ، قال اليعقوبي في خبر قَبْضِ مروان بن محمدٍ على الإمام إبراهيم بن محمدٍ[3] : «أُشيرَ لهم إلى إبراهيم ليأخُذُوهُ ، وقد كانَ وُصِفَ لهم بِصِفةِ أبي العباس ، وأبو العباس المَوْصُوفُ بقَتْلِهم ، فلما أُتِيَ به إلى مروان قال : ليس هذه الصِّفة ! فقال الرَّسُولُ : قد والله رأيتُ الصِّفةَ ولكن قلت : إبراهيم بن محمدٍ ، وهذا إبراهيمُ بن محمدٍ ، فَردَّهُمْ في طَلَبِ أبي العباس ، فَوَجَدُوهُ قد تَغَيَّبَ» .

وجاء في خبر بَحْثِ الدُّعاة عن أبي العباس بالكوفة ليُخرِجُوهُ ويُبايعُوهُ أنهم كانوا يَسألُونَ عن ابن الحارثية[4] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٢.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٢ ، والكامل ، للمبرد ٢ : ٢١٨ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٣٩ ، ٢٠١ ، والعقد الفريد ٥ : ١٠٤ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٨ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣٢ ، ومقاتل الطالبيين ص : ٢٣٥ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٤٧ ، ٢٧٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢١ ، ١٠ : ٥٠ ، ٥٩ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٢ ، وانظر ذلك في أنساب الأشراف ٣ : ١٢٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٢٢ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٤٠١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٢٠.

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١١٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٢٤ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٩ ، ٨١ ، وتاريخ الموصل ص : ١٢١ ، والوزراء والكتاب ص : ٨٧ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٧ ، ١٩٩ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١١ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٢٠.

وروى مصنفُ أخبارِ الدولةِ العباسية أنَّ الإمام محمَد بن علي كان يُسَمِّي ابنَهُ أبَا العباس المَهْدِيَّ ، وأنه كان يُنافِسُ الحَسَنِيِّينَ في هذا اللَّقَبِ ، ويُخَاصِمُهم فيه ، ويُقْصِيهم عنه ، ويَرْفُضُ ما كان يَذْكُرُهُ عبد الله بن الحسن من أنَّ ابنه محمداً هو المَهْدِيُّ ، وأنه كان يُفْضي بذلك إلى أبي هاشمٍ بكير بن ماهان ، كبيرِ الدعاة بالعراق ، فقد أسْنَدَ إلى أسيد بن دُغَيمٍ المُسْلي أنه قال[1] : «سمعتُ بكيراً يقول : إني لَجالسٌ عند محمد بن عليٍ ، حين أقْبَلَ ابو العباس ابْنُهُ ، فدَفَعَ إليه كتاباً فَقَرأَهُ فقال : أتَدْري مِمَّنْ هذا الكتاب؟ فقلتُ : لا ، قال : مِنْ خالِ هذا : زياد بن عبيد الله الحارِثيِّ ، سَيِّدِ قَوْمِهِ ، يا أبا هاشمٍ ، وأشار إلى أبي العباس ، هذا المُجَلِّي عن بني هاشمٍ القائمُ المَهْدِيُّ ، لا ما يقول عبد الله بن الحسن في ابنه» .

وهكذا استَغَلَّ العباسيون عقيدةَ المَهْدِيِّ في المَرْحَلَةِ السِّرِّيَّةِ من دَعْوتهم ، واتَّكأوا عليها في اجْتِذابِ الناس إليهم . وقد تَدَرَّجُوا في استِغلالِهَا والاتِّكاءِ عليها تَدَرُّجاً مَحْسُوباً ، إذ كانوا في أول أمْرِهم يُشيعونَ أَنَّ المَهْدِيَّ من آلِ البَيْتِ ، ثم أخَذُوا يُلَمِّحُون إلى أنه من بني العباس ، ثم جَعَلُوا يُصَرِّحُونَ بذلكَ تَصْريحاً ، ويُؤَكِّدونه تأكيداً ، ونازَعُوا أبناءَ عُمُومتهم العَلَوِيِّينَ في لَقَبِ المَهْدِيِّ ، وصَدُّوا الحَسَنِيِّينَ منهم عنه صَدًّا .

وظلَّ العباسيون يَدَّعُونَ لَقَبَ المَهْدِيِّ بعد قيامِ دَوْلَتِهم ، فإنهم استَمَرُّوا هم وشيعتهم يُسمُّونَ أبا العباس المَهْدِيَّ ، ويَدُلُّ على ذلك بعض الأخبار ، قال المسعوديُّ[2] : «قد كانَ لُقِّبَ أولاً بالمَهْدي ، ليلةَ الجمعة لثلاثَ عشرةَ ليلةً خَلَتْ

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٣٨ .

(٢) التنبيه والأشراف ص : ٢٩٢ .

من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائةٍ بالكوفة». وقال ابن العمراني[١] : إنَّ المُسَوِّدةَ حين ثاروا بخراسان «خَطَبوا للإمام أبي العباس الهاديِّ المَهْدِيِّ من آل محمدٍ»، ولعله يشير إلى بَيْعَتِهِ بالكوفة، وتَسْمِيَتِهِ بالمَهْدي[٢] ، ومما يُقَوِّي ذلك أَنَّ ابن العِماد الحَنْبلي قال[٣] : «تَوارَى بالكوفة حتى أَتَتْهُ جيوشُ أبي مسلم من خراسان، بعدَ وَقَعاتِهِ العَظيمةِ بأمراءِ الأمويين، فَبايَعُوهُ وسَمَّوْهُ المَهْدِيَّ الوَارِثَ للإمامة». ورَوَى ابن كثيرٍ أَنَّ أبا مسلم قال لأبي جعفر بعد أنْ خالَفَهُ ونابَذَهُ : «إنَّ أخاكَ السَّفاح ظَهَرَ في صورةِ مَهْدِيٍ[٤]».

ويُدلُّ عليه أيضاً بعضُ الأشعار التي مَدَحَهُ بها الشعراءُ في أيام خلافته، ومنها قَوْلُ شِبْلِ بن طَهْمان مَوْلَى بني هاشم[٥] :

أنْتَ مَهْدِيُّ هاشمٍ ورِضَاهَا كَمْ أُناسٍ رَجوكَ بعدَ إياسِ

وقولُ سدَيْف بن مَيْمُون مَوْلَى بني هاشم[٦] :

ظَهَرَ الحَقُّ واسْتَبَانَ مُضِيًّا إذْ رَأَيْنَا الخَليفَةَ المَهْدِيَّا

ويَقطَعُ به قَطعاً نقشٌ بمِئْذَنَةِ جامع صَنْعاء، كُتِبَ سنة ستٍ وثلاثين ومائةٍ، إذْ وَرَدَ فيه أنه كانَ يُسَمّى المَهْدِيَّ، وهو يَجْري على هذا النَّحو[٧] : «بسم الله

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء ص: ٥٩.

(٢) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص: ١٢٨.

(٣) شذرات الذهب ١ : ١٧٩.

(٤) البداية والنهاية ١٠ : ٦٩.

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ١٦٢، والأغاني ٤ : ٣٤٥، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٢٥.

(٦) شذرات الذهب ١ : ١٨٧.

(٧) النص منقول عن الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص: ١٢٤.

الرحمن الرحيم . لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ . لا شَريكَ له . محمدٌ رسولُ الله ، أرْسَلَهُ بالهُدى ودينِ الحَقِّ ، لِيُظهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ . ولو كَرِهَ المشركون . أمرَ المَهْدِيُّ عبدُ الله عبد الله . أميرُ المؤمنين . أكرَمَهُ اللهُ . بإصْلاحِ المساجدِ وعمارَتِها على يَدِ الأميرِ علي بن الرّبيع [1] . أصْلَحَهُ اللهُ . في سنة ستٍّ وثلاثين ومائة . عَظَّمَ اللهُ أجرَ المَهْدِيِّ وتَقَبَّلَ عَمَلَهُ » .

ويُلَقَّبُ أبو العباس بألقابٍ أُخْرَى كالمُرْتَضَى ، والقَائِم ، والسَّفاح ، فقد سَمَّاه المَقْدِسيُّ المُرْتَضى [2] ، وذكَرَ الخطيب البغدادي أنه كان يقال له : السَّفاحُ ، والمُرْتَضَى ، والقائم [3] ، ووصَفَهُ السيدُ الحمْيريُّ بالقائم ، إذ يقولُ لسليمان بن حبيب المُهَلَّبي ، حين دَخَلَ عليه يَحْمِلُ إليه كتابَ أبي العباس بِعَهْدِهِ على فارس [4] :

أتَيْنَاكَ بِاخَيْرَ أهْلِ العِرَاقِ بِخَيْرِ كِتابٍ مِنَ القَائمِ

وأطْلَقَ أبو العباس على نَفْسِهِ لَقَبَ السَّفاح في خطبته الأولى بالكوفة ، إذ يقول [5] : « قَدْ زِدْتُكُمْ في أَعْطياتكم مائةً مائةً ، فاستَعِدُّوا ، فإني السَّفاحُ المُبيحُ ،

---

(١) كان علي بن الربيع الحارثي والياً على اليمن من سنة أربع وثلاثين ومائة الى سنة ستٍ وثلاثين ومائة . (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٣١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٦٥ ، وتاريخ الموصل ص : ١٥٥) .

(٢) البدء والتاريخ ٦ : ٨٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٠ : ٤٦.

(٤) تاريخ الموصل ص : ١٢٥ ، والوافي بالوفيات ١ : ٣٥ ، وفوات الوفيات ١ : ١٩٣ ، وديوانه ص : ٣٩٦.

(٥) أنساب الأشراف ٣ : ١٤٣ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٣ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٢١ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤١.

والثَّائرُ المُبيرُ». وللسَّفَّاحِ معانٍ كثيرة[1] ، ومعناه هنا المِعْطَاءُ. وجاء في بعضِ الأحاديثِ المُبَشِّرةِ بظهورِ المَهْدِيِّ أنه كريمٌ يبذُلُ المالَ بسخاءٍ ، فقد اسند مسلمٌ إلى الرسول من طرقٍ مُتعدِّدَةٍ أنه قال[2] : «يكونُ في آخرِ أمتي خليفةٌ يَحْثي[3] المال حَثْياً ، لا يَعُدُّهُ عَدًّا» ، ولم يَرِدْ لَفظُ السَّفَّاح في روايات الحديثِ المختلفةِ ، بل وَرَدَ في قَصصِ الدَّعْوَةِ ، قال الأزديُّ[4] : قال أبو سعيدٍ الخُدْريُّ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يَخْرُجُ في أمتي رَجُلٌ يقال له السَّفاحُ ، يكونُ عَطاؤه المالَ حَثْياً» . وأخرجَ الخطيبُ البغداديُّ من طريق أبي سعيدٍ الخُدْريُّ أنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم[5] : «يخرجُ منا رَجُلٌ في انْقِطاعٍ من الزمن وظُهورٍ من الفِتَنِ يُسمَّى السَّفاح ، يكون عَطاؤُهُ المال حَثْياً» .

ونَصَّ الصَّابي على اضطرابِ الرواياتِ في لَقبِ أبي العباس ، وتَبايُنِ المؤرخينَ فيه ، إذ يقول[6] : «اختُلِفَ في لَقبه ، فقيل : القائم ، وقيل : المُهتدي[7] ، وقيل : المُرْتَضى ، لما غَلَبَ عليه السَّفاح» .

---

(١) اللسان : سفح.

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٣٤ — ٢٢٣٥ ، وانظر مسند أحمد بن حنبل ٣ : ٢١ ، ٣٧ ، ٥٢ ، وسنن أبي داود ٤ : ٤٧٥ ، وسنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٧ ، وسنن الترمذي ٤ : ٥٠٦ ، وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١ : ٣٠ — ٣١ ، وتاريخ ابن خلدون ١ : ٥٦٢ — ٥٦٤ ، ومختصر تذكرة القرطبي ص : ١٣٤ ، ومنتخب كنز العمال في سنن الأقوال والافعال ، بهامش مسند الإمام احمد بن حنبل ٦ : ٣٠.

(٣) حثى المال يحثيه حَثْياً ، وحثاه يحثوه حَثْواً : حَفَنَهُ بيده حَفْناً ، والمقصود أنه واسع العطاء.

(٤) تاريخ الموصل ص : ١٢٣.

(٥) تاريخ بغداد ١٠ : ٤٨ ، وانظر البداية والنهاية ١٠ : ٥٠ ، ٥٩ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٦.

(٦) رسوم دار الخلافة ص : ١٢٩ ، وانظر مآثر الإنافة في معالم الخلافة ص : ١٧.

(٧) لعله المهدي.

(١٠) تجريد أبي العباس من لقب المهدي

ويبدو أنّ الاختلافَ في لقبِ أبي العباس يَرْجعُ إلى انقِلابِ أبي جعفرٍ على الدَّعْوةِ، وثورتِهِ على الثورةِ العباسية، بعد موتِ أخيه ابي العباس، وأنه كان له يدٌ في انْتزاعِ لَقَبِ المهْدِيِّ منه، ونَسْخِهِ له بِلَقبِ السَّفاح خاصةً، وإضفاءِ لَقَبِ المَهْدِيِّ على ابنه محمدٍ، ويَبْدُو أنَّ الضرورة السياسيةَ هي التي اجْبَرَتْهُ على ذلك[١].

فقد تُوفِّيَ أبو العباس، وبوَفاتِهِ زال المهديُّ من بني العباس، ثم ثارَ محمدُ بن عبد الله الحَسَنيُّ بالمدينةِ، وادَّعَى أنه المهْدِيُّ، فسَمَّى أبو جعفرٍ نَفْسَهُ المَنْصورَ، وخرَّجَ الحاكم في مُسْتدركِهِ من رواية مجاهدٍ عن ابن عباسٍ مَوْقُوفاً عليه أنه قال[٢]: «منا أهْلَ البيت أرْبعةٌ: منا السفاحُ، ومنا المُنْذرُ، ومنا المنصورُ، ومنا المَهْدِيُّ». وقد شرحَ ابنُ عباسٍ لمجاهدٍ معنى كلِّ لَقَبٍ من هذه الألْقابِ، «أما المنصورُ فإنه يُعْطَى النَّصْرَ على عَدُوِّهِ الشَّطْرَ مما كان يُعْطَى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويَرْهَبُ منه عَدُوُّهُ على مسيرةِ شَهْرَيْن، والمَنْصُورُ يَرْهَبُ منه عَدُوُّهُ على مسيرةِ شَهْرٍ[٣]». والمرادُ أنَّ المنصورَ يُمَهِّدُ لِلمَهْدي[٤].

(١) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص: ١٣٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون ١: ٥٧٠.

(٣) تاريخ ابن خلدون ١: ٥٧١، وانظر الألقاب الإسلامية ص: ٥١٢.

(٤) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص: ١٣١.

(١١) لقب المنصور

ورجّحَ الدكتور فاروق عمر أنَّ لقبَ المنصورِ عند اليمانية يماثلُ لقبَ المَهْدِيِّ عند الفِرَقِ والأحزاب الأخرى[١]، وأنَّ اتّخاذ العباسيين له شعاراً لِثَوْرتهم وانتحالَ أبي جَعْفرٍ له بعدَ موتِ أخيه أبي العباس يَدُلُّ على اعتمادِ العباسيين على العربِ، ويدلُّ أيضاً على أثرِ اليمانية في دعوتهم، وقُوّة سُلْطانِهم في دَوْلَتهم[٢] .

واحتجَّ لذلك بما رواهُ نَشْوانُ بن سعيدٍ الحميريُّ من أنَّ المنصور لَقَبٌ لقائمٍ مُنْتَظرٍ من حِمْيَرَ يَرُدُّ إليهم الدَّوْلَة ويَنْشُرُ العَدْلَ[٣] . واحتجَّ له بإشارة الهَمْدَاني إلى مَنْصُور حميرَ، وأنه يسكنُ جَبَلَ دامغٍ، ويَظْهرُ في وَقْتٍ مُلَائمٍ[٤] . وسَوَّغَهُ بأَنَّ شعارَ أتباعِ المختار بن أبي عُبَيْدٍ الثّقفي، حين ثاروا بالكوفة سنةَ ستٍ وستين، كان: «يا مَنْصُور أمِتْ[٥]» ، وكان جُلُّهم من اليمانية. وسَوَّغَهُ بأَنَّ عبد الرحمن بن محمد

---

(١) العباسيون الأوائل ١ : ٢١١.

(٢) العباسيون الأوائل ١ : ٢١٢.

(٣) شَمسُ العلوم ص : ١٠٣.

(٤) الإكليل ١٠ : ٧١.

(٥) تاريخ الطبري ٦ : ٢٣ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٢٢٠.

بن الأشْعَثِ الكنديَّ سَمَّى نفسه «المنصور»[١] عندما خَرَجَ وخَلَعَ سنة إحدى وثمانين.

وهو رأيٌ له قيمتُهُ، فإن لَقَبَ «المَنْصُور»: مَنْصُورِ حميرَ أو مَنْصُور اليَمن، صار يدُلُّ على القَائم المُنْتظرِ من اليمانية[٢]، ولكنهم لم يتَّخذوهُ وحدَهُ لَقباً للقائمِ المُنْتظرِ منهم، بل اتَّخَذُوا معه لَقباً آخر، وهو القَحْطَانيُّ. وقد سَمَّى عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعثِ الكنديُّ نَفْسَهُ القَحْطَاني أيضاً[٣]. وكان هذا اللَّقبُ رائجاً في أيام أبي جَعْفَرٍ، قال الأزدي[٤]: قال عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس لإسماعيل بن عبد الله القَسْرِيِّ، وكانوا في رَحْبَة أبي جعفرٍ ينتظرون ركومَهُ: «متى يَظْهَرُ قَحْطَانيكُم يا إسماعيل؟ قال إسماعيل: قد ظَهَرَ، وإني لأنتظرُ أنْ يركبَ عُنقَكَ وأعناقَ نُظَرَائكَ غداً، فهو المَهْدِيُّ، وليُّ عَهْدِ المسلمين ابنُ أمير المؤمنين، ابنُ أختِنا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ابنُ أختِ القومِ منهم. قال: وبَلَغتِ المنصورَ، فأعْجَبَهُ ما كان من جوابه، وَعَقَدَ لإسماعيل على المَوْصِلِ».

ولم يكن لَقَبُ المنصور مَقْصُوراً على اليَمانيَّة خاصةً، بل كان مُشْتركاً بينهم وبين غيرهم[٥]، فقد أطْلَقَهُ الشيعةُ على زَيْدِ بن عليٍ، حين أخذ يفكر في الثورةِ ويَسْتَعِدُّ لها بالكوفة سنةَ إحدَى وعشرين ومائةٍ، قال أبو مِخْنَفٍ[٦]: «جعلت الشيعةُ

(١) أنساب الأشراف المخطوط ٢ : ٢٢.

(٢) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر والعباسي الأول ص: ١٣١.

(٣) التنبيه والإشراف ص: ٢٧٢، وانظر البدء والتاريخ ٢ : ١٨٤، والسيادة العربية ص: ١٢١.

(٤) تاريخ الموصل ص: ٢١٤.

(٥) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص: ١٣١.

(٦) تاريخ الطبري ٧ : ١٦٦، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٣٤.

تَخْتَلِفُ إلى زيد بن عليٍ ، وتأمُرُهُ بالخُروج ، ويقولون : إنا لَنَرْجُو أنْ تكونَ المنصورَ ، وأنْ يكون هذا الزّمان الذي يَهْلكُ فيه بنو أميَّة ».

أما شِعار : « يا مَنْصُورُ أَمِتْ » فهو شعارٌ إسلاميٌّ مُبكِّرٌ(١) ، فقد كان شعارُ الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا مَنْصُورُ أَمِتْ(٢) » ، وقال الواقدي(٣) : « كان شعارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بَدْرٍ : يا مَنْصُورُ أَمِتْ ». وقال ابن هشامٍ(٤) : « كان شِعارُ المسلمين يومَ بني المُصْطَلِق : يا منصور أَمِتْ أَمِتْ ». وكان شعارُ المسلمين يَوْمَ أُبْنَى في غزوة مُؤْتَة : « يا منصور أمِتْ »(٥) . وكان شِعارُ مسلم بن عقيل بن أبي طالبٍ حين تَهيَّأ للخروج بالكوفة سنةَ ستين : « يا مَنْصُورُ أمِتْ(٦) » . وكان شعارُ الشيعةِ الذين ثاروا مع زيد بن عليٍ بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائةٍ : « يا مَنْصُورُ أَمِتْ ، أَمِتْ يا مَنْصُور(٧) » . وكان شعارُ أصحاب الحارث بن سُرَيْج التميميِّ المرجئيِّ بمَرْو الشاهجان سنة ثمانٍ وعشرين ومائة : « يا منْصور »(٨) ، وكان أكثرهم من المُضَريَّة .

---

(١) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص : ١٣١.

(٢) مقاتل الطالبيين ص : ١٣٦.

(٣) المغازي ١ : ٧٢.

(٤) السيرة النبوية ٣ : ٢٥١ ، وانظر المغازي للواقدي ١ : ٤٠٧.

(٥) المغازي للواقدي ٣ : ١١٢٣.

(٦) مقاتل الطالبيين ص : ١٠٠ ، وانظر تاريخ الطبري ٥ : ٣٥٠.

(٧) تاريخ الطبري ٧ : ١٨٢ ، وانظر مقاتل الطالبيين ص : ١٣٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ٩٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٤٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٣٠.

(٨) تاريخ الطبري ٧ : ٣٣٣.

واصْطَنَعَ العباسيون هذا الشعارَ ، فقد رَوَى مُصَنِّفُ أخبارِ الدولةِ العباسية أنَّ الإمام إبراهيم بن محمد قال لأبي هاشم بكير بن ماهان : «ليكن شِعَارُكم : يا محمد يا مَنْصُورُ»(١) . وعندما كتبَ أبو مسلمٍ إلى الكُورِ بإظهارِ الأمرِ سنة تسع وعشرين ومائة ، كان أولُ مَنْ سَوَّدَ أَسَدْ بن عبد اللهِ بِنَسا ، «ونادَى : يا محمدُ يا مَنْصُور» (٢) . وذكرَ المسعوديُّ أنَّ شِعارَ دُعَاةِ العباسيين المُقيمينَ بخراسانٍ عندَ إظهارِ الدَّعْوَةِ ، ونداءهم حين الحروب : محمدُ يا مَنْصُورُ(٣) » . وفي مَوْقِعةِ جُرْجَانَ سنةَ ثلاثين ومائة» نادَى أهل خراسان : يا محمد يا مَنْصُورُ ، ونادَى أهل الشام : يا مَرْوانُ يا مَنْصُور (٤) » . وفي معركة الزَّاب سنة اثنتين وثلاثين ومائة نادى عبدُ الله بن علي : «يا أهلَ خراسانَ ، يا لِثَارَاتِ إبراهيم ! يا محمد يا مَنْصُورُ (٥) » .

وفي ذلك ما يَدُلُّ على أنَّ لَقَبَ المنصور لم يكن لَقَباً يَمانِيّاً خاصًّا ، بل كان لَقباً سياسيًّا عامًّا يرمز إلى قائمٍ مُنْتظرٍ ، ولا سيما منذ بداية المائة الثانية ، فإنه كان مقسوماً بين اليمانيين والعلويين والعباسيين ، إذ كان كلُّ فريقٍ منهم يَدَّعيه ويتسمَّى به . وزادَ العباسيون أنَّ اللهُ يؤيِّدُ المنصور ، ويُظْهرهُ على عَدُوِّهِ ، ويُوَطِّئُ به لِلْمَهْدِيِّ . وزعم أبو جعفرٍ أنه رأَى في المنام أنه يُحاربُ الدَّجَّال ، وكأنه يريدُ به محمدَ بن عبد الله

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٤٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٤ .
وقال أبو حنيفة الدينوري : «تنادوا : محمد ، يا منصور . يعنون محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو أوَّلُ من قام بالأمر ، وبَثَّ دعاته في الآفاق» ! ! (انظر الأخبار الطوال ص : ٣٣١) .

(٣) مروج الذهب ٣ : ٢٥٥ .

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٦ .

(٥) تاريخ الطبري ٧ : ٤٣٤ ، وتاريخ الموصل ص : ١٣٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤٣ .

الحَسَنِيّ ، فقد رَوَى البلاذري بإسنادِهِ إلى ابي جعفرٍ أنه قال[1] : «رأيتُ فيما يَرَى النَّائمُ وأنا بالشَّراةِ كأنَّا حَوْلَ الكَعْبةِ ، فنادَى مُنادٍ من جَوْفِ الكعبة : أبو العباس ، فَنهضَ فدَخَلَ الكعبةَ ، ثم خرجَ وبيَدِهِ لواءٌ قصيرٌ على قناةٍ قصيرةٍ ، فمَضَى. ثم نُودِيَ : عبد الله ، فنَهضْتُ أنا وعبدُ الله بن عليٍ نَبْتَدِرُ ، فلما صِرْنا على درجةِ الكعبة ، دَفَعْتُهُ عَن الدَّرجةِ فَهَوَى ، ودَخَلْتُ الكعبة ، وإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم جالسٌ ، فعَقَدَ لي لواءً طويلاً على قَناةٍ طويلةٍ ، وقال : خُذْهُ بيَدِكَ حتى تُقاتِلَ به الدَّجَّال» !

وجاءَ في خاتمةِ الخَبرِ في روايةٍ ثانيةٍ أنه قال[2] : «فَعَقَدَ [لي] لواءً ، وأَوْصَاني بأُمَّتِهِ ، وعَمَّمني بِعمامةٍ كانَ كَوْرُهَا[3] ثلاثاً وعشرين لفَّةً ، وقالَ : خُذْهَا إليكَ أبا الخُلفاءِ إلى يومِ القيامة».

ومما يُقَوِّي ذلك أنَّ شعار : «يا مَنْصُورُ أمِتْ» لم يكن شعاراً يمانيًّا خَالِصاً ، بل كان شعاراً إسلاميًّا قديماً ، فقد كان شِعارَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في الحُرُوبِ ، وكان شعارَ أصحابِهِ في غَزَواتِهم المُخْتلفةِ ، ثم أصْبَحَ شعارَ الفِرَقِ والأحزابِ الأخرى ، إذ نادَى به الشيعةُ والمُرْجِئَةُ ، وأنصارُ الدَّعوةِ العباسية.

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٩٨.

(٢) العيون والحدائق ٣ : ٢١٦ ، وتاريخ الموصل ص : ١٦٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٢٢.

(٣) الكَوْر : من كار العمامة على رأسه يكورها كَوْراً أي لاثَهَا عليه وأدَارَهَا.

(١٢) تَسْمِيةُ محمد بن أبي جَعْفرٍ بالمَهْدي

وسَمَّى أبو جَعْفَرٍ ابنه محمداً المَهْديَّ ، ونَفَى أنْ يكونَ محمد بن عبد الله الحسنيُّ هو المَهْدِيَّ ، روى أبو الفرج الأصفهاني من طريقِ مَوْلًى لأبي جَعْفَرٍ أنه قال (١) : «أرْسَلَني أبو جَعْفرٍ فقال : اجْلِسْ عند المِنبَرِ فاسْمَعْ ما يَقُولُ محمدٌ ، فَسَمِعْتُهُ يقول : إنكم لا تَشكُّونَ أني أنا المَهْدِيُّ ، وأنا هو. فأخبرتُ بذلك أبا جَعْفَرٍ ، فقال : كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ ، بل هو ابني».

وبذلك أصبحَ الحديثُ المَرْويُّ عن إسم المَهْدِيِّ واسم أبيه ، وأنهما يُوَافِقَانِ إسمَ النبيِّ واسمَ أبيه (٢) يَنْطَبِقُ على مَهْدِيِّ الحسَنِيِّينَ ومَهْدِيِّ العَبَّاسيِّينَ الجديدَ ، فإنَّ كل واحدٍ منهما كان يُسمَّى محمدَ بن عبد الله ، فأحاطَ الغُمُوضُ بمَهْدِيِّ الحسَنِيِّينَ ، والْتَبسَ أمرُهُ بمَهْدِيِّ العَباسيِّينَ الجديد ، فأشاعُوا حديثاً آخر يشيرُ إلى أنَّ المهديَّ من وَلَدِ فاطمةَ ، تَمييْزاً لمَهْدِيِّهم ، وتَخْصيصاً لشَخْصِيَّتِهِ ، وتأكيداً لاسْتِقلالِه ، فقد رَوَوْا من طريقِ أمِّ سلَمةَ المخزوميَّة زَوْجِ النبي صلى الله عليه وسلَّمَ أنها سَمِعَتْهُ

---

(١) مقاتل الطالبيين ص : ٢٤٠.

(٢) سنن أبي داود ٤ : ٤٧٣ ، وسنن الترمذي ٤ : ٥٠٥ ، ومقاتل الطالبيين ص : ٢٣٩ ، وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١ : ٢٦ ، وتاريخ ابن خلدون ١ : ٥٥٧ ، ومنتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٣٠ ، ومختصر تذكرة القرطبي ص : ١٣٤.

يقول[1] : «المَهْدِيُّ من عِتْرَتي من وَلَدِ فاطمة». ومضوا يُفْرِدونَ مَهْدِيَّهم بما يذكرون من نسبِهِ وصِفَتِهِ، فأذاعوا أنَّ أمَّه قرشيَّةٌ، وأنَّ اسْمَهَا هند[2]. وكانت أم محمد بن عبد الله الحسنيِّ هي هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ[3]. ورَدَّدوا أنَّ في كلامِهِ عَجلَةً وعُجْمةً، فنسبوا إلى أبي هريرة أنه أخبرَ أبا صالحٍ «أنَّ المَهْدِيَّ اسمُهُ محمدُ بن عبد الله، في لسانِهِ رُتَّةٌ[4]»، وعَزَوْا إلى إبراهيم بن عليٍّ الرَّافعي أنه قال[5] : «كان محمدٌ تَمْتاماً، فرأيتُهُ على المنبرِ يَتَلجْلَجُ الكلام في صَدْرِهِ، فيَضْرِبُ بيده عليه يَسْتَخْرِجُ الكَلَامَ».

(١) سنن أبي داود ٤ : ٤٧٤، وسنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٨، وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١ : ٢٧، والبداية والنهاية ١٠ : ١٥١، وتاريخ ابن خلدون ١ : ٥٥٩، ٥٦٠، ومختصر تذكرة القرطبي ص : ١٣٤، ومنتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٣٠.

(٢) مقاتل الطالبيين ص : ٢٤٠.

(٣) مقاتل الطالبيين ص : ٢٣٢، وجمهرة أنساب العرب ص : ١١٨، ١١٩.

(٤) مقاتل الطالبيين ص : ٢٤٢.

(٥) مقاتل الطالبيين ص : ٢٤٢.

(١٣) النِّزاعُ بين العباسيِّينَ والحَسنيين في لَقَبِ المَهْدِيِّ

وتَصَدَّى العباسيون لِلحَسَنيِّينَ يَرْفُضُونَ دَعْوَاهم ، ويَنْقُضُونَ حُجَجَهم ، فكَرَّروا أنَّ المَهْدِيَّ من ولد العباس بن عبد المطلبِ ، وساقوا ذلك في صُوَرٍ متعددةٍ من قَصَصٍ وأخبارٍ وأحاديث (١) . ورَوَوْا أنه ابنٌ لأُمٍّ ولدٍ ، يَعْنُونَ جَدَّتَهُ أم أبي جَعْفرٍ ، وهي سلامةُ البَرْبرية (٢) ، وذكروا أنَّ أمَّهُ ليست منهم ، وكانت أم المَهْدِيِّ بن أبي جَعْفرٍ من غيرهم ، وهي أرْوَى بنت منصور بن عبد الله الحميري (٣) . وبَثُّوا أخباراً كثيرةً تشهدُ بذلك [illegible] حكوا عن أبي العباس الفِلَسْطيِّ أنه قال (٤) : «قُلْتُ لمروان بن محمدٍ : جَدَّ [illegible] بن عبد الله ، فإنه يَدَّعِي هذا الأمرَ ، ويتَسَمَّى بالمَهْدِيِّ ،

(١) انظر انساب الأشراف ٣ : ٤٧ ، ٤٨ . وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٩ ، ٣٠ ، ٢٠٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٠ ، ومنتخب كنز العمال في سنن الأقوال والافعال . بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٣١ .

(٢) انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٢٩ . وأنساب الأشراف ٣ : ١١٤ . وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٤ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢٠ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٦٨ . وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٩٢ . وتاريخ الطبري ٨ : ١٠٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢١ . والكامل في التاريخ ٦ : ٢٢ .

(٤) مقاتل الطالبيين ص : ٢٤٧ . ٢٥٨ .

فقال : ما لي وله ، ما هو به ولا من أبيه ، وإنه لابن أمِّ وَلدٍ ، ولم يَهِجْهُ مروانُ حتى قُتِلَ » ، وأضافُوا إلى مروان بن محمدٍ أنه جَهَرَ بأنَّ الحَسَنِيِّينَ ليسوا أعداءَ بني أمية الذين يُنَاهِضُونهم ويَسْلُبونهم سُلْطانَهم ، وأنه اشارَ بالإمْسَاكِ عن سَفْكِ دمائهم ، حَدَّثَ أبو الفرج الأصْفهاني عن شيوخه : « أنَّ مروانَ لمَّا بعثَ عبدَ الملك بنَ عطيةَ السَّعْدِيَّ لِقِتالِ الحَرُورِيةِ ، لَقِيَهُ أهلُ المدينة سوى عبدِ الله بن الحَسَنِ ، وابنيهِ محمدٍ وابراهيم ، فكتبَ بذلك إلى مروان ، وكتبَ إليه : إني هَمَمْتُ بِضَرب أعْنَاقِهم . فكتبَ إليه مروانُ ألا تَعْرِضَ لعبد الله ، ولا لِابْنَيْهِ ، فليسوا بأصحابنا الذين يُقَاتِلُونَا أو يَظْهرونَ علينا »[1].

وزَعَمُوا أنه وَصَلَهم وأمِنَ شرَّهم ، وأنه أمرَ وَالِيَهُ على الحجاز أن يُحافِظَ عليهم ويُحْسِنَ إليهم ، وأنه أعْلَنَ أنَّ العباسيين هم الذين يقاتلون بني أمية وينتزعون الخلافة منهم ، قال أبو الفرج الأصفهاني[2] : « كانت دعوةُ محمدٍ إلى نَفْسِه ، ودعوةُ أبيه ، ومَنْ دعا إليه مِنْ أهلِهِ ، بِعقبِ قَتْلِ الوليد بن يزيد ، ووقوعِ الفِتْنَةِ بعدَه . وقد كان سُعِيَ به إلى مروان بن محمدٍ فقال : لستُ أخافُ أهل هذا البَيْتِ ، لأنه لا حَظَّ لهم في المُلْكِ ، إنما الحظُّ لبني عَمِّهم العباس . وبعثَ إلى عبد الله بن الحسن بمالٍ ، واسْتَكَفَّهُ ، وأوْصَى عاملَهُ بالحجاز أنْ يَصُونهم ، ولا يَعْرِضَ لمحمدٍ بطلبٍ ولا إخافةٍ ، إلاَّ أنْ يَسْتَظْهِرَ حَرْباً أو شَقًّا لِعصاً » .

وقالوا : إن عبد الله بن الحسن تَنَصَّلَ عند مروانَ بنِ محمدٍ مما كان يُنْقَلُ إليه من أنَّ ابنه محمداً يتَسمَّى بالمَهْدِيِّ ، فقد سأله مروانُ : « ما فَعَلَ مَهْدِيُّكم ؟ قال : لا تَقُلْ ذلك يا أميرَ المؤمنين ، فليسَ كما يَبْلُغك[3] » !

(١) مقاتل الطالبيين ص : ٢٥٨ .

(٢) مقاتل الطالبيين ص : ٢٥٧ .

(٣) مقاتل الطالبيين ص : ٢٥٩ .

وهكذا اتَّصَلَتْ حَرْبُ الأحاديثِ المَوْضُوعَةِ والأخبارِ المَصْنُوعةِ بين العَبَّاسِيِّينَ والحَسَنِيِّينَ على لَقَبِ المَهْدِيِّ، فكان كل فريقٍ منهم يُرَوِّجُ منها ما يَقْطَعُ بأَنَّ المَهْدِيَّ منه، وما يُبْطِلُ دَعْوَى خَصْمِهِ فيه، وما يَهْدِمُ حُجَّته عليه.

ولم يزل ذلك شأنَ أبي جَعْفرٍ ومُؤَيِّديه قبل أنْ يَقْضي على محمد بن عبد الله بن الحسن، فلما قَضَى عليه، وجَدَّ في البَيْعةِ لابْنِهِ محمدٍ بولايةِ العَهْدِ، أوْحَى إلى مُؤَيِّديه من العلماءِ والخطباءِ والشعراءِ أنْ يَصِفوهُ بالمَهْدِيِّ، وأنْ يَلْتمسوا الأدلَّةَ على صحةِ تَلْقيبِهِ بهذا اللّقب. فانْدَفَعُوا يَفْتَعِلونَ الأحاديثَ والأخبار التي تشهدُ بذلك، قال أبو الفرج الأصفهاني [1]: «أخبرني الفَضْلُ بن إياس الهُذَليُّ الكوفيُّ أنَّ المنصورَ كان يريد البيعةَ للمهديِّ، وكان ابنه جَعْفَرٌ يَعْتَرِضُ عليه في ذلك، فأمَرَ بإحْضارَ الناس، فحضَرُوا، وقامت الخطباءُ فتكلَّمُوا، وقالت الشعراءُ فأكثروا في وَصْفِ المهديِّ وفضَائلِهِ، وفيهم مطيع بن إياس، فلما فَرَغَ من كلامه في الخطباء وإنشادِهِ في الشعراء، قال للمنصور: يا أميرَ المؤمنين، حَدَّثنا فُلانٌ عن فُلانٍ: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «المَهْدِيُّ منا محمد بن عبد الله، وأُمُّهُ من غيرِنا، يَمْلَؤُهَا عَدْلاً كما مُلِئَتْ جَوْراً»، وهذا العباس بن محمدٍ، أخوكَ يَشْهَدُ على ذلك. ثم أقبلَ على العباس، فقال له: أنْشُدُكَ اللهَ هل سمعتَ هذا؟ فقال: نَعَم، مخافةً من المَنْصُورِ، فأمَرَ المنْصُور الناسَ بالبَيْعةِ لِلْمَهْدِيِّ».

وفي سنة سبعٍ وأربعين ومائةٍ كتبَ أبو جَعْفَرٍ إلى ابن أخيهِ عيسى بن موسى يسألُهُ أنْ يتَنازلَ عنِ ولَايةِ عَهْدِهِ، وأَنْ يُبايعَ بها لابنِهِ محمدٍ، وقَرَّرَ في كتابهِ إليه أنَّ

---

(١) الأغاني ١٣ : ٢٨٧.

ابنه محمداً هو المَهْدِيُّ ، إذ قال له فيه[1] : «وَهَبَ اللهُ لأمير المؤمنين وَلِيًّا ، ثم جَعَلَهُ تَقِيًّا مُباركاً مَهْدِيًّا ، وللنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَمِيًّا ، وَسَلَبَ من انْتَحَلَ هذا الاسمَ ، ودعا إلى تلك الشُّبْهةِ التي تَحيَّرَ فيها أهْلُ تلك النيَّةِ ، وافْتُتِنَ بها أهْلُ تلك الشِّقْوَةِ ، فانتزعَ ذلك منهم ، وجعلَ دائرةَ السَّوْءِ عليهم ، وأقَرَّ الحَقَّ قرارَهُ ، وأعْلَنَ لِلْمَهْدِيِّ منارَهُ ، وللدِّينِ أنْصارَهُ» .

وقال البلاذري[2] : «حُدِّثْتُ أنه لمَّا بُويعَ للمهديّ بعثَ المنصورُ الأعْلَمَ الهَمْدَانيَّ بِبَيْعَتِهِ إلى الحجاز ، فخطبتَ بمكةَ على مِنْبرهَا فقالَ في خطبتِه : وقد بَايَعَ أميرُ المؤمنين لمحمد ابن أمير المؤمنين ، وهو عبَّاسيُّ النِّسْبَةِ ، يَثْرِبيُّ التُّرْبةِ ، حجازيُّ الأُسْرةِ ، شاميُّ المَوْلدِ ، عِراقيُّ المَنْبتِ ، خراسانيُّ المُلْكِ ، ... ، جاءت به الرِّواياتُ ، وظَهرَتْ فيه العلاماتُ ، وأحْكَمَتْهُ الدِّراساتُ» .

وزَيَّنَ أبو جَعْفرٍ للشعراءِ أنْ يُلَقِّبوا ابنَه بالمَهْدِيِّ ، فَوَصفُوهُ به ، وخَلَعوهُ عليه وهو وليُّ عَهْدٍ ، قال المؤمل بن أميل المحاربي[3] :

هو المَهْدِيُّ إلاَّ أنَّ فيهِ ... مَشَابِهَ صُورةِ القَمرِ المُنيرِ
فهذا في الضِّياءِ سِرَاجُ عَدْلٍ ... وهذا في الظلام سِرَاجُ نُورِ

وقد ضُرِبَ اسمُ المَهْدِيِّ على السِّكَّةِ منذ سنةَ ستٍ وأرْبعينَ ومائة[4] ، وأُطْلِقَ

---

(١) تاريخ الطبري ٨ : ١٦ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٢٥٦ .

(٣) الأغاني (طبعة الساسي) ١٩ : ١٤٧ ، وانظر تاريخ الطبري ٨ : ٧٤ ، وتاريخ بغداد ١٣ : ١٧٨ ، وذيل زهر الآداب ص : ٨٥ ، ومعجم الأدباء ٧ : ١٩٦ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٣ : ٥٢٤ .

(٤) كتاب الألقاب الإسلامية ، لحسن الباشا ص : ٥١٤ .

عليه لَقَبُ الإمام وهو وليٌّ عَهْدٍ ، كما يَبْدو في سِكَّةٍ من بُخَارَى ضُرِبتْ سنةَ إحدى وخمسين ومائةٍ [١] .

وتبارَى الشعراءُ في إضْفاءِ لَقَبِ المَهْدِيِّ عليه بعد أن استُخْلِفَ ، قالَ بَشَّارُ بن بُرْدٍ [٢] :

سَمِيُّ مَنْ قَامَتِ الصَّلاةُ بِهِ لَمْ يَأْتِ بُخْلاً ولَمْ يَقُلْ كَذِبَا
مَهْدِيُّ آلِ الصَّلاةِ يَقْرَأُهُ الـ قَسُّ كِتَاباً دَثْراً جَلَا رِيَبَا [٣]

وقال [٤] :

واللهُ أصْلَحَ بالمَهْدِيِّ فَاسِدَنا سِرْنَا إليهِ وكانَ الناسُ قَدْ فَسَدُوا

وقال [٥] :

مِنْهُمْ أتانا المَهْدِيُّ مُعْتَصِباً بالتَّاجِ نِعْمَ الدُّوارُ والغَفَرُ [٦]

---

(١) كتاب الألقاب الإسلامية ص : ١٦٨ ، وانظر الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص : ١٣١ .

(٢) ديوان بشار ١ : ٣٢٧ .

(٣) آل الصلاة : المسلمون . يقرأه القس : أي أنَّ المهدي مذكور في التوراة . الدثر : النفيس .

(٤) ديوان بشار ٢ : ٢٨٦ .

(٥) ديوان بشار ٣ : ١٩٩ .

(٦) الدوار : الصنم . الغفر : الملجأ .

وقال [1] :

سَيَكْفيكَها مَهْديٌّ آلِ محمدٍ أحَاطَ بها عَنْ والدٍ غيرِ قُعْدَدِ [2]

وقال مروان بن أبي حَفْصَة [3] :

إلى المُصطَفَى المَهْدِيِّ خَاضَتْ رِكَابُنَا دُجَى اللَّيلِ يَخْبِطْنَ السَّريحَ المُخَدَّما [4]

وقال [5] :

بمُحَمَّدٍ بعد النَّبيِّ مُحمدٍ حَيِيَ الحَلالُ وماتَ كُلُّ حَرامِ
مَهْدِيُّ أُمَّتِهِ الذي أَمسَتْ بِهِ لِلذُّلِّ آمِنَةً ولِلْإعدامِ

وقال [6] :

مُوسَى وَهارونُ هُمَا اللَّذانِ في كُتُبِ الأخْبارِ يُوجَدانِ
مِنْ وَلَدِالمَهْدِيِّ مَهْدِيَّانِ قُدًّا عِنانَيْنِ على عِنَانِ [7]

وقال العُمانيُّ [8] :

---

(١) ديوان بشار ٣ : ٧٣.

(٢) غير قُعْدَد : واضح النسب معروف الآباء.

(٣) زهر الآداب ١ : ٥٠٧ ، وشعر مروان ص : ١٠٢.

(٤) المخدم : يريد الخدمة ، وهي السير الغليظ المحكم مثل الحلقة ، يُشَدُّ في رُسْغ البعير ، ثم يُشَدُّ إليه سرائح نعله وسيوره.

(٥) تاريخ الخلفاء ص : ٢٧٤.

(٦) الأغاني ١٣ : ١٤٢.

(٧) قُدًّا : قيسا.

(٨) طبقات ابن المعتز ص : ١١١.

مَهْدِيُّنَا الهَادي الذي بِرُشدِهِ مَنَّ علي عِبَادِهِ بِعَبْدِهِ

وقال ابن المَوْلَى[1] :

إلى القَائِمِ المَهْدِيِّ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي بِكُلِّ فَلاةٍ آلُها يَتَرَقْرَقُ

وقال الحسين بنُ مُطَيْرٍ الأسدي[2] :

لَوْ يَعْبُدُ الناس يا مَهْدِيُّ أَفْضَلَهُمْ ما كانَ في الناسِ إلاَّ أنتَ مَعْبودُ

وقال السيد الحِمْيَرِيُّ[3] :

أَوْلَتْهُمُ عندي يَدُ المُصطَفى ذي الفَضْلِ والمَنِّ أبي القَاسِمِ
جَزاؤُها حِفْظُ أبي جَعْفَرٍ خليفةِ الرَّحْمٰنِ والقائمِ
وطاعةُ المَهديِّ ثم ابْنِهِ مُوسَى عَلَى ذي الإرْبَةِ الحَازِمِ[4]

وقال أبو العتاهية[5] :

نَفْسي بشيءٍ مِنَ الدُّنيا مُعَلَّقَةٌ اللهُ والقائمُ المَهْدِيُّ يَكْفيها

---

(١) الأغاني ٣ : ٢٨٦.

(٢) الأغاني ١٦ : ٢٣ ، وخزانة الأدب ٢ : ٤٨٦ ، وشعر الحسين بن مطير ص : ٤٥.

(٣) الأغاني ٧ : ٢٥٦ ، وديوان السيد الحميري ص : ٤٠٦.

(٤) الإربة : العقل والبصر بالأمور.

(٥) مروج الذهب ٣ : ٣٢٦.

وقال سَلْمٌ الخاسر[1] :

وَمَــهْــدِيٌّ أُمَّــتِــنَــا والــذي حَمَاهَــا وأَدْرَكَ أَوْتَــارَهَــا

وقال أبو الفرج الأصفهاني[2] : كان سلم الخاسرُ مَدَحَ بعض العلويين، فبلغَ ذلكَ المَهْدِيَّ، فَتَوَعَّدَهُ وَهَمَّ به، فقال سَلْم فيه :

إني أَتَتْني على المَهْدِيِّ مَعْتَبَةٌ تَكادُ مِنْ خَوفِها الأحشاءُ تَضْطَرِبُ

وقال[3] : لما ماتت البانوكةُ بنت المَهدِيِّ رثاها سلم الخاسر بقوله :

أَوْدَى ببانُوكَةَ رَيْبُ الزَّمانْ مُؤْنِسَةِ المَهْدِيِّ والخَيْزُرانْ

وقال يَرْثيهِ[4] :

وباكيةٍ على المَهديِّ عَبْرَى كأنَّ بها وما جُنَّتْ جُنُونَا
سلامُ اللهِ عِدَّةَ كلِّ يَوْمٍ على المَهدِيِّ حينَ ثَوَى رَهينا

وقال ابنُ المعتز[5] : «كان سلم الخاسرُ يَذْهَبُ بالمَهدِيِّ إلى أنه المَهْدِيُّ الذي وَصَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله».

---

(١) الأغاني ١٩ : ٢٧٩.

(٢) الأغاني ١٩ : ٢٧٥.

(٣) الأغاني ١٩ : ٢٧٤.

(٤) تاريخ الخلفاء ص : ٢٧٤.

(٥) طبقات ابن المعتز ص : ١٠٤.

(١٤) خُلاصَةٌ وتَعْقيبٌ

كذلك استفادَ العباسيون من فكرةِ المَهْدِيِّ، وسَخَّرُوها للتَّبشيرِ بِخِلافَتِهم في المَرْحَلَةِ السِّرِّيَّةِ من دَعْوَتِهم، ثم انْتَفَعُوا بها في حِمايةِ مُلْكِهِم، وصِيانَةِ سُلْطانِهم، بعدَ قيامِ دَوْلَتِهم. فقد رَوَّجوا في صَدْرِ دَعْوَتِهِم أنَّ المَهْدِيَّ منْ أَهلِ البَيْتِ، لكي يَستميلوا أهواءَ الناسِ، وَيَفُوزوا بِموالاتِهم، وَيَظفروا بِنُصرَتِهم، ولكي يُسَكِّنُوا أبناءَ عُمُومَتِهم العَلَوِيِّينَ، وَينْطِقُوا بِأَلْسِنَتِهم، وَيحُوزوا تَأييدَ شيعَتِهم. ثم ذكروا أنَّ المهديَّ من وَلَدِ العباسِ بن عبد المُطَّلِب، حتى يَصْرِفوا الناسَ إليهم، ويَبْعثُوهم على التَّعَلُّقِ بهم، وَيحْفِزُوهم إلى التَّرَقُّبِ لِمُهْدِيهم، وحتى يَمْتَحِنُوا أبناءَ عُمُومَتِهم، ويَسْتَظْهِرُوا رأْيَهم، ويَعْمَلوا على مُقارَعَتِهم. ثم قَرَّروا أنَّ المَهدِيَّ منهم دُونَ غَيرِهم من أهلِ البيتِ، وصرَّحُوا باسمه ونَسَبِهِ وصِفَتِهِ، فأَعلَنُوا أنه أبو العباس عبد الله بن محمدٍ، وانه ابنُ الحارثية، وأنه كريمٌ مِعْطاءٌ، وأنَّه يملأُ الأرضَ قِسْطاً وعَدْلاً كما مُلِئَتْ ظُلماً وَجُوداً، وأنَّ أنصارَهُ أصحابَ الرَّاياتِ السُّودِ من أهلِ المَشرِقِ يُقاتِلُونَ بني أمية وَيَهزِمونَهُم، ويُمَهِّدون لِنَقْلِ السُّلْطانِ إليه، ويُوَطِّئونَ الأَمْرَ له. وفَشَا ذلك في أَهلِ خراسان، واعتَنَقَهُ أعوانُ نَصْر بن سيارٍ اللَّيْثِيِّ وخَاصَّتُهُ، حتَّى قال عيسى بن جَزْز له بعدَ أنْ عادَ من مكةَ سنةَ ثمانٍ وعشرين ومائة، وأبْصَرَ احْتِدامَ العَصبية

القبليّةِ بين اليمانيَّةِ والرَّبعيَّةِ وبين المُضَريَّةِ بِمَرْوِ الشَّاهجان[1] : «أيها الأميرُ، حَسْبُكَ من هذه الأمورِ والوِلايَةِ، فإنه قد أطلَّ أمرٌ عظيمٌ، سيقُومُ رَجُلٌ مَجْهولُ النَّسَبِ، يُظهِرُ السَّوادَ، ويدعو إلى دولةٍ تكونُ، فَيَغْلِبُ على الأمْرِ، وأنتم تَنظُرُونَ وتَضْطَرِبُونَ».

ولَقَّبُوا أبا العباس بالمَهديِّ بعد قيامِ دَوْلَتِهم أيضاً، يَشْهَدُ على ذلك أخبارٌ وأشعارٌ كثيرةٌ، ويُؤكِّدُهُ نصٌّ على لَوْحٍ بِمِئْذَنَةِ جامعِ صَنعَاء، كُتِبَ سنةَ ستٍ وثلاثين ومائةٍ، بل هو يَجْلو ما وَقَعَ من اضْطِرابٍ في تَسْمِيَةِ أبي العباسِ بالمَهْدِيِّ ويُمَحِّصُ ما وَرَدَ في ذلك من رِواياتٍ مُتَناقِضَةٍ، ويُوَثِّقُ رواياتِ القِلَّةِ التي أشارَتْ إليه، ويَنفي ما أحاطَ بِلَقَبِهِ من إبهامٍ نَفْياً، ويَمنَعُ ما نَشأَ فيه من خِلافٍ مَنْعاً، ويَقطَعُ ما اعْتَوَرَهُ من شُبْهَةٍ قَطْعاً!

فلما ماتَ أبو العباس، وزَعمَ محمدُ بنُ عبد اللهِ بن الحَسَنِ أنه المَهدِيُّ، ونازعَ أبا جَعْفَرٍ في الإمامةِ، وغَالَبَهُ على الخلافَةِ، ثم خرجَ عليه وخَلَعَهُ، قاوَمَهُ أبو جَعفَرٍ، وتَأَتَّى لإلْغاءِ ادِّعَائِهِ لهذا اللَّقَبِ، وأرادَ أنْ يُثْبِتَ أنَّ المَهْدِيَّ من العباسيين لا من الحَسَنِيِّينَ، فَلَقَّبَ نَفْسَهُ بالمنصُورِ، وأشاعَ أنَّ المَنصُورَ يَحْكُمُ قَبْلَ المَهْدِيِّ، ويحارِبُ الدَّجالَ، وَيَقهَرُهُ، وأنه يُذَلِّلُ الصِّعابَ التي تَسْبِقُ ظُهورَ المَهْدِيِّ، ويُسَهِّلُ الطَّريقَ إلى وِلايَتِهِ، ويُيَسِّرُ الأمرَ لابْتِداءِ خِلافَتِهِ.

ولَقَّبَ ابنَهُ محمداً بالمَهْدِيِّ، وسَعَى لإبطالِ ما رَدَّدَهُ الحَسَنيُّونَ من نَسَبِ المَهْدِيِّ من جِهَةِ أبيه وأمِّهِ، وما استَنَدُوا إليه من ذلك للتَّدليلِ على أنَّ المَهْدِيَّ منهم، فأذاعَ أنَّ المَهْدِيَّ سَمِيُّ النَّبيِّ، فهو محمد بن عبد الله، ولكنه «ابنُ أمِّ

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٣٨، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٥.

وَلَدٍ» ، يَعني أنه من ذُرِّيَّتِهِ ، فإنَّ أمَّ أبي جَعْفرٍ أمَةٌ لا حُرَّةٌ ، وأنَّ أمَّ المَهْدِيِّ ليست من أهلِ البَيْتِ ، فإنَّ أمَّ ابنِه محمدٍ من حِمْيَرَ ، وبَثَّ من الأخبارِ والأحاديثِ ما يُؤَيِّدُ ذلك ! ونَشَرَ منَ القَصَصِ ما يُنْبِئُ باتِّصالِ الخلافةِ في نَسْلِهِ إلى يومِ القيامة ! !

ولم يَزَل أبو جعفرٍ يُناهِضُ انْتِحالَ الحَسَنِيِّينَ للْمَهْدِيِّ ، ويُطْلِقُ هذا اللَّقَبَ على ابنِهِ محمدٍ ، حتى استَخْلَصَهُ له استِخلاصاً ، ورَسَّخَهُ له تَرْسيخاً . وبذلك سَلَبَ أخاهُ أبا العباس لَقَبَ المَهْدِيِّ سَلْباً ، وغَلَبَهُ عليه غَلْباً . وكأنه اجْتَهَدَ في أن يُلْصِقَ به لَقَبَ السَّفاح إلْصاقاً ، وكان عَمُّهُ عبدُ الله بن عليٍّ هو الذي سُمِّيَ السَّفاحَ ، بمعنى السَّفَّاكِ للدِّماءِ ، لأنه أسْرَفَ في قَتْلِ بني أُمَيَّةَ[1] . وكأنه أعاد تَرتيبَ الألْقابِ الثلاثةِ المَشهورَةِ التي ورَدَتْ في قِصَصِ الدَّعوَةِ ، فَوَزَّعَها على الخلفاء العباسيين الثلاثةِ الأوائلِ حَسْبَ عُهُودِهم ، وكانت تُساقُ قبل ذلك بغيرِ نظامٍ ، إذ كان يقال في بعض رواياتِ الحديثِ الذي رَوَّجَهُ العباسيون[2] : «مِنَّا المَهْدِيُّ والمنصورُ والسَّفَّاحُ» ، أو[3] : «منا القَائمُ ، ومنا المَنصورُ ، ومنا السَّفاحُ ، ومنا المَهدِيُّ» ، فجعله : «منا السَّفاحُ والمنصورُ والمَهْدِيُّ»[4] ، لِيُعَزِّزَ سياسَتَهُ ، ويَخْدُم غايَتَه .

ومن أجلِ ذلك لَقَّبَ أكثرُ المؤرخين أبا العباس بالسَّفاح[5] ، وخَفِيَ عليهم أنه

(١) البدء والتاريخ ٦ : ٧٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٧ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ .

(٢) انظر أنساب الأشراف ٣ : ٤٧ .

(٣) انظر منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٣١ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٦٠ .

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ٤٨ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٩ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٤٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٠ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٩ .

(٥) انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٧٠ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٩٢ ، ومروج

كان يُلَقَّبُ بالمَهْديِّ ، وسَمَّوا محمد بن أبي جَعْفَرِ المَهْدِيَّ ، وكان لأبي جعفرٍ أكبرُ الأثر في ذلك ، فقد قَضَتْ ثورَةُ الحَسَنِيِّينَ عليه ، ومُجَابهته لادِّعاءِ محمد بن عبد الله بن الحسن أنه المَهْدِيُّ أنْ يَطْمِسَ اتِّخاذَ أخيه أبي العباس لهذا اللّقبِ ، وأنْ يُطْلِقَهُ على ابنِه ، ويُثْبِتَهُ له[1] .

الذهب ٣ : ٢٦٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٠٦ ، ٢١٤ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ٤٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢٠ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٥٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٨ ، ٦١ ، وفوات الوفيات ٢ : ٢١٥ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٦ ، وشذرات الذهب ١ : ١٨٣ .

(١) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص : ١٣٢ .



«الفصل الخامس»

«اسْتِيعابُ أرْبابِ الدِّياناتِ الفَارِسيَّةِ»



(١) اعتمادُ العباسيِّين على الغُلاةِ في الدَّعوَةِ

أقام العباسيّونَ دَعْوَتَهم على مبادىء الإسلام ، وكان أكْثَرُ شيعَتِهِم منَ المسلمين المُعْتَدِلين ، ولكنّهم لم يَدَعُوا أنْ يَسْتَفيدُوا منَ الغُلاةِ المُتَطَرِّفينَ من أهلِ خراسانَ ، فَقَبلوا بَعْضَهم في الدَّعْوَةِ ، فأفرَطُوا في التَّشيُّعِ لهم ، وأسْرَفُوا في المَيْلِ إليهم . وكان الرَّاوَنْدِيَّةُ من الغُلاةِ المُتَطَرِّفين الذين انضموا إليهم ، وكانوا يعتقدون بإمامَتِهم [١] ، وكانوا يَعْتَنِقُونَ أفكاراً غريبةً عن الإسلام ، ورثوها عن الدياناتِ الفارسيَّةِ ، مثل الحُلُول ، وتَنَاسُخِ الأرواحِ ، وتأليهِ الأئمّةِ ، رَوَى البلاذريُّ من طُرُقٍ مختلفةٍ [٢] : « أنَّ قَوْماً من أصحابِ أبي مُسْلِمٍ من أهْلِ خراسانَ كانوا يقولون بِتناسُخِ الأرواحِ ، فيزعمون أنَّ روحَ آدمَ عليه السلامُ في عثمانَ بن نهيكٍ [٣] ، ويقولون : إنَّ أمير

(١) انظر مقالات الإسلاميين ١ : ٩٤ ، ٢ : ١٣٥ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٢ — ٢٥٤ ، والفرق بين الفرق ص : ١٦٣ ، وضحى الإسلام ٣ : ٢٩١ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٢٣٥ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٥٠٥ ، وتاريخ الموصل ص : ١٧٣ ، ومروج الذهب ٣ : ٣٠٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٠٢ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٤١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٥ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٤٥ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٦١ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٠٩ .

(٣) هو عثمان بن نهيك العكيُّ ، كان من مجلس السبعين ، ومن نظراء النقباء ، من أهل أبيوَرْدَ . (انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٨ ، ٢٢٠) .

المؤمنين يَرْزُقُنا ويُطْعِمُنا ويَسْقينا ، فهو رَبُّنا ، ولو شاء أن يُسيِّرَ الجبالَ لَسَارَتْ ، ولو أَمَرَنا أنْ نَستَدبِرَ القِبْلَةَ لاستَدبَرْناها » . وقال البغداديُّ[1] : « الرَّاونديَّةُ من الحُلُوليَّةِ ، قالوا بتناسُخِ روحِ الإله في الأئمةِ بزعمهم » .

(١) الفرق بين الفرق ص : ١٦٣ ، وانظر مقالات الإسلاميين ١ : ٩٢ ، والملل والنحل ١ : ١٣٤ .

(٢) قَبولُ الخُرَّمِيَّةِ في الدَّعْوَةِ

وفَسَحَ بعضُ الدُّعاةِ المجالَ للخُرَّمِيَّةِ في الدَّعوَةِ[١] ، وهم قَوْمٌ كانوا يُظهِرونَ الإِسلامَ ويُبطِنونَ الكُفْرَ ، قال ابنُ النديم[٢] : «الخُرَّمِيَّةُ صِنْفانِ : الخُرَّمِيَّةُ الأولى ، ويُسَمَّونَ المُحمِّرَة ، وهم بِنواحي الجبال فيما بينَ أذْرَبَيْجانَ وأَرْمينيةَ وبلاد الدَّيْلَمِ وهَمَذانَ ودَيْنَوَرَ مُنْتَشِرُونَ ، وفيما بين أَصْفَهانَ وبلادِ الأهوازِ . وهؤلاء أهْلُ مجوسٍ في الأصلِ ، ثم حدثَ مَذْهَبُهُم ، وهم ممن يُعْرَفُ باللُّقطَة ، وصاحِبُهُم مَزْدَك القديمُ ، أمَرَهم بتَنَاوُلِ اللذّاتِ ، والانْعكافِ على بُلُوغِ الشَّهواتِ ، والأكلِ والشُّربِ والمواساةِ والاخْتِلاطِ ، وتَرْكِ الاستِبدادِ بعضهم على بعضٍ ، ولهم مُشارَكَةٌ في الحُرَمِ والأهْلِ ، لا يَمتَنِعُ الواحدُ منهم من حُرمَةِ الآخَرِ ، ولا يَمنَعُهُ . ومع هذه الحالِ فَيَرَوْنَ أفعالَ الخيرِ ، وتَرْكَ القَتْلِ ، وإدْخالَ الآلامِ على النُّفوسِ ، ولهم مَذْهَبٌ في الضيافاتِ ليس لأحدٍ من الأمم ، إذ أضافُوا الإنسانَ لم يَمْنَعوهُ من شيءٍ يَلْتَمِسُهُ كائناً ما كان . وعلى هذا المذهبِ مَزْدَكُ الأخيرُ الذي ظَهَرَ في أيام قباذَ بنِ فَيْروز ، وقَتَلَهُ أنوشروانَ ، وقَتَلَ أَصْحابَهُ ، ... ، فأمَّا الخُرَّمِيةُ البَابِكِيَّةُ فإنَّ صَاحِبَهُم بابكُ الخُرَّميُّ ، وكانَ يَقُولُ لمن اسْتَغْوَاهُ : إنه إلَهٌ ، وأحْدَثَ في مَذاهِبِ الخُرَّمِيَّةِ القَتْلَ والغَصْبَ والحُروبَ والمُثْلَةَ ، ولم تكن الخُرَّمِيَّةُ تَعرِفُ ذلك» .

---

(١) العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٣٥.

(٢) الفهرست ص : ٤٧٩ ، وانظر الفرق بين الفرق ص : ١٦٠ .

(٣) تَبْشيرُ خداشٍ بدينِ الخُرَّميَّةِ

وكان منَ الدُّعاةِ مَنْ يُؤمِنُ بتعاليمِ الخُرَّميَّةِ ، ويُبَشِّرُ بها في خراسان ، وأشهرُهُم خِداش ، فأقبَلَ عليه الخُرَّميَّةُ من كلِّ صَوبٍ ، وأتوهُ من كلِّ بلدٍ ، ولم يزلْ يَجْهَرُ بذلك ، وَيستَميلُهُم إليه ، وهم يُجيبونَهُ ويَنْدَفِعونَ نَحوَهُ ، ويَنتَظِمونَ في الدَّعوَةِ ، حتى صارَ لهم شأْنٌ فيها ، وكادوا يَغلِبُونَ عليها[1] .

وقد تَنَصَّلَ الإمامُ محمدُ بنُ عليٍّ من آراءِ خِداش ، وعَنَّفَ مَن اتَّبَعَهُ من شيعةِ العباسيين ، وسعَى في تقويمِ انْحِرافِهِ ، وجَدَّ في إصلاحِ فَسادِهِ ، ونَجَحَ في ذلك بعضَ النجاح ، ولكنه أخفقَ في استئصالِ أفكارِهِ ، ولم يتمكَّنْ منَ القضاءِ على أنصارِهِ[2] ، فقد بقيت آثارُهُ قويةً في حَلَقاتِ الدَّعوَةِ ، وانبَثَّ أنصارُهُ بعد قَتلِهِ في مدنِ خراسان ، وكانوا يسمون في أيام أبي مسلمٍ الخَالِديَّةَ ، نِسبَةً إلى أبي خالدٍ. وقد ظَهَرَ أبو خالدٍ بنَيسابور ، فَطَلَبَهُ أبو مسلمٍ ، فلم يَقدِرْ عليه ، فتَنَحَّى عنها ، وتَفَرَّقَ أتباعُهُ في البلادِ ، فلم يَترُكْ أبو مسلمٍ منزلاً إلّا قَتَلَهُم فيه قَتْلاً ذَريعاً ، وتَتَبَّعَهُم بِمَروِ الشاهجان ، ومَرْو الرُّوذ ، وما دون النَّهْر ، ومَنْ أفْلَتَ منهم لحق بما وراء

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١١٦ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٠٩ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٩٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٠ ، وانظر تاريخ الدولة العربية ص : ٤٨٨ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١١٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٤١ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٨ — ٢١٣ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢١٨ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٦.

النَّهْرِ ، فَدَسَّ إليهم نساءً من أهلِ الدَّعوةِ كأنَّهنَّ يَتَصَدَّقْنَ ، فَمَنْ سَمِعْنَ منه بخلاف رَفَعْنَهُ إليه فَقَتَلَهُ . وظل أبو خالدٍ مُسْتَخفياً بخراسان زَمَنَ أبي العباس ، وصَدْراً من زَمَنِ أبي جَعْفَرٍ ، حتى خَلَعَ عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزْدِيُّ ، فَخرجَ أبو خالدٍ في خَمسمائةٍ ، فقاتَلَ حتى قُتِلَ أَصحابُهُ ، وأُخِذَ أسيراً ، فَرُمِيَ به في قِدْرٍ مُحَمَّاة فَتَفَسَّخَ فيها[1] .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٤٠٣ .

(٤) اجتذابُ أبي مسلم للخُرَّميَّةِ والمجوسيّة

وعلى الرغم من أن أبا مسلمٍ حاربَ الخالدية من الخِداشية ، فيبدو أنه كان من غُلاةِ الشيعةِ قبلَ انْضمامِهِ إلى الدَّعوَةِ العباسيّةِ ، قال الشهرستاني(١) : «كان أبو مسلمٍ صَاحِبُ الدّولةِ على مَذْهَبِ الكيسانيّة في الأول ، واقتَبَسَ من دُعاتِهم العلومَ التي اختصوا بها ، وأحسَّ منهم أنَّ هذه العلومَ مُسْتودَعةٌ فيهم ، فكان يَطلُبُ المُستَقَرَّ فيه ، فَبَعَثَ(٢) إلى الصَّادِقِ جعفر بن محمدٍ رضي الله عنهما : إني قَد أظهرتُ الكلمةَ ، ودعوتُ الناسَ عن مُوالاةِ بني أميّة إلى موالاةِ أهلِ البيتِ ، فإنْ رغبتَ فيه ، فلا مَزيدَ عَليكَ ، فكتَبَ إليه الصَّادِق رضيَ الله عنه : ما أنتَ مِنْ رجالي ، ولا

---

(١) الملل والنحل ١ : ١٣٧ .

(٢) المشهور أن ابا سلمة الخلال هو الذي صنع ذلك . (انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٩ ، والوزراء والكتاب ص : ٨٦ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٧ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٨ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٦ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٦) .

ولكن أبا العباس خاف أن يكون أبو مسلم هو الذي أشار على أب سلمة الخلال بذلك . (انظر أنساب الأشراف ٣ : ١٥٤ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٤٨ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٧١ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢١٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٨١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٣٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥٣) .

الزَّمانُ زماني ، فحادَ أبو مسلمٍ إلى أبي العباس عبد الله بن محمدٍ السفّاح ، وقلَّدَهُ أمرَ الخلافة ».

ويبدو أنَّ أبا مسلمٍ استهوى الغُلاةَ وغيرَهم ممن يَنتحِلُونَ الدِّياناتِ الفارِسيَّةَ ، وقبِلَهم في الدَّعوَةِ ، وآيَةُ ذلك أنَّ جماعةً من الرَّاونديَّةِ تُسمَّى الرِّزاميَّةَ كانت تَعتَقِدُ بإمامَتِهِ ، وأنَّ روحَ الله قد تَنَاسَخَت حتى وَصَلَتْ إليه وحلَّتْ فيه ، وأنَّ جماعةً أخرى منهم يقال لها : الأبو مُسْلِميَّة كانت تَعتَقِدُ بِغَيبَتِهِ ، وتَنْتظِرُ رَجعَتَهُ ، وكانت تَستَبيحُ المُحَرَّماتِ ، وتُسْقِطُ المَفروضاتِ ، قالَ الأشعريُّ[1] : « افترَقَتْ هذه الفِرْقَةُ في أبي مسلمٍ على مَقَالَتَينِ ، فزعمت فرقةٌ منهم تُدعَى الرِّزاميَّةُ ، أصحاب رجل يقال له : رِزام ، أنَّ أبا مسلمٍ قُتِلَ ، وقالت فرقةٌ أخرى يقال لها : أبو مُسْلِميّة أنَّ أبا مسلمٍ حيٌّ لم يَمُتْ ، ويُحكَى عنهم استِحلالٌ لِما لم يُحَلِّلْ لهم أسلافُهُم ».

وقال البَغْداديُّ[2] : « أمَّا الرِّزاميَّةُ فَقَوْمٌ بِمَرْو ، أفرَطُوا في مُوالاةِ أبي مُسلمٍ ، صاحب دَولَةِ بني العباس ، وسَاقُوا الإمامةَ من أبي هاشمٍ الى محمد بن علي ، ثم ساقوها من محمد بن علي إلى ابنه ابراهيم بن محمدٍ ، ثم ساقوها من ابراهيم بن محمدٍ إلى أخيه عبد الله بن محمد السَّفاح[3] ، ثم زعموا أنَّ الإمامةَ بعد السفاح صارت إلى أبي مسلمٍ ، وأقرُّوا مع ذلك بِقَتْلِ أبي مسلمٍ ومَوتِهِ ، إلاَّ فِرْقَة منهم يقالُ لهم : أبو

---

(١) مقالات الإسلاميين ١ : ٩٤.

(٢) الفرق بين الفرق ص : ١٥٥ ، وانظر الملل والنحل ١ : ٢٣٠.

(٣) في الأصل : « وساقوا الإمامة من أبي هاشم إليه ، ثم ساقوها من محمد بن علي إلى أخيه عبد الله بن علي السفاح ». وظاهر أنَّ في النص نقصاً واضطراباً وخطأً. والتصحيح من مقالات الإسلاميين ١ : ٩٣ ، والملل والنحل ١ : ١٣٦.

مُسْلِميَّة أفْرطُوا في أبي مُسْلمٍ غايةَ الافراط ، وزَعَمُوا أنه صار إلٰهاً بِحُلولِ روحِ الإلٰهِ فيه ، وزَعَمُوا أنَّ أبا مسلمٍ خيرٌ من جبريلَ وميكائيلَ وسائرِ الملائكة ، وزَعَمُوا أيضاً أنَّ أبا مُسلمٍ حيٌّ لم يَمُتْ ، وهم على انتِظارِهِ ، وهؤلاء بِمَرْو ، وهراة يُعرَفُونَ بالبربوكيّة ، فإذا سُئِلَ هؤلاء عن الذي قَتَلَهُ المنصور ، قالوا : كانَ شَيطاناً تَصَوَّرَ للناسِ في صُورَةِ أبي مُسلمٍ » .

وقال الشهرستاني(٤) : « الرِّزاميَّةُ أتباعُ رِزام بن رَزْم ، ساقُوا الإمامةَ من عليٍّ إلى ابنِهِ محمد ، ثم إلى ابنه أبي هاشم ، ثم منه إلى علي بن عبد الله بن عباس ، بالوصية ، ثم ساقوها إلى محمد بن علي ، وأوصى محمد إلى ابنه ابراهيم الإمام ، وهو صاحبُ أبي مسلمٍ الذي دَعَا إليه ، وقال بإمامَتِهِ . وهؤلاء ظَهَرُوا بخراسان في أيام أبي مسلمٍ ، حتى قيل : إنَّ أبا مسلمٍ كان على هذا المَذهَب ، لأنهم ساقُوا الإمامةَ إلى أبي مسلمٍ ، فقالوا : له حَظٌّ في الإمامة ، وادَّعوا حُلُولَ رُوحِ الإلٰهِ فيه ، ولهذا أيَّدَهُ على بني أميَّةَ ، حتى قَتَلَهُم عن بَكْرَةِ أبيهم(٥) ، واصْطَلَمَهم(٦) ، وقالوا بتناسُخِ الأرواح » .

ونَصَّ المسعوديُّ على أنَّ فِرْقَةَ « الأبُومِسْلِميَّة » أو « المُسلِميَّة » كانت من الخُرَّميَّةِ ، وأنها كانت تَدينُ بإمامتِهِ في حياتِهِ ، ثم أنكرَ قَوْمٌ منها وَفَاتَه ، وقالوا باختفائهِ ، وأقاموا يَترَقَّبونَ عَودَتَهُ ، وذكر أنَّ قوماً منها أقرّوا بِقَتْلِهِ ومَوْتِهِ ، وجعلوا

(٤) الملل والنحل ١ : ١٣٦ .
(٥) عن بكرة أبيهم : جميعاً .
(٦) اصطلمهم : استأصلهم .

الإمامةَ من بعدِهِ لابنتِهِ فاطمة. يقول[١] : «لمَّا نُمِيَ قَتْلُ أبي مسلم إلى خراسان وغيرها من الجبال، اضْطَرَبَتِ الخُرَّمِيَّةُ، وهي الطائفَةُ التي تُدعى بالمُسلِمِيَّةِ، القائلونَ بأبي مسلمٍ وإمامتِهِ، وقد تنازعوا في ذلك بعدَ وفاته، فمنهم منْ رأى أنه لم يَمُتْ، ولن يموتَ حتى يَظهَرَ فيملأَ الأرضَ عَدْلاً، وفرقةٌ قطعَتْ بِموتِهِ، وقالَت بإمامةِ ابنتِهِ فاطمة، وهؤلاء يُدْعَونَ الفاطمية».

وأشارَ مُصَنِّفُ أخبارِ الدولةِ العبّاسيَّةِ إلى أنَّ الفاطمية من الخِداشيَّة، يريدُ أنهم من الخُرَّميَّة، وأنهم لُقِّبُوا بهذا الإسم في أيام أبي جعفرٍ، يقول[٢] : «كان قوم في دَعْوَةِ بني العباس من أصحابِ خِداشٍ يُسَمَّونَ الخالِدِيَّة، فَسُمُّوا في زَمَنِ أبي جَعفَرِ الفَاطِميَّة».

وفي ذلك ما يَدُلُّ على أنَّ أبا مسلمٍ اجتَذَبَ الخُرَّميَّةَ إلى الدَّعوةِ، وضمَّهُم إليها. ويَظْهَرُ أنه لم يَستوعِبِ الخُرَّميَّةَ فَحَسْبُ، بل استَوعَبَ أيضاً غيرهم من أربابِ الدّياناتِ الفارسيّةِ الأخرى كالزَّرَادشْتِيَّة، ومِمَّا يُؤَكِّدُ ذلك أنَّ «بهافريد» كان ممن انْضافَ إلى أبي مسلمٍ قبل إعلان الثورةِ العباسيّةِ، وكان مجوسيّاً من قريةٍ من قرى نِيسابور، ادَّعى النبُوَّةَ، وزعم أنه خليفةُ زرَادِشْتْ، فالتَفَّ حَوْلَهُ جُموعٌ من المجوس، ثم دعاه أبو مسلمٍ إلى الإسلام، فأسلمَ ودَخَلَ في طَاعَتِهِ، وأصبحَ من شيعَتِهِ. ولكنه لم يَرْضَ إسلامَهُ، لأنه ظَلَّ يَتَنَبَّأُ، فأخَذَهُ وضَرَبَ عُنُقَهُ، قال ابن النديم[٣] : «ظهر في صَدْرِ الدولة العباسية، وقبلَ ظهور أبي العباس رجلٌ يقال له : بهَافريد، من قَرْيَةٍ يقال لها : روَى من أبْرشَهْر، مُجوسيٌّ يُصلّي الصلواتِ

---

(١) مروج الذهب ٣ : ٣٠٥، وانظر الملل والنحل ١ : ٢٣٠، وتاريخ بغداد ١٠ : ٢٠٧.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٤٠٣.

(٣) الفهرست ص : ٤٨٢، وانظر الفرق بين الفرق ص : ٢١٤، والآثار الباقية ص : ٢١٠.

الخمسَ بلا سُجُودٍ، مُتَياسِر عن القِبْلَةِ، وتَكَهَّنَ ودَعَا المجوسَ إلى مَذهَبِهِ، فاستَجابَ له خَلْقٌ كثيرٌ، فَوَجَّهَ إليه أبو مسلمٍ شبيب بن واجٍ وعبد الله بن سعيدٍ، فَعَرَضا عليه الإسلام، وأسلمَ وسَوَّدَ، ثم لم يَقبَلْ إسلامَهُ لِتَكَهُّنِهِ، فَقُتِلَ».

وذكر الشهرستاني أنَّ بَهَافرِيد خَرَجَ على المجوسية، فقد عَدَّلَ بَعضَ تَعاليمِها، وعَطَّلَ بعضَ ما أباحَ زرادِشْتُ لأتْباعِها، ومَزَجَ بينها وبين الإسلام، وأنَّ ذلك كان السَّببَ الذي حملَ مُوبِذَ نيسابور على السِّعايةِ به إلى أبي مسلم، يقول(1) : «من المجوس الزَّردشتية صِنْفٌ يقال لهم: السِّيسانيّة والبَهَافرِيديَّة، رئيسهم رَجُلٌ يُقالُ له: سيسانُ، من رُسْتاقِ نيسابور، من ناحية يقال لها: خواف. خَرَجَ في أيام أبي مسلمٍ، صاحب الدولة، وكان زَمْزَمياً في الأصْلِ، يَعبُدُ النيران، ثم تَرَكَ ذلك، ودَعا المجوسَ إلى تَرْكِ الزَّمزمَة(2)، ورَفَضَ عبادةَ النِّيران، وَوَضَعَ لهم كتاباً، وأمَرَهُم فيه بإرسالِ الشُّعورِ، وحَرَّمَ عليهم الأمهاتِ والبناتِ والأخواتِ، وحَرَّمَ عليهم الخمر وأمرهم باسْتِقبالِ الشمس عند السُّجود على رُكبَةٍ واحدةٍ. وهم يَتَّخِذُونَ الرِّباطات، وَيَتَباذَلُونَ الأموالَ، ولا يأكلونَ المَيْتَةَ، ولا يَذْبَحُونَ الحيوان حتى يَهْرَمَ. وهم أعْدى خَلْقِ اللهِ للمَجُوسِ الزَّمازِمَة، ثم إنَّ مَوبَذ المجوس رَفَعَهُ إلى أبي مسلمٍ، فَقَتَلَهُ على بابِ الجامعِ بنيسابور، وقال أصحابُهُ: إنه صَعدَ إلى السماء على بِرْذَوْنٍ أصفر، وإنهُ سينزلُ على البرذونِ، فينتقم من أعدائه».

ومما يَقْطَعُ باسْتِمالَةِ أبي مُسلمٍ لأربابِ الدِّياناتِ الفارسيَّةِ، وقَبُولِهِ لهم في الدَّعوَةِ، واستِكثَارِهِ منهم، واستِظلالِهِ بهم أنَّ مُعظَمَ مَن ثاروا غَضَباً لِقَتْلِهِ، وطلباً

---

(1) الملل والنحل ١ : ٢١٨. وانظر العصر العباسي الأول للدكتور عبد العزيز الدوري ص: ٨٣، والعباسيون الأوائل ١ : ٢٨٠.

(2) زمزم العلج عند الأكل والشُّرب زَمزمةً، وهي صوتٌ مُبْهَمٌ يديره في خياشيمه وحَلْقِهِ وهو مطبق فاه لا يُعْمِلُ لساناً ولا شفة.

بثأرِهِ كانوا من الخُرَّميَّةِ، وهم شُعبَةٌ من المَزْدَكيَّةِ[1] ، وقد سُمُّوا الخُرَّميَّة نِسبَةً إلى خُرَّم امرأة مَزْدَك ، وكانت فَرَّتْ منَ المدائن بعدَ قَتْلِ زَوْجِها ، وأتَتِ الرَّيَّ مع اثنين من أتباعه ، ومضت تُبَشِّرُ فيها بمبادئِهِ ، ولم يَزَلْ مذهَبُ مَزْدَك مُنتَشراً بأذَرْبيجان ، وأرمينية ، والدَّيْلَم ، وهَمَذان ، والدِّينَوَر ، والأهواز ، وأصْفهان إلى أنْ قام أبو مسلمٍ بأمرِ الدَّعْوَةِ بخراسان[2] . وكان بعضُهُم من المُبَيِّضةِ ، وهم طائفةٌ من الخُرَّميَّةِ[3] . وكان بَعْضُهُم من المحَمِّرَةِ ، وهم فِرْقَةٌ من الخُرَّميَّةِ أيضاً[4] ، وكان بعْضُهُم من الزَّرادِشتية .

---

(١) الفرق بين الفرق ص : ١٦٠ ، والآثار الباقية للبيروني ص : ٢١٣ ، والمنتظم لابن الجوزي ٥ : ١١٣ .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٣٠٥ ، والعصر العباسي الأول للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٨٤ .

(٣) الفرق بين الفرق ص : ١٥٥ ، والملل والنحل ١ : ١٣٧ ، والآثار الباقية ص : ٢١٣ .

(٤) الفهرست ص : ٤٧٩ ، والفرق بين الفرق ص : ١٦١ .

(٥) مُحَارَبَةُ العباسيِّينَ للخرميَّة بعد قيام الدَّوْلَةِ

وأولُ مَنْ خَرَجَ من الخُرَّمية سنفاذ ، وهو من أَهْلِ قَرْيةٍ من قُرَى نيسابور يقال لها : آهن ، أسلمَ وصحب أبا مسلمٍ ، وصَارَ من صَنَائِعِهِ. واختُلِفَ في نِحْلتِهِ قبلَ إسْلامِهِ ، فقد ذكر أكثرُ المؤرخين أنه كان مَجُوسياً [(١)] ، وعَدَّه المسْعُوديُّ خُرَّمياً [(٢)] ، ولكن عامةَ أصحابِهِ كانوا من أهْلِ البِلَادِ والجِبَالِ التي فَشَا فيها مذْهَبُ الخُرَّميةِ ، وكان أقَلُّهم من أهْلِ المُدنِ التي غَلَبتْ عليها المجوسية .

وقد خَلَّفَهُ أبو مسلم بحلوان ، حين سار للقاء أبي جَعْفرٍ برُوميَّة المدائن ، فلما علم بمَصْرَعِهِ تمَرَّدَ على أبي جعفرٍ ، قال البلاذري : قال المدائنيُّ وغيره [(٣)] : «قُتِلَ أبو مُسْلمٍ وسنْفاذ بحلوان ، فَحَملَ أموالاً كانت معه ، ومضى يريد خراسان ، فلما كان بالرَيِّ منَعَهُ عامِلُهَا من النُّفوذ ، وكان قد أُمِرَ أنْ لا يَدَعَ أحداً من أصحاب أبي مسلمٍ يَجُوزُهُ . وكان مُعاذُ بن مسلمٍ على بريد الرَّيِّ ، فقال سنفاذ : علامَ أُحْبَسُ ولستُ بذي ديوانٍ ، وإنما صحبتُ أبا مسلمٍ على المَودَّةِ ، فلما قُتِلَ انصرفتُ أريد أهلي . ثم إنه خرجَ كالمُتنزِّهِ ، وهربَ بالليل ، فبلغ ذلك عاملَ الريِّ ، فاتَّبعَهُ حتى

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٢٤٦ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٩٥ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٤ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٥٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٨١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٣.

(٢) مروج الذهب ٣ : ٣٠٦.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ٢٤٦.

لَحِقَهُ فاقْتَتَلَا قتالاً شديداً ، وهزَمَ سنفاذُ العاملَ إلى الريِّ ودَخَلَها فحصرهُ في بعض القَصْرِ ، وكان يكنى أبا عبدةَ ، وكان جباناً ، فَطَلبَ منه الأمان ، فأمنه ، فلما صار في يده قَتَلَهُ سنفاذ ، وغَلَبَ على الريِّ ، وعاد إلى المَجُوسيَّة ، فلم يأتِهِ مجوسيٌّ يَدَّعي على مسلمٍ شيئاً الاَّ قَضَى له به . وأخذَ صَبيًّا فَذَبحَهُ وشَواهُ ، وأطْعَمَ أباه لَحمَهُ ، وكان يَقْتُلُ العربَ بالخشَب . وكتب إلى الدَّيْلَم أنه قد انْقَضَى مُلْكُ العرب ، فخف إليه في دَيَالمتِهِ . واجتمع المسلمون ، فقاتلوهم ، فَقُتِلَ من المسلمين بشرٌ كثيرٌ . وقاتَلَهُ والي دُسْتَبَى ، وقد جمعَ له جمعاً ، فهزمه سنفاذ . وأقبلَ صاحبُ قُومَسَ يريده ، فوجَّهَ إليه سنفاذُ خيلاً فهزمها ، ثم لقيه سنفاذ فَهَزَمَهُ إلى قومس . فوجَّهَ المنصورُ جَهْوَرَ بن مرارٍ العِجْليَّ لمحاربة سنفاذ ، فلما صار إليه حَضَّ أصحابه على الصَّبرِ ، فقال : إنكم تريدون قتالَ قومٍ يريدون مَحْقَ دينكم ، وإخراجكم من دُنْياكم . فلما الْتَقوا وعدوهم اقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم اللهُ سنفاذ ومَنْ معه ، ونادَى جَهْوَرٌ بالنَّهْي عن التَّعرُّضِ للغنيمةِ قَبْلَ الإثْخَانِ . فَقُتِلَ من أصحاب سنفاذ زهاء ثلاثين ألفاً ، وحَوَى المسلمون عسكرهم . وهربَ سنفاذ إلى الأصبهبذ بطبرستان ، ومعه أخوه في عِدَّةٍ يسيرةٍ ، فقتلها صاحبُ طبرستان ، وتَقَرَّبَ برأسيهما إلى جَهْورٍ ، وصَلَبَ جُثَّتيهما » .

ورَوى المؤرخون تفاصيلَ أخرى عن خُروج سنفاذ وهَلاكِهِ[1] . وأشاروا إلى أنه « أظْهَرَ أنه يريد أن يَمْضِيَ إلى الحجاز ، ويَهْدِمَ الكعبة »[2] .

---

(١) انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٣٧ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٩٥ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٨٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٣٠٦ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٤ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٥٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٨١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٣ ، والعصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٨٦ ، والعباسيون الأوائل ١ : ٢٨٦ .

(٢) الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٥٢ ، وانظر الكامل في التاريخ ٥ : ٤٨١ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٩٣ .

ثم ثار إسحاق التُّرْك ، ويبدو أنه كان مَجُوسيًّا في الأَصْلِ ، فإنه كان يَدينُ بِغَيْبةِ زَرَادشت ورَجْعَتِه . وكان من أتباعِ أبي مسلم ، وقد وَجَّهَهُ لِيَدْعُوَ إليه ببلاد ما وراء النهر ، فزَعَمَ أنه نَبيٌّ أرسَلَهُ زرادشت . فلما قُتِلَ قال : إنه مُسْتَتِرٌ بجبال الرَّيِّ ، وإنه يَظْهَرُ في وَقْتٍ معلومٍ . وتَصَدَّى له خالد بن إبراهيم الذُّهْليُّ ، عامل خراسان لأبي جَعْفَرٍ ، وقَضَى عليه سنة أربعين ومائة[1] ، قال ابن النديم[2] : «من الاعْتِقادات التي حَدَثَتْ بخراسان بعدَ الإسْلام المُسْلِميَّة ، أصحابُ أبي مسلمٍ ، يعتقدون إمَامَتَهُ ، ويقولون : إنه حَيٌّ يُرْزق ، وكان المنصُور لمَّا قَتَلَ أبا مسلمٍ هَرَبَ دُعَاتُهُ وأصحابُهُ المُتَحقِّقُونَ بهِ إلى نَوَاحي البلاد ، فوقَعَ رجلٌ يعرف بإسحاق إلى التُّرْكِ إلى بلاد ما وراء النَّهْر ، وأقام بها داعيةً لأبي مسلمٍ ، وادَّعَى أَنَّ أبا مُسْلمٍ مَحْبُوسٌ في جبالِ الرَّيِّ ، وعندهم أنه يخرجُ في وقتٍ يَعْرِفُونَهُ ، كما يزعم الكَيْسانِيَّةُ في محمد بن الحَنِفيَّةِ . قال حاكي هذا الخَبَر : وسألتُ جماعةً : لِمَ سُمِّيَ إسحاق بالتُّرك ؟ فقالوا : لأنَّهُ دَخَلَ إلى بلادِ التُّرك يدعُوهم برسالةِ أبي مسلمٍ . وذكَرَ قَوْمٌ أَنَّ إسحاق من العَلَويَّةِ ، وإنما تَسَتَّر بهذا المَذْهَبِ عندهم ، وهو من وَلَدِ يحيى بن زيد بن عليٍ ، وقال : إنه خرَجَ هارباً من بني أمية يَجُولُ بلاد التُّرْكِ . وقال صاحبُ أخبارِ ما وراء النهر من خراسان : حَدَّثني إبراهيم بن محمدٍ ، وكان عالماً بأمورِ المُسْلِميَّة : أَنَّ إسحاق إنما كان رجلاً من أهلِ ما وراء النَّهْرِ ، وكان أُمِّياً ، وكان له تابعةٌ من الجنِّ ، فكان إذا سُئِلَ عن شيءٍ ، أجابَ بعدَ ليلةٍ . فلما كان من أبي مُسْلمٍ ما كان ، دَعَا الناسَ إليه ، وزعَمَ أنه نبيٌّ أنْفذَهُ زَرادشت ، وادَّعَى أَنَّ زرادشت حيٌّ لم يَمُتْ ، وأصحابُهُ يَعْتَقِدُونَ أنه حَيٌّ لا يَمُوتُ ، وأنه يَخْرُجُ حتى يُقِيمَ الدِّينَ لهم ، وهذا من أَسْرارِ المُسْلمية» .

---

(١) انظر العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٨٧ ، والعباسيون الأوائل ١ : ٢٨٩ .

(٢) الفهرست ص : ٤٨٣ .

ثم خرج أستاذ سيس سنة خمسين ومائةٍ على الأرجح، وذكر اليعقوبي أنه «ادَّعَى النُّبوةَ[1]». وقال ابن الأثير[2]: «إنَّ أستاذ سيس ادَّعى النُّبوَّة، وأظهرَ أصحابُهُ الفِسْقَ وقطع السبيل». وقد اجتمع عليه ثلاثمائة ألفِ مقاتلٍ من أهلِ هَرَاةَ وبَاذَغيسَ وسجِسْتَان، فَغلب بهم على عامة خراسان، ثم سار إلى مَرْو الرُّوذ، فاستولى عليها، وقَتَلَ الأجشم المَرْوَروذيَّ، واستباحَ عسكَرَهُ، وهَزَمَ عِدَّةً من القُوَّادِ الذين تَعَرَّضوا لهُ. وكانَ المَهْدِيُّ مُقيماً بنيسابور، فَوَجَّهَ إليه أبو جعْفَرٍ خازمَ بن خزيمةَ التميميَّ في جَيْشٍ، فَوَلاَّهُ المَهْدِيُّ مُحَارَبَةَ أستاذ سيس وضَمَّ إليه القُوَّادَ، فَدَحَرَهُم أستاذ سيس، وأوقعَ بهم، لأنه لم يكن لهم رَأْسٌ يَجْمَعُهُم ويُدَبِّرُ أمْرَهم. فقدمَ خازمٌ على المَهْدِيِّ، فشكا إليه معاوية بن عبيد الله الأشعري، وكانَ وزيرَهُ، وأسرَّ إليهِ أنه يُوهِنُ أمرَهُ، وأخبرَهُ بعَصَبيَّتِهِ وتَحامُلِهِ، وما كَانَ يَرِدُ من كُتُبِهِ عليه وعلى مَنْ قَبلَهُ من القُوَّاد، وما صاروا إليه من الفسادِ والتَّآمُرِ في أنفسهم، والاسْتِبْدادِ بآرائِهم، وقِلَّةِ السمعِ والطَّاعة، وأنَّ أمرَ الحربِ لا يستقيمُ إلاَّ برأسٍ، وأعلمَهُ أنه غيرُ راجعٍ إلى قتالِ أستاذ سيس إلاَّ بتَفويضِ الأمرِ إليه، فأجابه المَهْدِيُّ إلى كُلِّ ما سأَلَ. وانصرَفَ خازم إلى عسكَرِهِ، فنظَّمَ قُوَّادَهُ وجَيشَهُ على ما أراد، ثم تَعَبَّأَ للقتالِ وخَندَقَ، وما زالَ يُنَاجِزُ أستاذ سيس ومن معه، ويُراوِغُهم ويُماكِرُهم، ويُعمِلُ الخديعَةَ فيهم، حتى فَاجَأَهُم بالحَرْبِ، ووَاجَهَهُمْ بالطَّعْنِ والضَّرْب، فقتلَ منهم سبعين ألفاً، وأسَرَ أربَعَةَ عشر ألفاً، وهَرَبَ أستاذ سيس في نَفرٍ يسيرٍ من أصحابِهِ، فتَحرَّزَ في جَبَلٍ، فَحَصَرَهُ خازم، وقَتَلَ الأسرَى، فنزلَ أستاذ سيس على حُكمِ أبي عَوْنٍ عبد الملك بن يزيد الأزْدِيِّ، فحكمَ أن يُوثَقَ أستاذ سيس وبنُوهُ

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٨٠، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٤٢١.

(٢) الكامل في التاريخ ٥ : ٥٩٣.

وأهلُ بيته بالحديد . وأنْ يُعتَقَ الباقونَ . وهم ثلاثون ألفاً . فأمْضى خازمٌ حُكمَهُ ، وكَسَا كُلَّ رَجُلٍ ثَوْبَيْن[1] .

ولم يُشِرْ أكثرُ المؤرخين إلى نهاية أستاذ سيس إلاّ اليعقوبيَّ ، فإنه ذكَرَ أنَّ خازماً «أسَرَهُ وحَمَلَهُ إلى أبي جعْفرٍ إلى بغداد ، فَقَتَلَهُ[2] » .

ثم ثار المُقَنَّعُ سنة تسعٍ وخمسين ومائةٍ في الأغلب . وفي اسمه ونَسبِهِ اختلافٌ كثيرٌ ، فهو يُسَمَّى عَطاءً[3] ، وحكيماً[4] ، وهاشماً[5] . ويظهرُ أنه هاشم بن حكيم[6] ، وهو من أهل قريةٍ من قرى مرو الشاهجان . وكان في مَبْدإِ أمْرِهِ قَصَّاراً ، ثم عَرَفَ شيئاً من الهَنْدسةِ والسِّحْرِ والحِيَلِ[7] ، وانضمَّ إلى أبي مُسْلمٍ في ايام قيامه بأمْرِ الدَّعْوَة ، وارْتَفَعَتْ مكانَتُهُ عند أبي مسلمٍ في سَنواتِ ولَايتِهِ على خراسان لأبي العباس ، فقد أصبحَ من قَادَتِه ودُعاتِهِ المُقَرَّبين . فلما اغْتيلَ أبو مسلمٍ ، واستُعْمِلَ عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزديُّ على خراسان ، الْتَحَقَ هاشمٌ به ، ثم خرجَ معه

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٨٠ ، وتاريخ الطبري ٨ : ٢٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٦٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٩١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٠٦ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ١٢ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٦٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٢٥ ، والعصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٩٣ ، والعباسيون الأوائل ١ : ٢٩١ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٨٠ .

(٣) البيان والتبيين ٣ : ٧١ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٦٣ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٤٨ .

(٤) تاريخ الطبري ٨ : ١٣٥ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٧٣ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٣٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٤٥ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٣٨ .

(٥) الكامل في التاريخ ٦ : ٣٩ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٦٠ .

(٦) تاريخ بخارى ص : ٩٥ ، والآثار الباقية ص : ٢١١ ، وخطط المقريزي ٢ : ٣٥٤ .

(٧) البيان والتبيين ٣ : ٧١ ، والفرق بين الفرق ص : ١٥٥ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٦٣ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٤٨ .

على أبي جَعْفَرٍ ، فأُخذَا فَسِيقا إلى أبي جعفرٍ ببغداد ، فَقَتَلَ عبد الجبار ، وحَبسَ هاشماً زَمناً ، ثم أخْلَى سَبيلَهُ ، فرجعَ إلى مَرْو الشَّاهجان[1] .

ويبدو أنه تَحَوَّلَ بعد حينٍ إلى بلاد ما وراء النهر ، وأقام بكش ، وسَتَرَ وَجْهَهُ القبيحَ بقناعٍ ، ومن أجل ذلك لُقِّبَ بالمُقَنَّع . وجعل يُبَشِّرُ بالحلول والتَّناسُخ . وانْتَحَلَ الأُلوهيةَ ، وألْغَى العبادات ، وأحلَّ المُحرَّماتِ ، وأباح النِّساءَ والأموال ، وخلطَ ذلك بالشَّعْوذةِ والسِّحْرِ ، قال الجاحظ[2] : «المُقَنَّعُ الذي خرج بخراسان يَدَّعي الرُّبوبيةَ ، لا يَدَعُ القناعَ في حالٍ من الحالاتِ ، وجهلَ ادعاءَ الرُّبوبيةِ من جهَةِ المُنَاسخة ، فادَّعَاهَا من الوَجْهِ الذي لا يختلفُ فيه الأحمرُ والأسودُ ، والمؤمنُ والكافرُ أَنَّ باطِلَهُ مكشوفٌ كالنهار ، لا يعرفُ في شيءٍ من المِلَلِ والنِّحَلِ القَوْلُ بالتَّناسخ إلاَّ من هذه الفِرْقةِ من الغَالية . وهذا المُقَنَّعَ كان قَصَّاراً من أهْلِ مرو ، وكان أعوَرَ ألكَنَ ، فما أدري أيهما أعجبُ : أدَعْوَاهُ بأَنَّهُ رَبٌّ ، أو ايمانُ مَنْ آمَنَ به ، وقَاتَلَ دُونَهُ» ؟

ونَبَّهَ البغداديُّ على أَنَّ المُقَنَّعَ كانَ من الحُلُوليةِ من فِرْقَةِ الرِّزاميَّة ، وأنه كانَ يَعْتَقِدُ بأُلوهيةِ أبي مسلمٍ وإمامته ، وكانَ يُنَادي بالإباحةِ ، وكان شيعَتُهُ من المُبَيِّضَةِ من الخُرَّمية ، فلما قُتِلَ قالوا بِغَيْبتِهِ ورَجْعَتِهِ ، وكانوا يُعْلِنُونَ الإسلامَ ، ويُسِرُّونَ الكُفْرَ ، وكانوا أعْدَى الناس للمسلمين ، يقول[3] : «أَمَّا المُقَنَّعِيَّةُ فهم المُبَيِّضةُ بما وراء نهر جَيْحون ، وكان زَعيمَهم المعروف بالمُقَنَّع رجلاً أعْوَرَ قَصَّاراً بمَرْو ، من

(١) تاريخ بخارى ص : ٩٤ ، والعباسيون الأوائل ١ : ٢٩٦ ، وقارن بما ورد في أنساب الأشراف ٣ : ٢٢٨ ، ٢٢٩.

(٣) البيان والتبيين ٣ : ٧٠.

(٣) الفرق بين الفرق ص : ١٥٥ ، وتاريخ بخارى ص : ١٠٤.

أهلِ قريةٍ يقالُ لها : كازَه كيمن دات[١] . وكانَ قد عَرَفَ شيئاً من الهندسة والحِيَل والنيرْنجَان[٢] ، وكان على دين الرِّزامية بمَرْو ، ثم ادَّعَى لِنَفْسِهِ الإلهيَّةَ ، واحتجبَ عن الناس ببُرقُعٍ من حريرٍ ، واغْتَرَّ به أهلُ جبل إيلاق وقومٌ من الصُّغد ، ودامت فِتْنَتُهُ أربعَ عشرةَ سنةً[٣] ، وعاونه كفرةُ الأتْرَاك الخلجيَّة على المسلمين للغَارةِ عليهم ، وهَزَمُوا عساكر كثيرةً من عَساكر المسلمين في أيام المَهْدِيِّ بن المنصور ، وكانَ المُقَنَّعُ قد أباحَ لأتباعه المُحَرَّماتِ ، وحَرَّمَ عليهم القولَ بالتحريم ، وأسقطَ عنهم الصلاةَ والصيام وسائر العبادات ، وزعمَ لأتباعه أنه هو الإلَه ، وأنه كان قد تَصَوَّرَ مرةً في صورةِ آدم ، ثم تَصَوَّرَ في وقتٍ آخر بصورة نوح ، وفي وقتٍ آخر بصورة إبراهيم ، ثم تَرَدَّدَ في صُوَرِ الأنبياء إلى محمد ، ثم تَصَوَّرَ بعدَه في صورة عليٍ ، وانْتَقَلَ بعد ذلك في صُوَرِ أوْلَادِهِ ، ثم تَصَوَّرَ بعد ذلك في صورةِ ابي مسلمٍ . ثم إنه زَعَمَ أنه في زمانه الذي كان قد تَصَوَّرَ بصورة هاشم بن حكيم[٤] ، وكان اسمه هاشم بن حكيم ، وقال : إني إنما أتَنَقَّلُ في الصُّور لأن عبادي لا يُطيقون رُؤيتي في صورتي التي أنا عليها ، ومن رآني احترَقَ بنُوري[٥] ، ... ، وأحْرَقَ المُقَنَّعُ نَفْسَهُ في تَنُّورٍ في حصْنِهِ قد أذابَ فيه النحاسَ مع القطران حتى ذاب فيه . وافتتن به أصحابُهُ بعد ذلك ، لمّا لم يَجِدُوا له جُثَّةً ولا رماداً ، وزعموا أنه صعدَ إلى السماء ، وأتْبَاعُهُ اليومَ

---

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : «كازه من قرى مرو ، والنِّسبةُ إليه كازقي».

(٢) في أكثر المصادر : النيرجات ، جمع نيرج ، وهو أخذٌ تُشْبِهُ السحر ، وليست بحقيقته ، ولا كالسِّحر ، إنما هو تشبيه وتلبيس. (انظر اللسان : نرج).

(٣) لعله يريد مدة دعوته وثورته ، فإن ثورته لم تدم أكثر من سنتين.

(٤) في الأصل : هشام بن حكيم ، وذلك مخالف لما جاء في أكثر المصادر ، وكأنه وهم ، فإن هشام بن الحكم كان من الرافضة المجسمة ، وقيل : إنه أدرك زمان المأمون. (انظر مقالات الإسلاميين ١ : ١٠٢ ، والفرق بين الفرق ص : ٤٠ ، والملل والنحل ١ : ١٦٤ ، والحور العين ص : ٤٨).

(٥) انظر تاريخ بخارى ص : ١٠١.

في جبال إيلاق ، أكَرَةُ أهلها ، ولهم في كلّ قريةٍ من قراهم مسجدٌ ، لا يصلون فيه ولكن يَكْتَرُونَ مؤذناً يؤذِّنُ فيه . وهم يَسْتَحِلُّونَ الميتة والخنزيرَ ، وكل واحدٍ منهم يَسْتمتعُ بامْرأةِ غيره ، وإن ظفروا بمسلمٍ لم يَرَهُ المؤذِّنُ الذي في مَسْجدهم قتلوهُ وأخفوه ، غيرَ أنهم مقهورون بعامةِ المسلمين في ناحيتهم » .

وقال الشهرستاني يَصِفُ نِحْلَتَهُ وشيعَتَهُ[1] : « المُقَنَّعُ الذي ادَّعى الإلهيَّة لنفسِهِ على مَخَاريقَ أخرَجها ، كان في الأول على هذا المَذْهَبِ (الرِّزامية) ، وتَابَعَهُ مُبَيِّضَةُ ما وراءَ النهر ، وهؤلاء صِنْفٌ من الخُرَّمية ، دَانُوا بِتَرْكِ الفرائض ، وقالوا : الدِّينُ مَعْرفةُ الإمام فقط ، ومنهم مَنْ قال : الدِّينُ أمْرَانِ : مَعْرفةُ الإمام وأداءُ الأمانةِ ، ومَنْ حَصَلَ له الأمْرَانِ فقد وَصَلَ إلى الكمال وارْتَفَعَ عنه التَّكْليفُ » .

ورَوى ابنُ الأثير[2] ما ذكره البغداديُّ من نَشأةِ المقَنَّعِ وثقافتِهِ وتَعاليمِهِ ، وزاد عليه أنه « كان يَعْتَقِدُ أنَّ أبا مسلمٍ أفْضَلُ من النبيِّ ، صلى الله عليه وسَلَّمَ ، وكانَ يُنكِرُ قَتْلَ يحيى بن زَيْدٍ ، وادَّعَى أنه يَقْتُلُ قَاتِليهِ » ، وأنَّ أتباعَهُ كانوا يَعْبُدونَهُ ، « وكانوا يَسْجُدونَ له من أيِّ النَّواحي كانوا ، وكانوا يَقُولونَ في الحَرْبِ : يا هاشمُ أعِنَّا » .

ونَقَلَ ابنُ خلكان[3] أكثرَ ما حَفِظَهُ البغداديُّ وابنُ الأثير من سيرة المُقَنَّعِ ومَبادئِهِ وتَأليهِ أتْباعه له ، وأضاف إليه أنه « إنما غَلَبَ على عُقُولهم بالتَّمْويهاتِ التي أظهَرَها لهم بالسِّحْرِ والنِّيرجاتِ ، وكان من جُمْلَةِ ما أظهَرَ لهم صورةُ قمرٍ يَطلُعُ ،

---

(١) الملل والنحل ١ : ١٣٧ ، وانظر تاريخ بخارى ص : ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ .

(٢) الكامل في التاريخ ٦ : ٣٨ — ٣٩ ، وانظر الفخري في الآداب السلطانية ص : ١٦٠ .

(٣) وفيات الأعيان ٣ : ٢٦٣ ، وانظر البداية والنهاية ١٠ : ١٤٦ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٤٨ .

ويراهُ الناسُ من مسافةِ شهرين من مَوضِعِهِ ، ثم يغيبُ. فعظم اعتقادهم فيه ، وقد ذكر أبو العلاء المعريُّ هذا القمر في قوله[1] :

أفِقْ إنَّما البَدْرُ المُقَنَّعُ رَأْسُهُ ضلالٌ وَغَيٌّ مِثْلُ بَدْرِ المُقَنَّعِ

وهذا البيتُ من جُمْلَةِ قصيدةٍ طويلةٍ. وإليه اشار أبو القاسم هبةُ الله بن سناء الملك الشاعر في جُمْلَةِ قصيدةٍ طويلةٍ بقوله[2] :

إليك فما بَدْرُ المُقَنَّعِ طالعاً بأَسْحَرَ من ألْحَاظِ بَدْرِ المُعَمَّمِ»

وقال القَزْوينيُّ يشرحُ طريقَةَ إظهاره لهذا القَمرِ الغريب[3] : «أنشأ بِنَخْشبَ بئراً يَصْعَدُ منها قَمرٌ يراهُ الناسُ مِثلَ القمر ، واشتهر ذلك في الآفاق ، والناس يقصدون نَخْشبَ لرُؤْيتهِ ، ويتعجَّبونَ منه ، وعَوامُّ الناس يحسبونه سِحْراً ، وما كان إلاَّ بطريقِ الهندسةِ ، وانعكاسِ شعاعِ القمرِ ، لأنهم وَجَدُوا في قعرِ البئرِ طاساً كبيراً مملوءاً زئبقاً . وفي الجملةِ قد اهتدى إلى أمرٍ عجيبٍ سار في الآفاق ، واشتهر حتى ذكرهُ الناسُ في الأشعار والأمثال ، وبقي ذِكْرُهُ بين الناس».

وقد سيطرَ المُقَنَّعُ على كِشٍّ ، وظَهرَ المُبَيِّضَةُ بِبُخَارَى والصُّغْد معاونينَ له ، وآزَرَهُ كُفَّارُ الأتراك ، وأغاروا على المسلمين ، فحاربهم غيرُ قائدٍ فلم يتغلَّبوا عليهم . فأنْفَذَ إليهم المهديُّ جُبْرائيلَ بن يحيى البَجلي في جيش ، فاشتَغلُوا بالمُبَيِّضَةِ الذين كانوا بِبُخَارَى ، ولم يزالوا يناهضونهم أربعةَ أشْهُرٍ حتى هزموهم ، ودَخَلُوا مدينتهم ، وقَتَلُوا سبعمائةٍ منهم . ولحق مُنهَزِمُوهم بالمُقَنَّع ، فتبعهم جبرائيل فحَارَبهم . ثم سَيَّرَ

(١) شروح سقط الزند ٢ : ٤ : ١٥٠٤.

(٢) ديوان ابن سناء الملك ص : ٦٩٨.

(٣) آثار البلاد : نخشب ص : ٤٦٦.

المَهْدِيُّ إليهم أبا عَوْن عبد الملك بن يزيد الأزديَّ، فلم يَبْلُغْ في قِتَالهم. فجَهَّزَ المَهْدِيُّ إليهم مُسْلِمَ بن مُعاذٍ في سبعين ألفاً من المُقَاتِلَةِ، وجعلَ على مقدمته سعيد بن عمرو الحَرَشِيَّ العامريَّ، فالتقوا بهم بالطَّواويس من بُخَارَى، فأَوْقَعُوا بهم، فقَصدت فُلُولُهم إلى المُقَنَّعِ بقلعة سَنَام من كَشٍّ، وكان المُقَنَّعُ قد جَدَّدَهَا، وعمل خَنْدَقَهَا وحَصَّنها، وكان عرضُ جدارها أكثرَ من مائةِ آجرةٍ. ثم جرى بينَ معاذٍ وسعيدٍ نُفْرةٌ، وكتب سعيدٌ إلى المَهْدِيِّ يَقَعُ في معاذٍ، ويَضْمَنُ له الكفايةَ إنْ أفْرَدَهُ بحَرْبِ المُقَنَّعِ، فأجابه المهديُّ إلى ذلك، فانْفردَ سعيدٌ بالقتال وتَدْبير الحَرْبِ. فحصرَ المُقَنَّعَ بِقَلْعتِهِ، واتَّخذَ من الحديدِ والخَشَبِ مائتي سُلَّمٍ لِيَضَعَهَا على عَرْض خَنْدقِ المُقَنَّعِ، ويَعْبُرَ عليها، واسْتَدعَى من مُولْتَانَ الهِنْدِ عشرةَ آلاف جلدِ جاموسٍ وحَشَاهَا رَمْلاً، وكَبَسَ بها خَنْدقَ المُقَنَّعِ. وقاتَلَ جُنْدُ المُقَنَّعِ من وراء خَنْدقِهِ، فلما طال عليهم الحِصَارُ، طلبَ أحَدُ قُوَّادهم الأمانَ سِرًّا من سعيدٍ، فأَمَّنَهُ، فخرج إليه منهم نَحْوُ ثلاثين ألفاً، وبقيَ مع المُقَنَّعِ زهاء ألفين من أرباب البصائر، وتحوَّلَ رجاءُ بن معاذ وغيرُهُ فنزلوا خندقَ المُقَنَّعِ في أصْلِ القَلْعَةِ فضَايَقُوهُ. فلما أيقنَ المُقَنَّعُ بالهَلاكِ، جمعَ نساءَهُ وأهلَه وسَقاهم السمَّ، فأتَى عليهم، وأمَرَ أنْ يُحْرَقَ بالنار، لئلا يُقْدَرَ على جُثَّتِهِ، وقيل: بل أحْرَقَ كل ما في قَلْعَتِهِ من دابةٍ وثَوْبٍ، ثم قال: من أَحَبَّ أن يَرتَفعَ معي إلى السماء. فَلْيُلْقِ نَفْسَهُ معي في هذه النار، وألقَى بنفسِهِ مع أهْلِهِ ونسائِهِ وخَوَاصِّه. فاحتَرَقُوا. ودَخَلَ سعيد القَلعَةَ فوجَدَها خاليةً خاويةً. وقيل: بل شربَ هو أيضاً من السمِّ. فماتَ. فأرسَلَ سعيدٌ رأسَهُ إلى المَهديِّ، فوصَلَ إليه وهو بحَلَب سنةَ ثلاثٍ وستين ومائةٍ [1].

---

(١) تاريخ الطبري ٨ : ١٣٥ ، ١٤٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٧٣ ، وتاريخ بخارى ص : ٦٣ ، والآثار الباقية ص : ٢١١ ، والفرق بين الفرق ص : ١٥٥ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٣٨ ، ٥١ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٦٣ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٦٠ ، والعبر في خبر من غبر ١ : ٢٣٥ ، والبداية والنهاية ١٠ :

ولم تَنْدَثِرْ تعاليم المُقَنَّعِ بعد هَلاكه (١) ، بل بقيت حَيَّةً قويةً ببلادِ ما وراء النَّهرِ في القُرُونِ التالية (٢) ، وكانت إيلاق (٣) وهَيْطَل (٤) من بُخَارَى أكبرَ مراكزها وأهم معاقلها .

ولم تَنْقَطِعْ ثوراتُ المُبَيِّضَةِ والمُحمِّرةِ من الخُرَّميةِ بعدَ القضاء على ثَوْرةِ المُقَنَّعِ ، بل ظلت مُشْتَعِلَةً مُتَّصلةً في الشَّطْرِ الأخير من المائة الثانية وفي الصَّدْرِ الأول من المائةِ الثالثةِ . وإذا كان زعماءُ الثورات السابقة ، قد أدركوا أبا مسلمٍ ، وكانوا من أصحابِهِ ، وتمرَّدُوا سُخْطاً على قَتْلِهِ ، وانتقاماً له ، فإن زعماءَ الثورات اللّاحقةِ اعْتَنَقُوا مبادئَ أسلافهم ، وأرَادُوا بُلُوغَ أهدافهم . وليس ها هنا مجال الحديث المُفَصَّلِ عن تلك الثورات ، فإن ذلك ينأى عن المَقْصُودِ ، ولكن لا بأسَ من الإلْمَامِ المُوجَزِ بها ، حتى تَكْتَمِلَ الصورةُ ، ويتَّضِحُ المُرَادُ .

في سنة ستين ومائةٍ خرجَ يوسف بن ابراهيم المعروف بالبَرْم بخراسان ، وكأنه كان من المُحمِّرة (٥) . فحاربَهُ يزيد بن مَزْيدٍ الشيباني ، فهزمه ، ثم أسرَهُ وحَمَلَهُ إلى المَهْدِيِّ ، فضربَ عُنُقَهُ وصَلبه (٦) .

١٣٥ ، ١٤٥ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٣٨ ، ٤٥ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٤٨ ، والعصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ١١٥ ، والعباسيون الأوائل ١ : ٢٩٢ .

(١) العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ١١٨ ، والعباسيون الأوائل ١ : ٣٠٣ .

(٢) الآثار الباقية ص : ٢١١ ، والفرق بين الفرق ص : ١٥٥ ، والملل والنحل ١ : ١٣٦ .

(٣) الفرق بين الفرق ص : ١٥٦ .

(٤) أحسن التقاسيم ص : ٣٢٣.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٩٧ ، وانظر العصر العباسي الأول للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٨٥ .

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٩٧ ، وتاريخ الطبري ٨ : ١٢٤ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٤٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٣١ . وقد خرج حفيده منصور بن عبد الله بن يوسف البرم بخراسان ، فوَجَّهَ إليه المأمونُ فقتله . (انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥٠).

وفي سنة اثنتين وستين ومائةٍ خَرجتِ المُحمِّرةُ بجُرْجَانَ ، عليهم رَجُلٌ يُسمَّى عبدَ القهَّار ، فغلب عليها ، وقتَلَ بشراً كثيراً ، فغزاهُ عمرُ بن العلاء من طبرستان ، وقتَلَهُ[1] .

وفي سنة ثمانين ومائةٍ خرجت المُحمِّرةُ بجُرْجَانَ ، وكان الذي هيَّجهم على الخُروجِ رَجُلاً يقالُ له عمرو بن محمدٍ العَمركيُّ ، وكان يُنْسَبُ إلى الزَّنْدقةِ ، فأمرَ الرشيدُ بقتله ، فَقُتِلَ بمَرْوِ الشَّاهجان[2] .

وفي سنة إحدَى وثمانين ومائةٍ غَلَبتِ المُحَمِّرةُ على خراسان[3] . وفي سنة اثنتين وتسعين ومائةٍ تَحرَّكت الخُرَّمية بأذَرْبيجانَ ، فوجَّهَ الرشيدُ اليهم عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعيَّ في عشرة آلافٍ ، فقتَلَ وَسبَى وأسرَ ، ووَافاهُ بِقَرْمَاسينَ ، فأمرَهُ بِقَتْلِ الأسرَى وبيْعِ السَّبْي[4] .

وفي سنةٍ إحدَى ومائتين تَحرَّك بابك الخُرَّميُّ بالبَذِّ من أذَرْبيْجان . وكان أتباعُ جَاويدان ابن سَهْرك من الخُرَّمية قد صَارُوا اليه . وسببُ ذلك فيما نَقَلَهُ ابن النديم عن واقد بن عمرو التميميِّ ، وكان عمل أخبارَ بابك ، أنَّ جاويدان رأى بابك حين نَزَلَ على أمِّهِ بقرية بلال أباد ، مُنْصَرَفَهُ من مدينة زَنْجانَ من مدائن ثُغُور قَزْوينَ ،

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٨٦ ، والأخبار الطوال ص : ٣٨٦ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٩٧ ، وتاريخ الطبري ٨ : ١٤٣ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٥٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٣٥ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٤٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٥٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٨ : ٢٦٦ ، والكامل في التاريخ ٦ : ١٥٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٧٥ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٩٩ .

(٣) تاريخ الطبري ٨ : ٢٦٨ ، والكامل في التاريخ ٦ : ١٥٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٧٧ .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٧٣٩ ، وتاريخ الطبري ٨ : ٣٣٩ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٢٠٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٠٧ ، وشذرات الذهب ١ : ٣٢٩ .

وكانَ باعَ غَنَمهُ بها ، ثم قَفَلَ عائداً إلى مَدينته بالبَذِّ ، فحبسَهُ الثلجُ بِرُسْتَاقِ ميمَذ ، فوَجَدَهُ فَهِماً خبيثاً شَهْماً ، فأعْجِبَ به ، فأخذَهُ فوكَّلَهُ بضياعه وأموالِهِ ، «وكانت امرأةُ جاويدان تَتَعَشَّقُ بابك ، وكان يَفْجُرُ بها ، فلما مات جاويدان قالت له : إنك جَلْدٌ شَهْمٌ ، وقد مات ، ولم أرْفَعْ بذلك صوتي إلى أحدٍ من أصحابِهِ ، فتَهَيَّأْ لِغدٍ ، فإني جامعتُهم إليك ، ومُعْلِمَتُهُمْ أنَّ جاويدان قال : إني أريدُ أنْ أموتَ في هذه الليلة ، وإنَّ روحي تخرج من بَدَني ، وتدخلُ في بَدَنِ بابك ، وتَشْتَرِكُ مع رُوحِهِ ، وإنه سيبلغُ بنفسه وبكم أمراً لم يَبْلُغْهُ أحدٌ ، ولا يَبْلُغُهُ بعده أحدٌ ، وإنه يملكُ الأرض ، ويقتلُ الجبابرةَ ، ويَرُدُّ المزدكية ، ويُعزُّ به ذَليلكم ، ويَرْتَفِعُ به وَضيعُكم ! فطمع بابك فيما قالت له ، واستبشرَ به ، وتهيَّأَ له . فلما أصبحت اجتمع إليها جيش جاويدان ، فقالوا : كيف لم يَدْعُ بنا ويُوصِ إلينا؟ قالت : ما منعه من ذلك إلاَّ أنكم كنتم متفرقين في منازلكم من القُرَى ، وأنه إنْ بَعَثَ وجمعكم انتشرَ خبرُهُ ، فلم يأمَنْ عليكم شرَّةَ العرب ، فَعهدَ إليَّ بما أنا أُؤَدِّيهِ اليكم ، إنْ قَبِلْتُموهُ وعملتم به . فقالوا لها : قُولي ما عهدَ إليك ، فإنه لم تكن معنا مُخالفةٌ لأمره أيام حياتِه ، وليس معنا مخالفةٌ له بعد مَوْتِهِ ! قالت : قال لي : إني أموت في ليلتي هذه ، وإنَّ روحي تخرج من جسدي وتدخلُ بَدَنَ هذا الغلام خادمي ! وقد رأيتُ أنْ أملكه على أصحابي ، فإذا متُّ فأعْلميهم ذلك ، وأنه لا دِينَ لمن خالفني فيه ، واختارَ لِنَفْسِهِ خلافَ اختياري ! قالوا : قد قَبِلْنا عهدَهُ إليك في هذا الغلام» ، ثم تزوَّجَتْ بابك على طريقتهم ، وأمَّروهُ عليهم[1] .

وذكر البغداديُّ أنَّ البابكية من أصحاب الإباحة من الخُرَّمية الذين ظهروا بعدَ الإسلام ، وأنهم يُسَمَّوْنَ المُحمِّرةَ ، وهم أتباعُ بابك الخُرَّميِّ ، الذي ظَهَرَ في جَبَلِ

(١) الفهرست ص : ٤٨١ .

البَذِّين بناحية أَذَرْبيْجان ، وكثر بها أتباعُهُ ، واستباحوا المُحرَّماتِ ، وقتَلُوا الكثير من المسلمين[1] .

وأشار ابنُ الأثير إلى أنَّ تعاليمَ بابك خليطٌ من المَزْدكية والخُرَّميةِ والمَجُوسِيَّة ، فقد كان يعتقدُ بالحُلولِ والتَّناسخ ، وكان يجيزُ الإباحة في النساء ، يقول[2] : «تَحرَّكَ بابكُ الخُرَّميُّ في الجَاويدانية ، أصحاب جاويدان بن سَهْرَك ، صاحب البَذِّ ، وادَّعَى أنَّ روحَ جاويدان دخلت فيه ، وأخذ في العَيْثِ والفَساد ، وتفسير جاويدان : الدائم الباقي ، ومعنَى خرم : فَرَحٌ ، وهي مقالات المجوس ، والرَّجُلُ منهم ينكح أُمَّهُ وأختَهُ وابْنَتَهُ ، ولهذا يسمونه دِينَ الفَرَحِ[3] ، ويعتقدون مذهب التناسخ ، وأنَّ الأرواح تَتَنَقَّلُ من حيوانٍ إلى غيره» .

وقد سَيطَرَ بابك على أَذَرْبَيْجانَ كلِّها ، ثم امتَدَّتْ ثورتُهُ إلى الجبالِ من هَمَذانَ ، وأَصْبَهانَ ، ومَاسبَذَانَ ، ومِهْرِجانْ قَذَق ، فقد دَخَلَ أهلُها في دِينِ الخُرَّميَّةِ سنة ثماني عشرةَ ومائتين ، وتَجَمَّعُوا فعسكروا في عَمَلِ هَمَذانَ . وكانوا من المُحَمِّرَةِ ، قال اليعقوبي[4] : «خَرَجَتِ المُحَمِّرَةُ بالجبَلِ ، فَقَتَلُوا ، وَقَطَعُوا الطريقَ ، وأخافُوا السَّبيلَ ، وَعَرَضُوا لِحَاجِّ خراسان ، فَهَزَمُوهُم ، وَقَتَلُوا منهم جماعةً ، فَوَجَّهَ المعتصمُ هاشم بن باتِيجُورَ ، فكانت بينَهُ وبينَهُم وَقعَةٌ ، فَهَزَمُوا هاشماً» . فَوَجَّهَ إليهم المعتصمُ

---

(١) الفرق بين الفرق ص : ١٦١ .

(٢) الكامل في التاريخ ٦ : ٣٢٨ ، وانظر البداية والنهاية ١٠ : ٢٨٢ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٣٦ .

(٣) في الأصل : «الفرج» ، وهو تصحيف ، انظر العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٣٧ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٧١ .

إسحاق بن ابراهيم ، وعَقَدَ له على الجبال ، فسار إليهم ، فأوقعَ بهم ، وقَتَلَ ستين ألفاً منهم وهَرَبَ الباقونَ إلى بلادِ الروم[1] .

واستَمَرَّتْ ثورةُ بابك ما يزيدُ على عشرين عاماً ، هَزَمَ فيها جيوشَ المأمونِ والمعتصمِ ودَمَّرَها ، وقَتَلَ بعضَ قادَتِها . ثم جَهَّزَ المعتَصِمُ الأفشينَ ، وَوَلّاهُ حَرْبَهُ ، سنة عشرين ومائتين ، فلم يَزَلْ يُنازِلُهُ حتى قَضَى على ثَورَتِهِ ، وأسَرَهُ سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، وقَدِمَ به على المُعتَصِمِ بِسُرَّ مَنْ رأى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، فَقَتَلَهُ وَصَلَبَهُ[2] .

وفي سنة أربعٍ وعشرين ومائتين خَرَجَ المازيار على المُعتَصِمِ بِطَبَرِسْتانَ ، وذَكَرَ البغداديُّ أنه كانَ منَ المحَمِّرَةِ من الخُرَّمِيَّةِ[3] ، وقال غيرُه : إنَّه كان يَنتَحِلُ المَجوسيَّةَ[4] . فأَخَذَهُ عبدُ الله بن طاهر ، وأرْسَلَهُ إلى المُعتَصِمِ بِسُرَّمَنْ رأى سنة خمسٍ وعشرين ومائتين ، فأقَرَّ على الأفشين أنه بَعَثَهُ على الخروج والعصيان ، واتَّفقا

---

(١) تاريخ الطبري ٨ : ٦٦٧ ، وتاريخ الموصل ص : ٤١٥ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٤٤١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٨٢ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٦٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، وتاريخ الطبري ٨ : ٥٥٦ ، ٥٧٦ ، ٥٨١ ، ٦٠١ ، ٦١٩ ، ٦٢٢ ، ٦٢٧ ، ٩ : ١١ ، ١٣ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٥٥ ، وتاريخ الموصل ص : ٣٤٣ ، ٣٥٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ومروج الذهب ٤ : ٢٩ . ٣١ . ٥٥ . والعيون والحدائق ٣ : ٣٥٤ . ٣٧٣ . ٣٨٢ . ٣٨٣ . ٣٨٥ . ٣٨٨ . والكامل في التاريخ ٦ : ٣٢٨ . ٣٥٨ . ٣٧٩ . ٣٩٠ . ٤٠٧ . ٤١٢ . ٤١٥ . ٤٢١ . ٤٤٧ . ٤٤٩ . ٤٥٦ . ٤٦١ . ٤٦٢ . ٤٧٧ . والبداية والنهاية ١٠ : ٢٤٨ . ٢٥١ . ٢٦٦ . ٢٦٨ . ٢٨٢ . ٢٨٣ . ٢٨٤ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٣٣ . ٢٣٦ . ٢٣٧ . والعصر العباسي الأول . للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٢٣٠ .

(٣) الفرق بين الفرق ص : ١٦١ .

(٤) مروج الذهب ٤ : ٦١ ، والعيون والحدائق ٣ : ٤٠٥ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٣٦ .

على إقامةِ الدين الأبيَضِ ، أي المجوسيَّة ، فأمرَ المعتصمُ بهما ، فَقُتِلَ المازيار وَصُلِبَ بجانبِ بابكَ سنةَ خمسٍ وعشرين ومائتين[1] ، وحُبِسَ الأفشينُ ، وماتَ في الحَبسِ ، فَصُلِبَ ثم أُحْرِقَ بالنار سنة ستٍّ وعشرين ومائتين[2] .

---

(1) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٧٦ ، وتاريخ الطبري ٩ : ٨٠ ، ٨٤ ، ومروج الذهب ٤ : ٦١ ، والعيون والحدائق ٣ : ٣٩٩ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٤٩٥ ، ٥١٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٨٩ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، والعصر العباسي الأول للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٢٤٠.

(2) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، وتاريخ الطبري ٩ : ١٠٤ ، ١١٤ ، ومروج الذهب ٤ : ٦١ ، والعيون والحدائق ٣ : ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٥١٠ ، ٥١٧ ، والبداية والنهاية ١٠ ، ٢٩٢ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٤٢ ، ٤٧ ، والعصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٢٤٣.

(٦) خُلاصَةٌ وتَعْقيبٌ

ويَدُلُّ ما سَلَفَ على أنَّ العباسيينَ استمالوا الغُلاةَ ، وَقَبِلوا أربابَ الدِّياناتِ الفارسيّةِ في الدَّعوةِ ، وكان الرَّاوَنديَّةُ من الغُلاةِ الذين انضَمُّوا إليهم وأَيَّدُوهُم ، وهم يُنسَبُونَ إلى قريةِ رَاوَنْد قرب نيسابور ، وهم فِرْقَتانِ[١] : الأولى كانَت تَعتَقِدُ أنَّ الإمامةَ جاءت إلى العباسيين بِوَصيَّةِ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحَنَفيَّةِ . وقد انْشَعَبَتْ هذهِ الفِرْقَةُ ثَلاثَ شُعَبٍ بعدَ وفاةِ أبي العباسِ ، شُعْبَةٌ صَحَّحَتْ إمامةَ المنصور والمَهْديِّ ، وشُعْبَةٌ أنشأها عبد الله الرَّاوَنديُّ ، وكانت تَدينُ بإمامةِ المنصُورِ وأُلوهيَّتِهِ ، وأنَّ أبا مُسْلمٍ نَبِيُّهُ ورسُولُهُ ، وهي التي ثَارَتْ على المَنصُورِ ، لأنه أنكرَ اعتِقَادَها بألوهيَّتِهِ ، وشُعبَةٌ قالت بانتقالِ الإمامةِ من أبي العباس إلى أبي مسلمٍ ، وكان منها المُسْلِميَّةُ والرِّزاميَّةُ . وقد تأثَّرَ المُسْلِميَّةُ بالخُرَّميَّةِ ، ومنهم مَنْ كان يُؤْمِنُ بأنَّ أبا مُسلمٍ نبيٌّ أرسَلَهُ زرادِشْت ، وأنه حَيٌّ لم يَمُتْ ، فهم ينتظرون رجعَتَهُ ، ومنهم مَنْ كان يُؤمِنُ برُبُوبيَّةِ أبي مُسْلمٍ ، وأنه فَوقَ الملائِكَةِ . وكان الرِّزاميَّةُ يَنسبونَ إلى أبي مُسلمٍ الخَوارِقَ والمُعجِزاتِ ، ولكنَّهم أقرُّوا بِمَوتِهِ ، وَصَيَّروا الإمامةَ إلى ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ .

---

(١) انظر العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٨٨ . والعباسيون الأوائل ١ : ٢٨٤ .

وأمَّا الفِرقَةُ الثانيةُ منَ الرَّوَنْدِيَّةِ فكانتْ تعْتَقِدُ بأنَّ الرَّسولَ أوْصَى بالإمامةِ إلى عَمِّهِ العباس ، وأنَّ أولادَهُ وَرِثُوا الإمامةَ عنه . وقد تَفرَّعَتْ هذه الفِرقَةُ عَنِ الفِرْقَةِ الأولى ، وكانت تُسَمَّى العَبَّاسية[1] . ولكنَّها بَالَغَتْ في تقْديسِ أبي مُسْلِمٍ ، وحَوَّلَتِ الإمامةَ إليه ، لادِّعائِهِ أنه من وَلَدِ سَليط بن عبد الله بن العباس.

وكان خِداش أوَّلَ مَنْ نَشَطَ من الدُّعاةِ في استِقطابِ الخُرَّمِيَّةِ ، ويَظهَرُ أنَّ أبا مُسلمٍ حَذَا حَذْوَهُ ، عَلى ما يُرْوَى من مُحارَبَتِهِ للخِداشيَّةِ من الخُرَّمِيةِ ، وإلحاحِهِ في طَلَبِهم ، وَقَتْلِهِ لكلٍّ منْ وَقَعَ بِيَدِهِ منهم ، وعلى ما يقال مِنْ أنهم حاوَلُوا اغْتِيالَهُ ، وأنَّ بَعضَهُم سَقاهُ سمّاً ، فعُولِجَ بالتّرياقِ ، فأفاقَ وشُفِيَ[2] .

ومما يُرَجِّحُ اجتذابَ أبي مُسلِمٍ للخُرَّمِيَّةِ ، واسْتيعابَهُ لهم في الدَّعْوَةِ أنه كان من غُلاةِ الشيعةِ من الكَيْسانِيَّةِ ، وأنَّ الرِّزامِيَّةَ من الخُرَّمِيَّةِ نشأوا في أيام وِلايَتِهِ لأمرِ الدَّعوةِ ، وأنَّهُ كانَ على مَذْهَبِ هذه الفِرقَةِ . ومما يُرَجِّحُهُ أنَّ أَصحابَهُ الّذينَ خَلَعُوا الطاعةَ بعدَ قَتلِهِ ، وثاروا طَلَباً بثأرِهِ كانوا منَ الخُرَّمِيَّةِ ، ومنهم سنفاذُ ، واسحاقُ التُّركِ ، والمُقَنَّعُ ، وكانَ أكثرُ مَن تَبِعَهُم وخَرَجَ معهم من الخُرَّمِيَّة .

ويَظهَرُ أنه لم يَقْبَلِ الخُرَّمِيَّةَ فحسب ، بل قَبِلَ الزَّرادِشتيَّةَ أيضاً ، ومما يشيرُ إلى ذلك انضمامُ بهَافريد إليه في أثناء الدعوةِ ، وثورةُ أُستاذِيس بعدَ قتلِهِ ، وكانت تَعاليمُهُا مُستَمَدَّةٌ منَ المجوسيَّةِ .

ويَشهَدُ باستِهوائِهِ للخُرَّمِيَّةِ والزَّرادِشتيَّةِ أنهم لم يكُفُّوا عن الثورةِ بعدَ انتهاء

---

(١) انظر أخبار الدولة العباسية ص : ١٦٥ ، ومقالات الاسلاميين ١ : ٩٤ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١ : ٣٧٠.

(٢) الحيوان ٧ : ٨٣.

ثَوْرَاتِ أَصْحابِهِ الذين لَحِقُوهُ وعَرِفُوهُ وكانوا من دُعاتِهِ وقَادَتِهِ ، بل لَجُّوا فيها ، مع تأسّي رُؤَسائهم به وتَعْظيمِهم له . وكانوا يُسَمُّونَ المُبَيِّضَةَ والمُحَمِّرَةَ . وقد انتَشَرَ المُبَيِّضَةُ منهم ببلادِ ما وراءَ النهر ، وانتَشَرَ المُحَمِّرَةُ بأَذَرْبَيْجَانَ وجُرجانَ . وكان البياضُ شعاراً لكلِّ مَنْ نَاوَأَ العباسيين ببلادِ الشامِ والجزيرةِ الفراتية وخراسان ، وكانت الحُمْرَةُ شعاراً لبعضِ مَنْ ناهَضَ العباسيين ببلادِ الشامِ وخراسان ، وكان البياضُ والحُمْرَةُ يُقابلانِ السَّوادَ الذي اتَّخَذَهُ العباسيّونَ شِعاراً لهم ، ولكنهما اقتَصَرا بخراسان وبلادِ ما وراءَ النهر على حِزْبِ أبي مُسْلمٍ وأنصاره الذين ظلوا يذكرونَه على أنه زعيمٌ قوميٌّ مُقَدَّسٌ(١) .

وقد استَفَادَ العباسيّونَ من أربَابِ الدِّياناتِ الفَارِسيَّةِ ، وتَقَوَوا بهم في المرحلةِ السِّرِّيَّةِ منَ الدَّعْوَةِ ، وبعدَ قيامِ الدولةِ ، وَغَضُّوا الطَّرْفَ عن مُعتَقَداتِهِم المُتَطَرِّفَةِ المخالفةِ لِرُوحِ الإسلامِ ، وتَساهَلُوا في أمْرِهِم ما أَسَرُّوا مُعْتَقداتِهم ولم يَجهَرُوا بها(٢) ، ولكنَّهم قاوَمُوهُم حين أعلنوها وسَعَوا إلى تَغْليبِها على حُدودِ الإسلامِ ، رَوَى المدائني عن أبي بكرٍ الهُذَليِّ أنه قال(٣) : «إني لَواقِفٌ ببابِ أمير المؤمنين (المنصور) ، إذ طَلَعَ ، فقالَ رَجُلٌ إلى جانبي : هذا رَبُّ العِزَّةِ ! هذا الذي يُطعِمُنا وَيَسْقِينَا ! فلما رَجَعَ أميرُ المؤمنين ودَخَلَ عليه الناسُ دَخَلْتُ وخَلا وَجْهُهُ ، فقلتُ له : سمعتُ اليومَ عَجباً ، وحَدَّثتُهُ ، فَنَكَتَ في الأرضِ ، وقال : يا هُذَليُّ ، يُدْخِلُهُمُ اللهُ في طاعَتِنَا ويَعْتُلُهم(٤) ، أَحَبُّ إليَّ من أنْ يُدْخِلَهُم الجنَّةَ بِمَعْصِيَتِنا» .

---

(١) العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ١١٧ ، والعباسيون الأوائل ١ : ٣٠١ .

(٢) تاريخ الدولة العربية ص : ٤٩٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٥٠٧ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٧ .

(٤) عَتَلَهُ : أخذه بِتَلْبيبِهِ فَجَرَّهُ إلى حَبْسٍ أو نَحْوِه .

وكانَ مِنَ العسيرِ عليهم أنْ يَتسامَحوا في مُرُوقِهِم من الدِّين ، وانْسِلاخِهِم منه ، وتَعْطيلِهم لأركانِ الإسلام ، وإبْطالِهم لأحكامِهِ في أثناءِ الدَّعوَةِ ، لأنَّهم كانوا يَدْعونَ إلى العملِ بالكِتابِ والسُّنَّةِ ، ولذلك تَحلَّلَ الإمام محمد بن عليٍّ من خُروجِ خِداش على مِنهاجِ الدَّعوَةِ ، وتَنَصَّلَ من انحرافِهِ عنِ الإسلامِ ، وتَبرَّأَ من خُرَّميَّتِهِ ، وحارَبَ شيعَتَهُ.

وكانَ مِنَ العَسيرِ عليهم أنْ يَتَغافَلوا عن ذلك بعد قيامِ الدَّوْلَةِ ، لأنهم كانوا يُقرِّرونَ أنهم أهلُ الإسلامِ وحَمَلَتُهُ ، وحُماتُهُ وحَفَظَتُهُ ، ولذلك نَاهَضَ أبو جعفرٍ الشُّعبَةَ الثانيةَ من الفِرْقَةِ الأولى من الرَّاوَنديَّةِ ، حين جاءوا إليه من خراسان مُهنِّئين مباركين ، ومُطيعين مُوالينَ ، لأنهم كانوا يَرَونَ أنَّ الإمامةَ لا تَنفَصِلُ عن الرُّبوبيَّة . وردَّ قَوْلَهُم ، فَثارُوا عليه فاستأْصَلَهُم [1] ، قال البلاذريُّ [2] : «كَانُوا يَطُوفُونَ حَوْلَ قَصْرِ المنصور ، فَيقُولُونَ قَولاً عَظيماً ، فَحَبَسَ المَنْصورُ منهم نَحواً مِن مائتين من

---

(١) انظر العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٩٠ ، وتاريخ الدولة العربية ص : ٥٣١ ، والعباسيون الأوائل ٢ : ٧٥.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ٢٣٥ ، وانظر تاريخ الطبري ٧ : ٥٠٥ ، والعيون والحدائق ٣ : ٢٢٧ ، وأمالي الشريف المرتضى ١ : ٢٢٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٠٢ ، ووفيات الأعيان ٥ : ٢٤٦ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٤١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧٥ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٤٥ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٦١ . وشذرات الذهب ١ : ٢٠٩.

وقال أبو حنيفة الدينوري : «ثم سار [المنصور] منها (بغداد) سنة اثنتين وأربعين ومائة نحو البصرة حتى وافاها . فبلغه أن الرَّاوندية تداعوا ، وخرجوا يطلبون بثأر أبي مسلم ، وخلعوا الطاعة ، فوجَّهَ إليهم خازم بن خزيمةَ ، فقتلهم وبدَّدهم في الأرض» (انظر الأخبار الطوال ص : ٣٨٤).

وفي الخبر خطأٌ وتخليطٌ ظاهر ، وما أكثر ما يُخطئُ أبو حنيفة الدينوري ويُخَلِّطُ فيما يذكر من أخبار الدعوة العباسية ، وأخبار الخلفاء العباسيين ! فكيف يسير المنصور من بغداد الى البصرة سنة اثنتين وأربعين ومائةٍ ، وإنما بنيت بغداد سنةَ خمسٍ وأربعين ومائةٍ ! وكيف يثورُ الراوندية على المنصور ، وهو رَبُّهم ، لأنه قَتَلَ أبا مسلم ، وهو نَبيُّهُ ! (وانظر العصر العباسي الأول للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٩٠).

رؤسائِهم ، فَغَضِبَ أصحابُهُم . وكان المنصور أمَرَ أنْ لا يَجتَمِعوا ، فَاتَّخَذُوا نَعْشاً ، وأظهَرُوا أنَّ فيهِ امْرَأَةً ميتةً ، ومَلأُوهُ سلاحاً ، ثم حمَلُوهُ ومَرُّوا إلى بابِ السِّجنِ فأَخرَجُوا أصحابَهُم ، وهم مائتان ، وكانوا أربعمائةٍ ، فَتَتامُّوا ستمائةٍ ، وَقَصَدُوا القَصرَ ، فتنادَى الناسُ ، وأُغلِقَتْ أبوابُ المدينة . وخرج المنصور يمشي في القَصرِ ، ولم يكن عندَهُ دابةٌ ، فمن ذلك اليوم ارتَبَطَ فرساً في القَصرِ يكونُ معه . فلما بَرَزَ أميرُ المؤمنين أُتِيَ بدابةٍ فركِبَها وقَصَدَ قَصْدَهُم ، فجاءَ مَعْنُ بن زائدة الشيباني حتى دنا منه ، ثم تَرَجَّلَ ، وأخَذَ أسافِلَ ثيابِهِ فجعَلَها في مِنطَقَتِهِ وأخذَ بِلجامِ دابةِ أميرِ المؤمنين ، وقال : أنْشُدُكَ اللهَ إلاَّ رَجَعْتَ ، فإنك تُكْفَى إنْ شاءَ الله . ونودِيَ في أهلِ السُّوقِ والعَامَّةِ ، فَرَموهُم بالحجارةِ وقاتلوهم ، وفُتِحَ بابُ المدينةِ ، فَدَخَلَ الناس ، وجاء خازم [بن خزيمة التميميُّ] على فرسٍ مَحْذوف ، فَحمَلَ عليهم فكَشَفَهم ، وقاتَلَ مَعْنٌ يومئذٍ قِتالاً لم يَرَ مِثلَهُ ، فكانَ المنصور يقولُ : كنتُ أسمعُ أنَّ رَجُلاً يُقاتِلُ ألفاً ، فلم أُصَدِّقْ حتى رأيتُ مَعْناً ، فَقُتِلُوا عن آخِرِهِم ، وهم ستمائةٍ » .

وَوَلَّى المنصورُ خازم بن خزيمةَ التميميَّ أمرَ هؤلاء الغُلاةِ مِنَ الرَّاونديَّةِ ، وأذِنَ له في قَتْلِ بَقيَّتِهِم ، ومَحْقِ كُلِّ مَنْ يَنتَحِلُ نِحلَتَهُم (١) .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٥٠٧ .

«الفصل السادس»

«استثارَةُ الرُّوحِ الإيرانيَّةِ في الخُراسانيَّةِ»



(١) اتّكالُ العباسيِّينَ على الخراسانيِّينَ في الدَّعوَةِ

اهتَمَّ العباسيُّونَ بأهْلِ خراسانَ اهتماماً بالغاً ، فقد جعَلوا بَلَدَهُم مَوْطِناً لِدَعْوَتِهِم ومَرْكَزاً لها ، ورَدَّدُوا أنَّ أهْلَها أصحابُ دَعوَتِهم وأنْصارُها ، وذَكروا أنَّ لهم صِفاتٍ وخَصائصَ لا تُوجَدُ في غيرِهم ، قال الإمام محمد بن علي حينَ اختارَ خراسانَ ، وعَزَمَ على تَوجيهِ أبي عِكْرِمَةَ السَّرَّاجَ إليها[١] : «عليكم بخراسان ، فإنَّ هناكَ العَدَدَ الكثيرَ ، والجَلَدَ الظَّاهِرَ ، وهناك صُدُورٌ سالمةٌ ، وقُلوبٌ فارِغَةٌ ، لم تَتَقَسَّمْها الأهواءُ ، ولم تَتَوَزَّعْها النِّحَلُ ، ولم تَشْغَلْها ديانةٌ ، ولم يَقْدَحْ فيها فسادٌ ، وليست لهم اليومَ هِمَمُ العَرَبِ ، ولا فيهم كتَحَازُبِ الأتباعِ للسَّاداتِ ، وكَتَحالُفِ القبائلِ وعَصَبيَّةِ العَشائِرِ ، وما يَزالونَ يُدَالونَ وَيُمتَهَنونَ ويُظلَمُونَ ، ويَكْظِمونَ ويَتَمَنَّونَ الفَرَجَ ويُؤَمِّلُونَ. وهم جُنْدٌ لهم أبْدانٌ وأجسامٌ ومناكِبُ وكَواهِلُ وهاماتٌ ولِحىً وشوارِبُ وأصواتٌ هائِلَةٌ ولغاتٌ تخرُجُ من أجوافٍ مُنْكَرَةٍ. وبَعْدُ فكأني أتفاءَلُ إلى المَشرِقِ ، وإلى مَطْلَعِ سِراجِ الدنيا ، ومِصباحِ هذا الخَلْقِ. وقال : إذا رأيتُمْ

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٦ ، وانظر رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ١٦ ، وأنساب الأشراف ٣ : ٨١ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٩ ، ومختصر كتاب البلدان ، لابن الفقيه ص : ٣١٥ ، ومعجم البلدان : خراسان ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٢٦ .

الرَّاياتِ السُّودَ مُقْبِلَةً من خراسان ، لا يَمُرُّ أهْلُها بِحِصْنٍ إلاَّ فَتَحوهُ ، ولا يَرفَعُ لهم عَدُوُّهُم رايةً إلاَّ قَصَمُوها ، ولا يَلقاهُم جَيْشٌ إلاَّ هَزَمُوهُ ، يَلْقى أوَّلُهُم العَدُوَّ لِقاءً ، وتُطوَى لهم الأرضُ طيّاً ، ويسيرُ الرُّعبُ بين أيديهم حتَّى يَرِدُوا أرضَ القِبْطِ ، ويَقْتُلوا بها فِرْعَوْنَ بني أُمَيَّةَ ، فعندَ ذلك يقْصِمُ اللهُ الجَبَّارين من بني أمية ، ويَصيرُ الأمرُ إلى آلِ رَسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلم » .

وبذلك قَدَّمُوا أهْلَ خراسان على أهْلِ الأَمْصارِ الأخرى ، وَرَفَعوهُم فَوْقَهُم دَرَجَاتٍ . وكان دُعاتُهُم يُشيعُونَ ذلك في أهْلِ خراسان ، لِيَسْتَميلُوهُم به ، ويَحمِلُوهُم على الاسْتِجَابَةِ للدَّعوَةِ ، والانتِظام فيها ، ويَزيدُوهُمْ إيماناً بها ، ويَبْعَثوهُم على تأييدِها ، ويُوطِّنوهُمْ على احتِمالِ المهالِكِ في سَبيلِها ، وَيَمُدُّوا لهم في الأَمَلِ ، وَيُزَيِّنوا لهم المُستَقبَلَ بعدَ نَجاحِها ، لأنهم شيعَتُها وأنصارُها المَشهورونَ ، وذَوُو السَّابقَةِ والقُدْمَةِ المُفَضَّلُونَ ، وأُولُو البَلاءِ والفَناءِ المَذْكُورونَ ، وقَادَةُ الدَّولَةِ المُنْتَظرونَ ، وَوُلاتُها المُتَوَقَّعُونَ !

وبذلك حَرَّكُوا عَواطِفَهُم الفَرديَّةَ ، وهَيَّجُوا مَشاعِرَهُم القَوميَّة . وقد ضَاعَفَ قِيامُ أبي مُسلمٍ بأمْرِ الدَّعْوَةِ بخراسان تلك العواطفَ والمشاعِرَ في نُفوسِهِم . ورُبَّما عَمِلَ أبو مُسْلمٍ على إحيائِها ، وسَعَى إلى إذْكائِها ، فَزادَها التِهاباً وتَوَهُّجاً . وكان الإمامُ إبراهيمُ بن محمدٍ أوصاهُ أنْ يَجمَعَ إليه العَجَمَ ، ويستكثرَ منهم ، وَيُختَصَّ بهم [1] ، ونَصَحَهُ أنْ يَستَعينَ بهم في بعضِ الأمورِ ، ويُعَوِّلَ عليهم فيها دون العرب ، ومنها اختيارُ الرُّسُلِ وحَمَلَةُ الكُتُبِ بينَهُما ، فإنَّهُ أمَرَهُ أنْ يَتَّخِذَهُم من العَجَمِ [2] . فأقبَلُوا

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٥ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٢ .

عليه أفواجاً[١] ، والتفَّ حَولَهُ المُسَلِّمُ منهم ، وانضافَ إليه غيرُ المُسلِمِ منهم أيضاً ، فإنه نَدَبَ الخُرَّمِيَّةَ للدَّعوَةِ ، فانْتَدَبُوا لها ، وكان خِداشٌ قد اجتَذَبَهُمْ إليها ، وأوْسَعَ لهم فيها ، فَتَسرَّبوا إلى مؤسَّساتِها المختلفَةِ ، إذْ تَغلغَلوا إلى منَظَّماتِ العَامَّةِ من شيعَتِها ، وَدَخَلُوا في مجالس دُعَاتِها ، وانْدَسُّوا في حَلَقاتِ قَادَتِها ، وأثَّروا في نُقبائِها تأثيراً شديداً ، حتى كادوا أنْ يَحْرِفُوهُم عن خُطَّتِها ، ويُضِلُّوهُم عن الإسلامِ ، وأوشَكُوا أن يُفْسِدوا عقيدةَ بعضِهم ، ويَجرُّوهم إلى مِلَّتِهِم[٢] ، وكان يُغريهم باعتِناقِها ما فيها من إباحةٍ ، وما تُنتِجُهُ من مَسَرَّةٍ ومُتعَةٍ ، وما تُحَقِّقُهُ من لَذَّةٍ وبَهْجَةٍ ، فَهيَ دينُ الفَرَح[٣] .

فَتَكاثَفَ العَجمُ في الدَّعوَةِ ، وصاروا قوةً بارزةً فيها ، لها وزنُها وخَطَرُها ، فقد أصبحوا يُكَوِّنُونَ صُلبَ أتباعِها ، لأنهم كانوا أكثر سُكَّانِ خراسان ، وكان العَرَبُ بها قِلَّةً قليلةً بالقياس إليهم[٤] ، ولكن أكثر الدُّعاةِ والنُّقَباءِ كانوا منَ العربِ . وكانت اللغةُ الفارسيَّةُ هي الغالبةَ الفَاشيَةَ في مُعَسْكَرِ أبي سَلَمَةَ الخَلّالِ ، لأنَّ العَجَمَ كانوا يُشَكِّلُونَ عُظْمَ جُنْدِ الثورةِ العباسيَّةِ الذين قَاتَلُوا حتى فَتَحوا الكوفة ، ولم يكونوا قد تَعَرَّبُوا ، فكانوا يَتَحَدَّثونَ بالفارسيَّة[٥] ، وهل أدلُّ على ذلك مِمَّا نَقَلَهُ مُصَنِّفُ أخبارِ

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٥ ، ٢٨٧ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٨ — ٢١٣ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٤٢ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٩٦ ، ٢١٨ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٦ .

(٣) الكامل في التاريخ ٦ : ٣٢٨ ، وانظر العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٣٧ .

(٤) انظر تفصيل ذلك في كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ٥٣ — ٦٣ .

(٥) قال مصنف أخبار الدولة العباسية : «مضى [أبو سلمة] إلى العسكر ، وجعل بعضهم يلقى بعضاً فيقول له : تُو أبي سلَمة ديدي؟ (أي هل رأيتَ أبا سلمة) ، فإذا قال : نعم ، اعتنقَهُ وقَبَّلَهُ إعظاماً لأبي سلمة» . (أخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٤) . وانظر شاهداً آخر في الأخبار الطوال ص : ٣٦١ .

الدولةِ العباسيّة في خَبرِ فتحِ الكوفة ، وخُطبَةِ أبي سَلَمةَ الخَلّالِ في الجُنْدِ من أهل خراسان ، وَرَد القُوّادِ منهم عليه؟ يقول[1] : «تكلَّمَ القَومُ في جَوابِ ذلك ، وذكروا طاعَتَهُم ، وقُوّةَ بصائرهم واجْتِهادَهُم ، وما هم عليه من الجِدِّ في مُجاهَدَةِ عَدُوِّهِم ، وتَكَلَّمُوا بالفارسيّةِ بذلك ، وكَبَّرُوا تكبيراً ارتَجَّ منه العَسْكَرُ» !

على أنَّ من الدُّعاة والنُّقباء العرب مَنْ كان يتكلَّمُ بالفارسية . ومنهم الداعية عامر بن إسماعيل المُسْلي من أهل جرجان ، (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٤١) ، ومنهم النقيب أبو نصر مالك بن الهيثم الخزاعي من أهل مرو الشاهجان. (انظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٥٣).

(١) اخبار الدولة العباسية ص : ٣٧٥.

(٢) إلهابُ عواطِفِ الخُراسانيِّينَ القَومِيَّة

وكَأَنَّ بَعْثَ الروحِ الايرانيّةِ في الخراسانيّةِ كانَ سياسَةً مَرسُومَةً ، فقد التَزَمَها الدُّعاةُ والنُّقَباءُ من الموالي والعَرَبِ معاً ، وصَدَرُوا عنها جميعاً ، ولم يَلُجَّ فيها الموالي منهم ، بل لجَّ فيها العرَبُ منهم أيضاً ، وأَلَحَّ عليها بَعضُ العَرَبِ إلحاحاً ظاهراً ، وتَزَيَّدَ فيها تَزَيُّداً كثيراً ، فلم يَقتَصِرْ على تَفجيرِ عواطفِ أهلِ خراسانَ الفَرْدِيَّة ، وتَسْعيرِ مَشاعِرِهِم القوميّة ، لاسْتِدرارِ مَوَدَّتِهم ، والاستئثارِ بمُوالاتِهم ، بل جَاوَزَ ذلك إلى التَّعظيمِ لهم ، والنَّفْخِ فيهم ، لاستْنهاضِ هِمَمِهم ، وحَضِّ الجُندِ منهم على الاستْبسالِ في قِتالِ عَدُوِّهِمْ ، فَجَعَلَ يُشيدُ بِدُوَلِهِمْ وممالِكِهم ، ويُثني على مَاضيهم وتاريخِهم ، مُفَخِّماً آباءَهُم وأَجْدادَهم ، ومُضَخِّماً آثارَهم وأمجادَهم ، ومُكَبِّراً مُلوكَهُم ورِجَالَهُم ، ومُعْلياً من أقدارِهِم ومَنَازِلِهم ، ومُنَوِّهاً بِمَناقِبِهم ومَحاسِنِهم ، ومُهَوِّلاً مَكارِمَهُم ومَساعِيَهُم . وحَرَّضَهُم على العَرَبِ المسلمينَ ، مُذَكِّراً لهم بما فَعَلوا بهم يومَ فَتَحوا بلادَهُم ، فقد قَضَوا على دَوْلَتِهم ، وَسَيْطَروا على دِيارِهم ، وَسَبَوا نِساءَهُم ، واستَعْبَدُوا أبناءَهُم . وأَلَّبَهُم على الأُمويِّينَ خاصّةً[١] . مُقَرِّراً أنهم خَرَجُوا على

---

(١) انظر العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٣٨.

الإسلامِ ، وخالَفُوا سيرَةَ السَّلَفِ الصَّالحِ ، فَظَلموا وأفْسَدُوا ، وسَامُوا المسلمينَ منَ العَرَبِ والموالي سُوءَ العَذابِ ، وَقَهَرُوا أهلَ البيتِ ، وشَرَّدُوهُم وَقَتَلُوهُم . وبَشَّرَهُم بالنَّصرِ المُبينِ على الأُمويينَ الجَائرينَ ، مُعْلناً أنَّ اللهَ اختارَهُم لمُحارَبَتِهم ، وكَتَبَ لهم الفَوْزَ عليهم ، لِيَقْتَصَّ بهم منهم ، ومُمَنِّياً لهم بالمُلْكِ وَواعِداً لهم بالسُّلطان !

ويَبْدو ذلك واضحاً في خُطبَةِ قَحْطَبَة بن شبيبٍ الطائيِّ في جُنْدِ الثَّورَةِ العباسيّةِ ، حين هابُوا لقاءَ الجيوشِ الأمويّةِ الشَّاميَّةِ بِجرُجَانَ ، لِما رَأَوْا من عَدَدِهم وعُدَّتِهم ، وَجَلَدِهم ونَجْدَتِهم ، حتَّى تَكَلَّموا بذلك وأظهرُوهُ ، إذ قالَ لهم فيها[1] : « يا أهْلَ خراسان ، هذه البلادُ كانت لآبائكم الأوَّلين ، وكانُوا يُنْصَرُون على عَدُوِّهم بِعَدْلِهِم وحُسْنِ سِيرَتِهم ، حتَّى بَدَّلُوا وظَلَموا ، فَسَخطَ اللهُ عزَّ وَجَلَّ عليهم ، فانْتَزَعَ سُلطانَهُم ، وَسَلَّطَ عليهم أَذَلَّ أمةٍ كانت في الأرضِ عندَهم ، فَغَلبوهُم على بِلادِهِم ، واستَنكَحُوا نِساءَهُم ، واستَرَقُوا أولادَهُم ، فكانوا بذلك يَحْكُمونَ بالعَدْلِ ، ويُوفُونَ بالعَهْدِ ، ويَنْصُرونَ المظلومَ ، ثم بَدَّلُوا وغَيَّرُوا ، وجاروا في الحكم ، وأخافُوا أهْلَ البرِّ والتَّقوى من عِتْرَةِ رسولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فَسَلَّطَكم عليهم ، لِيَنْتَقِمَ منهم بكم ، لتكونوا أشَدَّ عُقوبَةً ، لأنكم طَلَبْتُموهُم بالثَّأرِ . وقد عهد إليَّ الإمامُ أنكم تَلْقونَهم في مثلِ هذه العُدَّةِ فَيَنصُرُكُم اللهُ عزَّ وجَلَّ عليهم ، فَتَهزِمونَهُم وتَقْتُلونَهم » .

وقال لهم في آخرِ خطبَتِهِ[2] : « يا أهلَ خراسان ، إنَّ النَّصْرَ معَ الصَّبْرِ ، والتنازعَ فَشَلٌ ، وإنكم تُقاتِلونَ بقيَّةَ قومٍ حَرَقُوا بيتَ الله وكتابَه ، واغْتَصَبُوا هذا الأمر ، فانتزوا عليه بغيرِ حقٍّ » .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٩١ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٧ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٤ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٨٠ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٥ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٧ .

(٣) اعْتِرافُ العباسيِّينَ بِفَضلِ الخُراسانيِّينَ بعدَ قيامِ الدَّولَةِ

وَصَرَّحَ العباسيّونَ بِفَضْلِ أهلِ خُراسانَ عليهم ، واعتَرَفوا بأثَرِهم في قيامِ دَولَتِهم ، وجَهَرُوا بذلك جَهراً بعدَ مبايَعَةِ أبي العباس بالكوفة ، فَذَكَرُوا أنهم اعتَقَدُوا بِحَقِّهم في الخِلافَةِ ، فَقَبِلُوا دَعوَتَهم ، وناضَلُوا عن قَضِيَّتِهم ، وأَبْلُوا في نُصرَتِهم حتى أعادوا الخِلافَةَ إليهم ، وأشاروا إلى أنَّ العَرَبَ أنكروا حَقَّهم فيها ، فأعْرَضُوا عن دَعوَتِهم ، وثَبَطُوا الناسَ عنهم ، وسَانَدُوا عَدُوَّهُم ، فقد رَوَى البلاذريُّ أنَّ داودَ بن عليٍّ استَبطَأَ العربَ ، وقَرَّظَ أهلَ خراسان في خُطبَتِهِ بالكوفة[1] ، وَرَوَى أنه قال فيها[2] : «إنَّ العَرَبَ قد أطبَقَتْ على إنكارِ حَقِّنَا ومُعاوَنَةِ الظَّالمينَ من بني أُميَّة ، حتى أتاحَ اللهُ لنا هذا الجُندَ من أهْلِ خراسان ، فأجابوا دَعوَتَنَا ، وتَجَرَّدُوا لِنَصْرِنا» . وجاء في رواية المدايني لها أنه قال فيها[3] : «إنَّا واللهِ ما زِلْنا مَظْلومينَ مَقهورينَ على حَقِّنَا حتى أتاحَ اللهُ لنا شِيعَتنا من أهْلِ خراسان ، فأحْيا بهم حَقَّنَا ، وأفلَجَ بهم حُجَّتَنا ، وأظهَرَ بهم دَوْلَتَنا» .

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٤٠ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١٤١ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٥ .

(٤) قَضاءُ العباسيِّينَ على الخُراسانيِّينَ المُتَمَرِّدين

وما من رَيْبٍ في أنَّ العبَّاسيِّينَ استَفَادُوا من بَعْثِ الروحِ الايرانيّةِ في الخُراسانيّةِ فائِدَةً كبيرةً ، فقد استَفزُّوا أهلَ خراسانَ ، واستَثارُوا حميَّتَهُم وعَصَبيَّتَهم ، وجَيَّشُوهُم لخِدْمَةِ دَعْوَتِهم ومَصلَحَتِهم ، فكانوا أكثر شيعَتِهم ، وأخْلَصَ أتباعِهم ، وقاتلوا لهم حتى أقاموا دَوْلَتَهم .

ولكنَّ انبعاثَ الرُّوحِ الايرانيَّةِ في الخُراسانيَّةِ أَضَرَّ بهم ، وأساءَ إليهم ، فقد هَدَّدَ دِينَهم ، وَهَزَّ سُلطانَهم ، فَعَانُوا عَواقِبَهُ الوَبيلَةَ ، وقاسوها مُقاساةً طويلةً . وسببُ ذلك أنهم استَوعَبُوا فئاتٍ مختلفةً من أهلِ خراسان[١] ، إذ انْضَمَّ إليهم الزُّرَّاعُ والصُّناعُ والدَّهاقينُ ، وكثيرٌ من الخُرَّميَّةِ وقادَتُهم ، وقليلٌ من المجوسِ ومَوَابِذَتُهم وهَرابِذَتُهم ، وجموعٌ من الموالي السَّاخطينَ على بني أمية والمُتَذَمِّرينَ من سياستهم . وكان لهذه الفئاتِ مُشْكلاتٌ ومطالبُ ومطامحُ مُتناقِضَةٌ ، ويَظهَرُ أنَّ العبَّاسيِّينَ مَنّوا كلَّ فئةٍ منها بِحَلِّ مُشكِلاتِها وتحقيقِ مَطالبِها ، وبُلُوغِ مَطامِحِها ، فلما حازُوا الملكَ ، وشَرَعُوا في الحُكمِ ، كان من الصَّعبِ عليهم أنْ يَفُوا بجميعِ عُهُودِهم ، ويُنجِزُوا

---

(١) العصر العباسي الأول للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٣٩ ، والعباسيون الأوائل ١ : ٢٧٥ .

كلَّ وُعُودِهِم ، فأخْلَفُوا ظُنونَ هذه الفئاتِ ، وخَيَّبُوا آمالَها في الحياةِ الرَّغيدَةِ الخاليةِ من التَّفرقَةِ الطَّبَقيةِ ، والمفاسِدِ الماليةِ ، والمَساوئِ السياسيةِ ، فأحْدَثَ ذلك صَدْعاً بينهم وبينها . ثم كان اغتيالُ أبي مسلم ، وكانت تُنزِلُهُ بِمَنزِلَةِ الرئيسِ الدِّينيِّ لها [1] ، وتَعُدُّهُ أحَدَ خُلفاءِ زَرَادِشْت ، وكان أتباعُهُ يَنتَظِرونَ رَجعَتَهُ ، ليملأَ الأرضَ عَدْلاً ، «ويُعيدَ دَوْلَةَ المَجوسِ» ، «ويَستولي على الأرْضِ كلِّها ، ويُزيلَ مُلكَ العَرَبِ وغيرِهم» [2] . فَوسَّعَ اغتيالُهُ شُقَّةَ الخِلافِ بينهم وبينَها ، وزَادَها بُغْضاً لهم ، وتَحَفُّزاً للوُثوبِ عليهم ، وخرجَ الخُرَّمِيَّةُ يَطْلُبُونَ بِدَمِهِ ، وأوَّلُهُم سنفاذ ، ثم تلاه إسحاق التُّرك ، وأستاذيس ، والمُقَنَّعُ الخراساني ، ويوسف البرم ، ثم خَرَجَ بعدَهم كثيرٌ من الخُرَّميَةِ ، وكان بابك أقواهم ، وخَرَجَ المازيارُ إبَّانَ ثَورَتِهِ ، وشَجَّعَهُ الأفشين على الخُروجِ ، وأيَّدَهُ في السرِّ.

وكان ظاهِرُ هذه الثورَاتِ دينياً ، وكان باطِنُهَا سياسياً ، فهي تَعْكِسُ وَعْيَ أهْلِ خراسانَ ، وكانت بوادِرُ اليَقَظَةِ القَوْميةِ قد انْبعَثَتْ في نُفوسهم ، فاتَّخذوا هذه الثَّورَاتِ الدينية السياسية وسيلةً إلى مُحاربة الإسلامِ وأهْلِهِ ، وإحْلالِ الخُرَّميةِ والمجوسيةِ مَحَلَّه [3] .

وتَنَبَّهَ المُؤرِّخُونَ المُسْلِمُونَ للمَرَامي السِّياسيَّةِ التي كان زُعَماءُ الخُرَّمية يَنْشُدونَهَا ، ونَصُّوا عليهَا نَصَّا صريحاً ، ومنهم المسعوديُّ ، وكان قد زارَ ديارَ الخرميةِ ، واطَّلَعَ على مَذَاهبهم ، وجَادَلَ رُؤَسَاءَهُم ، واستَظْهَرَ أنهم كانوا يَرُومونَ

---

(١) العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٨٤.

(٢) الآثار الباقية ص : ٢١٣.

(٣) انظر العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٨٥.

إطْفَاءَ الإسلام ، وإحياءَ دينهم ، ويَتَوقَّعونَ رُجُوعَ السُّلطان إليهم ، إذ يقول[1] : «ذكَرْنَا... ، ما جَرَى لنا من المُنَاظراتِ مع مَنْ شَاهَدْنَا منهم في هذه المواطنِ وما يَنْتظِرُهُ الجميعُ في المستقبلِ من الزمان الآتي من عَوْدِ المُلْكِ فيهم». ويقول : إن المعتصم أمَرَ بحزِّ رَأْسِ بابل الخرميِّ ، «وحُمِلَ إلى خراسان بعد ذلك ، يُطَافُ به كلَّ مدينة من مُدنها وكُورِهَا ، لمَا كان في نُفُوسِ الناسِ من استِفحالِ أمْرِهِ ، وعِظَمِ شأنِهِ ، وكَثْرَةِ جُنُودِهِ ، وإشْرَافِهِ على إزالةِ مُلْكٍ ، وقَلْبِ مِلَّةٍ وتَبْديلهَا[2] ».

وذكَرَ ابنُ الجوزيِّ أنّ الثَّنْويةَ والمجوسَ أرادُوا إرْجاعَ مَمَالكهم وابطالَ الإسلام ، ولكنهم رأوا ضرورةَ إخفاءِ مَقاصدهم بالتَّستُّرِ بالإسلام[3].

وقال المقريزي[4] : «اعلم أنَّ السَّببَ في خروج أكثر الطوائفِ عن ديانة الإسلام أنَّ الفُرْسَ كانت من سعةِ المُلْكِ ، وعُلوِّ اليدِ على جميعِ الأمم ، وجَلالةِ الخطَرِ في أنْفُسِهَا ، بحيث إنهم كانوا يُسمُّونَ أنْفُسهم الأحرارَ والسَّادةَ[5] ، وكانوا يَعُدُّونَ سائرَ الناسِ عبيداً لهم ، فلما امتُحِنُوا بزَوالِ الدولةِ عنهم على أيدي العَربِ ، وكانت العربُ عندَ الفرسِ أقَلَّ الأمم خطَراً ، تَعَاظَمهم الأمر ، وتَضَاعَفَتْ لديهم المُصيبَةُ ، ورَامُوا كيْدَ الإسلامِ بالمُحَاربةِ في أوقاتٍ شتَّى . وكان مِنْ قَائِميهم سنفاذ وأشْنيس والمُقَنَّعُ ، وبابكُ وغيرهم ، وقَبْلَ هؤلاء رَامَ ذلك عَمَّارٌ الملقبُ خداشاً ، وأبو مُسْلمٍ ، فرَأَوْا أنَّ كَيْدَهُ على الحِيلةِ أنْجَعُ ، فأظهرَ قومٌ منهم الإسلام».

---

(١) التنبيه والإشراف ص : ٣٠٦.

(٢) مروج الذهب ٤ : ٥٨.

(٣) المنتظم ٥ : ١١٠.

(٤) خطط المقريزي ٢ : ١٩٠.

(٥) في الأصل : الأسياد، وهو خطأ.

وتَنَبَّهَ الباحثونَ المُحْدَثونَ لمَراميهم السياسية أيضاً ، فكَشَفُوا عنها ، وبَسطُوا القَوْلَ فيها ، وهم كُثْرٌ[1] ، ولكن أقوالهم مُتَقاربةٌ ، فهم مُجْمِعُونَ على أَنَّ زُعَمَاءَ تلك الثَّوراتِ كانوا يَبْتَغُونَ طَمْسَ الاسلامِ ، وتَقْويضَ سُلْطَان العربِ ، وبَعْث المَجُوسيةِ والخُرَّميةِ ، وتَحْويلَ المُلْكِ والدَّوْلَةِ الى الفُرْسِ وأهلِ خُرَاسَان .

ومهما يُقَلِّلْ بَعْضُهم من أمْرِ مَراميهم السياسية ، ويُهَوِّنْ من شأنها ، ويَلْتَمِسْ من الشَّواهدِ ما يَدُلُّ على خَفائِهَا وغُمُوضِهَا ، وما يشيرُ إلى اخْتِلَاطِهَا والْتِباسِهَا بغَيْرِهَا من مَرَاميهم الاجتماعية والاقتصادية ، وما يوحي باتِّصالها وارْتباطِهَا بمَرَامي الأحزابِ الاخرى المناوئةِ للعباسيين ، مثل مشاركَةِ نفَرٍ من العَربِ في ثورات أهل خراسان على العباسيين ، ومشاركَةِ نَفَرٍ من أهلِ خراسان في ثوراتِ العَرَبِ والخوارج والعلويين عليهم[2] ، فإنه يُسَلِّمُ بأَنَّ بعضَ زُعمائها كانوايَسْعَوْنَ إلى إنْهَاءِ السيطرةِ العربية على فارسَ وخراسانَ ، والقَضاءِ على سُلْطَانِ العباسيين[3] .

---

(١) انظر العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٨٤ــ ٨٥ ، والجذور التاريخية للشعوبية ص : ٤٢ ، وتاريخ الاسلام ، للدكتور حسن إبراهيم حسن ٢ : ١٠٢ ـ ١٠٩ ، والتاريخ الاسلامي ، للدكتور أحمد شلبي ٣ : ١٧٢ ، والعالم الإسلامي ، للدكتور حسن أحمد محمود ص : ١٧٩ ، والخلافة والدولة في العصر العباسي ، للدكتور محمد أحمد حلمي ص : ٣٧ ـ ٥٤ ، والزندقة والشعوبية ، لسميرة الليثي ص : ٧٣ ، وكتابي الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ص : ٢١١ــ ٢٢١ ، ٢٤١ ، ٢٥٣ .

(٢) العباسيون الأوائل ١ : ٢٧٦ ــ ٢٧٧ ، وانظر من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ، لبندلي الجوزي ص : ٥١ ، ٦٨ .

(٣) العباسيون الأوائل ١ : ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٥) تعظيم العباسيّين للخراسانيين المُوَالين

وأدْرَكَ العباسيون ما انْطَوَتْ عليه تلك الثوراتُ من تَهْديدٍ لمُلْكِهِم ، وتَصَدٍ للإسلام ، وتَحَدٍّ لِلْعَرَب ، فأحْبَطُوهَا ، ومَحَقُوا رُؤَسَاءَهَا ، وسَحَقُوا أتْبَاعَهَا ، ولكنهم ظلُّوا يَحْتَفِظُونَ لأهل خراسان بمنزلةٍ رفيعةٍ في حُكُومتهم ، لأنهم لم يكونوا يُطيقُونَ الاسْتِغنَاء عنهم ، ولا يَقْدِرُونَ على البقاء من دونهم.

وعلَى الرَّغْمِ من أنَّ أكثرَ تلك الثورات وأخْطَرِهَا وَقَع في عَهْدِ ابي جَعْفَرٍ ، فإنه أكد أهميةَ أهل خراسان وقيمتَهم ، وحرصَ على إبراز وُجُودِهم ومكانتهم ، فإنه يقول في خطبته لمَّا أخَذَ عبد الله بن الحسن ، وإخوتَه ، والنَّفرَ الذين كانوا معه من أهل بَيْتِه ، سنة أربع وأربعين ومائة[1] : «يا أهْلَ خراسانَ ، أنتم شيعَتُنَا وأنصارُنَا وأهْلُ دَوْلَتِنا ، ولو بَايَعْتُمْ غيرَنا لم تُبَايِعُوا مَنْ هو خَيْرٌ منا ، وإنَّ أهْلَ بيتي هؤلاء مِنْ وَلَدِ علي بن أبي طالبٍ ، تَرَكْنَاهُمْ والله الذي لا إلَه إلاَّ هو والخلافةَ ، فلم نَعْرِضْ لهم فيها بقليلٍ ولا كثيرٍ ، ... ، ثم وثبَ علينا بنو أمية ، فأماتوا شَرَفنا ، وأذْهَبُوا عِزَّنَا ، واللهِ ما كانت لهم عندنا تِرَةٌ يَطْلُبُونَهَا ، وما كانَ لهم ذلكَ كُلُّهُ إلاَّ فيهم ، وبسَبَبِ

(١) تاريخ الطبري ٨: ٩٢.

خرُوجهم عليهم ، فنَفَوْنا من البلادِ ، فَصِرْنَا مرةً بالطائف ، ومرَّةً بالشام ، ومرَّةً بالشَّراةِ ، حتى ابْتَعثكُم اللهُ لنا شيعةً وأنصاراً ، فأحْيَا شرَفنَا ، وعزَّنا بكم أهلَ خراسانَ ، ودَمَغ بحقكم أهْلَ الباطلِ ، وأظْهرَ حَقَّنا ، وأصارَ الينا ميراثَنا عن نبيِّنَا ، صلى الله عليه وسلم ، فقرَّ الحَقُّ مَقرَّهُ ، .وأظهرَ منارَهُ ، وأعزَّ أنْصَارَهُ ، وقَطَعَ دابرَ القَوْمِ الذين ظَلَمُوا ، والحمدُ لله ربِّ العالمين».

ويقولُ في كتابه إلى عيسَى بن موسى ، لمّا أرادَ البيعةَ لِلْمَهْدِيِّ ، وسألَهُ التَّنازُلَ له عن ولاية العَهْدِ ، سنةَ سبعٍ وأربعينَ ومائةٍ[1] : إنَّ أمير المؤمنين «يَرَى لَكَ إذا بَلَغَكَ من خالِ ابن عَمِّكَ ما تَرَى من اجتماع الناس عليه ، أنْ يكون ابتداءُ ذلك من قبلِكَ ، ليعلمَ أنصارُنا من أهلِ خراسان وغيرهم أنكَ أسرَعُ إلى ما أحَبُّوا مما عليه رَأْيهم في صَلاحِهم منهم الى ذلك من أنفسهم».

ويَقُولُ في وَصِيَّتِهِ للمهديِّ ، لمَّا شخَص مُتوجِّهاً إلى مكةَ ، سنةَ ثمانٍ وخمسينَ ومائة[2] : «أُوصيكَ بأهلِ خراسان خيراً ، فإنهم أنْصَارُكَ وشيعَتُكَ الذين بَذَلُوا أمْوالَهم في دَوْلتك ، ودِمَاءهم دُونَك ، ومن لا تَخْرُجُ مَحبَّتُكَ من قُلُوبهم ، أنْ تُحْسِنَ اليهم ، وتَتَجاوزَ عن مُسيئهم ، وتُكَافِئَهم على ما كانَ منهم ، وتَخْلُفَ مَنْ ماتَ منهم في أهْلِهِ ووَلَدِهِ».

وحَذَّرَ عبدُ الصمدِ بنُ علي المَهْديَّ أنْ يَمْضيَ في إهمالِ أهلِ خراسان وتنْحيتِهم عن الولاياتِ ، ونَصَحَهُ أنْ يُقَدِّرَهم ويُسْنِدَ اليهم بعضَ الأعمال ، وخَوَّفَهُ عواقبَ أبعَادِهم وإسْقاطهم ، حين رآهُ يُؤَخِّرهم ويُقْصِيهم ، لكِبْرهم وإدْلالهم بفَضْلِهم ،

---

(١) تاريخ الطبري ٨ : ١٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٨ : ١٠٣ ، والكامل في التاريخ ٦ : ١٩ ، وانظر تاريخ الطبري ٨ : ١١١ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٣٣ .

ويُقَدِّمُ مَوالِيَهُ ويَعْتَمِدَ عليهم لإخلاصهم وتواضُعِهم ، إذ قال له[1] : «يا أميرَ المؤمنين ، إنّا أهْلُ بيتٍ قد أُشْرِبَتْ قُلُوبنا حُبَّ موالينا وتَقْدِيمِهم ، وإنَّكَ قد صَنَعْتَ مِنْ ذلك ما أفْرطْتَ فيه ، قد وَلَّيتهم أُمورَكَ كلها ، وخَصَصْتَهم في ليلكَ ونهارِكَ ، ولا آمَنُ تغْيِيرَ قُلُوب جندك وقُوّادكَ من أهلِ خراسان ، قال : يا ابا محمدٍ ، إنَّ الموالي يَسْتَحِقُّونَ ذلك ، وليس أحَدٌ يَجْتَمِعُ لي فيه أنْ أجْلِسَ لِلْعَامَّةِ ، فأدْعُو به ، فأرْفَعَهُ حتى تَحُكَّ رُكْبَتُهُ رُكْبَتي ، ثم يقوم من ذلك المجلس ، فأَسْتَكْفِيهِ سياسةَ دابّتي ، فيكفيهَا ، لا يرفعُ نَفسَهُ عن ذلك إلاّ مواليَّ هؤلاء ، فإنهم لا يتَعَاظَمُهم ذلك. ولو أَرَدْتُ هذا مِنْ غيرهم لقال : ابنُ دَوْلَتِكَ ، والمُتَقَدِّمُ في دَعْوَتكَ ، وابن مَنْ سَبَقَ إلى بَيْعَتِكَ ، لا أدْفَعُهُ عن ذلك».

ولم يَزَلْ لأهل خراسان مكانَتُهم في أيام الرشيد ،حتى لقد ألّفَ الفَضْلُ بن يحيى البرمكيُّ جيشاً منهم ، سَمَّاهم العباسية ، ونَقَلَ بَعْضَهم إلى بغداد[2]. وأدْناهم المأمونُ وَعَوَّلَ عليهم ، لأنه ابنُ أخْتِهم ، ولأنه انْتَصَرَ بهم على أخيه الأمين ، فَعَظُم سُلْطانهم في أيامه[3].

وإنما فَعَلَ أبو جعفرٍ ذلكَ ، وسَنَّهُ للخلفاء من بَعْدِهِ ، لأنه كان يعلم أنَّ أهْلَ خراسان هم أصْلُ شيعَتهم ، ومَصْدَرُ قُوَّتهم ، وحُماةُ دَوْلَتهم ، ولأنه أرادَ أنْ يُجابِهَ بهم عَرَبَ الكوفةِ المؤيدين للعلويين.[4]

---

(١) تاريخ الطبري ٨ : ١٧٥.

(٢) تاريخ الطبري ٨ : ٢٥٧.

(٣) تاريخ الطبري ٨ : ٦٥٢ ، وتاريخ الموصل ص : ٤٠٩ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٤٣٢.

(٤) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ص : ١٣٢.

« الفصل السابع »

« اسْتِغلالُ العَصَبيَّةِ الإِقليمِيَّةِ الكُوفيَّةِ »



(١) تخوّفُ العباسيِّينَ منَ العِراقيِّينَ في صَدْرِ الدَّعوَةِ

حاوَلَ العباسيونَ أنْ يتألَّفُوا بعضَ العِراقيينَ، على حَذَرٍ وخَوْفٍ منهم، فإنّهم كانوا يَخْشونَ تَغيُّرَهم وغَدْرَهُم، لما عُرِفَ مِنْ تَقَلُّبِ أهوائِهم، وتَخاذُلِهِمْ عن مؤازرَةِ ثُوّارِ العَلَويِّينَ الذين لجأوا إليهم، ومِمَّا زادَ من استْرابَتِهم بهم أنهم كانوا مُقَسَّمي النُّفوسِ، مُوَزَّعي العَواطِفِ بينَ الأحزابِ الأخرى، فقد كانَ أهْلُ الكوفَةِ يميلونَ إلى عليٍّ بن أبي طالبٍ وَوَلَدِهِ، وكانَ أهْلُ البَصرَةِ يُمالِئونَ عثمانَ بن عفان ويَدينونَ بالكَفِّ[١]، فلم يَتَوسَّعُوا في إظهارِ الدَّعْوَةِ ونَشْرِها بالعراق، فإنها لم تكن تَحتَمِلُ دُعاتَهم، ولا تَصلُحُ لهم. وقد أوْصوا كبارَ دُعاتِهم أنْ لا يَتكثَّروا مِنْ أهلِ الكوفةِ، ولا يَقبَلُوا منهم إلّا مَنْ وَثِقُوا بحَيْدَتِهِ، وقُوَّةِ بصيرَته، وصِحَّةِ نِيَّتِهِ، وسَلامةِ سَريرَتِهِ، وشِدَّةِ نُصْرَتِهِ[٢]، فَتَصَرَّمَتْ سنةُ مائةٍ، وما يُناهِزُ شيعةُ العباسيينَ، بالكوفة ثلاثينَ رَجُلاً، وما يَعْلَمُ أحدٌ منهم اسمَ الإمامِ الذي بايَعَ له، ولا نَسَبَهُ، إلاَّ أولئك النَّفَرُ الذين بايَعُوا لمحمد بن عليٍّ، بعد مَوْتِ أبي هاشمٍ عبدِ الله بن محمد بن الحَنَفيَّةِ بالحُمَيْمةِ، سنةَ ثمان وتسعين[٣].

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٠٦، وانظر رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ١: ١٦، وأنساب الأشراف ٣: ٨١، والبدء والتاريخ ٦: ٥٩، ومختصر كتاب البلدان، لابن الفقيه ص: ٣١٥، ومعجم البلدان: خراسان، والفخري في الآداب السلطانية ص: ١٢٦، وانظر عيون الأخبار ١: ٢٠٤.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ١٩٣، ٢٠٠.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص: ١٩٤.

(٢) استمالةُ العباسيِّينَ للعراقيِّينَ في آخرِ الدَّعوَةِ

وظَلَّ دعاةُ العباسيِّينَ يُحجِمونَ عن بَثِّ الدَّعوَةِ بالعِراقِ في الرُّبعِ الأوَّلِ من القرنِ الثاني . ثم تَهيَّأت لهم الأسبابُ إلى بَثِّها بعد ذلك ، فقد قُتِلَ خالِدُ بن عبد الله القَسْريُّ ، سنة ستٍ وعشرين ومائةٍ ، وكانَ سيِّدَ اليمانيةِ بالعراقِ والشام ، فاشْتَدَّ سُخْطُ القبائلِ اليمانيَّةِ العِراقيَّةِ على بني أميَّةَ وأعلَنَتْ عداءَها لهم ، وجَعَلَتْ تَتَربَّصُ بهم الدَّوائرَ ، وتَنتَظِرُ فيهم الفُرصَ ، لكي تَثُورَ عليهم ، وتأخُذَ بثأرها منهم[١] . فاطمأنَّ دُعاةُ العباسيِّينَ إليها ، واستَعْطَفُوها واستَمالُوها ، فَدَخَلَتْ في الدعوةِ ، وصارَ سَادَتُها كمحمد بنِ خالدِ القَسْريِّ ، وطَلْحَةَ بنِ إسحاق الكِنْديِّ ، وسُفيانَ بن معاويةَ المُهَلَّبيِّ من شيعةِ العباسيين . فلما عَبَرَتِ الجيوشُ العباسيَّةُ الفراتَ ، وتوجَّهَتْ إلى الكوفة ، سَوَّدَ أولئك اليمانيةُ ، وغَلَبَ محمدُ بنُ خالدِ القَسْريُّ على الكوفةِ ، وقَاتَلَ سفيانُ بنُ معاويةَ المُهَلَّبيُّ عامِلَ بني أميَّةَ بالبَصرَةِ فَهزَمَه عامِلُها ، فَارْتَحلَ هو وأهلُ بَيتِهِ إلى كَسكَرَ ، فأغارَ القَيسيَّةُ على دُورِ المهالبةِ وسائرِ الأزْدِ بالبصرة ، فأوْقَعوا بهم ، وهَدَمُوا دُورَهم ، وسبوا نساءهم ، ونَهبُوا أموالَهم . فلما قامَ أبو العباسِ وَلَّى سفيانَ بن معاوية المُهَلَّبيَّ على البَصْرَة[٢] .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابي الوليد بن يزيد عَرْضٌ ونقد ص : ٤١٩ — ٤٣٣ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦١٠ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٧٤ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٥ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٧ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤١٧ ، ٤١٩ ، وتاريخ الموصل ص : ١١٧ ، ١١٩ ، ١٤٠ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٥ ، ٢٠٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٩.

(٣) مُنافَقَةُ العباسيِّينَ للعراقيِّينَ بعدَ قيامِ الدَّولَةِ

ولم يَكَدْ أبو العباس يبايعُ بالخلافةِ حتى استَغَلَّ العباسيّونَ العَصَبيَّةَ الإقليميَّةَ بينَ العراقيينَ والشاميينَ ، وكانَ ما بينهم مُتباعِداً منذُ وَقْعةِ صِفِّين[1] ، وكان العراقيونَ حانقينَ على الخلفاءِ الأمويينَ وأعوانِهم منَ الشاميينَ ، لاسْتِبدادِهم بالخلافة من دونهم ، فكانوا ينافسونهم في الحكم والعلم[2] ، وكانوا يَتحزَّبونَ لِبَلَدِهم تَحزُّباً شديداً[3] . فأَجَّجَ العباسيونَ مَشَاعِرَ العِراقيينَ السياسيّة ، ولاَيَنوهُم ودَارُوهم ، ونَافقوهُم وصَانَعُوهُم ، ومَايَلوهُم ومنَّوهم ، لِيَستَهْوِوا أفئدَتَهم ، ويستَأثِروا بمَوَدَّتِهم ويَفُوزُوا بِموالاتِهم ، فقد زعموا أنَّ أهلَ الكوفةِ منهم هم شيعةُ الدعوةِ ، ومركزُ

---

(١) وقعة صفين ص : ٥٦ ، والأخبار الطوال ص : ١٦٠ ، والكامل ، للمبرد ١ : ٣٢٧ ، وكتاب الفتوح ، لابن أعثم ٢ : ٤٣٠ ، وثمار القلوب ص : ٤٧٥ ، وشرح نهج البلاغة ٢ : ١٢٧ .

(٢) رسائل الجاحظ ، للسندوبي ص : ٦٧ ، ٢٩٢ ، ٣٠١ ، وتاريخ الطبري ٨ : ٦٥٢ ، وتاريخ الموصل ص : ٤٠٨ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٤٣٢ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ١٩٨ .

(٣) الأغاني ١١ : ٢٥ ، وأمالي المرتضى ٢ : ١٩ ، ونور القبس ص : ٢٤٩ ، وتاريخ دمشق ١ : ٣١٦ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٦ ، ٥ : ٣٥٠ ، ومقدمة في تاريخ صدر الاسلام ص : ٥٥ ، والخوارج والشيعة ص : ١٤٨ ، ومصادر الشعر الجاهلي ص : ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ، وضحى الإسلام ٢ : ١٠٤ .

دُعاتِها ، ومُستَقَرُّ أنصارِها ، وأنهم صَبَروا على ظُلمِ الأمويينَ لهم ، واحتَمَلُوا عُنفَهُم بهم ، ولم يَزالُوا مُخْلصينَ للعباسيِّينَ مُتطَلِّعينَ إلى خِلافَتِهم حتى ابتدأت ، فاستَقبَلُوها مُؤيِّدينَ مُؤازرينَ ، وفَرِحينَ مَسرورينَ . فهم أقربُ الناسِ منهم ، وأعزُّهم لَدَيْهم ، وأجْدَرُهُم بالإجلالِ عندَهم ! وهل أبْيَنُ إبانةً عن ذلك من قَولِ أبي العباس لهم في خطبَتِهِ الأولى بالكوفة[1] : « يا أهلَ الكوفةِ ، إنكم مَحَلُّ دُعاتِنَا وأوليائنا وأهْلُ مَحبَّتِنا » ؟ ويُروَى أنه قال لهم فيها[2] : « يا أهْلَ الكوفة ، أنتم محلُّ محبَّتِنا ، ومَنزِلُ مَوَدَّتِنا ، أنتم الذين لم تَتغَيَّروا عن ذلك ، ولم يَثْنِكُمْ عن ذلك تَحامُلُ أهلِ الجَوْرِ عليكم ، حتى أدْرَكْتُمْ زمانَنَا ، وأتاكُمْ اللهُ بِدَولَتِنَا ، فأنتم أسعَدُ الناس بنا ، وأكْرَمُهُم علينا » .

بل إنهم بَشَّرُوهُم بأنَّ الدّولةَ العباسيّةَ دَوْلَةُ أهلِ الكوفةِ منهم خاصةً ، وأنَّ تَطويحَها بالدَّولةِ الأمويةِ انتصارٌ لهم على الشاميين ! وسَألوهُم الثباتَ على وَفائِهم ، والحِرْصَ على دَوْلَتِهِم ! وهل أدَلُّ دلالةً على ذلك من قَوْلِ داوودَ بن علي لهم في خُطبَتِهِ بالكوفة بعدَ مبايعةِ أبي العباس[3] : « يا أهلَ الكوفةِ ، ... ، أظْهَرَ [اللهُ] فيكم الخليفَةَ من هاشمٍ ، وَبَيَّضَ به وجوهَكُم وأدالكم على أهل الشام ، ونَقَلَ إليكم السلطانَ ، وعَزَّ الإسلام ، ومَنَّ عليكم بإمامٍ منَحَهُ العدالةَ ، وأعطاهُ حُسنَ الإيالة[4] ، فَخُذُوا ما آتاكم اللهُ بِشُكْرٍ ، والزَمُوا طاعَتَنا ، ولا تُخْدَعُوا عن أنفُسِكُم ، فَإنَّ الأمرَ أمْرُكم ، وإنَّ لِكُلِّ أهلِ بَيتٍ مِصْراً ، وإنكم مِصْرُنا » ؟

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ١٤٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤١ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٢١ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤١٥ .

(٤) الإيالة : السياسة .

(٤) تَحامُلُ العباسيِّينَ على الكُوفيِّينَ بسببِ حُبِّهم للعَلَويِّينَ

وسَرْعانَ ما كَفَّ العباسيونَ عن مُجامَلَةِ أهلِ الكُوفَةِ ومُداهنتِهم، فَذَمَّهُم أبو مُسلمٍ، وعبدُ الله بن علي، ونَدَّدا بِغِشِّهم وخِداعِهم، واقترَحا على أبي العباس أن يَهْجُرَهُم ويُزايلَ بَلَدَهم، وحَثَّاهُ على مُراقَبَتِهم ومُحاسبَتِهم، وأغرَياهُ بمعاقبَتِهم وإبادَتِهم، فهم شيعةُ العَلَويِّينَ، وهم لا يَنقَطِعونَ عن تَحريضِهم ودَفْعِهم إلى طلبِ الخلافة، ومن الصَّعْبِ أن تَصْفو نُفوسُهُم للعباسيينَ، فَيَمْحَضوهُم النُّصْحَ والمَوَدَّةَ، ويكونوا من أتباعِهم المُخلِصين. فاستَجابَ لهما، وَشَيَّدَ المدينةَ الهاشميَّةَ بالأنبارِ، وانتَقَلَ إليها، قال المَدائني[1]: «كتب أبو مسلمٍ إلى أبي العباس: إنَّ أهلَ الكوفة قد شاركوا شيعةَ أمير المؤمنين في الاسمِ، وخَالَفوهُم في الفِعلِ، ورأيُهُم في آلِ عليٍّ الرَّأيُ الذي يَعْلَمُهُ أمير المؤمنين، يُؤتَى فَسادُهُم من قِبَلِهم بإغوائِهم إياهم وإطماعِهِم فيما ليسَ لهم، فالْحَظْهُم يا أميرَ المؤمنين بِلَحظَةِ بَوارٍ، ولا تُؤَهِّلْهُمْ لجوارِكَ، فليست دارُهُم لك بدارٍ، وأشارَ عليه أيضاً عبد الله بن عليٍّ بِنَحوٍ من ذلك، فابتَنى مَدينَتَهُ بالأنبارِ، وتَحوَّلَ إليها، وبها تُوفي».

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ١٥٠.

فلما ازدادَتْ معارَضَةُ الحَسَنِيِّينَ لأبي جعفرٍ ، وقَوِيَتْ مُنَازَعَتُهُم له في الخلافَةِ ، اتَّهَمَ العِراقيِّينَ بإثارَتِهم ومُظاهَرَتِهم ، وَوَصَمَ أَهْلَ الكوفةِ منهم بحبِّ الفُرْقَةِ والمَعْصِيَةِ ، وأعْلَنَ عَجْزَهُ عن مُقارَعَةِ كَيْدِهم ومَكْرِهم ، وتمنَّى أنْ ينجيهُ اللهُ من أذاهُم وشَرِّهم ، فإنّه يقول في خُطبَتِهِ عندما قَبَضَ على عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ وإخوتِهِ وأهْلِ بيتِهِ ، سنةَ أربعٍ وأربعينَ ومائةٍ هاتِفاً بتَغريرِ العراقيِّينَ الدائمِ بالعَلَوِيِّينَ ، وقُعودِهم عن نُصرَتِهم بعدَ خُروجِهم ، وما لَحِقَهم منَ الهلاكِ بسببِ غَدْرِهم[1] :

«ثم قامَ من بَعْدِهِ[2] الحسينُ بن عليٍّ ، فَخَدَعَهُ أهلُ العراقِ ، وأهلُ الكوفةِ ، أهلُ الشِّقاقِ والنِّفاقِ[3] والإغراقِ[4] في الفِتَنِ ، أهلُ هذه المدرة[5] السَّوداءِ ، وأشارَ إلى الكوفةِ ، فواللهِ ما هي بِحَرْبٍ فأُحارِبُها ، ولا سِلْمٍ فأُسالِمُها ، فَرَّقَ اللهُ بيني وبينَها ، فخذلوهُ وأسلَموهُ حتى قُتِلَ» .

ثم جَرَّمَ أهلَ الكوفةِ ، وأفْحَشَ في عَيْبِهِ لهم وأقْذَعَ في نَيْلِهِ منهم ، وادَّعى أنَّهم مزَّقوا أهْلَ البيتِ ، وأحْدثُوا القَطيعَةَ بينَهم ، بتَزْيِينِهم للعَلَوِيِّينَ منهم المُضيَّ في مُنافَسَةِ العَبَّاسيِّينَ ومُناهَضَتِهم ، وحَمْلِهم لهم على مُخالَفَتِهم ومُحارَبَتِهم . وعَذَرَ الأمويينَ فيما صَنَعُوا بهم ، ونَوَّهَ بِحِلْمِهم لإبقائِهم عليهم ، وتَوَعَّدَهُم أنْ يأخُذَهم

---

(١) تاريخ الطبري ٨ : ٩٣.

(٢) من بعده : من بعد الحسن بن علي.

(٣) هذا من قول الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبته المشهورة . انظر البيان والتبيين ٢ : ١١٤ ، والأخبار الموفقيات ص : ٩٦ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٤٤ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٧٣ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٢٠٦ ، والعقد الفريد ٤ : ١٢١ ، ومروج الذهب ٣ : ١٣٤ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٧٧ ، والبداية والنهاية ٩ : ٩ ، وجمهرة خطب العرب ٢ : ٢٨٨ .

(٤) الإغراق : المبالغة.

(٥) العرب تسمي القرية المَبْنية بالطين واللَّبن المدرة ، وكذلك المدينة الضخمة يقال لها : المدرة.

بالعُنفِ ، وهَدَّدَهُم أنْ يَسومَهُم الخَسْفَ ، فإنه يقولُ في خطبَتِهِ لمَّا قُتِلَ إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ ، وبَعَثَ عيسى بن موسى برأسِهِ إليهِ ، فَأَمرَ أنْ يُطافَ به بالكوفةِ ، سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومائةٍ[1] : «يا أهلَ الكوفَةِ ، عليكم لَعْنَةُ اللهِ وعلى بَلَدٍ أنتم فيه ، لَلْعَجَبُ لبني أميّةَ وصَبرِهم عليكم ! كيفَ لم يَقتُلُوا مُقاتِلَتكم ، ويَسْبوا ذَرارَيكم ، ويُخرِبُوا مَنَازِلكم ! سَبَئِيَّةٌ خَشَبيَّةٌ ! ! قائلٌ يقولُ : جاءتِ الملائكةُ ، وقائلٌ يقول : جاءَ جبريلُ ، وهو يقولُ : أَقْدِمْ حَيْزومُ[2] ! ثم عَمَدْتُم إلى أهْلِ هذا البيتِ ، وطَاعَتُهم حَسَنَةٌ فأَفسَدْتُموهُم وأنغَلتُموهُم[3] . فالحمدُ للهِ الذي جَعَلَ دائرةَ السَّوءِ عليكم ، أما واللهِ يا أهْلَ المَدَرةِ الخَبيثَةِ لئن بقيتُ لكم لأُذِلَّنكم» !

---

(١) أنساب الأشراف ٣ : ٢٦٩.

(٢) حَيْزُوم : اسم فرس جبريل عليه السلام ، وفي حديث بَدْرٍ أنه سُمِعَ صوتَ يومَ بَدْرٍ يقول : أقْدِمْ حَيْزُومُ. ويقال : حَيْزُوم اسمُ فرسٍ من خيل الملائكة . (انظر اللسان : حزم).

(٣) أنْغَلَ : أفْسَدَ ، مأخوذٌ من نَغَلِ الأديمِ إذا عَفِنَ وتَهَرَّى في الدِّباغ فَيَنْفَسِدُ ويتفتَّت ، ومنه النَّغَل وهو الإفسادُ بين القومِ والنَّميمة .

(٥) خلاصةٌ وتعقيبٌ

وعلى هذا النّحوِ لم يَدَعِ العباسيّونَ أنْ يَستميلُوا بعضَ العراقيينَ إليهم ، ولكنهم كانوا مُتخوِّفينَ منهم ، لِغَلَبَةِ حُبٍّ العَلَويِّينَ على أهلِ الكوفةِ ، وغَلَبَةِ حُبٍّ الأمويينَ على أهلِ البَصْرةِ ، فتَريَّثُوا في اجْتِذابِهم . فلما وَجَدُوا في اليَمانيَّةِ منهم نَزْعَةً جامِحةً إلى الاقْتِصاصِ لِقَتلاهُمْ من الأمويين ، والانتقامِ لأنفسهم منهم ، وآنسوا منهم رَغبَةً عَارِمةً في إزالةِ مُلكِهم ، والظَّفَرِ بمكانةٍ في سُلطانِ غيرهم ، اغتَنَمُوا الفُرصَةَ ، فاستَوعَبوهم بأُخرَةٍ من دَعوتِهم ، وانتَفَعُوا بهم بعدَ أنْ أعلَنُوا ثورتهم ، واجتازَتْ جُيُوشُهُم الفراتَ ، فقد مَهَّدُوا لها السبيلَ إلى دُخُولِ الكوفة . وقَارَبُوا أهْلَ الكوفة في بدايةِ دَولَتِهم ، واستَثاروا عَصَبيَّتَهُم السياسيّة الإقليميّةَ ، وانتهَزُوا كُرْهَهُم لأهلِ الشامِ ، وأسرَفُوا في منافقتِهم ، لِيَنفِرُوا معهم ويَنْصرُوهم . ولم يلبَثُوا إلاَّ قليلاً حتى انقَبَضُوا منهم ، ولم يَرْضَوا بهم ، لأنهم نَبَوا عليهم ، ولم يَنقادُوا لهم ، فقد عادُوا إلى إظْهارِ مَيْلِهم للعَلَويِّينَ ، ففارَقَهم أبو العباس وجفاهم . ثم خوَّنَهم أبو جعفرٍ وهاجَمَهم[٤] ، لأنهم مَالَئوا الحَسَنيِّينَ حين تحرَّكُوا بالحجاز ، ثم أنذَرَهُم بالهَلاكِ بعدَ قَضائِهِ على ثَوْرَةِ الحَسَنيِّينَ ، لأنه تَبيَّنَ له أنهم لن يَتَحَوَّلوا عن ولائِهم للعَلَويِّينَ ، ويُصبِحُوا من شيعةِ العَبَّاسيين.

---

(٤) ولكنه ظلّ يُدْني يَمانيَّةَ البصرة من المهالبة وغيرهم من الأزْدِ ، ويُوَلِّيهم بعضَ الولايات ، لأنه أمِنَهم ولم يَخَفْ غائِلتَهم . (انظر كتابي الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ص : ١١٧).

«الفصل الثامن»

«الاسْتِفادَةُ من اسْتهانَةِ الأمويينَ بالدَّعوةِ»



(١) استِغلالُ العباسيِّينَ لِتسامُحِ الأُمويِّينَ

استَخَفَّ الأُمويّونَ بالدَّعوةِ العباسيّةِ ، فَتَساهَلُوا في مُراقبةِ دُعاتِها ومُحاصرتِهم ، وتَسامَحُوا في مُلاحَقَتِهِمْ ومُحاسَبَتِهِمْ ، ونَهوا عن تَتَبُّعِهِمْ وإبادَتِهِمْ ، فَتَمَكَّنوا من نَشْرِها وتَرْسيخِها . وقد نَشَطَ الدُّعاةُ في بَثِّها بخراسانَ في أيامِ هشام بن عبد الملك ، وكان هشامٌ رفيقاً رَحيماً ، مَيّالاً إلى الاسْتِتابَةِ والاستِصلاحِ ، مُبغِضاً للقَمْعِ والفَتْكِ ، أسْنَدَ ابنُ سعْدٍ إلى سَحْبل بن محمد الأسْلَميِّ المدني[١] انه قال[٢] : «ما رأيتُ أحداً من الخلفاءِ أكْرَهَ إليه الدِّماءُ ولا أشَدَّ عليه من هشام بن عبد الملك . ولقد دَخَلَهُ من مَقْتَلِ زَيْد بن عليٍّ ويحيى بن زيْدٍ أمرٌ شديدٌ ، وقال : وَدِدْتُ أني كُنتُ أفْتَدَيْتُهُما» . واجتَهَدَ أنْ يَحمِلَ عُمّالَهُ على الأخْذِ بمنهاجِهِ ، والاتِّباعِ لسياسَتِهِ ، فأمَرَهُم أنْ يسيروا في الناسِ سيرةً حَسَنَةً ، وأنْ يتَغافَلُوا عن خُصُومِهِ ، وألْزَمَهُمْ أنْ لا يَحُولُوا بينَ الناسِ وبينَ ألْسِنَتِهِم ما لم يَحُولوا بينَهُ وبَينَ مُلْكِهِ ، وأنْ يَغْتَفِرُوا كُلَّ ذُنوبِهِم ما لم تَبلُغْ أنْ تكونَ نَصْبَ رَايةٍ أو صُعُودَ مِنْبَرٍ[٣] .

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٥ : ٤٢٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥ : ٣٢٦ ، وانظر فوات الوفيات ٤ : ٢٣٨ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٢ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٤٨ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٣٥ ، ١٦٩ ، والعيون والحدائق ٣ : ٨٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٣٠ ، وشرح نهج البلاغة ٤ : ٥٧ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٤ .

وقَدْ وَسِعَ العَبّاسيينَ وَوَصَلَهُمْ واسترْضاهُمْ ، وبَالغَ في السُّكوتِ عنهم ، والصَّبْرِ عليهم ، والاستِدامَةِ لهم [1] ، حتى أخطأَ في تقديرِ خَطرِهم ، وفرَّطَ في استِئصالِ دَعْوَتِهِم ، وهي حَديثةُ الميلادِ ، صَغيرةُ السِّنِّ ، ضَعيفَةُ العودِ ! فإنه كانَ واثقاً بقُوَّةِ جُندِهِ ، وثَباتِ سُلْطانِهِ ، مُطْمَئِناً إلى سَدادِ مَذْهَبِهِ ، وسَلامَةِ سياستِه ، فلم يَكْتَرِثْ لِدَعْوَتِهم ، ولم يُبالِ بما كان يُنقَلُ إليه من أخبارِ سَعْيِهم إلى الخلافةِ . وأشارَ على وُلاتِه بخراسان أنْ يَلْطُفُوا بدُعاتِهم ، ولا يَعْنُفُوا بهم ، وأنْ يَقْتَصِرُوا على إخراجِ مَنْ يَقبِضُونَ عليه من خراسانَ ، ولا يُجَاوزوا ذلك إلى قَتْلِهِ ولا إلى حَبسِهِ ، ونَصَحهم أنْ يُسَكِّنُوا أهلَ خراسانَ من العربِ والموالي بمُباشَرَتِهمْ لأمورِهِم ، وحَلِّهم لِمُشْكلاتهم ، وأنْ يَستَعطِفُوهُم برِعايَتِهِم لِمَرافِقِهِم ، وعنايتهم بمَصالحهم ، وأنْ يَستَخلِصُوا طَاعَتَهُم بِعَدْلِهِم فيهم ، وتَحقيقِهِم الخَيرَ لهم [2] .

وحتى حينَ فَشَتْ دعوةُ العباسيينَ ، واشتَدَّتْ شَوْكَتُهُم ، فإنه ظَلَّ يَحْلُم عنهم ، مُستَنِيماً لهم من أنفسهم ، ومُكتفياً بتَقريعِهِم وتأنيبِهِم ، ومُستَغنياً بتَحْذيرِهم وإنذارِهم . وعندَما استَفحَلَ خَطرُهم ، وخَافَ شَرَّهم ، بَرِمَ بهم ، ولكنه اجتَزَأَ باطِّراحِهِم وتحاميهم ، وقَنِعَ بِمَنعِ الجوائزِ عنهم [3] ! ويقال : إنه اعتَقَلَ الإمامَ محمدَ بنَ عليٍّ بالرُّصافة ، وطالَبَهُ بخَراجِ أرضِهِم بالشَّراةِ لِسنواتٍ مَضَتْ ، وأذِنَ في تَعذيبِهِ حتى يُؤَدِّيَهُ ، فلما أدَّاهُ ، رفَعَ العذابَ عنه ، وخَلَّى سبيلَهُ ، فَرَجَعَ إلى

---

(١) الكامل ، للمبرد ٢ : ٢١٨ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٣٩ ، ١٧٢ ، والعقد الفريد ٥ : ١٠٤ ، وتاريخ الموصل ص : ٤٧ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٨ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٧٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢١ .

(٢) الأخبار الطوال ص : ٣٣٦ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٠٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٦ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ٨٥ ، ٨٦ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٢ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ١٧٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣٢ .

الحُمَيمَة [1]. وفي ذلك خِلافٌ، فإنَّ بعضَ الرِّواياتِ تُشيرُ إلى أنه لم يَحْبِسْهُ، ولم يَمْسَسْهُ بِسُوءٍ، بل احْتَجَبَ عنه زمناً، فلم يَزَلْ مُقيماً بالرُّصافةِ حتى لَقيَهُ، فعَنَّفَهُ ورَدَعَهُ، فلما تَنَصَّلَ مما يَتَناهى إليه من أنباء تأْميلهم للخلافةِ، وشكا إليه فَقْرَهم والْتِواءَ حالهم، رَقَّ له، وَوَهَبَهُ أربعين ألف دِرْهَمٍ [2].

فاستَغَلَّ العباسيّونَ حِلْمَهُ وَصَفْحَهُ، وأمَرُوا دُعاتَهُم أن يُشمِّروا في نَشْرِ الدَّعوَةِ بِخُراسانَ، فَشَمَّروا في نَشْرِها حتى تكاثَفَ أنصارُها. وَيَسَّرَ ذلك لهم، وسَهَّلَهُ عليهم أنَّ عمَّالَ هشامٍ بخراسانَ خَضَعُوا لأمرِهِ، فلم يَتَعَقَّبوهُم ولم يُؤذُوهم، إلاَّ الجُنَيْدَ بنَ عبد الرحمن المُرِيَّ، وأسدَ بنَ عبد الله القَسْرِيَّ، فإنهما خالفَا عن أمْرِهِ، وَجَدَّا في طَلَبِهِم، وأباحَا دِماءَهُم، وأخَذَا نفراً منهم، فَضربا أعناقَ بعضِهِم، وجَلَدا بعضَهُمْ، وسَجَنَا بَعضَهُم [3].

---

(1) أنساب الأشراف ٣: ٨٤.

(2) تاريخ الموصل ص: ٤٧.

(3) أنساب الأشراف ٣: ١١٦، ١١٧، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣١٩، وتاريخ الطبري ٧: ٤٠، ٤٩، ٨٨، ١٠٩، وتاريخ الموصل ص: ٢٦، والبدء والتاريخ ٦: ٦٠، ٦١، والكامل في التاريخ ٥: ١٣٦، ١٤٣، ١٧٦، ١٩٦، والبداية والنهاية ٩: ٢٤٤، ٣٠٤، ٣٢٠.

(٢) استِنادُ العباسيِّينَ إلى اليمانيِّينَ والرَّبعيين بخراسان

وكانَ بعضُ سادةِ اليمانيّةِ والرَّبعيّةِ بخراسانَ يَستَقبِلُونَ دعاةَ العباسيين، ويُخفونَهُم، وكانوا يُعاوِنُونَهم، ويَعْمَلونَ معهم. وكانوا يَتَشَفَّعونَ للأَسْرى منهم إلى العمَّالِ منَ المَضريَّةِ، ويَشهَدُونَ بِبَراءتِهم، فكانُوا يُطلِقُونَ سَراحَهُم [1]. وكانوا يَتَوسَّطونَ لهم أيضاً عندَ العُمَّالِ من اليمانيّةِ، ويَزعَمونَ أنَّ المُضَريَّةَ هم الذين وَشُوا بهم، وافتَرُوا عليهم، لِما بينهم من خُصومةٍ وعَداوَةٍ، فكانوا يَقبَلونَ قولَهُمْ، ويُفرِجُونَ عن الدُّعاةِ مِنْ قبائلهم وأحلافِهم، تَحَزُّباً لهم، وكانوا يَتحامَلُونَ على الدُّعاةِ من المُضَريَّةِ، ويُنزِلُونَ بهم أقسى العِقابِ، تَعصُّباً عليهم [2].

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٦١٦، والكامل في التاريخ ٥ : ١٠٠.

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١١٧، والأخبار الطوال ص: ٣٣٥، وتاريخ الطبري ٧ : ١٠٧، وتاريخ الموصل ص: ٣٨، والبدء والتاريخ ٦ : ٦١، والكامل في التاريخ ٥ : ١٨٩، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٤٣.

(٣) اغْتِنامُ العباسيِّينَ لِضَعْفِ آخرِ عُمَّالِ الأمويِّينَ بخراسانَ

وعندما وَلِيَ يوسفُ بنُ عُمَرَ الثَّقفيُّ العراقَ لهشامٍ سنةَ عشرينَ ومائةٍ، طَمِعَ في أنْ تُرَدَّ خراسانُ إلى والي العراقِ، حتى يَستَعْمِلَ عليها رجلاً من قَيْسٍ، فيشملَ سلطانُ قَيْسٍ العراقَ وجميعَ المَشرقِ. فكتَبَ إلى هشامٍ بأسماءِ مَنْ يَصْلَحونَ لِولايَةِ خراسانَ، «وأطْرى القَيسيَّةَ، وجعلَ آخرَ مَنْ كَتَبَ اسمَهُ نَصْرَ بن سيارٍ الكنانيَّ، فقال هشامٌ: ما بال الكنانيِّ آخِرُهم! وكان في كتابِ يوسفَ إليه: يا أميرَ المؤمنين، نَصْرٌ بخراسان قليلُ العَشيرَة. فكتَبَ إليه هشامٌ: قد فَهِمْتُ كِتابَكَ، وإطْراءَكَ القَيسيَّةَ، وذكرتَ نَصراً وقِلَّةَ عَشيرَته، فكيف يَقِلُّ مَنْ أنا عَشيرَتُه! ولكنك تَقَيَّسْتَ عليَّ، وأنا مُتَخَنْدِفٌ عليك! ابْعَثْ بِعَهْدِ نَصْرٍ على خراسان، فلم يَقِلَّ مَنْ عَشيرَتُهُ أميرُ المؤمنين»(١).

فَحَقَدَ يُوسُفُ على نَصْرٍ، وجَعَلَ يَقَعُ فيه، وَيسعَى في خَلْعِهِ، وكتبَ إلى هشام

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ١٥٦. وانظر في تَعْيين نَصْرٍ والياً على خراسان تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٢٦، والأخبار الطوال ص: ٣٤٢، وتاريخ الطبري ٧: ١٥٤، والعيون والحدائق ٣: ١٠٥، والكامل في التاريخ ٥: ٢٢٦

بذلك سنةَ ثلاثٍ وعشرين ومائةٍ ، قال المدائني[1] : «لما طَالَتْ وِلايَةُ نَصْرِ بن سيارٍ ، ودَانَتْ له خراسانُ ، كَتَبَ يوسفُ بنُ عمر إلى هشامٍ ، حَسداً له : إنَّ خراسانَ دَبَرَةٌ دِبَرَةٌ ! ! فإنْ رَأى أميرُ المؤمنين أنْ يَضُمَّها إلى العراقِ ، فأُسَرِّحَ إليها الحَكَمَ بنَ الصَّلْتِ ، فإنه كان معَ الجُنَيْدِ ، وَوَلِيَ جَسيمَ أعمالِها ، فأعْمَرَ بلادَ أميرِ المؤمنين بالحُكْمِ . وأنا باعثٌ بالحكم بن الصَّلْتِ إلى أميرِ المؤمنين ، فإنه أديبٌ أريبٌ ، ونَصيحتُهُ لأميرِ المؤمنين مثلُ نَصيحَتِنا ومَوَدَّتنا أهْلَ البَيتِ» !

فلم يُجِبْهُ هشامٌ إلى ما سألَ ، وكتَبَ إليه : «إنَّ الحَكَمَ قَدِمَ ، وهو على ما وَصَفْتَ ، وفيما قِبَلَكَ له سَعَةٌ ، وَخَلِّ الكِنانيَّ وَعَمَلَهُ»[2] .

وظَلَّ يُوسُفُ يُكيدُ لِنَصْرٍ بعدَ ذلك ، ففي السنةِ نفسها وَجَّهَ نَصْرٌ مَغْراءَ بنَ أحمرَ النُّمَيريَّ إلى هشام ، فَمَرَّ بيوسُفَ ، فقالَ له : «يَغْلِبُكُم ابنُ الأقطَعِ يا مَعْشرَ قَيْسٍ على سُلطانِكُم» ! وأوحَى إليهِ أنْ يَذُمَّهُ بالشَّيْخوخَةِ والهَرَمِ ، وأَطْمَعَهُ إنْ هو تَنَقَّصَهُ أنْ يُوَلِّيَهُ السِّنْدَ . فلما قدم مَغْراءُ على هشام ، وَسَأَلَهُ عن خُراسانَ ، عابَ نَصْراً بالكِبَرِ والضَّعْفِ ، وقال : «ما يَعْرِفُ الرَّجُلَ إلاَّ مِنْ قَريبٍ ، ولا يَعرِفُهُ إلاَّ بِصَوْتِهِ ، وقَد ضَعُفَ عن الغَزْوِ والركوبِ» ! فكذَّبَهُ حَمَلَةُ بنُ نُعيمٍ الكلبيُّ ، وكان مِنْ وَفْدِ أهْلِ خراسانَ ، وأثنَى على نَصْرٍ ، فقال هشامٌ : «هذا أمْرُ يوسفَ حَسَدٌ لِنَصْرٍ»[3] !

وماتَ هشامٌ ، ولم يَبْلُغْ يوسفُ ما أرادَ مِنْ عَزْلِ نَصْرٍ ، فَوَفَدَ على الوليد بن يزيد ، فاشتَرَى منهُ نَصْراً وعُمَّالَهُ ، فَرَدَّ إليه الوليدُ ولايةَ خراسان ، فكتَبَ يوسفُ إلى

(١) تاريخ الطبري ٧ : ١٩٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٢ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٣٩.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ١٩٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٢ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٣٩.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٥٢ ، ٢٥٣.

نَصْرٍ يَسْتَدعيهِ ، فتَثاقَلَ نَصْرٌ ، فأرسَلَ إليه يوسفُ يَستَحِثُّهُ ، فلما سارَ نَصْرٌ إلى العِراقِ ، وَرَدَهُ خَبرُ قَتْلِ الوليدِ ببعضِ الطريقِ ، فرجعَ إلى خراسان[1] .

ثم صرفَ يزيدُ بنُ الوليدِ يوسفَ عن العراقِ ، واستعمَلَ عليها منصورَ بنَ جمهورٍ الكلبيَّ ، فَعَزَمَ على تَوْلِيَةِ أخيهِ منظورٍ خراسان ، وأشاعَ اليمانيةُ أنه قادمٌ ، فامتَنَعَ نَصْرٌ عليه ، وهَدَّدَ بقَتلِهِ[2] . فلما صَفَتِ الخلافةُ لمروان بن محمدٍ وَلَّى يزيدَ بن عمر بن هبيرةَ الفَزَّاريَّ العراقَ ، فبعَثَ إلى نَصْرٍ بعَهْدِهِ على خراسانَ. ولكنه كان قَيْسيَّ الهَوَى ، فَجَعَلَ يَطعُنُ في نَصْرٍ ، ويتأتَّى لِخَلْعِهِ ، قال البلاذريُّ[3] : «كان مُبْغِضاً له ، مُستَثْقِلاً لِولايَتِهِ خراسانَ». ولم يَزَلْ يمكُرُ بِنَصْرٍ وَيَتَوَسَّلُ إلى تَنحِيَتِهِ بأسبابٍ مختلفةٍ ، حيناً يُعَجِّزُهُ ويُضَعِّفُهُ ، وَيَرْميهِ بالتَّقصيرِ والتَّفْريطِ[4] ، وحيناً يَطْوي رسائِلَهُ عن مروانَ ، ويكتمُ عنه ما فيها من أخبارِ دعاةِ العباسيِّين ، والْتِياثِ الأمرِ بخراسانَ ، لِيَضَعَ منهُ ، ويُوغِرَ صَدْرَ مروانَ عليه ، ويُغْرِيهِ بإقْصائِهِ ، قال الهيثمُ بنُ عَدِيٍّ الطَّائي[5] : «كَانَ يَكتُبُ لمروان[6] بِخَبَرِهم ، وتمضي كُتُبُهُ إلى ابن هُبَيْرَةَ ، صاحِبِ العراق ، لِيُنْفِذَها إلى أمير المؤمنين ، فكان يَحْبِسُها ولا يُنْفِذُها ، لئلا يَقُومَ لِنَصْرِ بنِ سيّارٍ قائمةٌ عندَ الخليفةِ».

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٢٢٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٦٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٢٧٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٩٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٤.

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٤.

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٥١.

(٥) العقد الفريد ٤ : ٤٧٧.

(٦) في الأصل : «لهشام» ، وهو خطأ ، لأن ابنَ هبيرةَ إنما وَلِيَ العراقَ لمروان بن محمدٍ.

ومعنى ذلك أنَّ نَصْراً كانَ مَحسُوداً مُهَدَّداً ، وقَلِقاً مُزَعزَعاً ، ومُتَباطأً عنه ، مُتواطأً عليه مُدَّةِ وِلايَتِهِ ، فأوْهَنَ ذلك جَانِبَهُ بخراسان ، وأوْهى قبْضَتَهُ عليها ، فلم يَستَطِعْ ضَبْطُ أمُورِها . وَوَجَدَ دعاةُ العباسيِّينَ في اشْتِغالِهِ بمَصيرِهِ ، وخَوْفِهِ على مُستَقبَلِهِ ، وانهماكِهِ في إخمادِ العَصَبيَّةِ القَبَلِيَّةِ فُسحةً طويلةً سانحةً فاغْتَنَموها .

(٤) خُلاصَةٌ وتَعْقيبٌ

وهكذا استَهانَ الأمويونَ بالعباسيِّينَ ، وأفْرَطَ هشامُ بنُ عبد الملك خاصةً في استِخْفافِهِ بهم ، وسُخْرِيَتِهِ منهم ، وغَفْلَتِهِ عنهم ، ومُهادَنَتِهِ لهم ، ومُهاوَدَتِهِ إياهم ، وشَفَقَتِهِ عليهم . وتَساهَلَ أكثرُ عُمَّالِهِ بخراسان في مُطارَدَةِ دُعاتِهم ، وتسامَحُوا في مُعاقَبَتِهم ، وعَطَفَ فريقٌ من اليمانيةِ والرَّبعيةِ على الدُّعاةِ من قبائِلِهم ، فَساعَدُوهم ، وأنْقَذُوا بعضَهم منَ الهلاكِ ، وتابَعَهُم في ذلك العُمَّالُ من اليمانيةِ ، فَغَضُّوا الطَّرْفَ عنهم ، وعَفُوا عن بَعْضِ مَن اعْتُقِلَ منهم . واضطَرَبَتْ خراسانُ بعدَ مَوْتِ هشام بن عبد الملك ، وفَسدَتْ على الأمويينَ فساداً شديداً ، وكانَ آخرُ عُمَّالِهم بها مُقَلْقَلاً لَيِّناً ، فناءَ بإصْلاحِ ما الْتَوى مِنْ أمْرِها ، وعجزَ عن السَّيطَرَةِ عليها ، فمكَّنَ ذلك الدُّعاةَ من بَثِّ الدَّعْوَةِ وتأْصيلِها ، ووَفَّرَ لهم الفُرْصَةَ لِتَوْسيعِها وتَرْسيخِها ، وأتاحَ لهم الوَقْتَ لِتَنظيمِها وتَوْطيدِها .

« الفصل التاسع »

« انْتِهازُ الفُرْصَةِ المُناسِبَةِ لإِعْلانِ الثَّوْرَةِ »



(١) تَرَبُّصُ العباسيِّينَ بالأمويِّينَ

بَشَّرَ العباسيُّونَ بالدَّعْوَةِ إلى أنفسِهم بخراسانَ ، فَجَمعُوا الأنْصارَ لها ، وأسَّسُوا منهم مَجَالِسَها ، ودَأَبُوا بعد ذلك على اجتِذابِ النَّاسِ إليها ، واسْتيعابِهِم فيها ، وَواظَبُوا على تَعْبِئَتِهم بِمَبادِئِها ، وشَحْنِهِم بِغَاياتِها ، وجَدُّوا في حَشْدِهِم وإعْدادِهِم ، وأقاموا يَتَرَصَّدُونَ بهم للأمويِّينَ ، ويَنْتَظِرُونَ الوَقْتَ الملائمَ للانْقِضاضِ عليهم والتَّطْويحِ بهم .

(٢) تهيُّؤ الأسبابِ لِتفجيرِ الثَّورَةِ

ومنذ اغتيالِ الوليدِ بنِ يزيدَ سنةَ ستٍّ وعشرين ومائةٍ أخذَتِ الفُرصَةُ تَتَهيَّأُ لهم ، فقد تَنَافَسَ الأمويونَ في الخِلافَةِ ، وأفْنى بعضُهُم بَعْضاً ، وانحازَ اليمانيةُ في الشامِ والعِراقِ إلى يزيدَ بنِ الوليدِ ، لأنه قَدَّمَهُم واعتَمَدَ عليهم ، ومال القَيْسيَّةُ إلى مروانَ بن محمدٍ ، لأنه غَضِبَ لِقَتْلِ الوليد بن يزيد ، وطَلَبَ بِدَمِهِ ، ثم تَحزَّبُوا له وناصَرُوهُ ، بعد أنْ غَلَبَ على الخلافَةِ ، لأنه آثَرَهُم واستَعانَ بهم ، وقَمَعَ خُصُومهم من اليمانية . فتنازَعَ الأمويونَ وتَصارَعُوا وتَصدَّعُوا ، وتَنابَذَ العربُ وتَفرَّقُوا وتَمزَّقُوا[١] .

وثار الخوارجُ على مروانَ بنَ محمدٍ في الحجازِ واليمنِ والجزيرةِ الفراتيةِ والعراقِ وفارسَ والمَغْرِبَ ، فَنَاجَزَهُم ، وقَضَى عليهم[٢] . وخَرَجَ عبدُ الله بنُ معاويةَ الطالبيُّ بالكوفةِ ، واستَوْلَى على فارس وأصْفهان والريِّ ، فَناهَضَهُ وهَزَمَهُ فَلَحِقَ بِهَراةَ ، ثم سارَ إلى أبي مسلمٍ ، فأخَذَهُ وحَبَسَهُ ، ثم قَتَلَهُ[٣] . وتَمرَّدَ سليمانُ بنُ

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابي الوليد بن يزيد عَرْضٌ ونَقْدٌ ص : ٤٦٦ — ٤٧٥ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتابي الوليد بن يزيد عرضٌ ونَقْدٌ ص : ٤٩٦ — ٥٠٧ .

(٣) مقاتل الطالبيين ص : ١٦١ ، ١٦٨ .

حبيبٍ المهلبيُّ بالأهوازِ ، فَقَارَعَهُ ، وفَرَّقَ جَمْعَهُ ، فارْتَحلَ إلى عبد الله بنِ معاويةَ الطالبيِّ وهو بفارسَ ، ثم استَخفَى حتى ظَهَرَ أبو العباس ، فَولّاهُ الأهوازَ أو فارسَ ، ثم قَتَلَهُ[1] . وسَيْطَرَ منصورُ بنُ جُمهورٍ الكلبيُّ على الجَبَلِ ، وأعانَ الخوارجَ ، ثم أتى عبدَ الله بن معاويةَ الطالبيَّ وهو بفارسَ ، ثم مَضَى إلى السِّنْدِ ، فانْفَرَدَ بها ، ولم يزلْ مُتَغَلِّباً عليها حتى أرسَلَ أبو العباس إليه موسى بن كعب التميميَّ ، فَهزَمَهُ وماتَ عطشاً في الصحراء[2] .

واستَعَرَتِ العَصَبيَّةُ القَبَلِيَّةُ بخراسانَ ، واستَطارَتْ بينَ اليمانيةِ والرَّبعيّةِ وبينَ المُضَريّةِ ، وامْتَدَّتْ بينهم خمسَ سنواتٍ مُتَّصِلَةٍ. واستَغَلَّ اضطرابَ الأمْرِ بها الحارثُ بنُ سُرَيجٍ التَّميميُّ المرجِئيُّ وشيبانُ بنُ سَلَمَةَ اليشكريُّ الخارجيُّ. فاستَعْصَتْ خراسانُ عَلى نَصْرِ بنِ سيارٍ ، ولم يَتَمكَّنْ من بَسْطِ سُلطانِهِ عليها ، لأنَّ مروانَ وابنَ هُبَيرَةَ كانا مَشغُولَينِ بِمُنازَلَةِ الخوارجِ ، فلم يُغيثاهُ بأحدٍ ، على كثرةِ استِمدادِهِ لهما ، واستِنْجادِهِ بهما. وكانَ في ابنِ هُبَيرَةَ حَسَدٌ شديدٌ له[3] ، فكانَ يتخاذلُ عن نُصرَتِهِ ، ويُشيرُ على مروانَ بِخَلْعِهِ ، فَازْدادَ ضَعفاً إلى ضَعْفٍ[4] .

---

(١) تاريخ الموصل ص : ١٢٥ ، ١٥٥ ، وفوات الوفيات ١ : ١٩٢ . وسببُ قَتْلِهِ أنَّ أبا جعفر كان ينوبُ عنه في بعض كُورِ فارس ، فاتَّهمَهُ سليمانُ بأنه احتَجنَ المال لنفسه فضربَهُ ضَرْباً مبرحاً ، وأغرَمَهُ المالَ ، وعزَمَ على هَتْكِهِ ، ويقال : إنه هَمَّ بقَتْلِهِ. وذكر ابنُ خلكان أنَّ أبا جَعْفرٍ هو الذي ضربَ عُنُقَهُ لمَّا ولي الخلافة . (انظر وفيات الأعيان ٢ : ٤١٠).

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٤٦٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٥٣.

(٣) العقد الفريد ٤ : ٤٧٧.

(٤) انظر تفصيل ذلك في كتابي الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص : ١٣٣ — ١٥٠ .

فلما أيقَنَ العباسيُّونَ أنَّ مَروانَ بنَ محمدٍ أنْهَكَ جُندَهُ ، واستَهْلَكَ طَاقَتَهمْ ، وأنَّ نَصْرَ بنَ سيارٍ أصبحَ عاجزاً عن مُحاربَةِ شيعَتِهم وإبادَتِهم ، وأنَّ القَبائلَ بخراسانَ لم تَعُدْ قادرةً على الإيقاعِ بهم بعد أن تواذَعَتْ وتَعاقَدَتْ على مُقاتَلَتِهم ، اهتَبَلُوا الفُرْصَةَ ، فَأَذِنُوا لأبي مُسلمٍ أنْ يُظْهِرَ دَعْوَتَهم ، وأمَروهُ أنْ يُفَجِّرَ ثَوْرَتَهم .

(٣) رأيُ مُصَنِّفِ أخبارِ الدَّولةِ العباسيَّةِ

ولعلَّ أحداً منَ المؤرِّخينَ لم يَرْصُدْ هذه الأسبابَ والمُلابَساتِ، ولم يُبَيِّنْ أثَرَها في نَجاحِ الثورةِ العباسيّةِ مثلَ مُصَنِّفِ أخبارِ الدولةِ العباسيّةِ، إذ يقولُ[1]: «لمَّا قُتِلَ الوليدُ استُخْلِفَ يزيدُ بنُ الوليد، فلم يلبَثْ إلاَّ يسيراً حتى هلكَ، وَوَثَبَ على أمرِهِم مروانُ بنُ محمدِ بنِ مروانَ بنِ الحكم، فَابْتَزَّهُم غصباً واقْتِساراً، فَوَهَنَ أمْرُ بني أميّةَ، وانْتَقَضَتِ البلادُ عليهم، وتَشَتَّتَ أمْرُهُم، وبَغَى بعضُهُم على بعضٍ، لِمَا أرادَ اللهُ من إذْلالِهِم واسْتِئصالِهِم. وبلغَ مَنْ بخراسانَ أمْرُ مروانَ، واختلافُ بني أميّة، فَقَوّى ذلك ما كان مِنْ خِلافِ اليمانيةِ والرَّبعيّةِ على نَصْرِ ابنِ سيارٍ. وَوَلّى مروانُ ابنَ هبيرةَ على العراقِ، فكتَبَ إلى نَصْرِ بنِ سيارٍ بِوِلايَتِهِ على خراسانَ، ذكروا أنَّ مروانَ أمَرَهُ بذلك، فلما أتاهُ ذلك تَزَيَّدَ حَنَقُ اليمانيّةِ والرَّبعيَّةِ عليه وقد ضَامَّهم شيبانُ في الخوارج، وقاتَلُوا نَصْراً، وصاروا إلى الخنادق، فأقاموا فيها يَقْتَتِلُونَ نَحْواً من عشرين شهراً، حتى ظهرتِ الدعوةُ. وذكروا أنَّ ابنَ هبيرةَ كتبَ إلى مروان: إنْ كنتَ تريدُ خراسان، فَعاجِلْها برجُلٍ عامِّ الرأي، يجمعُ أهْلَها، فإنَّ نصراً ليسَتْ هِمَّتُهُ فيما هو فيه إلاّ شعراً يمدحُ قومه ويهجو به غيرَهم، فقد أوقَعَ ذلك في صُدُورِ

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٥٠.

الناسِ قِبَلَهُ ما إنْ ثبتَ كان داعيةَ البلاءِ من الاستئصالِ ، وقد نَجَمَ بينَ أظْهُرِهم قومٌ يَدْعُونَ إلى بني هاشمٍ . فبَعَثَ عندَ ذلك إلى خراسان وَفْداً فيهم الحكم بن الأبيض الطائي ، وعقالُ بن شَبَّةَ التَّميميُّ ، والجوديُّ بن أكمه الشَّيباني ، فشخصُوا وقد تَفَاقَمَ الأمرُ بَينَ نَصْرٍ واليمانيَةِ ، فكَلَّموهم وَوَعظُوهم فقالوا : نحنُ على الطَّاعةِ إنْ عُزِلَ عنا نَصْرٌ. فانصرفوا إلى مروانَ ، وهو مشغول بِحرُوبِهِ التي كان فيها ، ولم تَنْقَضِ الحروبُ بينَهُ وبينَ الخوارجِ ، حتى كان في شوال سنةَ تسعٍ وعشرينَ ومائةٍ ، فَفَرغَ من أمْرِ الخوارج ، وانْصَرَفَ إلى منزلِهِ من حَرَّانَ ، وقد ظَهَرَتِ الدَّعوةُ. ثم زادَ ذلك اشتغالُ مروانَ بمحاربَةِ أهلِ حِمصَ ، وأهْلِ فلسطين ، والخوارج ، والضَّحَاك بن قيسٍ ، وشيبانَ بنِ عبد العزيز ، فَتَفَرَّغَ لهم ، وقد قَوِيَ أمرُهُم ، وكَثُرَتْ جماعاتُهُم . وَوَجَّهَ الجنودَ إلى العراقِ ، وهي مُنْتَقِضَةٌ عليه ، وقد خَالَفَ سليمانُ بن حبيب بن المهلبِ بالأهوازِ ، وغلبَ عبدُ الله بنُ معاويةَ بنِ عبد الله بن جعفر بن أبي طالبٍ على فارسَ وأصْبَهانَ والريِّ ،وغَلَبَ منصورُ بن جمهورٍ الكلبيُّ على الجَبَلِ. وكتبَ مروانُ إلى ابن هُبَيْرَةَ أنْ يُسَيِّرَ الجنودَ إلى خراسان إذا صَلَحَتِ العراقُ ، فَشُغِلَ ابنُ هُبيرَةَ بإصلاحِ العراقِ عن إمْضائهم إلى خراسان. وكُلُّ ذلك مِنْ قُوَّةِ أسباب الدَّعوةِ ، وإقامةِ الدولةِ. ثم قَيَّضَ اللهُ أبا مسلمٍ حتى انتهَتْ به الغايةُ ، وحَصَدَ مَنْ كانَ يَرْمُقُها ويَطمَعُ فيها».

وبذلك وُفِّقَ العباسيّونَ أحسَنَ التَّوفيقِ في اختيارِ المَوعِدِ الدَّقيقِ لإعلانِ ثَوْرَتِهم . وأدَّى ذلك معَ التأَهُّبِ للقِتالِ ، والإقدامِ في النِّزالِ ، والفَنَاءِ في النِّضالِ ، والصَّبرِ على الأهْوالِ إلى انْتِصارِ جُيُوشِهِم على الجُيُوشِ الأمويّةِ ، وأفْضى معَ غيرِهِ منَ الأسبابِ السابقَةِ إلى إنشاءِ دَوْلَتِهِم .

«الفصل العاشر»

«الدَّعوةُ بين المَوالي والعَربِ»



(١) من آراء الدّارسين في تفْسير الدَّعْوَةِ

يختلفُ الباحثونَ من المُسْتشْرقينَ والعَربِ المُحْدَثينَ في تفسير الدعوةِ العباسيةِ اختْلافاً شديداً[١] ، فمنهم مَنْ يُفسرُّهَا تفْسيراً عُنْصرياً قوْميًّا ، فإنَّ بعضَ المُسْتشرقين تأثّروا بالفَلْسَفاتِ العُنْصريَّةِ والنَّظرياتِ القَوْميَّةِ التي شاعَت في الغَرْبِ في نهاية القَرْنِ التاسعَ عَشَر ، وفي بدايةِ القَرْنِ العشرينَ ، وخَضَعُوا لها في دراسةِ الظَّواهرِ والأحداثِ التاريخية ، وكان المُسْتَشْرِقُ فان فلوتن من أقْدَم مَنْ مالَ منهم إليها ، وأخَذَ بها في دراستِهِ للدعوةِ العباسية . فهو يَرَى أنها قامَتْ على أكتافِ المَوالي والعَجَمِ المسلمينَ من أهل خراسان ، وأنها كانت ثَوْرةً فارسيةً على الدولةِ الأُمويَّةِ العَربية . وكانَ المُحَرِّكُ لها استْعلاءَ العَربِ على الفُرْسِ ، وتَفْريقَهم بينهم وبينَ أنفسهم في المَكانةِ والمُعامَلَةِ[٢] ، وإرْهَاقَهم لهم بالضرائبِ البَاهظةِ[٣] . وسَاعَدَ على انتصارِهَا كُرْهُ الفُرْسِ لِلْعَرَبِ ، والغُلُوُّ في التَّشيُّعِ لأَهْلِ البَيْتِ ، والتَّوقُّعُ للمَهْديِّ المُنْتَظرِ الذي يُزيلُ الظُّلْمَ ، ويُقيمُ العَدْلَ[٤] .

---

(١) أنظر تفصيل ذلك في العباسيون الأوائل ١ : ٣٠ — ٣٦.

(٢) السيادة العربية ص : ٣٥.

(٣) السيادة العربية ص : ١٤.

(٤) السيادة العربية ص : ٢.

وتَبَنّى المستشرقُ يوليوس قلهاوزن كثيراً من أفكارِ فان فلوتن، واعتمدَ عليها اعتماداً كبيراً في دراسته للدَّعْوَة العباسية، فهو يقول[1] : «كان أكثر أتباعِ أبي مُسْلمٍ من الزُّراعِ الأعاجمِ من الموالي في قُرَى مَرْو، ولكن كان بينَهم بعضُ العَربِ، وكانَ لمُعْظمهم مكانُ الرِّياسةِ، وكانت الرَّابطة التي تَربطُ بينَ أنصار أبي مسْلمٍ هي الدِّينَ والمَذْهَبَ»، ويقول[2] : «نجد أنَّ الكوفةَ مَهْدُ دَعْوةِ العباسيينَ ومَرْكزُهَا، ففي الكوفةِ كان نُوَّابُ الإمام الغائب وخُلفاؤه، وهم: مَيْسَرةُ، وابنُ ماهان، وأبو سَلَمةَ، وكان بالكوفةِ أيضاً عُدَّتُهم وأعوَانُهم، وكُلُّهم مَوَالٍ من أمَّةِ الأعَاجم، ومِهْنَتُهم التجارةُ والصناعةُ. ولا شكَّ أنه قد كان هناك عَرَبٌ في شيعة بني العباس، لكنهم لم تكن لهم الرِّياسةُ».

وهو يُقَرِّرُ أنَّ الباعثَ على الدعوةِ العباسيةِ كان تأخيرَ العَربِ للموالي والعَجم المسلمين، وتَرَفُّعهم عنهم، وفَرضَهم الجزْيةَ عليهم، وتَجَبُّرَهم في استِخْرَاجِهَا منهم[3]، ويقول[4] : «لو أنَّ العرَبَ عامَلُوا مَنْ دَخَلَ في الإسلام مِنَ الأعاجم مُعامَلَةَ المساوين لهم، لكان من المُمْكنِ أنْ يَتحقَّقَ مَزْجٌ بين الأُمَّتينِ، لكن العَرَبَ بما صَنَعُوهُ رَبَّوا في أحْضانهم أعداءً لأنفسهم، حتى كَبُرَ هؤلاء الأعْدَاءُ. ثم إنَّ الإسلامَ لم يساعِدْ على ازالةِ الخُصُومةِ بين الفَريقَيْن، بل جَعَلَهَا أشدَّ خَطراً، لأنه أحْيَا الأعاجمَ من جديدٍ، وشَدَّ أزْرَهم، وَوَضَعَ في يَدِهِمْ سلاحاً على سَادَتِهم العربِ، وذلك أنَّ إسْقاطَ الدولةِ العَربيةِ لم يَأْتِ من أهلِ ما وراءَ النهر، الذين بقوا

(١) تاريخ الدولة العربية ص: ٥٣.

(٢) تاريخ الدولة العربية ص: ٤٨٧.

(٣) تاريخ الدولة العربية ص: ٤٧١.

(٤) تاريخ الدولة العربية ص: ٤٧١.

على عُجْمَتِهم وعلى عَدائِهم للعرب ، بل جاء مِنْ قِبَلِ مَنْ أسْلَمَ من أهلِ خُرَاسان ، وهم إنما قاموا بمحاربةِ السيادة العربية مُستَنِدينَ الى الإسلام ، والإسلامُ هو الذي جَمَعَ كلمتَهم وكلمةَ أولئكَ العربِ الذينَ كانوا يُعَارِضُونَ حُكومةَ بني أمية ، مُهْتَدينَ بالمبادئ التي يَجِبُ أنْ تَقُومَ عليها الدولة التيوقراطية في نَظَرِ الإسلام».

ويُقَرِّرُ أيضاً «أنَّ مُحاربةَ العروبة في الدولة الإسلامية باسمِ الإسلام قد انتهت في الواقع بأَنْ عَلَا شأْنُ الأعاجمِ ، وبأَنْ صار العَربُ منذ أنْ انتهت سِيَادَتُهم بانتهاءِ سيادةِ بني أمية أُمَّةً مُضطَهدةً[1] ».

وكَرَّرَ هذا الحُكْمَ مَرَّةً أخرى فقال[2] : «انتهتْ في الوقتِ نفسِهِ سيادةُ العربِ بالمعنى الحقيقي ، تلك السيادةُ التي كان يُمَثِّلُهَا بنو أُميَّةَ وأهلُ الشام ، ... ، وفَقَدتِ القبائلُ مكانَ الصَّدارةِ فقْداً تاماً ، وتَحَرَّرَ الموالي ، وزال الفارقُ بين المسلمين من العرب ومن غير العرب» ، وقال[3] : «بل قد رَجَحَ شأنُ المَوَالي على شأْنِ العربِ ، لا بِوَجْهٍ عامٍّ بطبيعةِ الحالِ ، بل من بعضِ الوُجُوهِ. وكان أهلُ خراسان قد أعانُوا العباسيين على النَّصْرِ ، فقَاسَمُوهم الغَنيمةَ ، وصاروا من وَجْهٍ ما هم الوَرَثةُ لسلطان أهلِ الشام ، وإنْ كان مَوْقِفُهم من رئاسة الدولة مَوْقِفاً غيرَ موقفِ أولئك ، فكانوا يُسَمَّون الشيعةَ والأنصارَ أو أبناءَ الدولة ، وكانت في يَدِهم القوةُ الظاهرةُ ، وكانوا مُنَظَّمينَ تنظيماً حَرْبياً ، وكانت في أيديهم مناصبُ القيادةِ ، واستطاعَ قُوَّادُهم أنْ يَظْهروا بمَظْهرِ السّادةِ الكُبراء. وكان يتألف منهم الجيشُ المرابطُ حولَ الخليفةِ ، وكان الخليفةُ يقيم بين حرَسِهِ هذا ، ولم يكن ابتناءُ بغداد في الحقيقةِ لكي

---

(١) تاريخ الدولة العربية ص : ٥٠٦.

(٢) تاريخ الدولة العربية ص : ٥٢٧.

(٣) تاريخ الدولة العربية ص : ٥٢٨.

تكون حاضرةً عالميةً ، بل لتكون معسكراً لأهل خراسان ، وقد أراد الخليفةُ أنْ يقيمَ في هذا المعسكر بعيداً عن الكوفة . ولكن أهلَ خراسان كانوا ، وهم في معسكرهم ، على صلةٍ بوطنهم ، ثم صار رُجْحانُ شأنِهم ، من حيث هم حزبٌ وجيشٌ في خِدْمَةِ بني العباس ، رُجْحاناً لأُمَّتِهم وبلادهم ، أي أنَّ الكِفَّةَ الراجحةَ صارت لبلاد العجمِ الشرقيةِ ، وانْتصرت العُجْمةُ على العروبةِ ، تحتَ سِتارِ الإسلام ، لا باعتبارِهِ ديناً للعربِ ، بل ديناً للأمم » .

وعلى الرغم من أنه أفْرَدَ الفَصْلَ الثَّامِنَ من كتابِهِ للحديثِ عن « القبائل العربية في خراسان[1] » ، فإنه لم يُلْقِ بالاً إلى مُساهمةِ العربِ في الدَّعْوَةِ العباسيةِ ، لأنها كانت مُسْتَغْلِقةً عليه ، فألَمَّ بها إلماماً غامضاً ، وذكرها ذِكْراً مُبْهماً ، وسببُ ذلك أنه لم يَتَبيَّنْ أنَّ العصبية التي اسْتَعرَتْ بين العرب بعدَ اسْتِقْرارِهم بخراسان لم تكن كالعصبيةِ الجاهليةِ التقليدية ، بل كانت عصبيةً سياسيةً اقتصاديةً ، مَصْدَرُهَا التَّصارعُ في السُّلْطانِ وما يُدِرُّهُ من فوائدَ مختلفةٍ ، ولم يُدْرِكْ أنَّ الأحلافَ التي انْعَقَدَتْ بين قبائلهم لم تكن كالأحلاف القديمة ، بل كانت أحْلافاً جديدةً ، أسَاسهَا المَصالحُ المُشْتَركة والمنافعُ المقسومةُ بينَ قبائلِ كلِّ حِلْفٍ منهم ، ولم يَفْطِنْ لمَوْقفِ الدولةِ الأمويةِ منهم ، وامْتِعاضِهم من اضْطِرابِ سياستِهَا لهم ، وتَبرُّمِ قبائلِ كل حِلْفٍ منهم من تَذَبْذُبِهَا بينَ تَقْديمِهم وتأخيرهم ، واسْتِيائهم من تَجْميرِهَا لمُقاتِلَتِهم[2] ، وتَذَمُّرِهم من زيادتها للضرائبِ عليهم ، فلما غاب عنه ذلك كُلُّهُ لم يتَنَبَّهْ لأثره في انضمام أعدادٍ كبيرةٍ من سادةِ القبائلِ العربيةِ وابنائها الى الدعوةِ العباسية .

وذاعَ التّفسيرُ العُنْصُرِيُّ القَوْمِيُّ الفارسيُّ للدعوةِ العباسيةِ زمناً طويلاً ، وكانَ له

(١) تاريخ الدولة العربية ص : ٣٨٠— ٤٦٦ .

(٢) انظر العباسيون الأوائل ١ : ٣٢ ، ٤٩— ٥٠ .

أنصارٌ كُثُرٌ من المُسْتَشْرِقينَ والعرب المُحْدَثين ، ولم يزل يَسْتَهوي بَعْضَ الباحثين في العَصْرِ الحاضِرِ ، وقد أحصَى الدكتور فاروق عمر طائفةً منهم[1] .

ولكن مَنْ خَلَفَهم من الباحثين لم يُسَلِّمُوا بهذا التفسير ولم يَرْتَضُوهُ ، بل شكُّوا فيه ، ورَفضُوهُ ، ونادوا بإعادةِ النَّظرِ في الجماعاتِ التي ساهمت في الدعوةِ العباسية ، ولا سيما العربُ ، فإنهم شاركوا فيها كما شاركَ فيها الموالي والعجمُ المسلمون من أهْلِ خراسان .

وذكر الدكتور فاروق عمر أنَّ المستشرق دنيث كان مِنْ أوَّلِ من ارتابَ منهم بآراء فان فلوتن ، ويوليوس ڤلهاوزن ، ومن حَذا حَذْوَهُما ، ودعا إلى تَمْحيصِهَا ، وحاول تَصْحيحَها ، فأظْهرَ في أُطْروحته : «مروان بن محمد» الوَجْهَ السياسيَّ العربيَّ للثورة العباسية ، وبيَّنَ دَوْرَ النُّقباء العربِ ورؤساء القبائلِ وأثرَ الأحلافِ الجديدةِ في تَرْجيحِ كفَّة الثُّوارِ[2] . وَوَضَّحَ المستشرق فري فكرةَ دينث ، فأكد في مقالةٍ له دَوْرَ العربِ في الثورة ، وأشارَ إلى ضرورة فَهْمِ وَضْعِهم إذا أُريدَ فَهْمُ طبيعةِ الثورة[3] .

وجعل الدكتور فاروق عمر قَصْدَه ووَكْدَهُ في كُتُبِهِ ومقالاتِه أنْ يُوضِّحَ أثرَ العَرَبِ في الدّعوةِ العباسية ، إذ يقول[4] : «لعل القارئَ المُتَمَعِّنَ قد أدْرَكَ أنَّ هَدَفنا مُنْصَبٌّ بالدرجة الأولى على إظهارِ دَوْرِ العرب الخراسانيين الفَعَّال في الثورة العباسية ، ودَحْضِ الآراء التي تؤكِّدُ أنَّ الثورةَ قامت على أكتافِ الفُرْس» .

---

(١) العباسيون الأوائل ١ : ٣٣.

(٢) العباسيون الأوائل ١ : ٣٤.

(٣) العباسيون الأوائل ١ : ٣٤.

(٤) العباسيون الأوائل ١ : ٤٨.

وَبَذَلَ في ذلك جُهْداً كبيراً، فقد أحاط بالمصادرِ المطبوعةِ والمخطوطة، واطَّلع على الدراساتِ الحديثةِ المختلفةِ، وَوَقَفَ على اتِّجاهاتها ونتائجها، وأحْسَنَ في تصوير أثر العرب في الدعوة العباسية، إحساناً ظاهراً، ولكنه بالَغَ فيه بعضَ المبالغةِ، وأوشك أنْ يُفَسِّرَهَا تفسيراً قوميًّا عربيًّا!! فهو يقول[1]: «لقد أدْرَك الدُّعاة العباسيون منذ البدء أهمية العُنْصُرِ العربي في خراسان باعتبارِهِ القُوَّةَ الضاربةَ الرئيسيةَ التي يجب كَسْبُهَا، إذا ما أُريدَ للثورةِ أنْ تَنجَحَ، وهكذا فقد ركزوا اهتمامَهم على القُرى والمدنِ الرئيسية التي فيها عربٌ مستقرون أو حامياتٌ عسكريةٌ عربيةٌ». ومن أجل ذلك اضْطَربَ في تقدير أثَرِ الموالي والعجم المسلمين من أهل خراسان، فهو حيناً يُقَلِّلُ منه، ويكادُ يُنْكِرهُ إنكاراً، إذ يقول[2]: «أما غير العرب فقد ضَمَّت الدعوة كلَّ من تَستطيعُ ضَمَّهُ منهم، إلاَّ أنَّ دَوْرَهم لم يكن من الأهمية بحيثُ يمكن مُقارنَتُهُ بِدوْرِ العَرب، كما أننا نَجدُهم في كلا المُعَسْكرينِ المُتنازعَيْنِ، كُتْلةِ الأمويين، وكُتْلَةِ العباسيين». وهو حيناً آخر يعترف به، ويُقَرِّرُهُ تقريراً، ويرى أنَّ الدعوةَ العباسية اسْتَوْعَبَتْ جميعَ الفئاتِ الحاقدةِ على بني أمية، ومَنَّتْها بالعَدْلِ والمساواة، إذ يقول[3]: «استَغَلَّتِ الدعوةُ العباسيةُ كلَّ العناصرِ المُسْتاءةِ من الحكم الأموي، فاستغلت ابنَ الكِرْماني وأتباعَهُ، واستغلت شيبانَ الصغير الخارجيَّ وأتباعه الخوارج، واستَغَلّتْ المَوالينَ للقضيةِ العَلَوِيَّةِ، واستَغَلَّتِ الفُرْسَ المُتَذمِّرينَ، واستَغَلَّت المتطرفين والمُعْتدلين».

ويقول في حديثِه عن مظَاهرِ المُعارضةِ الإيرانية بعدَ قيامِ الدولةِ العباسية[4]:

(١) العباسيون الأوائل ١ : ٥٩.

(٢) العباسيون الأوائل ١ : ٥٩.

(٣) العباسيون الأوائل ١ : ٦٠.

(٤) العباسيون الأوائل ١ : ٢٧٥، وانظر ص: ٢٧٩ — ٢٨٠.

«إنَّ الثورةَ العباسية قامت على أساسِ تَحالُفٍ متينٍ بينَ كل العناصرِ الساخطةِ على الحكم الأموي من عربيةٍ وإيرانيةٍ، استطاعَ الدعاةُ العباسيون أنْ يَستَغِلُّوهَا بتَلْويحهم بشعاراتِ الإصْلاحِ والمساواةِ والثأرِ، وبمُخَاطبتهم كلَّ فئةٍ باللغةِ التي تَفْهَمُهَا. وإنَّ العربَ كانوا القُوَّةَ الضاربةَ في هذه الثورة، التي كان فَهْمُهَا للإسلامِ بما فيه من مساواةٍ اجتماعيةٍ، وعدم استغلالٍ اقتصاديٍ، وعَدالةٍ سياسيةٍ أوسعَ وأكثرَ شمولاً من التَّطبيقِ الأمويِّ للإسلام. وإنَّ هذا التفسير الحديث لا يقع في مأزقٍ أو حَرَجٍ من الأمرِ، حين يُحاوِلُ أنْ يُحَلِّلَ طبيعةَ حَركاتِ المعارضةِ الفارسيةِ للحكم العباسي أو يُفَسِّرَ أسبابهَا».

ومن الباحثين مَن فَسَّرَ الدعوةَ العباسية تفسيراً اجتماعيًّا وسياسياً، وجَعَلَ هَمَّهُ أنْ يُظْهِرَ أثَرَ العرَبِ، وأثرَ الموالي والعجم المسلمين فيها، فنظر بِعَيْنِ العَدْلِ على الفَريقَيْنِ، وأعْطَى كُلاً حَقَّهُ، ووَفَّرَ عليه حَظَّهُ منها.

وكان الدكتور محمد عبد الرحيم شعبان ممن سَبَقَ الى ذلك في أطروحَتِهِ: «الجُذُورُ الاجتماعية والسياسية للثورةِ العباسية». فقد عَرَضَ فيها لأحْوالِ خراسان منذ فتحها في خلافة عثمان بن عفان إلى ولاية نَصْرِ بن سيارٍ آخِرُ عُمَّالِ الأمويين عليها، وفَصَّلَ القَوْلَ في سياسةِ الأمويين المالية والإداريةَ، ومدى تأثيرها في أهل خراسان من عربٍ وعَجَمٍ [1]، واستَخْلَصَ منها «أنَّ الدعوة العباسية جذبت إليها المُتَذَمِّرينَ من العرب وغير العرب من المسلمين في خراسان باسم الإسلام، ومن أجل تطبيق مبادئه [2]». ورَجَّحَ أنها كانت دَعْوةً أُمَمِيَّةً اسلامية، وأنها تَجاوَزَتْ فَهْمَ الأمويين للإسلام، وتَطْبِيقَهم له، فإنها تَوَخَّت مَزْجَ العربِ بالعجمِ

---

(١) الجذور الاجتماعية والسياسية للثورة العباسية ص: ١٧، نقلاً عن العباسيون الأوائل ١: ٣٥.

(٢) الجذور الاجتماعية والسياسية للثورة العباسية ص: ٢٩٦، نقلاً عن العباسيون الأوائل ١: ٤١.

المسلمين ، وجَعْلَهم أمةً واحدةً مُتماسكةً متكافئةً ، يقول[1] : «إنَّ الثورة العباسية كانَ هَدَفُهَا صَهْرَ كلِّ المسلمين عرباً وغيرَ عربٍ في مُجتمعٍ إسلاميٍّ واحدٍ ، لكلِّ فَرْد فيه حُقُوقٌ مساويةٌ لحقوقِ الآخرين ، وإنَّ الذين اشتركوا في الثورة كان لهم بالتأكيد تفسيرٌ للإسلام أكثرُ شُمولاً من التفسير العَربيِّ الأمويِّ المَحْدُودِ له».

وكان الدكتور عبد العزيز الدوري قد أشار إلى شيءٍ من ذلك في كتابه : «العصر العباسي الأول» ، فهو يقول[2] : «نشأت الدولةُ العباسيةُ على إثْرِ دعايةٍ واسعةِ النِّطاقِ دامت حوالي ثلثَ قَرْنٍ ، فَضَمَّتْ إلى صُفُوفها كلَّ مَنْ عادَى الأمويين ، وتركت آثاراً هامةً في نُفوسِ المسلمين من غير العرب ، وخاصةً الفُرْس».

واسْتَقْصَى أحوالَ الموالي الاجتماعيةَ والماليةَ في الدولة الأموية ، وكشف عما لَحقهم من ظُلْمٍ وغُبْنٍ[3] ، ونبَّهَ على أثر ذلك في انتظامِ أعدادٍ غَفيرةٍ منهم في الدعوة العباسية ، حتى كانوا أكثرَ مَنْ دَخَلَ فيها ، يقول[4] : «انتشرت الدعوة العباسية بالدرجة الأولى بين الموالي في العراق وخراسان ، إذْ أسْرعُوا فانْضَمُّوا اليها رغبةً في التَّخلصِ من أوْضَاعهم الاجتماعيةِ والاقتصادية السيئة ، كما انضمَ بعضهم إليها لتحقيق آراءٍ كانوا يَدِينُونَ بها».

وما من ريبٍ في أنه أطالَ في إظهار مساهمةِ الموالي في الدعوةِ العباسية ، فقد أسْهبَ في شرح أسبابها ودَوافعها ، وأطْنَبَ في الإيضاح عن مَراميها ومآربها ، وبلغ

---

(١) الجذور الاجتماعية والسياسية للثورة العباسية ص : ١٧ ، نقلاً عن العباسيون الأوائل ١ : ٣٥.

(٢) العصر العباسي الأول ص : ٥.

(٣) العصر العباسي الأول ص : ٦ــ ١٥.

(٤) العصر العباسي الأول ص : ٦.

في ذلك الغايةَ ، حتى زعم الدكتور فاروق عمر أنه يَنزعُ في ذلك عن التفسير العُنْصريِّ القَوْميِّ الفارسيِّ للدعوةِ العباسية[١] . وفي زَعْمِه نَظَرٌ ، فإنَّ الدكتور عبد العزيز الدوري ذكر أنَّ اليَقظَةَ القَوْميَّةَ الفارسيةَ لم تكن عَارِمةً ، ولم تكن شاملةً ، فهو يقول مُقوِّماً أثرهَا في دُخولِ الموالي في الدعوةِ العباسية ، وطُمُوحهم الى التَّطْويح بالدولةِ الأموية العربية[٢] : «وُجِدَتْ في خراسان بوادرُ روحٍ قَوْميةٍ فارسيةٍ تَضِيقُ بحُكْمِ العربِ. وتَعْتَبِرُهُ نَوْعاً من عجائبِ القَدَرِ ، وتَسْعَى لِلْخَلاصِ منه بكل وسيلةٍ ، إلاَّ أنَّ وُجُودَ تَبايُنٍ في المصالحِ بين طبقات الشعب الايراني ، وعدَم وُجودِ شعورٍ عامٍ ، واقتصار الثقافة على طائفةٍ صغيرةٍ نِسْبياً ، يَحْمِلُنا على الاعتقادِ بأنَّ الحركَةَ القومية كانت مَحْدُودةً» .

ومع أنه أفاضَ في تَصْويرِ مساهمةِ الموالي في الدعوةِ العباسية ، فإنه لم يُغْفِلْ مساهمةَ العرب فيها إغْفالاً ، ولكنه ألْمحَ إليها إلمَاحاً ، وبثَّ مُلاحظاته عليها في مَواطنَ متفرقةٍ من كتابهِ. وإذا جُمِعَ بَعْضُهَا إلى بَعْضٍ ، ولم يُقْتَصَرْ على جُزْءٍ منها ، أعانَ ذلك على استبانةِ مَوْقفهِ الصحيح من مُساهمةِ العربِ في الدعوةِ العباسية ، ومكَّنَ من مَعْرفةِ رَأْيِهِ الدقيقِ فيها.

وهي في جُملتها تَدُلُّ على أنه كان يُرجِّحُ أنَّ إقبالَ العربِ على الدعوةِ العباسيةِ كان قليلاً في أوَّلِ نُشوئها ، وأنه ازدادَ بعدَ رسُوخِهَا ، فهو يقول[٣] : «الخلاصةُ أنَّ الكوفة كانت مَرْكَزَ الدعوة ، ومَقَرَّ الداعي الأولِ للإمام ، وأنَّ الدعاةَ كلهم كانوا مواليَ إيرانيين من الباعةِ وأصحابِ الحوانيت . أمَّا العربُ فكانت مَراكزهم ضعيفةً ،

---

(١) العباسيون الأوائل ١ : ٣٣.

(٢) العصر العباسي الأول ص : ١٤ .

(٣) العصر العباسي الأول ص : ٢٤ .

ثم إنَّ المعلومات عن بَدْءِ الدعوة في خراسان مُرْتبكةٌ. والثابتُ أنها بدأت من الكوفة ، وبعض الدعاة كانوا كوفيين حتى دعوةِ خداشٍ ، وكان سَيْرُ الدعوةِ بطيئاً ، في أول الأمر ، ومُلَطَّخاً بالدم ، فلما جاء خداشُ لاقَى نجاحاً كبيراً ، والْتَفَّ حولَهُ أهل مَرْوَ ، ولعله كان المُؤَسِّسَ الحقيقي للحزب العباسيِّ بمرو ، ولذا لا نَسْتَغْرِبُ السماع بِدُخولِ الشيوخِ المَحَلِّيِّينَ في الدعوة لأول مرةٍ ، سنةَ سبع عشْرة ومائةٍ».

وصَرَّح في تَعْقيبِهِ على وَصِيَّةِ الإمام إبراهيم بن محمدٍ لأبي مسلمٍ أنَّ الإمامَ جَهَر فيها بأهميةِ القبائلِ العربيةِ بخراسان ، وأعْلَنَ أنها قُوَّةٌ لا يستهَان بها ولا يُسْتَغْنَى عنها. ومن أجلِ ذلك أمرَ أبا مسلمٍ أَنْ يتألَّفَ العرب ، وأنْ يَعتمدَ على اليمانيةمنهم ، ولا يثقَ بالربعيَّة ولا يطمئن اليهم ، وأنْ يحذر المُضَرِيَّةَ ويَقْتُلُ من يتَّهِمُهُ منهم ، ولا يترك نَصِيبَهُ منْ صالحيهم . ونصَّ فيه على أنَّ مُشاركةَ العرب في الدعوةِ العباسيةِ نَمَتْ وتَعَزَّزَتْ ، وأنَّ مكانتهم فيها ارتفعتْ وعَظُمت قبلَ مجيء أبي مسلمٍ إلى خراسان ، فقد كان كبار النُّقباء من العرب ، ونَبَّهَ فيه على أنَّ الدعوةَ العباسية لم تكن تُعادي العَرَبَ ، بل كانت تُعادي بني أمية ، يقول[1] : «لعل هذه الوصيةَ تُلَخِّصُ سياسةَ أبي مسلمٍ في خراسان ، ولكني أعتقدُ أنها مَوْضُوعةٌ ، وخاصةً أنه تُوجَدُ فيها عبارة : «وإن استطعتَ أنْ لا تَدَعَ بخراسان لساناً عربياً فافْعَل». وكيف يُوصِيهِ بذلك ، والعربُ على تَنَازُعهم قوةٌ عسكريةٌ يُخْشَى بأسُهَا ، والدَّعْوَةُ العباسيةُ لا تزالُ ضعيفةً ، وكيف يُوصِيهِ بمَحْوِ العرب من خراسان ، ويطلبُ منه في الوقتِ عَيْنِهِ أنْ يَخْطُبَ وُدَّ اليمن ، لأنَّ نجاحَ القضيةِ العباسية يتَوَقَّفُ عليهم ، وهم عرب؟ وكيف يُوصيهِ بسَحْقِ العرب ، وأهمُّ شيوخ الدعوة كسليمان بن كثيرِ الخزاعي ، وقحطبة بن شبيبٍ الطائي ، وأبي داود الشيباني عَرَبٌ؟ ويجب أنْ نتذكر أنَّ الدعوةَ في خراسان كانت ضِدَّ الأمويين، وليست ضِدَّ العَرب».

---

(١) العصر العباسي الأول ص: ٢٨.

وذكر أنَّ أبا مسلمٍ بَذَلَ جُهْدَهُ في استِمالةِ الأزْدِ ، لأنهم ساخطون على بني أميةَ ، فنجحَ في ذلك في أواخر سنة تسعٍ وعشرين ومائةٍ أو في أوائل سنة ثلاثين ومائة ، وتحالف مَعَهم »[1] .

ونَفَى ما كَرَّرَهُ أصحابُ التفسيرِ العُنْصُريِّ القوميِّ الفارسيِّ للدعوةِ العباسية مِنْ أنَّ منزلةَ العربِ تَدَنَّتْ وانْحَطَّتْ ، وانهم أصبحوا أمةً مغلوبةً مقهورةً بعدَ انهيارِ الدولةِ الأموية ، وأكدَّ أنَّ الدولة العباسيَّة لم تكن دولةً أعجمية ، بل كانت دولةً أمميةً إسلاميةً ، استَنَدَتْ في سياستِها الى الدين ، وساوَتْ بين كافةِ المسلمين ، يقول[2] : «من المبالغة أنْ نقولُ : إنَّ سلطان العرب انْتَهى بسُقُوطِ الأمويين ، فالخلفاءُ العباسيون كانوا عرباً هاشميين من جهةِ الأب على الاقلِّ ، وكانوا يَعْتَزُّون بنَسَبِهم ، ويَعْتَبِرُونَهُ أكبرَ مَناقبهم . ومع أنهم قَرَّبُوا الفُرْسَ ، إلاَّ أنهم سيطروا عليهم ، ونَكَّلُوا بهم حين شعروا بتعاظمِ نفُوذِهم ، كما فَعلَ أبو العباس بأبي سلَمة الخلال ، والمنصور بأبي مسلمٍ ، والرشيد بالبرامكةِ ، والمأمون بالفَضْلِ بن سَهْل . وقد أعْطِيَتْ بعضُ المناصبِ الهامة كالوزارة لِلْفُرْسِ ، ولكن عدداً كبيراً من الولاةِ والقُوَّادِ كانوا عرباً في العصر العباسي الأول ، فكان أكثر الوُلاةِ في خلافةِ أبي العباس ، والمنصور من العائلةِ المالكة ، وكثيراً ما تَنَافَسَ كبارُ الموظفين من العرب والفُرْسِ في البلاط وفي الولايات . وكان الجَيْشُ العباسي يتألفُ من فِرَقٍ عربيةٍ وخُراسانية . وظلت اللغةُ العربيةُ لغةَ السياسةِ والثقافةِ والأدب ، كما بَقِيَ الناسُ يَنْزِعُونَ إلى الفَخْرِ بالنَّسَبِ العربي وبالوَلاءِ العربيِّ ، ... ، فَسُلْطانُ العربِ لم يَنْتَهِ بسُقوطِ الأمويين ، وإنْ زالتْ سيادتُهم على العناصرِ المختلفةِ في الدولة ، إذ فقدت القبائلُ العربيةُ امتيازاتها ، وزال

(١) العصر العباسي الأول ص : ٣٢.

(٢) العصر العباسي الأول ص : ٤٢ ، وانظر ص : ٤٤— ٤٥.

الفَرْقُ بينَ العَرب والمسلمين من غير العرب ، فكانت دولةُ بني العباس أُمَمِيَّةً إسلاميةً ، بينما كانت دولة بني أمية عربيةً » .

ولكن الدكتور عبد العزيز الدوري اعاد النظر في مشاركةِ الفِئاتِ المختلفةِ في الدعوة العباسية ، وكشفَ عنها كَشْفاً شديداً في كتابه : « مُقَدِّمة في التَّاريخ الاقتصاديِّ العربيِّ » ، ووَضَّحَ فيه مشاركةَ العرب فيها توضيحاً دقيقاً ، فقد استَدْرَكَ ما فاته من مَعالِمها وآياتها ، وأبان عن قُوَّتها في مُؤَسَّساتِ الدعوةِ العباسية وقيادتها[1] ، وأكد أنَّ الدعوةَ العباسية استَوْعَبت جميعَ الفئاتِ المُناهضة للدولة الأموية ، وانْتَفَعَتْ بهَا ، يقول[2] : « إنَّ الدعوة العباسية حاولت أنْ تَجتذبَ لتَأْييدها اتجاهاتٍ وجماعاتٍ مُتباينةِ الأهداف في سبيل الثورة على الأمويين ، فقد حاولت كَسْبَ القبائلِ اليمنيةِ وربيعةَ خاصةً ، دون أنْ تَسْتَثني مُضَرَ في خراسانَ ، وحاولت كَسْبَ الجماعاتِ الدينيةِ الإسلامية ، كما حاولت التأثير في عواطف الشيعةِ العَلويَّةِ ، وأفادت من الغُلاةِ في الدّعوةِ السريَّةِ ، وأثارت النَّزعاتِ الإيرانية ، ولم تَمتَنِعْ عن قَبُولِ أتباعِ فئاتٍ إيرانيةٍ يُشَكُّ في إسْلامهَا ، لتزيدَ في أعْدادِ مؤَيِّديهَا » .

---

(١) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص : ٥٣ — ٥٤ .

(٢) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص : ٥٥ ، وراجع مقالته : ضوءٌ جديدٌ على الدعوة العباسية ، بمجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٦١ .

(٢) أسبابُ الاختلافِ في التفسير

تلك نماذجُ من أشهرِ التفسيراتِ للدعوةِ العباسيةِ ، وهي تعكسُ اتجاهاتٍ مُتعددة في البَحْثِ والدِّراسة ، ومن أجل ذلك تَضاربت النَّتائجُ والأحكامُ لتَضارب المناهج والأهداف .

والتَّهويلُ لأثَرِ الموالي أو لأثَرِ العَرَبِ في الدَّعوةِ العباسية والتَّزيُّدُ فيه ، مِثْلُ التَّهْوين منه والتَّقْليلِ له ، وهما مُتساوِيَانِ في مُجاوزةِ القَصْدِ ، والشَّططِ في القَوْلِ .

أما الاقتصارُ على إظهارِ نَصِيبِ الموالي من الدعوة العباسية ، والنَّفْخُ فيه ، والإغفالُ لنَصيبِ العرب منها ، والطَّمْسُ له ، فله أسبابٌ ، منها التَّقْصِيرُ عن فَهْمِ طبيعةِ الدعوة العباسية ، والجَهْلُ بأهْدَافِهَا السياسية .

ومنها الإخْلالُ بالرُّجوعِ إلى بعضِ المَصادِرِ والمَظَانِّ المُهِمَّة ، وعدمُ الاطِّلاعِ على بعضِ الأصولِ والأمَّهاتِ المخطوطة .

ومنها الخُضُوعُ للأفكارِ السابقةِ ، والانقيادُ لِلفَلْسَفاتِ العُنْصريةِ والنَّظرياتِ القَوْمية في تفسير الظَّواهر والأحداثِ التاريخية .

وأمَّا الاقتصارُ على إظهارِ نصيبِ العرب من الدعوةِ العباسية ، والتَّزيُّدُ فيه ، والإهمالُ لنَصِيبِ المَوالي منها ، والإخْفَاءُ له ، فله أسبابٌ ، منها الانْدِفاعُ في الرَّدِّ على

أصحاب التفسير العُنْصري القوميّ الفارسيّ للدعوةِ العباسية ، والتَّسرُّعُ في نَقْضِ ما ذهبوا إليه مِنْ أنها كانت ثورة الموالي المُستَضْعَفينَ ، والعجم المسلمين المُضْطَهدينَ .

ومنها الإثباتُ للأخبارِ التي تُبرزُ مُساهمةَ العربِ في الدَّعوةِ العباسية ، والإلحاحُ عليها ، والتّناسي لكثيرٍ من الأخبارِ التي تُصَوِّرُ مساهمةَ الموالي فيها ، والتَّغاضي عنها !

ومنها الاعتمادُ على بعض الأخبارِ المُبْهمةِ المُلْبسةِ التي يُوحي ظاهِرُهَا بِقُوّةِ تمثيلِ العرب في الدعوة العباسية ، ويُنْبئُ بشدةِ سَيْطرتهم عليها ، فإذا بُيِّنَ غَيْبُهَا ، وأُزِيلَ الغُموضُ عنها ، تَغَيَّرَ معناها ، وانقلبتْ دِلَالَتُهَا !

ومنها التَّمحُّلُ في تأويل بَعْضِ النُّصُوصِ ، وتَحْميلها أكثرَ مما تَحتَمِلُ ، وصَرْفُهَا عن وُجُوهها الصَّحيحةِ ، وتَحْويلها عن معانيها المَعْرُوفةِ .

ومنها التَّحْريفُ في نَقْلِ بعض الأخبارِ ، وافتعالُ الأحكامِ والآراء على المؤرِّخينَ والبَاحثينَ ، ونَحْلُهم غيرَ أقْوَالِهم وكَلامهم !

ومنها التّأثُّر بالهَوَى والعَصبيَّةِ ، والصُّدورُ عن نَزْعَةِ قوميةٍ عربيةٍ في تفسير الدعوة العباسية .

(٣) نصيبُ الموالي من الدَّعوة

وقد بَدَا بعدَ الإحاطةِ بأخبارِ الدَّعْوَةِ العباسيةِ وتنْقيحِها، ودِرَاسةِ مبادِئها وأهْدَافِهَا وتَوْضيحِهَا، أنه كان لكلٍّ فريقٍ من الموالي والعرب حَظٌّ كبيرٌ منها.

أما حَظُّ الموالي منها فتدلُّ عليه دلائلُ نَاصِعةٌ، فقد كان جميعُ كبارِ الدُّعاةِ بالكوفة من الموالي، وهم: مَيْسرة النَّبالُ مَوْلَى الأزْدِ[1]، وبكير بن مَاهانَ مَوْلَى بني مُسْلِيَة[2]، وأبو سَلمةَ الخَلاَّلُ مَوْلَى بني مُسْلِيَة[3] أو مَوْلَى بني الحارث بن كعبٍ[4] أو مولى هَمَدان[5].

وكان كلُّ الدُّعاةِ الذين بُعِثُوا من الكوفةِ إلى خراسانَ في أيام الإمام محمد بن عليٍ، والإمام إبراهيم بن محمدٍ من الموالي.

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ١٨٣.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ١٩١.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص: ١٩١.

(٤) العيون والحدائق ٣: ١٨١. ولعله نُسِبَ اليهم لأن بني مُسْلِيَةَ صاروا معهم. (انظر جمهرة أنساب العرب ص: ٤١٤).

(٥) أنساب الأشراف ٣: ١١٨.

وكان في مجلس نُقَباءِ الدعوةِ العباسية بخراسان عَدَدٌ من المَوَالي ، وكان المجلسُ يتكوَّنُ من اثنيْ عشرَ نقيباً ، وقد سَمَّاهُمْ كثيرٌ من المؤرخين ، ومَيَّزُوا بين العربِ وبعض الموالي منهم ، ولكنهم نَسَبُوا بعضَ الموالي منهم إلى القبائل التي دَخَلُوا فيها ، ولم يذكروا أنهم من مَوَاليها ، فأوْهَمَ ذلك أنهم عَرَبٌ صُرَحَاءُ لا عَرَبٌ بالولَاءِ !

وسَمَّى ابنُ حبيب البغداديُّ ثلاثةَ عشرَ نقيباً[1] . وأشار إلى أنَّ اثنين منهم كانا من الموالي ، وهما : أبو منصور طَلْحةُ بن رُزَيْقٍ مَوْلَى خُزاعةَ ، وأبو النَّحْمِ عمران بن إسماعيل مولى آل أبي مُعَيْطٍ من قُرَيْشٍ .

وسَلَكَ الأغْلَبَ بن سالمٍ في النُّقباء ، وجَعَلَهُ النَّقيبَ الثالث عشَرَ منهم ، ولم يُوَضِّحْ كيف انْضَمَّ اليهم ! وهو عند مُصنفِ أخبارِ الدولةِ العباسية من الدُّعاةِ من أهلِ مَرْوِ الرُّوذ وممن لم يُرَشَّحْ للنِّقابةِ منهم[2] .

وأحْصَى الجاحظُ عشرةً من النُّقباء[3] ، ونَصَّ على أنَّ ثلاثةً منهم كانوا من الموالي ، وهم : أبو مَنْصُورٍ طَلْحَةُ بن رُزَيْقٍ مَوْلَى خُزَاعَةَ ، وأبو الحكم عيسى ابن أعْيَنَ مَوْلَى خُزَاعةَ ، وأبو النَّجْم عِمْرانُ بن إسماعيل مولى آل مُعَيْطٍ من قريشٍ ، ووَصَفهم بأنهم كانوا «من رُؤُوسِ النقباءِ»[4] .

ومن عجيبِ الأمْرِ أنَّ الدكتور فاروق عمر زعم أنَّ الجاحظَ سَمَّى جميعَ

---

(١) المحبر ص : ٤٦٥ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢١ .

(٣) رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ٢٢ ، ٢٤ .

(٤) رسائل الجاحظ ١ : ٢٤ .

النُّقباءِ ، وأنه رَوَى أنَّ واحداً منهم كان من الموالي ، وأنَّ سائرهم ، وهم أحدَ عشرَ نقيباً ، كانوا من العرب[1] !!

وساقَ البلاذريُّ أسماءَ النُّقباء الإثني عَشَرَ[2] ، ونبَّهَ على أنَّ واحداً منهم كانَ من الموالي ، وهو : أبو النَّجْم عمران بن إسماعيل مَوْلَى آل أبي مُعَيْطٍ من قريشٍ .

وسَرَدَ مُصَنِّفُ أخبار الدولة العباسية أسماءَ النُّقباءِ الإثني عشَرَ[3] ، وذكر أنَّ أربعةً منهم كانوا من الموالي ، وهم : أبو مَنْصورٍ طَلْحةُ بن رزَيْقٍ مَوْلَى خُزاعةَ ، وأبو الحكم عيسى بنُ أَعْيَنَ مولى خُزاعةَ ، وأبو النَّجْمِ عمران بن إسماعيل مولى آل أبي مُعَيْطٍ من قريشٍ ، وأبو علي شِبْل بن طَهْمانَ الهَرَويُّ مَوْلَى الأسْدِ أو مَوْلَى الأزْدِ ، فيما قال ، ولم يذكر أنه كان له وَلَاءٌ في غيرِهم .

وعَدَّ ابنُ جريرٍ الطبريُّ أسماءَ النُّقباءِ الإثني عشَرَ أيضاً[4] ، وأشار إلى أنَّ أربعة منهم كانوا من الموالي ، وهم : أبو الحكَمَ عيسى بن أَعْيَنَ مَوْلَى خُزاعةَ ، وأبو حَمْزةَ عمرُو بن أعْيَنَ مولى خُزاعةَ ، وأبو النَّجْمِ عمرانُ بن إسماعيلَ مَوْلَى آل أبيَ مُعَيْطٍ من قُرَيشٍ ، وابو علي شِبْلُ بن طَهْمانَ الهَرَوِيُّ مَوْلَى بني حُنيفةَ ، فيما حَكَى ، ولم يَحْفظْ أنه كان له وَلَاءٌ في غيرِهم .

ورَوَى الأزديُّ أنَّ النُّقباءَ كانوا إثني عشرَ رجلاً[5] ، وسمَّى منهم أحدَ عَشَرَ نقيباً ، ولم يُسَمِّ النقيبَ الثاني عَشَرَ ، ونَصَّ على أنَّ واحداً منهم كان من الموالي ، وهو

---

(١) العباسيون الأوائل ١ : ٤٥ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١١٦ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦ .

(٤) تاريخ الطبري ٦ : ٥٦٢ .

(٥) تاريخ الموصل ص : ٢٦ .

أبو النَّجْمِ عمرانُ بن إسماعيل مَوْلَى آل أبي مُعَيْطٍ من قُرَيْشٍ. وروَى في سياقِ مُفاخرةٍ بين اليمانيةِ والمُضَريَّةِ جرَتْ في مجلسِ المنصور أنَّ النقباءَ جميعاً كانوا من اليمانية ! ! فهو يقول فيها[1] : «النُّقباءُ اثنا عشرَ نقيباً كلهم يمانيةٌ». ويبدو أنَّ ما رواهُ مما وَلَّدَهُ اليمانيةُ حينَ اشتدت المنافسةُ بينهم وبين المُضَريَّةِ في الولاية.

ونَقَلَ ابنُ الأثير[2]، وابنُ كثيرٍ[3] جريدةَ اسماءِ النُّقباءِ الإثني عشَرَ عن ابن جريرٍ الطبريِّ، ونقلا عنه كذلك ما جاء فيها من أنَّ أربعةً منهم كانوا من الموالي.

والراجحُ بعدَ مراجعةِ أسماء النُّقباء وتَمْحيصِهَا، وتَحْصيلِ أنْسَابهم وتَخْليصها أنه كان فيهم خمسةٌ من الموالي، وهم : أبو مَنْصُورٍ طَلْحةُ بن رُزَيْقٍ مَوْلَى خُزَاعةَ[4]، وأبو الحَكَم عيسى بن أعْيَنَ مَوْلَى خُزاعَةَ[5]، وأبو حَمْزَةَ عمرو بن أعينَ مَوْلى خُزاعَةَ[6]، وأبو النَّجْمِ عمران بن إسماعيل مَوْلَى آل أبي مُعَيْطٍ من قريشٍ[7]، وأبو عليٍ شِبْلُ بن طَهْمانَ الهرويُّ مَوْلى الأسْدِ أو مَوْلَى الأزْدِ[8]، وَوَلاؤُهُ في بني حنيفة أشْهَرُ، لإجماعِ أكثر المؤرخينَ عليه[9]، وهو يُنْسَبُ في بعضِ الرواياتِ إلى بَكْرِ بن

(١) تاريخ الموصل ص : ٢٢٢.

(٢) الكامل في التاريخ ٥ : ٥٤.

(٣) البداية والنهاية ٩ : ١٨٩.

(٤) المحبر ص : ٤٦٥، ورسائل الجاحظ ١ : ٢٤، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦.

(٥) رسائل الجاحظ ١ : ٢٤، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦، وتاريخ الطبري ٦ : ٥٦٢، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٤، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٩.

(٦) تاريخ الطبري ٦ : ٥٦٢، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٤، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٩.

(٧) المحبر ص : ٤٦٥، ورسائل الجاحظ ١ : ٢٤، وأنساب الأشراف ٣ : ١١٦، وأخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦، وتاريخ الطبري ٦ : ٥٦٢، وتاريخ الموصل ص : ٢٦، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٤، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٩.

(٨) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦.

(٩) تاريخ الطبري ٦ : ٥٦٢، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٤، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٩.

وائل أو إلى رَبيعَةَ[1] . وفي نِسبَته اليهم شيءٌ من الإبهَام ، فهو ليس من صَليبتهم وصَميمهم ، بل من مَواليهم ، فهو لا يُعَدُّ منهم في كُتُبِ أنسابِ العَرب.

ويُقَوِّي ذلك التَّرجيح أنَّ أولئك النُّقباءَ الخمسةَ من الموالي يُوصَفُونَ في أخبار الثورة العباسية بأنهم من النُّقباء[2] ، إلاّ أبا حَمْزَةَ عمرو بن أعْيَنَ مولى خُزَاعة ، ولكنهم جَميعاً يبْدُون فيها من أصحاب الرَّأْي والمشورة ، ومن أهْلِ الأمْرِ والتَّدْبير ، ومن كبار القادةِ والمسؤولين ، الذين استعانَ أبو مسلمٍ بهم ، واعتمدَ عليهم[3] . ويَدُلُّ ذلك على عِظَمِ مكانتهم ، وأنهم لم يَزَالُوا من النُّقباء قبلَ إظهارِ الدعوة ، وبعد إعْلانِ الثورة .

وعَلَّقَ بعضُ الإخباريِّينَ والمؤرِّخينَ على جريدةِ اسماء النُّقباء تَعْليقات قليلةٍ ، ولا بأْسَ من ذِكْرِهَا والنَّظَرِ فيها ، حتى تَتِمَّ الصُّورةُ ، وتَسْتَقيمَ النَّتيجةُ .

قال البلاذري[4] : «منهم مَنْ يجعَلُ زيادَ بن صالحٍ مكانَ أبي النَّجْم عمرانَ بن إسماعيلَ ، ويجعلُ العلاءَ بن حُرَيْثٍ مكان عيسى بن أعْيَنَ» .

---

(1) المحبر ص : ٤٦٥ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١١٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٨ ، وتاريخ الموصل ص : ٢٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٠ .

(2) تاريخ الطبري ٧ : ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(3) انظر أخبار الدولة العباسية ص : ٢٧٣ — ٣٢٠ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٥٣ — ٣٦٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٦ — ٣٦٢ ، ٣٧٨ — ٣٨٢ .

(4) أنساب الأشراف ٣ : ١١٦ .

وزيادُ بن صالح من مَوالي خزاعة[1] ، ورَوى مُصَنِّفُ أخبار الدولةِ العباسية أنه كان من مَجْلسِ السَّبعين[2] ، وأنه كان من نُظَرَاءِ النُّقباء[3] .

وإذا صَحَّ ما ذَكَرَهُ البلاذريُّ ، فإنَّ زيادَ بن صالحٍ مَوْلَى خُزاعَةَ ، حَلَّ مَحلَّ نَقيبٍ من الموالي ، وهو أبو النَّجم عمران بن إسماعيل مولى آل أبي مُعَيْطٍ من قُرَيْشٍ .

والعَلاءُ بن حُرَيْثٍ من خزاعةَ[4] ، وروى مصنفُ أخبار الدولة العباسية أنه كان من مجلس السبعين[5] ، وأنه كان من نُظراء النُّقباء[6] .

وإذا صحَّ ما ذَكَرَهُ البلاذريُّ ، فإن العلاءَ بن حُرَيْثٍ الخُزَاعيَّ ، حَلَّ محلَّ نَقيب من المَوَالي ، وهو أبو الحكم عيسى بن أعْيَنَ مَوْلَى خُزَاعةَ . ومعنى ذلك أنَّ الموالي في مَجْلسِ النُّقَباءِ صاروا أرْبعةً .

وقال مصنفُ أخبارِ الدولةِ العباسية[7] : «أبو حمزة عمرو بن أعْيَنَ جُعِلَ مكانَ العلاءِ بن الحُرَيْثِ» ، وقال[8] : «أبو سَهْلٍ [القاسم] بن مجاشع من بني امرئ القَيْسِ جُعِلَ مكانَ بكير بن العباس حينَ عمي» .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٨ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٨ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢٠ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٩ .

(٥) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٩ .

(٦) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢٠ .

(٧) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦ .

(٨) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٧ .

ولا يُغيِّر ما رواه من الأمر شيئاً ، فإن أبا حمزةَ عمرو بن أعيَنَ مَوْلَى خُزَاعةَ حل محل العلاء بن حُرَيْثٍ الخزاعيِّ ، وأبو حمزة مذكورٌ في جريدةِ أسماءِ النُّقباء التي اتفق أكثرُ المؤرخين عليها ، كما أنَّ القاسمَ بن مجاشعٍ التميميَّ حَلَّ مَحَلَّ نقيبٍ عربيٍّ آخر ، وهو بكير بن العباس ، وهو خالُ القاسم[1] ، والقاسم مذكورٌ في جريدة اسماء النقباء التي اتفق أكثر المؤرخين عليها.

وقال مصنفُ أخبارِ الدولة العباسية[2] : « أمَّا النقباءُ الإثنا عشرَ فليس بينَ أحدٍ من أهل العلمِ فيهم اختلافٌ » . وكأنه يريد أنَّ ما يُرْوَى من تنازعٍ في بعضهم ، وتَبْديلٍ لبعضِهم ليس بثَبْتٍ ، لأنه جاء من طُرُقٍ ضعيفةٍ .

ومعنَى ذلك أنَّ جريدةَ أسماءِ النُّقباءِ التي جاءت من طرقٍ كثيرةٍ قويةٍ ، وتواترت روايتُهَا واستفاضتْ ، وأجمع عليها الحُجَّةُ من الإخْباريِّينَ والمؤرِّخينَ هي الدقيقةُ المُوثَّقةُ ، وأنَّ ما ورَدَ في بعضِ الرواياتِ المُفْرَدَةِ الشاذةِ من أنه طرأ عليها بعضُ التعديلِ ليس بصَحيحٍ ، ومعناه أيضاً أنَّ الموالي في مجلس النُّقباءِ كانوا خمسةً .

وأوْردَ ابنُ جريرٍ الطبريُّ جريدةً ثانيةً بأسماءِ النُّقباءِ ، وليس في الخَبرِ الذي قُدِّمَ به لها ما يَدُلُّ على أنَّ مجلسَ النقباءِ قد أُعيدَ تشْكيلُهُ في آخر المرحلة السريَّةِ من الدعوةِ العباسية ، ولا أنَّ الجريدةَ الثانيةَ تشْتَمِلُ على أسماءِ النُّقباءِ الجُدُدِ ، بل فيه ما يَقْطَعُ بأنَّ النُّقباء الذين ذَكَرَهم هم رجالُ المجلس الأوَّلِ الذي أُلِّفَ في العُشْرِ الأول من القرن الثاني ، فهو يقول[3] : « النُّقباءُ الإثنا عشرَ هم الذين اخْتَارهُمْ محمد بن علي

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٧ ، الحاشية : ٣.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٢٠.

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٣٧٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٠.

من السَّبعينَ الذينَ كانوا استجابُوا له ، حين بَعَثَ رَسُولَهُ إلى خراسان ، في سنة ثلاثٍ ومائةٍ أوْ أرْبعٍ ومائةٍ ، وأمرَهُ أنْ يَدْعُوَ إلى الرِّضا ، ولا يُسَمِّي أحداً ، ومَثَّلَ له مثالاً ، وَوَصَفَ له من العَدْلِ صِفَةً ، فَقَدِمَهَا فدَعَا سراً ، فأجابَهُ ناسٌ ، فلما صاروا سبعينَ أخَذَ منهم اثني عشر نَقيباً » . وذكر ما يُشْبِهُ هذا القَوْلَ في الخبرِ الذي قَدَّمَ به للجريدة الأولى[1] .

ونَسَبَ ابنُ جريرٍ الطبريُّ كلَّ النُّقباء الذين سَمَّاهم في الجريدةِ الثانية إلى قبائلهم ، ولم يُفرِّقْ بينَ العربِ والموالي منهم ، ومن غريبِ الأمْرِ أنَّ الدكتور فاروق عمر زعم أنه فرَّقَ بينهم ، وأنه أشار إلى أنَّ أحدَ عشَرَ نقيباً منهم كانوا من العرب ، وأنَّ نقيباً واحداً منهم كان من الموالي[2] ! ! وليس ذلك بصَحيح ، فإنَّ ابن جريرٍ الطبريَّ نصَّ على أنهم جميعاً كانوا من العربِ من خُزَاعة وطيِّئٍ وتميمٍ وبَكْرٍ .

والناظرُ المدقِّقُ في أسمائهم وأنسابهم يَجدُ أنَّ فيهم أربعةً من الموالي ، ثلاثةٌ منهم من النقباءِ الذين ورَدَتْ اسماؤهم في الجريدة الأولى ، وهم : أبو منصورٍ طَلْحةُ بن رُزَيْقٍ مَوْلَى خزاعة ، وأبو حمزة عمرو بن أعْيَنْ مَوْلَى خزاعة ، وأبو علي الهَرَويُّ شِبْلُ بن طهْمان مَوْلَى بني حَنيفةَ ، وواحداً منهم لم يَرِدْ اسمُهُ في الجريدةِ الأولى ، بل ورَدَ في التعليقِ الذي رواهُ البلاذريُّ عليها ، وهو زيادُ بن صالحٍ مَوْلَى خزاعةَ .

وعَقَبَ ابنُ جريرٍ الطبريُّ على الجريدةِ الثانيةِ بِقَوْلِهِ[3] : « يقال : شِبْلُ بن طَهْمانَ مكانَ عمرو بن أعْيَنَ ، وعيسى بن كَعْبٍ وأبو النَّجْم عمرانُ بنُ إسماعيل مكانَ أبي عليٍ الهَرويُّ ، وهو خَتَنُ أبي مسلمٍ » .

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٥٦٢ ، وانظر أنساب الأشراف ٣ : ١١٥ ، وتاريخ الموصل ص : ٢٦ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٥٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٢٠ .

(٢) العباسيون الأوائل ١ : ٤٥ ، وانظر مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص : ٥٤ .

(٣) تاريخ الطبري ٧ : ٣٨٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٠ .

وفي التَّعْقيبِ اضْطرابٌ ، فَعِيسَى بنُ كَعْبٍ رَجُلٌ مَجْهُولٌ ، ليس له ذِكْرٌ في المشْهورِ من كُتُبِ التاريخ والأدبِ والأنسابِ والتَّراجمِ ، ولكن الدكتور فاروق عُمَر نَسَبَهُ إلى بني تميم[1] ، ولم يُبَيِّنِ المَصْدَرَ الذي اسْتَخْرَجَ نَسَبَهُ منه ! وربما كان المَقْصُودُ عيسى بن أعينَ مَوْلَى خزاعة ، فإنه جاء في بعضِ الرواياتِ أنه كان ممن اخْتُلِفَ فيهم من النُّقباءِ ، وممن أُحِلَّ غيرُهُ مَحَلَّهُ[2] .

وشِبْلُ بنُ طَهْمانَ هو أبو عليٍ الهَرَويُّ ، فكيف يُصْبحُ الرجلُ رَجُلَيْن؟ وكيفَ يَصِحُّ أنْ يقومَ مَقَامَهُ نَقيبان؟

ولعل ما يَبْدُو من اختلافٍ واضطرابٍ في اسماء النُّقَباءِ الذين يُقالُ إنَّ أحَدَهم حَلّ مكانَ آخرَ منهم ، قد نشأَ عن تَخْليطِ الرُّواةِ الذين حَمَلُوا أخبارَ هذه التَّغييراتِ في مجلسِ النُّقباء .

ولا يُضِيفُ ما عَقَّبَ به ابن جريرٍ الطبريُّ شيئاً ، لأنَّ كلَّ الرِّجالِ الذين ذكَرَ أنَّ بعضهم جُعِلَ مكانَ بعضٍ هم من الموالي ، ويَبْقَى النقباءُ من الموالي في الجريدةِ الثانيةِ أرْبعةً .

ومعنى ما سَلَفَ أنَّ النُّقباء من الموالي في الجريدة الأولى كانوا خَمْسةً ، وأنهم في الجريدة الثانية كانوا أرْبعةً ، ومعناهُ أيضاً أنَّ نِسبَتَهم في مجلسِ النُّقباء لم تكنْ تَقِلُّ عن الثُّلُثِ ، بل كانت تزيدُ عليه .

وكان للموالي ما يُقاربُ هذه النِّسبةَ في سائرِ مجالس الدعوةِ العباسية بخراسان ،

---

(١) العباسيون الأوائل ١ : ٤٥ .

(٢) أنساب الأشراف ٣ : ١١٦ .

مثل مجلس نُظَرَاء النُّقباء[١]، ومجلسِ السَّبْعينَ[٢]، ومَجْلس الدُّعاةِ[٣]، ومَجْلس دُعَاة الدُّعاة[٤]، وقد أحْصَى مصنفُ أخبارِ الدولةِ العباسية أسماءَ رجالهم في كل مجلسٍ منها، وهي أكثرُ من أن يُحاطَ بها.

ووجَّهَ الإمامُ إبراهيمُ بن محمدٍ أبا مسلمٍ الى خراسان، ورأَّسَهُ على مَنْ بها من شيعته في آخر المرحلة السرِّية من الدعوةِ العباسية. وعلى ما في أصْلِ أبي مُسْلمٍ ونسَبه من اختلافٍ، فالراجحُ أنه كان فارسيَّ الأصْلِ، كوفيَّ المرْبَى، وأنه كان عَبْداً أو مَوْلى[٥]. ويدل اختيارُ الإمام إبراهيم له، وإصْرارُهُ على تَوْليته على إدْراكهِ لأهميةِ الموالي، ورَغْبَتهِ في الحدِّ من سُلْطانِ العربِ، وحِرْصِهِ على الموازنةِ بين نُفُوذِ الفَريقين. فقد كان النَّقيبُ سليمانُ بنُ كثيرٍ الخزاعيُّ هو القائمُ بأمْرِ الدعوةِ قَبْلَ مَجيء أبي مسلمٍ إلى خراسان، وكان منيعَ الجانبِ، رَفيعَ الشأنِ، عظيمَ الطموحِ، شديدَ الكِبْرِ، قَوِيَّ السَّطْوة[٦]، فكان الإمامُ إبراهيم يخافُهُ، ويَخْشَى أنْ يَنْقلبَ عليه. فلما قدم أبو مُسْلمٍ انحازَ النقباءُ اليه، ونَصَرُوهُ عليه، لأنهم كانوا

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٢١٩ — ٢٢٠.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص: ٢١٧ — ٢١٩.

(٣) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٢١ — ٢٢٢.

(٤) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٢٢ — ٢٢٣.

(٥) انظر أنساب الأشراف ٣: ١١٨، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٢٧، والأخبار الطوال ص: ٣٣٧، وأخبار الدولة العباسية ص: ٢٥٣، وتاريخ الطبري ٧: ٢٢٧، ومروج الذهب ٣: ٢٥٤، وتاريخ بغداد ١٠: ٢٠٧، والكامل في التاريخ ٥: ٢٥٤، ووفيات الأعيان ٣: ١٤٥، وميزان الاعتدال ٢: ٥٨٩، والفخري في الآداب السلطانية ص: ١٢٢، والبداية والنهاية ١٠: ٦٧، وشذرات الذهب ١: ١٧٩، والعصر العباسي الأول، للدكتور عبد العزيز الدوري ص: ٢٧.

(٦) أنساب الأشراف ٣: ١١٨، وأخبار الدولة العباسية ص: ٢٧٠، وتاريخ الطبري ٧: ٣٦٠، والكامل في التاريخ ٥: ٣٦١.

يكرهونَهُ ويهابُونَهُ، فَنُحِّيَ عن مكانِ الصدارةِ والقيادةِ، فضَعُفَ سُلْطانُهُ، وقَلَّ نفُوذُهُ[1]. وضبط أبو مسلمٍ أمرَ الدعوةِ، وأحْسَنَ القيامَ عليه، فاطمأَنَّ الإمامُ ابراهيمُ، وزَايَلَهُ الشَّكُّ، وسيطرَ على سليمان بن كثيرٍ الخُزاعيِّ، وأَمِنَ غائلةَ قومِهِ وأنصارِهِ من العرب.

ودَخَلَ في الدعوةِ العباسية جماعات مختلفةٌ من أهلِ خراسان، فقد قَبِلَ الدعاة فيها الموالِيَ والعبيدَ، والفلاحين والدَّهاقين، والمُعْتدلين من العجمِ المسلمين، والمُتَطرِّفين من أصحابِ الدِّياناتِ الفارسيةِ والنَّزعاتِ القَوْمية. ولم يزالوا يَسْتَميلونهم اليها، حتى تكاثَفُوا فيها، وأصْبحوا من أقوَى أتْباعها[2].

وكانَ لأهلِ خُراسانَ منزلةٌ خاصةٌ، فهم شيعةُ الدّعوةِ، وأنصارُ الدَّوْلةِ، وقد حافَظَ العباسيون عليهم، واتَّخذوهم سَنَداً لهم. وظَلُّوا يُؤْثِرونهم ويُطْرونهم ويصْطنعونهم إلى نهاية المائةِ الثانية.

والمقصودُ بأهلِ خراسان في الكثير الغالبِ من النُّصوصِ المُتقدمة[3] والمُتأخِّرة[4] الموالي والعُجم المسلمون منهم. أمَّا العربُ من سُكَّان خراسان فكان

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٧٢.

(٢) انظر أخبار الدولة العباسية ص: ٢٨٥، وتاريخ الطبري ٧: ٣٨٤، والكامل في التاريخ ٥: ٣٨١.

(٣) أنساب الأشراف ٣: ١٣٥، وتاريخ الطبري ٧: ٣٩١، والعيون والحدائق ٣: ١٩٢، ١٩٣، والكامل في التاريخ ٥: ٣٨٧.

(٤) تاريخ الطبري ٨: ٦٥٢، وتاريخ الموصل ص: ٤٠٩، والكامل في التاريخ ٦: ٤٣٢، وراجع رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ١: ٩، والبيان والتبيين ٣: ٢١٧.

يُطْلَقُ عليهم قَبائلُ العربِ بخراسان[1] ، أو أهْلُ القبائلِ بخراسان[2] . وقد يشملُ مُصْطَلحُ أهْل خراسان في القليل النادرِ من النُّصوصِ العَجَمَ والعَرَبَ جميعاً[3] . ولكن الدكتور فاروق عمر يَرَى أنه يَدُلُّ على العربِ أكثَرَ مما يَدُلُّ على العَجم[4] .

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٦.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٦٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٩، وراجع رسائل الجاحظ ١ : ٩.

(٥) انساب الأشراف ٣ : ١٣٧ ، والمعارف ص : ٣٧٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤١٥ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٨.

(٣) العباسيون الأوائل ١ : ٤٦ ، ٢ : ٤٤ ، ٤٨.

(٤) نَصيبُ العرَب من الدَّعْوَة

وأمَّا حَظُّ العربِ فتشهدُ عليه شواهدُ سَاطِعَةٌ أيضاً، فقد كان أئمةُ الدعوة عبَّاسيِّنَ هاشِميِّينَ، وعرباً نَابهين، وكان أكثرهم مُعِمِّينَ مُخْولينَ، جَمعوا شرَفَ النَّسبِ في العربِ من جهةِ آبائهم وأُمَّهاتهم.

وكان في مَجْلسِ نُقباءِ الدَّعْوةِ العباسيةِ بخراسان عَدَدٌ كبيرٌ من العَربِ، وهم سَبْعةٌ في جريدة أسماءِ النُّقباءِ التي أطبقَ المُؤَرِّخُونَ عليها[1]، ثلاثةٌ منهم من المُضَرِيَّة، وهم أبو عُيَيْنَةَ موسى بن كَعْبٍ التَّميميُّ، وأبو عمرو[2] لاهِزُ بن قُرَيْظٍ التَّميميُّ، وأبو سَهْلٍ[3] القاسمُ بنُ مجاشعٍ التَّميميُّ، وثلاثة منهم من اليمانيةِ، وهم أبو محمدٍ[4] سليمانُ بن كثيرٍ الخزاعيُّ، وأبو نَصْرٍ مالكُ ابن الهَيْثَم الخُزَاعيُّ، وأبو

---

(١) المحبر ص: ٤٦٥، ورسائل الجاحظ ١: ٢٢، وأنساب الأشراف ٣: ١١٥، وأخبار الدولة العباسية ص: ٢١٦، وتاريخ الطبري ٦: ٥٦٢، وتاريخ الموصل ص: ٢٦، والبدء والتاريخ ٦: ٦٠، وجمهرة أنساب العرب ص: ٢١٤، ٢٣٦، ٢٤٢، والبداية والنهاية ٩: ١٨٩.

(٢) ويقال: أبو النضر. (أنساب الأشراف ٣: ١١٥)، ويقال: أبو جعفر. (أخبار الدولة العباسية ص: ٢١٧).

(٣) ويقال: أبو حامد. (أنساب الأشراف ٣: ١١٥).

(٤) ويقال: أبو علي. (المحبر ص: ٤٦٥، وأنساب الأشراف ٣: ١١٥).

عبد الحميد قَحْطَبَةُ بنُ شبيبٍ الطائي ، وواحدٌ منهم من ربيعة ، وهو أبو داود خالدُ بن ابراهيم الذُّهْليُّ.

وهم ثمانية في جريدة أسماء النُّقباء التي انْفرَدَ ابنُ جرير الطبريُّ بها[1] ، أربعةٌ منهم من المُضَرِيَّة ، فيهم النُّقباءُ الثلاثةُ الذين وَرَدتْ أسماؤهم في الجريدة الأولى ، وفيهم واحدٌ جديدٌ ، وهو أبو سَلاَّمٍ أسْلم بنُ سَلاَّمٍ التَّميميُّ ، وثلاثةٌ منهم من اليمانية ، وهم النُّقباءُ الثلاثةُ الذين ورَدَتْ أسماؤهم في الجريدة الأولى ، وواحدٌ منهم من ربيعةَ ، وهو النَّقيبُ الذي وَرَدَ اسمُهُ في الجريدةِ الأولى.

ومن الواضحِ أنَّ الفَرْقَ ضئيلٌ بينَ عددِ النُّقباء من العرب وأسْمائهم وأنسابهم في الجريدةِ الأولى والجريدة الثانية ، فهو يَنْحَصِرُ في واحدٍ منهم ، وهو أبو سَلاَّمٍ أسْلَمُ بن سَلاَّمٍ التَّميميُّ . وقد سَمَّاهُ مُصَنِّفُ أخبارِ الدولة العباسية أبا سَلاَّمٍ أسْلمَ بن أبي سَلاَّمٍ البَجَليَّ[2] ، ولم يَذكُرْهُ في أي مَجْلسٍ من مجالسِ الدعوةِ العباسيةِ ، ولكنه رَوَى ما يشيرُ إلى أنه كان من وُجُوهِ أصحاب أبي مُسْلمٍ[3] ، وأنَّ أبا مسلمٍ كان يَفْزَعُ إليه في الشدائد ، ويُشَاوِرُهُ فيما أشْكَلَ عليه من أمْرٍ ، ويَصْدُرُ هو والنُّقباءُ عن رأيِهِ فيه[4] .

ويبدو أنَّ النُّقباءَ من العَربِ كانوا سبعةً ، لأنَّ النَّقيبَ العربيَّ الثَّامنَ الذي استَقَلَّ ابنُ جريرٍ الطبريُّ بذِكْرِهِ غيرُ مُجْمَعٍ عليه ، ولأنَّ ابنَ جريرِ الطبريَّ لم يَحْفَظْ شيئاً

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٧٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٠.

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٨ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٢ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص: ٢٩١ .

من أخبارِهِ . أمَّا النقباءُ السبعةُ الآخرون فهم مُثْبَتُونَ في الجَريدَتَيْن ، وقد روَى ابنُ جرير الطبريُّ وغيرُهُ من المؤرخين كثيراً من أخبارهم ، وهي تُصَوِّرُ نَشاطهم المُتَّصِلَ في نَشْرِ الدَّعوَةِ وتَرْسيخهَا ، وتُظْهِرُ نِضالَهم واحْتِمالهم للأذى في سبيلها ، وتَدُلُّ على أنهم كانوا رُؤسَاء وُفُودِ الشيعةِ العباسيةِ الذين كانوا يأتون من خراسان إلى مكةَ والمدينة والحُمَيْمةِ في أكثرِ مَواسم الحجِّ ، ويُقَابلون الإمامَ محمدَ بن علي ، والإمامَ إبراهيمَ بن محمدٍ من بعده ، ويَحْملونَ إلى كلٍّ واحدٍ منهما الأموال ، ويَنْقلونَ إليه الأخبارَ ، ويتزوَّدُونَ منه الأوامرَ ، وتكشفُ عن أثَرهم الفعَّالِ بعد إعْلَان الثورة العباسية ، فقد كانوا من رِجَالهَا البَارزينَ ، ومن قَادَتِهَا الميامينَ ، ومن نُصَحَاء أبي مسلمٍ المُخْلِصينَ ، الذين عوَّلَ عليهم ، وأفادَ منهم[1] .

ومعنى ذلك أنَّ نِسْبَةَ العرب في مجلس النقباءِ كانت أقلَّ من الثُّلُثين بقليلٍ في المُجْمعِ عليه من الرِّوايات ، وأنها كانت تَبْلُغُ الثُّلُثين تماماً في الشَّاذِّ من الرِّوايات .

وكان عددُ العرب في بقيةِ مجالسِ الدعوةِ العباسية بخراسان يُدَاني هذه النِّسْبَة ، وقد ذكَرَ مصنفُ أخبارِ الدولةِ العباسيةِ أسماء رجَالهم في كل مجْلسٍ منها ، وهي أطْوَلُ منْ أنْ يُلَمَّ بها[2] .

وانْضَافَ إلى الدعوة العباسية كثيرٌ من اليمانيةِ والرَّبعية[3] ، وقليلٌ من المُضَريَّةِ[4] من سُكَّانِ خراسانَ ، فقد اجْتَذَبَ الدُّعاةُ اليها سادةَ القبائلِ الناقمين على

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٥٣ — ٣٧١ ، ٣٧٧ — ٣٩٠ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٥٦ — ٣٧٠ ، ٣٧٨ — ٣٨٥ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٧ — ٢٢٣ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٥ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٨٤ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨١ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٥ .

الأمويينَ ، والعرَبَ اليائسينَ ، والمُزارعينَ ومُلاَّكَ الأرْضِ المُتَذَمِّرينَ[(١)] ، ولم يزالوا يَسْتَوْعِبُونهم فيها حتى تَعَاظَمَتْ جُمُوعهم بها ، وصاروا من أكبرِ أنصارِهَا .

وأسنِدتْ قيادةُ الجيوشِ العباسيةِ بأمْرِ الإمام ابراهيم بن محمدٍ إلى نَقيبٍ من العربِ ، وهو قَحْطبةُ بن شبيبٍ الطَّائي[(٢)] ، فلما هَلَكَ خَلَفَهُ عليها ابنُهُ الحسنُ بن قَحْطَبَةَ[(٣)] .

وكان أشهرُ القادةِ الذين ساروا مَعَ قَحْطَبَةَ من العربِ ، قال البلاذريُّ[(٤)] : «وجّهَ ابو مسلمٍ في ذي القعدةِ سنةَ ثلاثينَ ومائةٍ قَحْطَبَةَ بن شَبيبٍ ، ... ، إلى العراق ، ومعه أبو غانمٍ عبدُ الحميد بن رِبْعي بن خالد بن مَعْدَانَ [الطائيُّ] ، والمسيبُ بنُ زهير بن حُمَيْلٍ الضَّبيُّ ، وعبدُ الجبار بنُ عبد الرحمن الأزْديُّ ، وموسى بنُ كعب بن عُيَيْنَةَ بن عائشةَ بن سَرِيٍّ التميميُّ ، ... ، وحية بن عبد الله بن حَذْرَةَ[(٥)] بن النَّطاق من بني العُصَيَّة بن امْرئ القيس [التميميُّ] ، ومالكُ بنُ الطَّوافِ ابن حَضْرميٍّ بن مالك بن كنانةَ من وَلَدِ العُصَيَّةِ أيْضاً ، والقاسمُ بنُ مجاشع

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٩ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٢١ ، وانظر المعارف ص : ٣٧٠ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٥ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٣ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٨٨ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٤ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩١ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٤١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٨٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٥ ، وراجع ترجمته في جمهرة النسب ١ : ٢٥٧ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٠٧ ، وأنساب الأشراف ٣ : ١٣٨ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٤٤ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٩ ، وأخبار الدولة العباسية ص : ٣٧١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤١٤ ، وتاريخ الموصل ص : ١١٩ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٦٨ ، والعيون والحدائق ٣ : ١٩٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٨ .

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ١٣٥ ، وانظر الأخبار الطوال ص : ٣٦٤ ، وجمهرة النسب ١ : ٨٠ .

(٥) في الأصل : «خلدة» ، ولعله تحريف . والتصحيح من أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٧ .

بن تميم بن حبيب من وَلَدِ عَرْعَرَةَ بن عادية بن الحارث بن امْرِئ القَيْس ، وأبو عَوْن عبد الملك بن يزيد [الأزديُّ] ، ومقاتلُ بنُ حكيمٍ بن عبد الرحمن العَكيُّ ، وغَيْرُهم ، وحَمَلَ معهم مالاً عظيماً لأعْطيتهم ، وكانوا في ستين ، وفي ثمانين ، وفي مائة من العَطاء».

وتُشيرُ رسالةُ : «مَنَاقِبِ التُّرْكِ» للجاحِظِ إلى أنَّ مُشارَكَةَ الجماعاتِ المختلفةِ في الدعوةِ العبّاسيّةِ كانت قضيَّةً حَيَّةً في النصفِ الأولِ منَ القَرْنِ الثالثِ ، فقد كانت فِرَقُ الجيشِ تَتَنازَعُ في نُصْرَةِ الخلافَةِ العباسيّةِ ، بعدَ أن استكْثَرَ المُعتَصمُ من الأتراك ، وأطلَقَ أيديهم ، فاستهانوا بالفِرَقِ الأخرى ، وجاروا عليها ، فَخَفَّ وَزْنُها ، وانحَطَّ شَأْنُها ، فهو يقولُ فيها[1] : «جُنْدُ الخلافةِ اليومَ على خمسةِ أقسامٍ : خُراسانيٌّ ، وتُركيٌّ ، ومَوْلىً ، وعربيٌّ ، وبَنَويٌّ». ويُستَخلَصُ من احتجاجِ كل فرقةٍ لنفسها أنَّ العرب كان لهم الحَظُّ الوافرُ من الدعوةِ ، والمكانةُ العاليةُ في الدولةِ ، وأنَّ بقيَّةَ الفِرَقِ كانَتْ تَطمَحُ إلى أنْ تَرْقى إلى مَنزِلَتِهم ، وتَبلُغَ شأْوَهم.

وأمَّا ما يُذكَرُ من أنَّ الإمامَ إبراهيمَ بن محمدٍ أوْصَى أبا مسلمٍ حين وَجَّهَهُ إلى خراسانَ أنْ يَقتُلَ العرب ، ويَستأْصِلَ هذا النَّسَبَ ، إذ قال له[2] : «إن استَطَعْتَ ألاَّ تَدَعَ بخراسانَ لساناً عربياً فافْعَلْ» ، فهو ممَّا يُتَحَرَّزُ منه ، ولا يُوثَقُ به ، لأنه جاء بروايةٍ ضعيفَةٍ شاذةٍ ، ولم يَتَواتَرْ نَقْلُهُ من طُرُقٍ مَعْروفَةٍ قويةٍ ، فأَصْلُهُ مَجهولٌ ، ومَصْدَرُهُ غيرُ مَعْلومٍ ، فَإنَّ ابنَ جرير الطبريَّ هو أوَّلُ مَنْ حَمَلَهُ دُونَ أنْ يُثْبِتَ

(١) رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ٩.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٤٤ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٩ ، والامامة والسياسة ٢ : ١٣٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٤٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٨.

سَنَدَهُ ، ثم أَخَذَهُ المؤرخونَ عنه ، وقَدْ رَوَى الأزديُّ[1] ومُصَنِّفُ العيون والحدائق [2] الوَصيةَ خاليةً منه .

ويبدو أنَّ تلك الجُملَةَ منَ الوَصيَةِ مُفتَعلةٌ ، وأنها أُقْحِمَتْ فيها إقحاماً ، وأُلْصِقَتْ بها إلْصاقاً ! وكأنَّ مَروانَ بنَ محمدٍ وأعْوانَ الأُمويينَ هم الذين وَضَعُوها وأشاعوها ليُشَنِّعُوا بها على العباسيين وشيعتهم . ويُثيروا بها العَرَبَ عليهم ، ويَدْفَعوهُم إلى مُقاتَلَتِهم وإبادَتِهم[3] .

وهي باطلةٌ بَيِّنَةُ البُطلانِ ، لأنها تُخالِفُ سياسةَ العباسيينَ ، وهي سياسةٌ قامَتْ على أساسٍ واضحٍ من اجْتِذابِ العرب والعجم المسلمينَ ، وجرائدُ أسماءِ نقبائهم ودُعاتهم ، وأصنافُ عامةِ شيعَتِهم تَدُلُّ على ذلك دلالةً قاطعةً ، فقد كان أنصارُهُم على تَبايُنِ دَرَجَاتِهم وطَبَقاتِهم منَ العرب والعجم المسلمين. ولم يكنْ من هَمِّ العباسيينَ في شيءٍ أن يُحارِبُوا العربَ وَيَضَعُوا من شأنِهم ، ولا أنْ يُقَدِّمُوا العجمَ المسلمين ويَرْفَعُوا من قَدْرِهم ، فذلك اسْتِبدالُ عَصَبيةٍ عجميةٍ مكانَ عصبيةٍ عَرَبيةٍ ، وإنما كانَ همُّهُم مُنْصَبّاً على مُناهَضَةِ بَني أمية وإسقاطِ دَوْلَتِهِم العَربيةِ ، والتبشيرِ بسياسةٍ إسلاميةٍ تُزيلُ التَفريقَ بينَ العربِ والعجمِ المسلمينَ ، وتُلغي التميزَ بينهم ، وتَجْعَلُ منهم أمةً واحدةً ، مُتَكافِئةً في المَنزِلَةِ والمُعامَلَةِ ، مُتَساوِيَةً في الحقوقِ والواجباتِ . وقد وَعَدَ العباسيونَ أنْصارَهُم بذلك ، وأَعْطُوهُمْ به العُهودَ والمواثيقَ الغَليظَةَ في المرحلةِ السريةِ من دَعْوَتِهم ، وَوَفَوْا به ، والْتَزَمُوهُ التزاماً شديداً بعدَ ابتداءِ دَوْلَتِهِم .

---

(١) تاريخ الموصل ص : ٦٥ .

(٢) العيون والحدائق ٣ : ١٨٤ .

(٣) انظر العباسيون الأوائل ١ : ٤٨ .

والصحيحُ الراجحُ فيما حَفِظَهُ مُصنفُ أخبارِ الدولة العباسيّة من الوصِيَّةِ وهو حُجَّةٌ في هذا البابِ ، أنَّ الإمامَ إبراهيمَ بن محمدٍ أمرَ أبا مسلمٍ أنْ يَستَميلَ العربَ والعجمَ المسلمين[1] ، وأسْنَدَ إلى أبي مسلمٍ أنه كان يقول[2] : «أمرَني الإمامُ أنْ أنْزِلَ في أهلِ اليمن ، وأتألّفَ ربيعةَ ، ولا أدَعَ نَصيبي من صَالحي مُضَرَ ، وأحْذَرَ أكثرهم من أتباع بني أميةَ ، وأجمعَ إليَّ العَجمَ ، وأختَصَّهم» . وقد اتَّفقَ المؤرّخونَ على هذا الجزءِ منَ الوصيَّةِ ، ولكنهم سَاقُوهُ بألفاظٍ أخرى . ويُماثِلُ ما رواهُ مُصَنِّفُ أخبارِ الدولةِ العباسيّةِ من وصيةِ الإمامِ إبراهيمَ بن محمدٍ لأبي مُسْلِمٍ ما رَواهُ من وَصيَّةِ الإمامِ محمدِ بن عليٍّ لأبي عِكْرِمَةَ السَّراج[3] ، فهما مُتَشابِهانِ في المعاني ، مُتَقارِبانِ في المَباني .

والصحيحُ الراجحُ أيضاً أنَّ الإمامَ إبراهيمَ بن محمدٍ أباحَ لأبي مسلمٍ أن يَقْتُلَ مَنْ يَتَّهِمُهُ مِنَ العَربِ . وقد أجمعَ المؤرخونَ على هذا الجُزْءِ من الوَصِيَّةِ ، وأوْرَدُوهُ بلَفْظٍ واحدٍ .

ومِثْلُ تلك الجُمْلَةِ منَ الوَصيَّةِ ما جاء في بعض الرواياتِ التي لا يُعْرَفُ أَصْلُها ، ولا يُدْرَى مَصْدَرُها من أنَّ الإمامَ إبراهيمَ بن محمدٍ كَتَبَ إلى أبي مُسلمٍ «ألاَّ يَدَعَ بخراسانَ عَرَبيّاً إلاَّ قَتَلَهُ»[4] . ولم يُذْكَرْ في نَصِّ الرسالةِ الذي نَقَلَهُ ابن عَبْدِ رَبِّهِ[5] ، والمسعوديّ[6] شَيءٌ من ذلك .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٤ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٥ .

(٣) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٠٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٤٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٤٣ .

(٤) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٩٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٣٧٠ ، وتاريخ الموصل ص : ١٠٧ ، والامامة والسياسة ٢ : ١٣٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣٣ ، ٣٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣٢٠ .

(٥) العقد الفريد ٤ : ٤٧٩ .

(٦) مروج الذهب ٣ : ٢٥٩ .

وربما لَفَّقَ مروانُ بن محمدٍ تلك الجملةَ ، وأذاعَها ، لِيُسوِّغَ بها قَتْلَ الإمامِ إبراهيمَ بن محمدٍ ، بعد أَنْ قَبَضَ عليه ، وعَلِمَ أنَّ أبا مُسلمٍ يدعو إليه ، وكانت رسالتُهُ إلى أبي مسلمٍ قد وَقَعَتْ في يَدِهِ . وكان نَصْرُ بن سيّارٍ قد أَرْجَفَ بخراسان ، بعد إظهارِ الدعوةِ وإعلانِ الثورةِ أنَّ شيعةَ العباسيّينَ يَرُومونَ قَتْلَ العَرَب[١] .

وروى ابنُ عساكرٍ أنَّ الإمامَ إبراهيمَ بن محمدٍ كانَ يُفَضِّلُ أنْ يكونَ الرَّسولَ بينَهُ وبينَ أبي مسلمٍ من العَجَم ، لأنَّ ذلك أسْتَرُ للأمرِ ، وأخْفَى للسِّرِّ ، فَوَجَّهَ إليه أبو مسلمٍ رسولاً ، فَوَجَدَهُ عَرَبيّاً صريحاً فصيحاً ، فكتَبَ إلى أبي مسلمٍ يُعَنِّفُهُ ويأمُرُهُ بِقَتْلِ الرسولِ ، وبعثَ بالكتابِ معَ الرسولِ الذي وَجَّهَهُ إليه ، فَفَضَّ الرسولُ الكتابَ وقرأهُ ، فرأى أنه أمرَ بِقَتْلِهِ ، فحَمَلَ الكتابَ إلى مروانَ بن محمدٍ ، فأخَذَ الإمامَ إبراهيمَ بن محمدٍ ، وحَبَسَهُ بحرَّانَ ، ثمّ قَتَلَهُ[٢] .

وذلك أقربُ إلى الصَّوابِ ، وكأنَّ ما نُسِبَ إلى الإمامِ إبراهيمَ بن محمدٍ من إهْدارِهِ لِدَمِ العرب ، قد وُلِّدَ من أمْرِهِ لأبي مُسلمٍ بِقَتْلِ ذلك الرسول ، لأنه كان من العرب .

---

(١) أخبار الدولة العباسية ص : ٢٨٩ ، وانظر شعر نصر بن سيار في هذا المعنى في أنساب الأشراف ٣ : ١٣٣ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٢ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٦٧.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٩٢.

(٥) مكانةُ الموالي والعرب في الدَّولةِ

ورَدَّدَ بعضُ الأدباءِ والمؤرخينَ أنَّ العربَ تدنَّتْ مَنزِلَتهم ، وتلاشَى سُلْطَانُهُم ، وتَحوَّلُوا إلى أمةٍ من الدرجةِ الثَّانيةِ بعد انهيار الدولة الأموية ، وقيامِ الدولةِ العباسيةِ ، قال الجاحظ [١] : «قد يجبُ أن نَذْكُرَ بَعْضَ ما انْتَهى إلينا من كلام خُلفائنا من وَلَدِ العباسِ ، ولو أنَّ دَوْلَتَهُم أَعْجميَّةٌ خراسانيةٌ ، ودولةَ بني مروانَ عَرَبيَّةٌ أعْرابيَّةٌ في أجنادٍ شاميَّةٍ».

وأسْنَدَ المَسعوديُّ إلى محمد بن عليٍّ العَبْديِّ الخراسانيِّ الإخباريِّ أنه قال للقاهرِ باللهِ ، وكان به آنِساً [٢] : «كان [المنصورُ] أولَ خليفةٍ استْعمَلَ مَوَاليَهُ وغِلمانَهُ في أعمالِهِ ، وصَرَّفهم في مُهمّاتِه ، وقدَّمَهُم على العرب ، فَامْتَثَلَ ذلك الخلفاءُ من بعدِه من وَلَدِهِ ، فَسَقَطَتْ قِيادَاتُ العرب ، وَزالَتْ رِياسَاتُها ، وذَهَبَتْ مَرَاتِبُها».

ورَدَّدَ ذلك المُستَشرِقُونَ والعربُ المُحْدَثُونَ من أصحابِ التَّفسيرِ العُنْصُريِّ القَوميِّ الفارسيِّ للدعوةِ العباسيّةِ ، وتَوَسَّعُوا فيه تَوسُّعاً شديداً [٣] .

---

(١) البيان والتبيين ٣ : ٢١٧.

(٢) مروج الذهب ٤ : ٣١٥.

(٣) العصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٤١ ، والعباسيون الأوائل ١ : ٤١.

وهو حُكْمٌ مُطْلَقٌ يحتاجُ إلى تَدقيقٍ ، فقد كان الخلفاءُ العباسيّونَ عَرباً هاشميينَ من ناحيةِ آبائِهم ، وكان بعضُهُم عرباً خُلَّصاً أقحاحاً ، كرامَ الأعْمامِ والأخْوالِ ، حازُوا شَرَفَ الانتماءِ إلى العربِ من ناحيةِ آبائِهم وأمَّهاتِهم . ولكنَّهم سَوَّوْا بينَ العربِ والعجمِ المُسلمين ، لأنهم أنشأوا دَعْوَتَهم على أساسٍ دينيٍّ منَ العملِ بالكتابِ والسُّنَّةِ ، وأقامُوا دولَتَهم عليه بعد فَوْزِهِم بالخلافةِ ، واجْتَهَدُوا أنْ يحكمُوا بينَ الناسِ بالعَدْلِ ، ولا يُفَرِّقُوا بين أحدٍ منهم ، وبذلك انْتَفَتْ سِيَادَةُ العَرَبِ ، وانْقَضَتْ سَيطَرَتُهُمْ على غيرِهم منَ العجمِ المسلمين ، لأنَّ مكانةَ الفَرْدِ في المجتمعِ ، وَوَسيلَتَهُ إلى التَّرَقِّي في المناصبِ ، وسَبَبَهُ إلى الرِّفعَةِ في الدَّولةِ لم تَعُدْ تَعْتَمِدُ على كَرَمِ نَسبِهِ ، وطيبِ أُرُومَتِهِ ، وعِزَّةِ قَوْمِهِ ، وقُوَّةِ قَبيلَتِهِ ، بل أَصبَحَتْ تَعْتَمِدُ على فَضْلِ نَفْسِهِ ، ونُبْلِ خُلُقِهِ ، وَرُسُوخِ عِلْمِهِ ، وإتقانِ عَمَلِهِ ، وَرِضا الخَليفَةِ عنه ، وتَشْرِيفِهِ له (1) .

وقَسَمُوا الأعمالَ والمناصبَ بينَ العربِ والعجمِ المسلمين ، ويلاحَظُ أنهم عَهِدُوا بالوِزارَةِ إلى الموالي ، وكان أكثرُ وزرائِهم وأشهَرُهُم من مواليهم من أهْلِ خراسانَ (2) . ولكنهم اختارُوا معظَمَ عُمَّالِ الأمصارِ والولاياتِ من الأسرةِ العباسيّةِ ، ومن القبائلِ العربيةِ من اليمانيةِ والرَّبعيةِ والمُضَرِيَّةِ . واختارُوا بعضَهم من مواليهم خاصةً ، لا من الموالي عامةً . وجرائدُ أسماءِ عمَّالِهم في العصرِ العبَّاسيِّ الأولِ تكشِفُ عن ذلك ، وقد حَفِظَها خليفةُ بنُ خياطٍ (3) .

---

(1) انظر تاريخ الدولة العربية ص : ٥٣٠ ، والعصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٤٣ ، والعباسيون الأوائل ٢ : ٧٥ .

(2) الوزراء والكتاب ص : ٨٩ ، ٩٧ ، ١٤١ ، ١٦٧ ، ١٧٧ ، ٢٨٩ ، ٣٠٤ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(3) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٣٠ ، ٦٧٢ ، ٦٩٤ ، ٧٠٦ ، ٧٤١ ، ٧٨٢ .

وقال اليعقوبيُّ يُصَنِّفُ عُمَّالَ المنصور، ويذكُرُ أسماءَ كلِّ فريقٍ منهم [1] : «وَلَّى أبو جَعْفَرٍ أهلَ بيتِهِ البلدانَ، فَوَلَّى اسماعيلَ بن عليٍّ فارسَ، وسليمانَ بنَ عليٍّ البصْرَةَ، وعيسى بن موسى الكوفةَ، وصالحَ بنَ عليٍّ قِنَّسْرينَ والعواصمَ، والعباسَ بنَ محمدٍ الجزيرةَ، وعبدَ الله بنَ صَالحٍ حِمْصَ، والفَضْلَ بن صالحٍ دمشقَ، ومحمد بن إبراهيمَ الأُرْدُنَّ، وعبدَ الوهاب بن إبراهيم فلسطين، والسَّريَّ بنَ عبد الله بن تمامٍ بن العباس بن عبدِ المُطَّلِبِ مكة، وجعفَرَ بنَ سليمانَ المدينةَ، ويحيى بن محمدٍ المَوْصِلَ، ثم صَرَفَهُ وَوَلَّى ابنَهُ جَعفَراً، وصَيَّرَ معه هشام بنَ عمروٍ.

وكان عُمَّالُهُ من العرب يزيدَ بن حاتمٍ المُهلبيَّ، ومحمدَ بنِ الأشْعَثِ الخزاعيَّ، وزيادَ بنَ عبد الله الحارثيَّ، ومَعْنَ بنَ زائدةَ الشَّيْبانيَّ، وخازمَ بن خُزَيْمَةَ التميميَّ، وعُقْبَةَ بنِ سَلْمٍ الهُنَائيَّ، ويزيدَ بن أسيدٍ السُّلَميَّ، وَرَوْحَ بن حاتمٍ المُهلَبيَّ، والمُسَيَّبَ بنَ زهيرٍ الضَّبيَّ، وعُمَرَ بن حَفْصٍ المُهلبيَّ، والحَسَنَ بن قَحْطَبَةَ الطائيَّ، وَسَلْمَ بن قُتَيْبَةَ الباهليَّ، وجعفَر بن حَنظَلَةَ البَهْرانيَّ، والرَّبيعَ بن زيادٍ الحارثيَّ، وهشامَ بن عمروٍ التَّغلَبيَّ، فكانَ يُنَقِّلُ هؤلاءِ في أعمالِهِ، لِثِقَتِهِ بهم واعتمادِهِ عليهم.

وكانَ عُمَّالُهُ من مَوَاليهِ عمارةَ بنَ حمزةَ، ومَرْزوقاً أبا الخَصيبِ، وواضحاً، ومَنَارَةَ، والعَلاءَ، ورُزَيْناً، وغَزْوانَ، وعطيةَ، وصاعداً، ومريداً، وأسداً، والرَّبيعَ».

وكانَت دَوَاوينُ الدولةِ، ووظائفُ القَصْرِ المختَلِفَةِ مُوَزَّعَةً بينَ العَرَبِ والموالي، وجرائدُ أسماءِ عُمَّالِها ورِجالِها تَدُلُّ على ذلك، وقد ساقَها خليفةُ بنُ خياطٍ أيضاً [2] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٨٤.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦٣٥، ٦٨٢، ٦٩٩، ٧٠٩، ٧٥٠، ٧٥٩، وراجع الوزراء والكتاب ص: ٨٩، ٩٦، ١٤١، ١٦٧، ١٧٧، ١٨٩، ٣٠٤.

(٦) مُلاحظاتٌ وتَعليقاتٌ

وخلاصةُ القولِ أنَّ الدَّعوةَ العباسيّةَ كانَت ثَورَةً أُمميَّةً إسلاميَّةً ، وأنها احتَوَتْ كُلَّ الفئاتِ العَجَميَّةِ والعربيَّةِ الخراسانيّةِ المُناوِئةِ لبني أُميّةَ . فقد جَمَعَتْ الموالي المَقهورينَ المُتَذَمِّرينَ من التَّفرقَةِ الطبقيّةِ . وجمعَتِ الفلاحينَ والعَجَمَ المسلمينَ المُسْتَضعفينَ المُتَظَلِّمينَ من الضرائبِ الفَادِحَةِ المُجْحِفَةِ . وَجَمَعَتِ الدَّهاقِنَةَ والمَوابِذَةَ والهَرابِذَةَ المُسْتَكبرينَ المُتَضجِّرينَ من فَقْدِ فَوائِدِهم ومَغَانِمِهم الاجتماعيّةِ والماليّةِ . وجَمَعَتِ الخُرَّميَّةَ المُتَطَرِّفينَ الطَّامِعينَ في إحياء دِيَانَاتِهم القديمةِ . وَبَعْثِ قَوْميَّتِهم الفارسيّةِ .

واجْتَذَبَتِ العرَبَ كما اجتَذَبَتِ المواليَ والعَجَمَ المسلمينَ ، فقد استَمالَتْ رُؤساءَ القبائلِ اليمانيّةِ والرَّبعيّةِ والمُضَريّةِ السَّاخِطينَ الكارهينَ لحُكمِ بني أميّةَ ، واستَمالَتِ العَرَبَ المُتَشائِمينَ القَانِطينَ من صَلاحِ بني أميّةَ ، والمُتَخَوِّفينَ الحَريصينَ على مَصيرِ الإسْلامِ والمُسلمينَ ، واستَمالَتِ العَرَبَ المُزارِعينَ الكَادِحينَ ، وأصْحابَ القُرى والضِّيَاعِ الإقْطاعِيِّينَ المُتَبَرِّمينَ بِفَرْضِ الخَراجِ عليهم ، واستَمالَتْ بعضَ الغُلاةِ والمُعْتَدِلينَ من شيعَةِ العَلَويِّينَ .

وَوَعَدَتْ كُلَّ هذه الفئاتِ الناقمةِ بالعدالةِ الاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ والسياسيّةِ ،

وحَشَدَتْها وَجَنَّدَتْها وأَعَدَّتْها ، واعْتَمَدَتْ عليها في إزالةِ الدَّوْلَةِ الأُمويَّةِ ، وإقامةِ الدَّوْلَةِ العباسيَّةِ.

وكان العبّاسيّونَ في المَرْحَلَةِ السِّرِّيَّةِ من الدعوةِ يَتَمَسَّكونَ بوَصِيَّةِ أبي هاشمٍ ، عبد الله بن محمدٍ بن الحَنَفِيَّةِ ، وَيَجْهَرُونَ بأنَّ الإمامةَ انْتَقَلَتْ إليهم من طريقِها ، وكانوا يُسِرُّونَ الدَّعْوَةَ إلى أنفُسِهِم ، ويُظْهِرُونَ أنهم يَدْعُونَ إلى بَيْعَةَ الرِّضا من آلِ محمدٍ ، دونَ تَسْمِيَةٍ له . فلما ظَفِرُوا بالخِلافَةِ أشاعُوا في أيامِ أبي العبّاسِ وأبي جَعْفَرٍ أنهم أهلُ الإمامةِ وأَربابُها ، وأنهم أجْدَرُ بني هاشمٍ بها ، وأقْدَرُهُم عليها ، وَصَرَّحُوا بأنهم ورثوا الإمامةَ عن جَدِّهِم العبّاسِ بن عبدِ المطّلبِ ، وزَعَمُوا أنَّ الرسولَ الكريمَ نَصَّ على إمامَتِهِ. وأذاعُوا أنَّ العباسَ نَصَّ على إمامَةِ ابنِهِ عبدِ اللهِ ، وأنَّ بعضَهُم أوْصَى إلى بَعْضٍ حتى انْتَهَتِ الإمامةُ إلى أبي جَعْفَرٍ[1] . ولم يزالوا على ذلك حتى أَبْطَلَ المَهْدِيُّ وَصِيَّةَ أبي هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحَنَفِيَّةِ ، وذكر أنَّ الإمامةَ جاءت إليهم بِوَصِيَّةِ جَدِّهِم العباسِ بن عبدِ المُطَّلِبِ ، لأنه عَمُّ الرَّسولِ ، فهو أقْرَبُ أهلِهِ إليه ، وأوْلاهُمْ به ، وأَحَقُّهُم بِوِراثَتِهِ[2] .

وَقَرَّرُوا أنَّ الخِلافَةَ ميراثٌ خالصٌ لهم ، وملكٌ خاصٌّ بهم ، وَرَوَّجُوا أنها باقيةٌ فيهم ، لا تَخْرُجُ منهم إلى يومِ القيامةِ ! ! ولم يَسمَحُوا للعَجَمِ والعَرَبِ من أنْصارِهِم ، وغيرِ أنْصارِهِم أنْ يُغالِبُوهُم عليها ، ولا أنْ يُنازِعوهُم فيها ، بل رَدَعُوا كُلَّ مَن نَدَّدَ بِسيرَتِهم وسياستِهم ، وقَمَعُوا كلَّ مَن تَحَرَّكَ لمُقاوَمَتِهِم ومُحارَبَتِهم ، فسفَكُوا دماءَ المُتَّهمين والمُتَمرِّدينَ من نُقَبائِهِم ودُعاتِهم ، وأهلكُوا أهلَ الإباحةِ مِنَ الخِداشيَّةِ ، وفتكوا بالحُلُوليَّةِ مِنَ الرَّاوَنْدِيَّةِ ، وكانُوا من شيعَتِهِم ، وَقَتَلَ أبو

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين ١ : ٩٤.

(٢) أخبار الدولة العباسية، ص : ١٦٥ .

العبّاس أبا سَلَمَة الخَلّالَ «وزيرَ آلِ محمدٍ» ، لأنه تنكّر للعباسيينَ ، وأرادَ أنْ يُحَوِّلَ الخلافةَ إلى العلويِّينَ ، لمَّا بَلَغَهُ مَوتُ الإمامِ إبراهيمَ بن محمدٍ ، وقَتَلَ أبو جعفرٍ أبا مُسلمٍ «أمينَ آلِ محمدٍ» ، لأنه استهانَ به ، واستَطَالَ عليه ، ومَحَقَ أصحابَهُ الذينَ ثارُوا للطَّلَبِ بدمِهِ والأخْذِ بثأرِهِ ، وسَحَقَ الخلفاءُ من بعدِهِ المُبَيِّضَةَ والمُحَمِّرَةَ منَ الخُرَّميَّةِ والبابكيَّةِ ، لأنهم خرجُوا على الإسلامِ ، وهَدَّدُوا مُلْكَهُم ، وكانَ الخُرَّميةُ من أتباعِهِمْ ، ونَكَبَ الرشيدُ البرامكةَ ، فقَتَلَ جعفَرَ بن يحيى ، وحَبَسَ يحيَى ، وابنَهُ الفَضْلَ ، وصَادَرَهُم ، لأنهم استَبَدُّوا بالأمرِ من دونه ، واحْتَجَنُوا الأموالَ ، ومَنَعُوها عنه ، وتَسَلَّطُوا عليه[1] ، ودَسَّ المأمونُ على الفَضْلِ بن سَهْلٍ من اغْتَالَهُ ، لأنَّهُ غَلَبَ عليه ، وضَايَقَهُ[2] .

وَبَطَشُوا بِمَنْ خَالَفَهم منَ العَرَبِ ومن أبناءِ عُمُومَتِهِم العَلَوِيِّينَ ، كما بَطَشُوا بِمَنْ خَالَفَهُم من الموالي والعجم المسلمين ، ومِنْ أربابِ الدِّياناتِ الفارسيَّةِ منَ الخُراسانيِّينَ ، فَقَضَى أبو جعفرٍ على محمد بن عبد الله الحَسَنيِّ ، وقَبَضَ على أهلِ بيتِهِ ، وسَامَهُم سُوءَ العذابِ ، لأنهم وَثَبُوا عليه ، وَسَعَوْا إلى انتزاعِ الخلافةِ منه .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٢٢ ، وتاريخ الطبري ٨ : ٢٨٧ ، والعقد الفريد ٥ : ٥٨ ، وتاريخ الموصل ص : ٣٠٤ ، والوزراء والكتاب ص : ٢٤٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٣٧٧ ، والعيون والحدائق ٣ : ٣٠٥ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٩٩ ، وتاريخ بغداد ٧ : ١٥٧ ، ١٢ : ٣٣٩ ، ١٤ : ١٣٢ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٧٥ ، والكامل في التاريخ ٦ : ١٧٥ ، ووفيات الأعيان ١ : ٣٣٣ ، ٤ : ٣٣ ، ٦ : ٢٢٧ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ١٨٩ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ١٤٠ ، وشذرات الذهب ١ : ٣٣٠ ، والعصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ١٦٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥١ ، وتاريخ الطبري ٨ : ٥٦٥ ، وتاريخ الموصل ص : ٣٤٣ ، ومروج الذهب ٤ : ٥ ، والعيون والحدائق ٣ : ٣٥٥ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٣ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٣٤٦ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٤٤ ، والفخري في الآداب السلطانية ص : ٢٠١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٤٩ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ١٧٢ ، وشذرات الذهب ٢ : ٤ ، والعصر العباسي الأول ، للدكتور عبد العزيز الدوري ص : ٢١١ .

ومَضَى الخلفاءُ من بَعْدِهِ يَعْتَقِلُونَ ثُوّارَ الزَّيْدِيَّةِ ، ويَعْنُفُونَ بهم ، ويُخيفُونَ أَئِمَّتَهُم ، ويُسيئونَ إليهم ، لأنهم كانوا يُعارِضُونَهُم ويُناهِضُونَهُم [1] .

وفي نهايةِ المائةِ الثانيةِ اشتَدَّ احتجاجُ العلويينَ على استئثار العباسيينَ بالخِلافَةِ ، وَزَعْمِهم أنهم أَوْلى الهاشميين بإمامةِ المسلمين. وكان الجاحظُ من كتاب العباسيينَ السِّياسيِّينَ [2] ، فانْبَرى للمحاماةِ عن حَقِّهم في الخلافةِ ، والمُنافحةِ عن نَظَرِيَّتِهم في وراثَةِ المُلْكِ ، والرَّدِّ على مآخِذِ العَلَوِيِّينَ عليها ، والطَّعنِ على ادِّعائِهم للخلافةِ ، والنَّقْضِ لِحَقِّهم فيها ، وتَوَسَّلَ إلى ذلكَ بِتَقْديمِ الأمويينَ على العلويِّينَ ، فوَضَعَ ثلاثةَ كُتُبٍ : الأول «كتابُ العثمانية» ، وفيه يقولُ المسعوديُّ [3] : «صَنَّفَ الجَاحِظُ كتاباً استَقصى فيه الحِجاجَ عند نفسِهِ ، وأَيَّدَهُ بالبراهين ، وعَضَّدَهُ بالأدلَّةِ فيما تَصَوَّرَهُ من عَقْلِهِ ، وتَرْجَمَهُ بكتابِ العثمانية ، يُحلُّ فيه عند نفسِه فَضْلَ عليٍّ عليه السلام ومَنَاقِبَهُ وَيَحتَجُّ فيه لِغَيرِهِ ، طَلَباً لإماتَةِ الحَقِّ ، ومُضادَّةً لأَهْلِهِ» .

والثاني : «إمامةُ المَرْوانيَّة» ، وفيه يقول المسعوديُّ [4] : «ثم لم يَرْضَ بهذا الكتاب المترجم بكتاب العثمانية حتى أعقَبَهُ بِتَصْنيفِ كتابٍ آخرَ في إمامةِ المَرْوانيّةِ وأقوالِ شيعَتِهم ، ورأيتُهُ مترجماً بكتابِ إمامةِ أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ، في الانْتصار له من علي بن أبي طالبٍ رضيَ الله عنه وشيعتِهِ الرَّافِضَةِ ، يذكُرُ فيه رجالَ المَرْوانيَّةِ ، وَيُؤَيِّدُ فيه إمامةَ بَني أميّةَ وغيرهم» .

---

(١) انظر كتابي الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ص : ١٧٧ .

(٢) انظر الجاحظ في البصرة ص : ٢٧٢ .

(٣) مروج الذهب ٣ : ٢٥٣ .

(٤) مروج الذهب ٣ : ٢٥٣ .

والثالث: «مَسائلُ العُثمانيّة»، وفيه يقول المسعوديُّ أيضاً[1]: «ثم صَنَّفَ كتاباً آخرَ تَرْجَمَهُ بكتابِ مسائل العثمانيّة، يذكرُ فيه ما فَاتَهُ ذِكْرُهُ ونَقْضُهُ عند نفسِهِ من فضائلِ أمير المؤمنين عليٍّ ومَنَاقِبِه».

وألّفَ الجاحظُ كتاباً آخر ناضَلَ فيه عن حقِّ العباسيينَ في الخلافةِ، وَدَافَعَ فيه عن نَظَرِيَّتِهم في وِراثةِ الملك، وهو كتابُ «فَضْل هاشم على عبد شمسٍ[2]»، ولكنّه لم يَتحامَلْ فيه على العَلَوِيِّينَ، بل تَحامَلَ فيه على الأمويِّينَ، فقد عَرَضَ تاريخَ الهاشميينَ والأمويِّينَ في الجاهليّةِ والإسلام، وتَحَزَّبَ للعَلَوِيِّينَ والعبّاسيينَ، فأظهرَ مَحامِدَهم وفَضَائِلَهم، وعَظَّمَهم وقَدَّمَهُم، وتَعَصَّبَ على الأمويينَ، فَنَشَرَ مَعايِبَهم ورَذائِلَهم، وكَفَّرَهُم وَجَرَّمَهُم، ثم فَصَّلَ القولَ في الميراثِ، لِيَدْعَمَ به احْتِجاجَهُ لِحَقِّ العباسيِّينَ في الخِلافةِ. وسببُ ذلك أنَّ أهلَ السُّنَّةِ والجماعةِ[3] أنكروا حَقَّ العباسيينَ في الخِلافةِ، وهاجَموا نَظَرِيَّتَهم في وِراثَةِ المُلْكِ، لأنهم ضَاقُوا بسياسَتِهم، وألَحُّوا على انتقادِهِم في بدايةِ المائةِ الثالثةِ إلحاحاً شديداً، واتخذوا من إجلالِهم لمعاوية بن أبي سفيان، وإكْبارِهم لشخصيَّتِهِ، وتَفْخيمِهم لِسيرَتِهِ، وإشادَتِهم بِمَحاسِنِهِ، وتَنْويهِهم بِمَكارِمِهِ، واعْتِبارِهم له المَثَلَ الأعلى للخليفَةِ الفاضلِ العادلِ وسيلةً إلى الإعرابِ عن بُغْضِهِم للعباسيّين، وسُخطِهِم عليهم، ومُقارَعَتِهم لهم.

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٥٣.

(٢) انظر الكتاب في رسائل الجاحظ، للسندوبي ص: ٦٧، وشرح نهج البلاغة ١٥: ١٩٨.

(٣) انظر حركة أهل السنة والجماعة في كتاب استحقاق الإمامة للجاحظ، برسائل الجاحظ للسندوبي ص: ٢٤١، والجاحظ في البصرة ص: ٢٧٢، والعباسيون الأوائل ١: ١٥٧، وكتابي الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ص: ٢٩، وكتابي الوليد بن يزيد عرضٌ ونَقْدٌ ص: ٣٦.

وللغايةِ نفسِها أَلَّفَ الجاحظُ «رسالة بني أميّة»[1] ، وهو يُشَهِّرُ فيها بالأمويِّينَ من سُفيانيِّينَ ومَرْوانيِّينَ ، ويَسْلُبُهُم مآثِرَهُم ومَساعِيَهُم ، وَيَنْسُبُ إليهم القبائحَ والمَثالِبَ ، وَيَتَّهِمُهُم بمخالفَةِ الإسلامِ ، وَيَقْرِفُهُم بِتَعْطيلِ حُدودِهِ ، وَيَعيبُ عليهم تنكيلَهم بالعَلَويِّينَ والزُّبَيْرِيِّينَ ، ويَرْميهم بِظُلْمِ الرَّعِيَّةِ ، والحكم بالهَوَى والشَّفاعَةِ .

وقد زَعْزَعتِ المجادلاتُ المُتَّصِلَةُ في مسألةِ الإمامةِ نَظَرِيَّةَ العباسيِّينَ في وِراثَةِ المُلْكِ ، فَصَنَّفَ الجاحظُ «رسالة العباسيّة»[2] ، وهو يَتحدَّثُ فيها عن وِراثَةِ الأنبياءِ ، وَيلتَمِسُ كُلَّ شاهدٍ لِيُبَرهِنَ على سَلامَتِها ، وَيُدَلِّلُ على صِحَّتِها ، وَيُخطِّئُ أبا بكرٍ ، لأنه رَفَضَها ولم يَعْمَلْ بها ، وَيَستَغِلُّ إثارةَ العَلَوِيِّينَ لِوراثَةِ النَّبيِّ ، لِيَخلُصَ منها إلى تَسْويغِ وِراثَةِ العباسيِّين له ، لأنهم أقربُ إليه . فهم أبناءُ عمه العباس بن عبد المطلب . وفيها يقولُ المسعوديُّ[3] : «صَنَّفَ هؤلاء [الرَّاوَنديَّة] كتباً في هذا المعنى الذي ادَّعُوهُ ، هي مُتَداوَلَةٌ في أيدي أهلِها ومُنتَحِليها . منها كتابٌ صَنَّفَهُ عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو المترجم بكتاب إمامة ولد العباس ، يَحتَجُّ فيه لهذا المذهب ، ويذكُرُ فِعْلَ أبي بكرٍ في فَدَك وغيرها ، وقِصَّتَهُ مع فاطمةَ رضيَ اللهُ عنها ، ومُطالَبَتَها بإرثِها من أبيها صلى الله عليه وسلم ، واستِشهادَها بِبَعْلِها وابْنَيها وأُمِّ أَيْمَنَ ، وما جَرَى بينَها وبين أبي بكرٍ من المخاطبَةِ ، وما كَثُرَ بينهم منَ المُنازَعَةِ ، وما قالت ، وما قيلَ لها عن أبيها عليه السلامُ من أنه قال : «نحنُ معاشرَ الأنبياءِ نَرِثُ ولا نُورَثُ» . وما احْتَجَّتْ به من قَوْلِهِ عزَّ وجَلَّ : «وَوَرِثَ سليمانُ دَاوُدَ» (النحل : ١٦) ، على أنَّ النُّبوَّةَ لا تُورَثُ ، فلم يَبْقَ إلاَّ التَّوارُثُ ، وغير ذلك من الخطاب . ولم يُصَنِّفِ الجاحظُ هذا

---

(١) انظر رسائل الجاحظ ، للسندوبي ص : ٢٩٢ .

(٢) انظر رسائل الجاحظ ، للسندوبي ص : ٣٠١ .

(٣) مروج الذهب ٣ : ٢٥٢ .

الكتابَ ، ولا استَقصَى فيه الحجاجَ للرَّاوَنديَّة ، وهم شيعَةُ وَلدِ العباسِ ، لأنه لم يكُنْ مَذْهَبُهُ ، ولا كانَ يَعتَقِدُهُ ، ولكن فَعَلَ ذلك تَماجُناً وتَطَرُّباً » .

وفي آخرِ المَطَافِ سخرَ ابنُ حزمٍ من نَظَريَّةِ العباسيِّينَ في وِراثَةِ المُلْكِ وهَدَمَها بقوله[1] : « هذا ليس بشيءٍ ، لأنَّ ميراثَ العباسِ رضيَ اللهُ عنه ، لو وَجَبَ له ، لكانَ ذلك في المالِ خاصةً ، وأمّا المرتبةُ فما جاءَ قَطُّ في الدِّياناتِ أنها تُورَثُ » .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ : ٩١ .

خاتمة

اختارَ العباسيونَ خراسانَ وآثَرُوها على غيرِها منَ البيئاتِ ، لأنها كانت أكثرَ احتِمالاً لِدَعْوَتِهم ، وأحْسَنَ قبولاً لِدُعاتِهم ، فقد كانت بعيدةً عن حاضرةِ الخِلافةِ الأُمويَّةِ ، وكانت بريئةً من الأهواءِ الحِزْبيَّةِ . وكان لِسُكَّانِها منَ العَجَمِ مُشكِلاتٌ اجتماعيّةٌ وماليّةٌ ، فإنهم كانوا يَضِجُّونَ من التَّفرقَةِ الطبقيَّةِ المَوْروثَةِ عنِ الفَتْرَةِ الساسانيّةِ ، إذْ كانَ الفلاَّحونَ والحِرَفيُّونَ منهم يُشكِّلُونَ الطَّبقةَ الدُّنيا المُستَضعفَةَ المَقهُورَةَ ، وكانَ الدَّهاقينُ والمَرازِبَةُ والمَوابِذَةُ والهَرابِذَةُ يُشكِّلُونَ الطَّبقةَ العُليا المُستَغِلَّةَ المُسْتكبِرَةَ . وكانوا يَتَبرَّمُونَ بتأخيرِ العربِ لهم ، واستِعلائِهم عليهم ، واستِخفافِهم بهم .

وكانوا يَتَذمَّرُونَ من سوءِ أحْوالِهم الماليةِ ، وَيَشكونَ من ثِقَلِ وَطْأةِ الضرائبِ عليهم ، وشدّةِ إجْحافِها بهم ، فإنَّ الجِزْيَةَ المُشتَرَكَةَ فُرِضَتْ على الرؤوسِ ، فكانَ الدَّهاقينُ وغيرُهم من مُلاَّكِ الأرضِ الكبارِ يُؤَدُّونَ منَ الجزيَةِ المشتركةِ مثل ما يُؤَدِّي منها الفَلاّحونَ وأشباهُهُم من مُلاَّكِ الأرضِ الصِّغارِ . وكانَ العُمَّالُ يأخذونَ الجزيَةَ ممن أسلَمَ منَ العَجَمِ ، ولا يُسقِطُونَها عنهم ، وكانوا يَتَجبَّرونَ في استيفائِها منهم ،

ويَعنُفُونَ بهم ، وكانوا يَمْنَعونَ مُقاتَلتَهم العطاءَ. وَظَلُّوا يَجورونَ عليهم حتى أَصْلَحَ نَصْرُ بنُ سيارٍ نظامَ الضَّرائبِ بخراسانَ في العُشْرِ الثالثِ من المائةِ الثانيةِ . فَفَرضَ الخراجَ على مساحةِ الأرضِ . وأَعادَ تَرْتيبَهُ وتَوْزيعَهُ . وضَبَطَهُ وأشْرَفَ على جبايَتِهِ ، وألْغى الجزْيَةَ عمن أسْلَمَ منَ العَجَمِ . وأعْفاهُمْ منها . وقَطَعَ عَبَثَ الدَّهاقينِ بها ، وأنهى غِشَّهم فيها .

وكانَ للعربِ مُشكلاتٌ سياسيّةٌ وماليةٌ أيضاً . فإنهم كانوا يتنافسونَ في الزَّعامةِ ، وما تُحقِّقُ من نَباهَةٍ وَوَجاهةٍ ، وكانوا يَتسابقونَ في الولايَةِ ، وما تُدِرُّ من مَنافعَ وفَوائِدَ ، ولم يَزالُوا يَتنازَعونَ وَيَتَصارَعونَ إلى نهايةِ الدَّوْلَةِ الأُمويَّةِ . وقد تَفَرَّقُوا في حِلْفَينِ : الأول حِلْفُ اليَمانيَّةِ والرَّبعيَّةِ . والثاني حِلْفُ المُضَريَّةِ . وكانت قَبائلُ الحِلْفِ الأولِ ساخِطَةً على بني أميَّة وأنْصارِهمْ منَ المُضَريَّةِ .

وكان مُلاَّكُ الأَرْضِ منَ العَرَبِ يَدْفَعونَ العُشرَ في أَوَّلِ الأمْرِ . فَجَنَوْا من الزراعَةِ أرباحاً وفيرةً . فلما سوَّى الحـجَّاجُ بنُ يوسفَ بينَ مُلاَّكِ الأرضِ منَ العَجَمِ والعَرَبِ في العراقِ وخراسانَ . وَوَضعَ عليهم الخراجَ ، حَنَقَ عليه العَرَبُ منهم ، وحَارَبُوا تَدابيرَهُ الجديدةَ ، لأنهم خَسِرُوا خسارةً كبيرةً ، فإنَّ ضريبَةَ الأرضِ الخَراجيَّةِ لا تَقِلُّ عن رُبعِ المَحصُولِ ، وقد تَصِلُ إلى نِصفِهِ . ثمّ رَدَّهُم عُمَرُ بنِ عبدِ العزيز إلى أداءِ العُشْرِ ، فإنّه فَرَضَ العُشْرَ على الأرْضِ التي امْتَلَكَها العَرَبُ قبلَ سنةِ مائةٍ ، ومَنَعَ بَيْعَ أَرْضِ الخراجِ بعدَ ذلك ، وفَسَخَ البَيعَ إذا وَقَعَ . ولم يزالوا يُؤَدُّونَ العُشْرَ في خِلافَةِ يزيد بن عبد الملك وأكثرِ خلافةِ هشام بن عبد الملك حتى أعادَهُم نَصْرُ بنُ سيارٍ إلى أداءِ الخراجِ ، فامْتَعَضوا منه وحَمَلُوا عليه .

وبذلك كانت خُراسانُ أَصْلَحَ البيئاتِ للعَبَّاسيِّينَ ، فإنَّ أحْوالَها كانت تُرَشِّحُ لاحْتِضانِ دَعْوَتِهم وتَبَنِّيها ، وتُبَشِّرُ بنَجاحِها ، فاستَغَلَّ دُعاتُهم مُشْكلاتِها الاجتماعيَّةَ

والماليةَ والسياسيّةَ . ومَنّوا أهلَها بحَلِّها . فأجابُوهُم وسارَعُوا إليهم . واسْتمالوا في أوّلِ الأمْرِ المَواليَ والعَجَمَ المسلمينَ المَظلومينَ النّاقمينَ ، ثم اسْتمالُوا في آخرِ الأمْرِ الدّهاقين ، لأنَّ إصْلاحَ نَصْرِ بنِ سيّارٍ لِنظامِ الضّرائبِ أضَرَّ بهم ضَرراً بالغاً ، فقد جَرَّدَهُمْ مما بقيَ من مَغَانِمِهِم ، إذ أفْقَدَهُم مكاسِبَهم الماليّةَ ، وكانوا قد فَقَدُوا بعدَ الفَتحِ مكانَتَهم الاجتماعيّةَ والسِّياسيّةَ . واجتَذَبُوا كثيراً منَ اليمانيّةِ والرَّبعيةِ الحَاقدينَ على المُضريَّةِ ، وقليلاً منَ المُضَريَّةِ الكَارِهينَ للعَصَبيَّةِ القَبَليّة . ثم اجْتَذَبُوا مُلاّكَ الأرْضِ من القبائلِ المختلفةِ ، لأنَّ إصْلاحَ نَصْرِ بن سيارٍ لنظامِ الضّرائبِ آذَاهُمْ كما آذَى الدّهاقينَ .

ودَعَا العبّاسيّونَ إلى بَيْعةِ الرِّضا مِنْ آلِ محمدٍ ، وأسَرُّوا الدَّعوةَ إلى أنفُسِهِم ، وأخْفَوْا شَخْصِيَّةَ الإمامِ ، حتى يَستُرُوا مَطامِحَهم ، ولا يَظْهروا في صورَةِ الطامعينَ في الخلافةِ ، ولا يُنفّرُوا أبناءَ عُمُومَتِهم العَلَويِّينَ وشيعَتَهم منهم . فلم يكنْ أحَدٌ من أتْباعِهِم يَعْرِفُ اسمَ الإمامِ ونَسَبَهُ إلاّ كِبارُ دُعاتِهم بالكُوفَةِ ، ونقباؤُهُم والمُقَدَّمونَ من دُعاتِهم بخراسان . فَاستَحوَذُوا عَلَى عَواطِفِ الناس ، واستَخْلَصُوا مَوَدَّتَهم .

ولم يزَالُوا يُشيعُونَ أنَّ قَضِيَّتَهم هي نُصْرَةُ الحَقِّ على الباطِلِ ، وأنهم لا يَبْتَغُونَ الخِلافَةَ ولا يَطْلُبونَهَا . ولكن الروايات العباسية تشيرُ إلى أنَّ ابراهيمَ بنَ محمدٍ رَفَضَ أنْ يُسلِّمَ لمحمد بن عبد الله الحَسَنيِّ بزعامة الهاشميِّينَ في اجْتِماعِهم الأول بالأبْواء سنة ستٍ وعشرين ومائةٍ ، وفي اجْتِماعِهم الثاني بها سنةَ تسْعٍ وعشرين ومائةٍ ، وأنه قَدَّمَ عليه شُيُوخَهم ، وكَتَمَ رَغْبَتَهُ في زَعَامتِهم .

فلما طَوَّحُوا بالدَّوْلَةِ الأمويَّةِ ، وأقاموا الدولَةَ العباسيَّةَ ذكَروا أنهم صَفْوة أهْلِ البَيْتِ ، وأنهم المُمَثّلونَ الحقيقيّون لهم ، ثم قَرَّروا أنهم الوَارِثُون الشَّرْعِيُّونَ لِلْخلافةِ ، ودَفَعُوا أبناء عُمُومتهم العَلَويِّينَ عنها ، وأنْكَروا حَقَّهم فيها ، وقَاتَلُوهُمْ عليها ، واستَبَدُّوا بها .

وبَشَّرَ العباسيُّونَ بإزالَةِ الظُّلْمِ وإقامةِ العَدْلِ في أول دَعْوَتِهم ، ثم دَقَّقُوا هذا المبدأ وعَمَّقُوهُ في آخِرِ دَعْوَتِهم ، فَدَعَوْا إلى العَمَلِ بالكتابِ والسُّنَّةِ ، فخَفَّ الناسُ إلى دُعَاتِهم بخراسان وانْضَافُوا إليهم ، وكَفَّ أهلُ الصَّلاحِ والتَّقْوى منهم عن الشَّكِّ فيهم ، وامتَنَعُوا عن التَّصدِّي لهم ، وجَعَلُوا يُنَوِّهُونَ بهم ، ويَحُضُّونَ على الانْضِمامِ إليهم .

وكان العباسيون قد تَغَاضَوْا بعضَ التغاضي عن تطَرُّفِ شيعَتِهم وانحِرافهم في أثناءِ الدَّعْوَةِ ، فلمَّا فازوا بالخلافةِ الْتَزَمُوا مَبْدأَ العَمَلِ بالكتابِ والسُّنَّةِ ، وكانوا من أصْحَابِ الحديثِ ، وقَرَّبوا الفُقَهاءَ واستَشاروهم ، واعتَمَدُوا عليهم في حَلِّ مُشْكلاتِ الدَّوْلَةِ . وقاوموا الغُلاةَ والحُلُولِيَّةَ وأهْلَ الإباحةِ من شيعتهم ، ونكَّلُوا بهم تنكيلاً شديداً ، وصَدَرُوا في الحُكْمِ عن قَوَاعِدِ الإسلامِ صُدُوراً قَوِيًّا .

واستَغَلَّ العباسيونَ عقيدةَ المَهْدِيِّ ، فأَذَاعُوا في بدايةِ دَعْوَتِهم أَنَّ المَهْدِيَّ من أهْلِ البَيْتِ ، ولكنهم لم يُسَمُّوهُ ولم ينْسِبُوهُ ، ليَصْرِفُوا الناسَ على اختلافهم إلى التَّعلُّقِ بمَهْدِيِّهم ، ويَحْمِلُوهم على مُوَالاتِهم ، ويأمَنُوا انقلابَ أبناءِ عُمُومتهم العَلويِّين عليهم ، ويَستَهْوُوا شيعتَهم . ثم أَلْمَحُوا بعدَ حينٍ منها أَنَّ المَهْدِيَّ من بني العباس ، ليَختَبِروا ابناءَ عُمومتهم العَلَوِيِّين ، ويتَبيَّنُوا مَوْقِفَهم ، ويَستَعِدُّوا لمُجابَهتِهم . ثم صَرَّحُوا في نهايتها أَنَّ المهديَّ من بني العباس خاصةً ، وأعْلَنُوا اسمَهُ واسمَ أبيهِ ، فقد نَصُّوا على أنه ابنُ الحارثيَّةِ منهم ، وهو عبدُ اللهِ بن محمدٍ ، ورَوَّجُوا أَنَّ أنصارَهُ هم أصحَابُ الرَّاياتِ السُّودِ من أهْلِ خراسانَ ، وأنهم هم الذين يُوَطِّئُونَ له سُلْطَانَهُ . فكان لتَبْشيرهم بظهور المهديِّ فيهم أثرٌ كبيرٌ في إقْبالِ الناسِ على دَعْوَتِهم .

وأَطْلَقَ العباسيونَ لقبَ المَهْدِيِّ على ابي العباس بعدَ ابتداءِ الدَّوْلَةِ ، وظَلُّوا يُطْلِقُونَهُ عليه مُدَّةَ خلافته . فلما تُوفيَ أبو العباس ، ونازعَ محمدُ بنُ عبد الله الحَسَنيُّ

أبا جَعْفَرٍ في الخلافةِ ، وانتَحَلَ لَقَبَ المَهْدِيِّ ، أخَذَ أبو جَعْفَرٍ يُحَارِبُهُ ، واشْتَدَّتِ الحربُ بينَ الحَسَنِيِّينَ والعباسيِّينَ في لَقَبِ المَهْدِيِّ ، واستَرْسَلَ كلُّ فريقٍ منهم في روايةِ الأحاديثِ والأخبارِ ليُؤَيِّدَ زَعْمَهُ فيه ، وأكثَرَ من وَضْعِهَا ليَسْنُدَ ادِّعاءَهُ له. وأشاع أبو جعفرٍ أنَّ ابنه محمداً هو المهديُّ ، وجَهَدَ حتى قَتَلَ محمدَ بنَ عبدِ الله الحَسَنيَّ. وقَضَى الحِفَاظُ على بقاءِ الخلافةِ في أيْدي العباسيِّين أنْ يُرَسِّخ أبو جَعْفَرٍ لابنِهِ محمدٍ لَقَبَ المَهْدِيِّ ، فانْتُزِعَ اللَّقَبُ من أبي العباس ، وخَفِيَ إضْفَاؤُهُ عليه في أثناء الدَّعْوَةِ ، وكادَ يَمَّحي إطْلاَقُهُ عليه بعدَ قيامِ الدَّوْلَةِ ، وبقِيَ له لَقَبُ السَّفاحِ ، وغَلَبَ عليه !

وعلى أنَّ العباسيين أقاموا دَعْوتهم على أسُسٍ إسْلَاميةٍ خالصةٍ ، فإنهم سَمَحُوا لبعضِ الغُلاةِ بالدُّخولِ فيهَا ، وكان الرَّاونْدِيَّةُ من الغُلَاةِ الذين انضافوا إليهم ، وكانوا يَدِينونَ بالحُلُولِ وتناسخِ الأرواحِ وتأليهِ الأئمَّة. واستَمَالَ دُعَاتهم أربابَ الدِّياناتِ الفَارِسيَّةِ ، ليَزيدُوا أتباعَهم ويُكَثِّروا أنْصَارَهم ، وكانَ خِدَاشٌ أوَّلَ من استَمَالَ الخُرَّميةَ واستَوعَبَهم في الدَّعْوَةِ ، وعلى الرَّغمِ من أنَّ محمدَ بن علي حاربَ انْحِرَافَهُ عن أمْرِهِ وسيرَتِهِ ، وقَاوَمَ خُرُوجَهُ على أرْكانِ الإسْلَامِ وحُدُودِهِ ، فإنه لم يَستأصِلْ تَعَاليمَهُ ، فقد ظَلَّ بعضُ شيعتِهِ يُؤْمِنُونَ بهَا ، ولم يَكُنْ في وُسْعِهِ القَضَاءُ عليهم ، لأنه كانَ في حاجةٍ إليهم. واستَهوَى أبو مُسْلمٍ الغُلَاةَ وغيرهم من الخُرَّميةِ والمجوسيَّةِ وقَبِلَهم في الدَّعْوَةِ أيضاً ، ولم يُبَالِ بمُخَالفةِ عقَائدهم لِرُوحِ الإسلامِ. ويقَالُ : إنه كان في الأصْلِ من غلاةِ الشيعةِ ، وانقادَ له الرَّاوَنْدِيَّةُ ، وكانَ الرِّزاميَّةُ منهم يقولون بإمَامَتِه ، ويُقِرُّونَ بمَوْتِهِ ، وكانَ الأبو مُسْلِميَّة منهم يسرِفُونَ في مُوَالَاتِهِ ، ويَقُولونَ بألُوهِيَّتِهِ ، وينكرون مَوْتَهُ ، ويَعْتَقِدونَ بغَيْبَتِهِ ، ويترقَّبونَ رَجْعَته ، وكانوا من الخُرَّمية.

واستَفَادَ العباسيون من الغُلَاةِ وأربابِ الدِّياناتِ الفارسيَّةِ في أثناءِ الدَّعْوَةِ ، فإنهم

كانوا مِمَّن انضافَ إليهم وساعدهم ، ولكنهم شَقُّوا بهم بعدَ قيام الدَّوْلَةِ ، فإنهم كانوا مِمَّن وَثَبَ عليهم ، وأَرْهَقَهم من أَمْرِهم عسراً ، فقد ثاروا عليهم بسبب قَتْلِهم لأبي مُسْلمٍ ، فَمَحقُوا رُؤوسَ الخُرَّمية والمجُوسيَّة منهم ، وفَضُّوا جُمُوعَهم ، فاستَخْفَى من سَلِمَ منهم ، وصارَ الخُرَّميةُ يُسَمَّوْنَ بالمُبَيِّضَةِ والمُحمِّرَةِ ، وكانوا من أَلَدِّ أعدَاءِ العربِ والإسلامِ ، ولم تَنْقَطِعْ ثَوْرَاتُهم بعدَ القَضَاء على زُعَمائهم ، بل اتَّصلَتْ في العَصْرِ العباسيِّ الأول .

وعَمِدَ العباسيُّونَ إلى تَهْييجِ عَوَاطِفِ أهْلِ خراسانَ الفَرْدِيَّةِ ، وتَأْجيجِ مشَاعِرهم القَوْمِيَّةِ ، كَسْباً لمَوَدَّتِهِمْ ، وطَلَباً لمُسَانَدَتِهِمْ ، فأذَاعُوا فيهم أنهم أَنْصَارُ الدَّعْوَةِ ، وأنَّهم هم الذين يُقَوِّضُونَ الدولةَ الأمويَّةَ ، ويُشَيِّدونَ الدولةَ العباسيةَ ، وأفْرَطُوا في النَّفْخِ فيهم ، وأسْرَفُوا في التَّعْظيمِ لهم ، حتى كادُوا يَرْفَعُونهم على العرب . وأوْصَى إبراهيمُ بنُ محمدٍ أبا مسلمٍ أنْ يَضُمَّ اليه العجمَ ، ويَستَزيدَ منهم ، ويَسْتأْثِرَ بهم ، فاستَقْطَبَ منْ دَخَلَ منهم في الإسلامِ ، واستَقْطَبَ مَنْ ظَلَّ منهم على دينِه القديم ، فتكاثفَ عَدَدُهم في الدَّعْوَةِ ، وأصبَحُوا قُوَّةً كبيرةً فيها ، كان لها وَزْنُهَا وسُلْطانهَا . وذكَّرَ قَحْطَبَة بن شبيبٍ الطَّائي أهلَ خراسانَ في معركةِ جُرْجانَ بما صَنَعَ العربُ بآبائهم يومَ فَتَحُوا بِلَادَهم ، فأشارَ إلى أنهم قَضَوْا على دَوْلتهم ، وأفْنَوْا رِجَالهم ، واستَرَقُّوا أبناءَهم ، واستَحْيُوا نِسَاءَهُم ، ليَسْتَنْهِضَ هِمَمَهم ، ويُحَرِّضَهم على قِتَالِ أهْلِ الشام !

وانْتَفَعَ العباسيُّونَ باسْتِثارةِ الرُّوحِ القَوْمِيَّةِ الخراسانيةِ في اثناءِ الدَّعْوَةِ ، فقد انضمَّ اليهم كثيرٌ من العَجمِ المُسْلِمينَ والذِّمِّيِّينَ ، وكان لهم شَأْنٌ في مُؤَازرَتهم . واعْتَرَفُوا بِفَضْلِ أهْلِ خراسانَ عليهم بعدَ فَوْزِهم بالخلافةِ ، فقَدَّرُوا مُنَاصَرتهم لِدَعْوَتهم ، ونَوَّهُوا بأَثَرِهم في قيام دَوْلتهم ، حتى لقد أَعْلَنُوا أنهم هم الذينَ آمنوا بحَقِّهم في الخلافةِ ، ورَدُّوهُ إليهم ، وأنَّ العربَ أنكَرُوا حَقَّهم فيها ، وثَبَّطوا الناسَ عنهم .

ولكنهم لم يَلْبَثُوا أنْ ذَاقُوا وبَالَ سياستهم بعدَ ابتداءِ دَوْلَتِهم ، فإنهم عَجَزوا عن الوفَاءِ لأهلِ خراسانَ بجميعِ عُهُودِهم ، ولم يُنْجِزُوا لهم كلَّ وُعُودِهِم ، لأنهم احْتَوَوْا فئاتٍ مختلفةً منهم ، وكانَ لكل فئةٍ مَطالِبُهَا ومَطَامِحُهَا ، فَخَيَّبُوا أمانِيَّها العريضةَ في الحياةِ السَّعيدةِ ، فارْتَابَتْ بهم ، ثم نَقَمَتْ منهم قَتْلَهم لأبي مسلمٍ ، وانْتَقَضَ عليهم أصْحَابُهُ من الخُرَّميةِ والمجوسيَّةِ ، مثل سنفاذ ، وإسحاق التُّرْك ، وأُستَاذسيسَ ، والمُقَنَّع ، وانْتَقَضَ عليهم المُبَيِّضَةُ والمُحمِّرَةُ من الخُرَّميةِ ، وتَلاهُمْ بابكُ الخُرَّميُّ ، وتَمرَّدَ عليهم المازيارُ ، وحَمَّسَهُ الأفشينُ على التَّمردِ خُفْيةً ، فنَاهَضَهم العباسيُّونَ حتى سَحَقُوهم ، لأنهم كانُوا يريدونَ إحياءَ دياناتِهم الفارسيَّةِ ، وبَعْثَ أمْجَادِهم السياسيَّةِ ، وكانوا يَرُومونَ إطْفَاءَ الإسْلَامِ ، وتَدْميرَ سلْطَانِ العَرَبِ.

وعلى الرغم من أنَّ العباسيِّينَ أهْلكُوا ثُوَّارَ الخُرَّميةِ والمجُوسيَّة ، وشتَّتوا أتْبَاعهم من أهلِ خراسانَ ، فإنهم ظَلُّوا يَحْرِصُونَ على أنْصَارِهِم من أهْلِ خراسانَ ويُدْنُونهم ، ويُعَوِّلُونَ عليهم ويُفَخِّمونَهم إلى بداية المائةِ الثالثةِ ، لأنهم كانوا أصْلَ شيعتهم ، وأصْحَابَ دَعْوَتِهم ، وسببَ قُوَّتِهم ، وحِصْنَ دَوْلَتِهم ، ولأنهم لم يكونوا قَادِرِينَ على الاسْتِغناءِ عنهم ، فقد كانوا يَلُوذُونَ بهم من خطَرِ القبائلِ العَربيةِ الكُوفيةِ ، ويُقَاوِمونَ بهم مُيولَهَا العَلَوِيَّةَ.

وحاولَ العباسيُّونَ اسْتِغلالَ أهْلِ العراقِ وتَسْخِيرَهم لخِدْمَةِ دَعْوَتِهم ، لأنهم كانوا يتعصَّبون لبَلدهم تعَصُّباً شديداً ، ويُنَافِسُونَ أهْلَ الشامِ مُنَافسةً قويَّةً ، ولكنهم كانوا مُتَوجِّسينَ منهم ، لمَا كانوا يَعْرِفُونَ من تَذَبْذُبِهم وتَباطُئِهم ، وما كانوا يَعْلَمُونَ من تَوزُّعِ أهْوَائِهم ، فقد كان أهْلُ الكوفةِ يُشَايعونَ العَلوِيِّينَ ، وكان أهْلُ البصرةِ يُتَابِعُونَ الأمَويِّينَ ، ولذلك أمَرُوا دُعَاتَهم أنْ يَحْذَرُوا أهلَ الكوفةِ خاصةً ، ولا يَقْبَلُوا منهم إلاَّ ذَوي البَصَائرِ وأُولي النِّياتِ الصَّحيحةِ ، وأمَرُوهم انْ يَمْنَعُوا مَنْ يَنْضَمُّ إليهم

من مُخَالَطَة شيعةِ العَلَويِّينَ ومن الثورةِ مع ثُوّارِهم ، حتى لا يَفْتَضِحَ سِرُّهم ، ولا يَتَّضِحَ أمْرُهم ، فانْقَضَتْ سنةُ مائةٍ وما يبلغُ شيعةُ العباسيِّينَ من أهْلِ الكوفةِ ثلاثينَ رَجُلاً .

ولم يزل العباسيُّونَ مُتَخوِّفينَ من أهْلِ الكوفةِ في الرُّبعِ الأوَّلِ من القَرْنِ الثاني ، فلَمَّا قُتِلَ خالدُ بنُ عبد الله القسْريُّ ، وسخَطَتِ القبائلُ اليمانيةُ العراقيةُ على بني أمية ، وجَعلتْ تَنْتَظِرُ فيهم الفُرَصَ ، وتَتَرَبَّصُ بهم الدَّوائِرَ ، اجتذبَ دعاة العباسيِّينَ سادَتَها من القَسْرِيِّين البَجَلِيِّين والأَشْعَثِيِّينَ الكِنْدِيِّينَ الكوفيين ، ومن المُهَلَّبِيِّينَ الأزْدِيِّينَ البَصْرِيِّينَ وقَرَّبُوهم ، ثم وَثِقُوا بهم ، واطْمأَنُّوا إليهم بعدَ إعْلَانِ الثورةِ ، فَوَكَلُوا إليهم تَوْطِئَةَ الأمْرِ لدخُولِ الجيوشِ العباسيةِ الكوفة والبَصْرَة ، فأَبْلَوْا في ذلك بلاءً حَسناً .

ونَافَقَ العباسيُّونَ أهْلَ الكوفةِ بعدَ ظَفَرِهم بالخلافةِ ، استِعْطَافاً لأفْئِدَتِهم ، واستِخْلَاصاً لمحبَّتِهم ، فأشادَ أبو العباس وعَمُّه داودُ بن عليٍّ بوفائهم لِدَعْوتِهم ، وضَخَّما أثَرَهم في إنشاء دَوْلَتِهم ، وذكَرا أنَّ الدَّوْلَةَ دَوْلَتُهم ، وأنها انْتَصَفَتْ لهم من أهْلِ الشامِ ، وأعادَتْ إليهم الحُكْمَ !

وسرعانَ ما تبيَّنَ العباسيُّونَ أنْ مُنَافَقَتَهم لأهْلِ الكوفةِ لم تغيِّر من مُيُولِهم العَلَوِيَّةِ شيئاً ، فَشَكَّ أبو العباس فيهم ، وابتعدَ عنهم . وتَيَقَّنَ أبو جَعْفَرٍ أنَّهم ثَابِتُونَ على وَلَائِهم لِلْعَلَوِيِّينَ وأنهم لَنْ يَكُونُوا من أنْصَارِ العباسيِّينَ ، وبَلَغَهُ أنهم شَجَّعوا محمدَ بنَ عبد الله الحَسَنيَّ على الثَّوْرَةِ ، فَجفَاهُم وذَمَّهم ، وأنْذَرهم وهَدَّدَهم ، ووَقعتِ الفُرْقَةُ والقَطِيعَةُ بينَ العباسيِّينَ والكُوفيِّينَ !

واستَفَادَ العباسيُّونَ من استِهَانَةِ الأمويِّينَ بِدَعْوَتِهم ، وتَسَامُحِهم في امْرِهم ، وقد فَشَتْ دَعْوَتُهم في أيام هشام بن عبد الملك ، وكان أرْحَمَ قَوْمِهِ بهم ، وأحْنَهم عليهم ، فكان يَسْتَقْبِلُهم ويَصِلُهم ويَقْضي دُيُونَهم ، وكان رفيقاً كارهاً لِسَفْكِ

الدِّمَاءِ، فَغَضَّ الطَّرْفَ عن مطَامِحِهِم وأعْمَالِهِم السياسيَّةِ، وأوْصَى عُمَّاله على خراسانَ بالقَبْضِ على دُعَاتِهِم ونَفْيِهِم، وحَذَّرَهم قَتْلَهم وحبْسَهم، فاغتنم العباسيُّونَ حِلْمَهُ وتَساهُلَهُ، فأمَرُوا دُعاتَهم بالجِدِّ في بَثِّ الدَّعْوَةِ.

وكان رؤساءُ اليمانية والرَّبعيةِ بخراسان يُساعدونَ دعاةَ العباسيِّينَ من قبائِلِهِم، ويَشْهدونَ عندَ العُمَّالِ ببَرَاءةِ مَنْ يُعْتَقَلُ منهم، ويَتَشَفَّعُونَ لهم إليهم، ويتَّهمون رؤساءَ المُضَريَّةِ بالافْتِراءِ عليهم، فكان العُمَّالُ يَقْبَلُونَ شَهادتَهم لهم، ويُشَفِّعونهم فيهم، ويُخَلُّونَ سبيلَ مَنِ اعتُقِلَ منهم!

وكان عُمَّالُ العِرَاقِ من القَيْسية مثلُ يوسفَ بن عمر الثَّقفيٌّ، ويزيد بن عمر بن هبيرةَ الفَزَاريّ يَمْقُتُونَ نَصْرَ بن سيارٍ آخرَ عُمَّال بني أميَّة على خراسان، ويودُّونَ أنْ يُوَلُّوا عليها رجُلاً من القَيْسيَّة، فكانوا يكيدُونَ له، ويَسْعَوْنَ في عَزْلِهِ، وكان يزيدُ بن عمر بن هبيرةَ الفزاريُّ يَطْوي كُتُبَهُ إلى مروان بن محمدٍ، ولا يُوصِلها إليه، نكايةً بنَصْرٍ، وتأليباً عليه. فيَسَّرَ ذلك الأَمْرَ للعباسيِّينَ، وسَهَّلَ على دُعَاتِهِم نَشْرَ الدَّعْوَةِ في خراسانَ.

ولم يزل العباسيونَ يُبَشِّرونَ بدَعْوَتِهم، ويَسْتَميلونَ الناسَ إليها، ويُعَبِّئُونَ شيعتَهَا، ويَتَرقَّبونَ الوقتَ المناسبَ لتَفْجيرِ ثَوْرتها ما يزيدُ على ثُلُثِ قَرْنٍ من الزَّمانِ. فلمَّا تَنَازَعَ بنو أميَّة وتَنافروا، وتَقَاتَلُوا وتَفَانُوا، واستَهْلَكَ مروانُ بن محمدٍ قُوَّةَ جُنْدِهِ في مُقَارَعَةِ الخَوَارِج، واستَفحَلَ الخِلافُ بين القَبائِلِ العربية بخراسان، واستَفْرَغَ طاقَتَهَا، وأصبَحَ المُضَريَّةُ من أنصارِ بني أمية بخراسانَ عاجزينَ عن التَّصدِّي لشيعةِ العباسيِّينَ وقَهْرِهم، انتهَزَ ابراهيمُ بن محمدٍ الفُرْصَةَ، فأمَرَ أبا مُسْلمٍ بإعْلَانِ الثَّوْرةِ، فأعْلَنَهَا وبدأتِ الحربُ بين الجيوشِ العباسيَّةِ والجيوشِ الأمويَّةِ، وانْتَهتْ بانتصارِ الثورةِ العباسيَّةِ.

وكان لِكُلٍّ من المَوَالي والعربِ نَصيبٌ من الدعوة العباسيَّةِ ، ومشاركةٌ فيها ، وفَضْلٌ في نَجاحِهَا ، ومكانةٌ في دَوْلتها ، أمَّا الموالي فمنهم اخْتِيرَ كبارُ دُعَاتها بالكوفةِ ، ومنهم انْتُخِبَ دعاتُهَا إلى خراسانَ ، ومنهم كانَ ما لا يَقِلُّ عن ثُلُثِ مَجْلسِ نُقبائهَا ، ومنهم كان ما يُناهزُ هذهِ النِّسْبَةَ في بَقيةِ مَجالسِهَا ، كمجلسِ نُظَرَاءِ النُّقباء ، ومَجْلسِ السبعين ، ومجلسِ الدُّعاةِ ، ومجلسِ دُعاةِ الدُّعاة ، ومنهم كان عَددٌ كبيرٌ من شيعَتهَا . وكان للموالي والخُرَاسانيين شأنٌ في دَوْلتها ، فمنهم كان عُظْمُ جَيْشِهَا ، ومنهم كان فريقٌ من عُمَّال دَوَاوينهَا ، ومنهم كان جميعُ وُزرائهَا .

وأَمَّا العربُ فمنهم كان أئمتُهَا ، ومنهم كان حَوَالي ثُلُثي مَجْلسِ نُقَبائهَا ، ومنهم كان ما يُقَارِبُ هذه النِّسبةَ في سائرِ مَجَالِسهَا ، ومنهم كان عَدَدٌ كبيرٌ من شيعتهَا ، وكان جُلُّهم من اليمانيةِ والرَّبعيةِ ، وأَقَلُّهم من المُضَرِيَّةِ ، ومنهم كان قائدُ جُيُوشِ ثَوْرَتها . وكان للعرب وَزْنٌ في دَوْلَتها ، فمنهم كان فريقٌ من عُمَّالِ دَوَاوينهَا ، ومنهم كان أكثرُ وُلَاتِهَا .

وكانت الدَّعْوَةُ العباسيةُ دَعْوةً أمميَّةً إسلاميَّةً ، فاستَوْعَبَ العباسيُّونَ كلَّ الجماعاتِ العَجَميَّةِ والعَرَبيَّةِ الخُرَاسانيةِ المعارِضَةِ لبني أميَّة ، وسَخَّروهَا لمُظَاهَرةِ الدَّعْوَةِ ، ونُصْرَةِ الثورةِ ، وإقامةِ الدَّوْلَةِ . وكانوا في أولِ أمْرِهم يذكرونَ أنَّ الإمامة جاءتْهُمْ بوَصيَّةِ أبي هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحَنفيَّةِ ، وأنهم يَدْعُونَ إلى بَيْعَةِ الرِّضَا من آل محمدٍ . فلما فازوا بالخلافةِ ، تمسكُوا بوَصيَّةِ أبي هاشمٍ في صَدْرِ الدَّوْلَةِ ، ثم أَلْغَوهَا في أيام المَهْدِيِّ ، وأشاعُوا أنَّ الإمامةَ أتَتْهُمْ من طريقِ جَدِّهم العباس بن عبد المطلب ، لأنه عَمُّ الرَّسُولِ ، وأحَقُّ الناسِ بورَاثَتِهِ ، وقَرَّروا أنَّ الخلافةَ مِلْكٌ خالصٌ لهم ، فاستَبدُّوا بها ، وأَبْطَلُوا حَقَّ أبناء عُمُومَتهم العَلويِّينَ فيها ، وقاتلوهُم عليها ، وفتكُوا بمَن أنكرَ سيرَتهم ومَنْ ثارَ عليهم من نُقبائهم ودُعاتهم وقادَتهم ووُلَاتِهم !

«المصادر والمراجع»



المصادر والمراجع المطبوعة :

(١) **ابن الأثير** : أبو الحسن ، علي بن محمد (ـــ ٦٣٠ هـ) . الكامل في التاريخ ـــ طبع دار صادر ببيروت ١٩٧٩ .

(٢) **ابن الأثير** : أبو السعادات ، المبارك بن محمد بن عبد الكريم (ـــ ٦٠٦ هـ) . النهاية في غريب الحديث والأثر ـــ طبع المطبعة العثمانية بالقاهرة (١٣١ هـ) .

(٣) **أحمد أمين** :

(١) ضحى الاسلام ـــ طبع دار الكتاب العربي ببيروت .
(٢) فجر الإسلام ـــ طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٢٩ .
(٣) المهدي والمهدوية ـــ طبع دار المعارف بمصر ١٩٥١ .

(٤) **أحمد زكي صفوت** : جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ـــ طبع مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٧ .

(٥) **أحمد شلبي** : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ـــ طبع مكتبة النهضة العربية بالقاهرة ١٩٥٩ .

(٦) **الأزدي** : أبو زكريا ، يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم (ـــ ٣٤٠ هـ) . تاريخ الموصل ـــ تحقيق الدكتور علي حبيبة ـــ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٦٧ .

(٧) **الأشعري** : علي بن اسماعيل (ـــ ٣٣٠ هـ) . مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ـــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـــ طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٠ .

(٨) **بارتولد**: تاريخ الحضارة الإسلامية — ترجمة الدكتور حمزة طاهر — طبع مطبعة المعارف بمصر ١٩٤٢.

(٩) **البخاري**: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (—٢٥٦ هـ)

(١) التاريخ الكبير — طبع حيدر آباد الدكن ١٣٦١ هـ.

(٢) صحيح البخاري — طبع المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٥ هـ.

(١٠) **ابن برد**: بشار (—١٦٨ هـ). ديوانه — نشر محمد الطاهر بن عاشور — طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٠ — ١٩٦٩.

(١١) **البغدادي**: أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت (—٤٦٣ هـ). تاريخ بغداد — طبع مكتبة الخانجي بمصر ١٩٣١.

(١٢) **البغدادي**: عبد القادر بن عمر (—١٠٩٣ هـ). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب — طبع المطبعة الأميرية ببولاق ١٢٩٩ هـ.

(١٣) **البغدادي**: أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر (—٤٢٩ هـ). الفرق بين الفرق — تحقيق طه عبد الرؤوف سعد — طبع مؤسسة الحلبي وشركاه بالقاهرة.

(١٤) **ابن بكار**: الزبير (—٢٥٦ هـ). الأخبار الموفقيات — تحقيق الدكتور سامي مكي العاني — طبع مطبعة العاني ببغداد ١٩٧٢.

(١٥) **البلاذري**: أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩ هـ).

(١) أنساب الأشراف — القسم الثالث: أخبار العباس بن عبد المطلب وولده — تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري — طبع بيروت ١٩٧٨.

(٢) أنساب الأشراف — الجزء الرابع: القسم الأول — أعده شلوسنجر ودققه وعلّق عليه كستر — طبع القدس ١٩٧١.

(٣) أنساب الأشراف: الجزء الرابع: القسم الثاني — اعتنى بنشره شلوسنجر — طبع القدس ١٩٣٨.

(٤) أنساب الأشراف — الجزء الخامس — اعتنى بنشره غويتين — طبع القدس ١٩٣٦.

(٥) فتوح البلدان — تحقيق دي خويه — طبع ليدن ١٩٦٨.

(١٦) **بندلي الجوزي** : من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام — طبع مطبعة بيت المقدس بالقدس .

(١٧) **البيروني** : أبو الريحان ، محمد بن أحمد (— ٤٤٠ هـ) . الآثار الباقية عن القرون الخالية — اعتنى بنشره إدوارد سخاو — طبع ليبزك ١٩٢٣ .

(١٨) **الترمذي** : أبو عيسى ، محمد بن عيسى بن سورة (— ٢٩٧ هـ) . سنن الترمذي — تحقيق ابراهيم عطوة عوض — طبع القاهرة .

(١٩) **ابن تغري بردي** : أبو المحاسن ، يوسف (— ٨٧٤ هـ) . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — طبع دار الكتب المصرية .

(٢٠) **الثعالبي** : أبو منصور ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (— ٤٢٩ هـ) . ثمار القلوب في المضاف والمنسوب — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — طبع دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٦٥ .

(٢١) **الجاحظ** : أبو عثمان ، عمرو بن بحر بن محبوب (— ٢٥٥ هـ) .

(١) البيان والتبيين — حققه وشرحه حسن السندوبي — طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٢ .

(٢) الحيوان — تحقيق عبد السلام هارون — طبع مكتبة الخانجي بمصر ١٩٦٥ .

(٣) رسائل الجاحظ — جمعها ونشرها حسن السندوبي — طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٣ .

(٤) رسائل الجاحظ — تحقيق عبد السلام هارون — طبع مكتبة الخانجي بمصر ١٩٦٥ .

(٢٢) **الجهشياري** : أبو عبد الله ، محمد بن عبدوس (— ٣٣١ هـ) . الوزراء والكتاب — تحقيق مصطفى السقا وزميليه — طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٨ .

(٢٣) **ابن أبي حاتم الرازي** : محمد بن عبد الرحمن (— ٣٢٧ هـ) . الجرح والتعديل — طبع حيدر آباد الدكن ١٩٥٢ .

(٢٤) **ابن حبيب البغدادي** : أبو جعفر ، محمد (— ٢٤٥ هـ) . المحبر — تحقيق الدكتورة إيلزه ليختن شتيتر — طبع حيدر آباد الدكن ١٩٤٢ .

(٢٥) ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي (ـــ٨٥٢هـ).
(١) تقريب التهذيب ـــ حققه عبد الوهاب عبد اللطيف ـــ طبع دار المعرفة ببيروت ١٩٧٥.
(٢) تهذيب التهذيب ـــ طبع حيدر آباد الدكن ١٣٢٥هـ.
(٣) لسان الميزان ـــ نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٩٧١.

(٢٦) ابن أبي الحديد : أبو حامد بن هبة الله بن محمد (ـــ ٦٥٥هـ). شرح منهج البلاغة ـــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـــ طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٦٥.

(٢٧) ابن حزم : أبو محمد ، علي بن سعيد (ـــ٤٥٦هـ)
(١) جمهرة أنساب العرب ـــ تحقيق عبد السلام هارون ـــ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ـــ طبع أحمد ناجي الجمالي وأحمد أمين الخانجي بمصر ١٣٢١هـ.

(٢٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ـــ طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٢.

(٢٩) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ـــ طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٧.

(٣٠) حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف. العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول ـــ طبع مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٦٦.

(٣١) حسين عطوان :
(١) الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ـــ طبع دار الجبل بيروت ١٩٧٤.
(٢) الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعبّاسية ـــ طبع دار الجيل ببيروت ١٩٧٥.
(٣) القراءات القرآنية في بلاد الشام في العصر الأموي ـــ طبع دار الجيل ببيروت ١٩٨٢.
(٤) الوليد بن يزيد عَرْضٌ ونقد ـــ طبع دار الجيل ببيروت ١٩٨١.

(٣٢) الحصري القيرواني : أبو إسحاق ، ابراهيم بن علي (ـــ٤٥٣هـ). زهر الآداب وثمر

الألباب — تحقيق علي محمد البجاوي — طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٦٩.

(٣٣) **ابن أبي حفصة**: مروان (— ١٨٢ هـ). شعره — جمعه وحققه حسين عطوان — طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٣.

(٣٤) **الحميري**: أبو سعيد، نشوان بن سعيد (— ٥٧٣ هـ). شمس العلوم — منشورات سلسلة جب التذكارية، لندن ١٩١٦.

(٣٥) **ابن حنبل**: أحمد بن محمد (— ٢٤١ هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل — طبع المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ببيروت.

(٣٦) **أبو حنيفة الدينوري**: أحمد بن داوود (— ٢٨٢ هـ). الأخبار الطوال — تحقيق عبد المنعم عامر — طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٦٠.

(٣٧) **الخزاعي**: كثير بن عبد الرحمن (— ١٠٥ هـ). ديوانه — جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس — نشر دار الثقافة ببيروت ١٩٧١.

(٣٨) **الخطفي**: جرير بن عطية (— ١١٤ هـ). ديوانه — تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه — طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٩.

(٣٩) **ابن خلدون**: عبد الرحمن بن محمد (— ٨٠٨ هـ). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر — طبع دار الكتاب اللبناني ببيروت ١٩٥٧.

(٤٠) **ابن خلكان**: أحمد بن محمد بن ابي بكر (— ٦٨١ هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان — تحقيق الدكتور إحسان عباس — طبع دار صادر ببيروت.

(٤١) **ابن خياط**: خليفة (— ٢٤٠ هـ)

(١) تاريخ خليفة بن خياط — تحقيق سهيل زكار — طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٨.

(٢) كتاب الطبقات — تحقيق سهيل زكار — طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٦.

(٤٢) **أبو داود**: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (— ٢٧٥ هـ). سنن أبي داود — أعده وعلّق عليه عزت عبيد الدعاس وعادل السيد — طبع دار الحديث بحمص.

(٤٣) **ابن الداية**: أبو جعفر، أحمد بن يوسف (— ٣٤٠ هـ). كتاب المكافأة وحسن العقبى — تحقيق أحمد أمين وعلي الجارم — طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٤١.

(٤٤) **الدميري** : كمال الدين محمد بن موسى (ـــ٨٠٨ هـ). حياة الحيوان الكبرى ـــ نشر المكتبة الإسلامية ببيروت .

(٤٥) **الذهبي** : أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان (ـــ٧٤٨ هـ)

(١) العبر في خبر من غبر ـــ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـــ طبع الكويت ١٩٦٠ .

(٢) ميزان الاعتدال ـــ تحقيق علي محمد البجاوي ـــ طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٦٣ .

(٤٦) **الزبري** : أبو عبد الله ، المصعب بن عبد الله بن المصعب (ـــ٢٣٦ هـ). نسب قريش ـــ عني بنشره ليفي بروفنسال ـــ طبع دار المعارف بمصر.

(٤٧) **ابن سعد** : محمد بن سعد بن منيع (ـــ٢٣٠ هـ). الطبقات الكبرى ـــ طبع دار صادر ببيروت ١٩٥٨ .

(٤٨) **سعد محمد حسن** : المهدية في الإسلام ـــ طبع دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٣ .

(٤٩) **سميرة الليثي** : الزندقة والشعوبية ـــ طبع بيروت .

(٥٠) **ابن سناء الملك** : هبة الله بن جعفر (ـــ٦٠٨ هـ). ديوانه ـــ طبع حيدر آباد الدكن ١٩٥٨ .

(٥٠) **ابن سناء الملك** : هبة الله بن جعفر (ـــ٦٠٨ هـ). ديوانه ـــ طبع حيدر آباد الدكن ١٩٥٨ .

(٥١) **السيد الحميري** : إسماعيل بن محمد (ـــ١٧٣ هـ). ديوانه ـــ جمعه وحققه وشرحه شاكر هادي شكر ـــ طبع مكتبة دار الحياة ببيروت .

(٥٢) **السيوطي** : عبد الرحمن بن أبي بكر (ـــ٩١١ هـ).

(١) تاريخ الخلفاء ـــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـــ طبع مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٦٤ .

(٢) شرح شواهد المغني ـــ تصحيح الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي ـــ طبع لجنة التراث العربي بدمشق ١٩٦٨ .

(٥٣) **شارل بلات** : الجاحظ في البصرة ـــ ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني ـــ طبع دار اليقظة العربية بدمشق ١٩٦١ .

(٥٤) **الشعراني** : عبدُ الوهاب بن أحمد بن علي (ــ٩٧٣ هـ). مختصر تذكرة القرطبي ــ طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.

(٥٥) **الشهرستاني** : محمد بن عبد الكريم (ــ٥٤٨ هـ). الملل والنحل ــ تخريج محمد بن فتح الله بدران ــ نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٥٦.

(٥٦) **شوقي ضيف** :

(١) تاريخ الأدب العربي ــ العصر الإسلامي ــ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٣
(٢) تاريخ الأدب العربي ــ العصر العباسي الأول ــ طبع دار المعارف بمصر.

(٥٧) **الشيرازي** : إبراهيم بن علي بن يوسف (ــ٤٧٦ هـ). طبقات الفقهاء ــ تحقيق الدكتور إحسان عباس ــ طبع دار الرائد العربي ببيروت ١٩٧٠.

(٥٨) **الصابي** : أبو الحسن ، هلال بن محسن (ــ٤٤٨ هـ). رسوم دار الخلافة ــ عني بتحقيقه والتعليق عليه ونشره ميخائيل عواد ــ طبع مطبعة العاني ببغداد ١٩٦٤.

(٥٧) **صالح العلي** : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ــ طبع دار الطليعة ببيروت ١٩٦٩.

(٦٠) **الصفدي** : خليل بن آيبك (ــ٧٦٤ هـ). الوافي بالوفيات الجزء الأول والثاني والثالث والرابع ــ باعتناء هلموت ديتروس. ديدرينغ ــ مطبوعات سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية.

(٦١) **الصولي** : أبو بكر ، محمد بن يحيى (ــ٣٣٥ هـ). أدب الكتاب ــ باعتناء بهجة الأثري ــ طبع دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٣٤١.

(٦٢) **الطبري** : محمد بن جرير (ــ٣١٠ هـ). تاريخ الرسل والملوك ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ طبع دار المعارف بمصر.

(٦٣) **الطرماح** : الحكم بن حكيم الطائي (ــ١٠٥ هـ). ديوانه ــ تحقيق الدكتور عزة حسن ــ نشر وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٨.

(٦٤) **ابن الطقطقي** : محمد بن علي بن طباطبا (ــ٧٠٩ هـ). الفخري في الآداب السلطانية ــ راجعه ونقّحه محمد عوض ابراهيم وعلي الجارم ــ طبع دار المعارف بمصر ١٩٤٥.

(٦٥) ابن عبد ربه : أحمد بن محمد (ـــ٣٢٨ هـ). العقد الفريد ـــ تحقيق أحمد أمين وزميليه ـــ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٥.

(٦٦) عبد العزيز الدوري :

(١) الجذور التاريخية للشعوبية ـــ طبع دار الطليعة ببيروت ١٩٦٢.
(٢) ضوء جديد على الدعوة العباسية ـــ مجلة كلية الآداب ـــ جامعة بغداد ١٩٦١.
(٣) العصر العباسي الأول ـــ طبع بغداد ١٩٤٥.
(٤) الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول ـــ دراسات عربية وإسلامية مهداة الى احسان عباس ـــ الجامعة الأميركية في بيروت ١٩٨١.
(٥) مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ـــ طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٦١.
(٦) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ـــ طبع دار الطليعة ببيروت ١٩٦٩.
(٧) نظام الضرائب في صدر الاسلام ـــ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤.

(٦٧) أبو عبيدة : معمر بن المثنى (ـــ٢١٣ هـ). نقائض جرير والفرزدق ـــ تحقيق بيفان ـــ طبع ليدن ١٩٠٥.

(٦٨) ابن عساكر : أبو القاسم ، علي بن الحسن بن عبد الله (ـــ٥٧١ هـ). تهذيب تاريخ ابن عساكر ـــ طبع دار المسيرة ببيروت ١٩٧٩.

(٦٩) أبو العلاء المعري : أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي (ـــ٤٤٩ هـ). شروح سقط الزند ـــ نشر الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٤.

(٧٠) ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح ، عبد الحي (ـــ١٠٨٩ هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـــ طبع المكتب التجاري للطباعة والنشر ببيروت.

(٧١) ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد (٥٨٠ هـ). الإنباء في تاريخ الخلفاء ـــ تحقيق قاسم السامرائي ـــ طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٧٣.

(٧٢) فؤاد سيزكين : تاريخ التراث العربي ـــ المجلد الأول القسم الأول ـــ نقله الى العربية الدكتور فهمي أبو الفضل ـــ طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ١٩٧١.

(٧٣) فاروق عمر : العباسيون الأوائل ـــ طبع دار الارشاد ببيروت ١٩٧٠.

(٧٤) فان فلوتن : السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ـــ ترجمة

الدكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم — طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٥.

(٧٥) أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد الأموي (٣٥٦هـ).
(١) الأغاني — طبع دار الكتب المصرية.
(٢) مقاتل الطالبيين — تحقيق السيد أحمد صقر — طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٤٩.

(٧٦) الفرزدق: همام بن غالب (— ١١٤هـ). ديوانه — طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٦.

(٧٧) ابن الفقيه الهمذاني: أبو بكر، أحمد بن محمد (توفي في أوائل القرن الرابع). مختصر كتاب البلدان — طبع ليدن ١٣٠٢.

(٧٨) القالي: أبو علي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون (— ٣٥٦هـ). أمالي القالي — طبع مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣.

(٧٩) ابن قتيبة: أبو محمد، عبد الله بن مسلم (— ٢٧٦هـ).
(١) عيون الأخبار — طبع دار الكتب المصرية ١٩٢٤.
(٢) المعارف — تحقيق ثروت عكاشة — طبع دار الكتب المصرية ١٩٦٠.

(٨٠) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (— ٦٨٢هـ) — آثار البلاد وأخبار العباد — طبع دار صادر ببيروت.

(٨١) القشيري: مسلم بن الحجاج (— ٢٦١هـ). صحيح مسلم — اعتنى بنشره محمد فؤاد عبد الباقي — طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.

(٨٢) القلقشندي: أحمد بن عبد الله (— ٨٢١هـ). مآثر الإنافة في معالم الخلافة — تحقيق عبد الستار فراج — طبع الكويت ١٩٦٤.

(٨٣) كارل بروكلمان. تاريخ الأدب العربي — طبع دار المعارف بمصر.

(٨٤) ابن كثير: أبو الفداء، اسماعيل بن عمرو (— ٧٧٤هـ).
(١) البداية والنهاية في التاريخ — طبع مكتبة المعارف ببيروت ١٩٦٦.
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز — طبع الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة.
(٣) كتاب النهاية أو الفتن والملاحم — تحقيق الدكتور طه محمد الزيني — طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٦٩.

(٨٥) ابن ماجة : أبو عبد الله ، محمد بن يزيد القزويني (—٢٧٥ هـ). سنن ابن ماجة — اعتنى بنشره محمد فؤاد عبد الباقي — طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.

(٨٦) الماوردي : علي بن محمد (—٤٥٠ هـ). الأحكام السلطانية — طبع القاهرة ١٩٠٩.

(٨٧) المبرد : أبو العباس ، محمد بن يزيد (—٢٨٥ هـ). الكامل — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة.

(٨٨) المتقي الهندي : علي بن حسام الدين بن عبد الملك القرشي (—٩٧٥ هـ). منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال — بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل — طبع دار صادر ببيروت.

(٨٩) مجهول : من أهل المشرق من رجال القرن الثالث . الإمامة والسياسة — طبع مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٦٩.

(٩٠) مجهول : من رجال القرن الرابع . العيون والحدائق في أخبار الحقائق — اعتنى بنشره دي خويه — طبع ليدن ١٨٦٩.

(٩٢) مجير الدين الحنبلي : أبو اليمن ، عبد الرحمن بن محمد (—٩٢٧ هـ) — الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل — طبع المطبعة الوهبية بالقاهرة ١٢٨٣ هـ.

(٩٣) محمد أحمد حلمي : الخلافة والدولة في العصر العباسي — طبع الاهرة ١٩٥٩.

(٩٤) المرتضي : علي بن الحسين (—٤٣٦ هـ) أمالي المرتضي — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — طبع دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٦٧.

(٩٥) المرزباني : أبو عبيد الله ، محمد بن عمران (—٣٨٤ هـ). معجم الشعراء — تحقيق عبد الستار أحمد فراج — طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٦٠.

(٩٦) ابن مزاحم : نصر (—٢١٢ هـ). وقعة صفين — تحقيق عبد السلام هارون — طبع المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة — ١٣٨٢ هـ.

(٩٧) المسعودي : أبو الحسن ، علي بن الحسين (—٣٤٦ هـ)

(أ) التنبيه والاشراف — تصحيح عبد الله اسماعيل الصاوي — طبع مكتبة الصاوي بالقاهرة ١٩٣٨.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر — تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد — طبع مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨.

(٩٨) ابن مطير الأسدي: الحسين (—١٧٠ هـ) — شعره — جمعه وحققه حسين عطوان — طبع دار الجيل بيروت ١٩٨٢.

(٩٩) ابن المعتز: عبد الله (—٢٩٦ هـ). طبقات الشعراء — تحقيق عبد الستار أحمد فراج — طبع دار المعارف بمصر.

(١٠٠) المقدسي: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي (—٣٩٠ هـ). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم — اعتنى بنشره دي خويه — طبع ليدن ١٨٧٧.

(١٠١) المقدسي: مُطهر بن طاهر (توفي في النصف الثاني من القرن الرابع. البدء والتاريخ — اعتنى بنشره كلمان هوار — طبع باريز ١٨٩٩ — ١٩١٩.

(١٠٢) المقريزي: أحمد بن علي (—٨٤٥ هـ). المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار — طبع بولاق ١٢٧٠ هـ.

(١٠٣) ابن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري (—٧١١ هـ). لسان العرب — طبع المطبعة الأميرية ببولاق.

(١٠٤) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية — طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢.

(١٠٥)ن النديم: محمد بن إسحاق (—٣٨٥ هـ). الفهرست — طبع دار المعرفة بيروت.

(١٠٦) النرشخي: أبو بكر، محمد بن جعفر (—٣٤٨ هـ). تاريخ بخاري — ترجمة الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي — طبع دار المعارف بمصر.

(١٠٧) النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي — طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٠.

(١٠٨) أبو نعيم الأصفهاني: أحمد بن عبد الله (—٤٣٠ هـ) — حلية الأولياء وطبقا ت الأصفياء — طبع دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧.

(١٠٩) ابن هرمة القرشي: ابراهيم (—١٥٠ هـ) — ديوانه — تحقيق محمد جبار المعيبد — نشرم كتبة الأندلس ببغداد ١٩٦٩.

(١١٠) **ابن هشام**: أبو محمد، عبد الملك (— ٢١٨ هـ). السيرة النبوية— راجع أصولها محمد محي الدين عبد الحميد— مطبوعات كتاب التحرير بالقاهرة ١٣٨٣ هـ.

(١١١) **هل**: الحضارة العربية— ترجمة الدكتور ابراهيم العدوي— طبع مكتبة الانجلو المصرية.

(١١٢) **الهمداني**: أبو محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب (—٣٣٤ هـ)— الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير— الجزء العاشر تحقيق محب الدين الخطيب— طبع المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ١٩٤٨.

(١١٣) **الواقدي**: محمد بن عمر (—٢٠٧ هـ)— المغازي— تحقيق الدكتور مارسدن جونس— طبع مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦.

(١١٤) **ياقوت**: أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (—٦٢٦ هـ)

(١) معجم الأدباء— تصحيح مرجوليوث— طبع مصر ١٩٢٣.

(٢) معجم البلدان— طبع دار صادر ببيروت ١٩٧٧.

(١١٥) **اليعقوبي**: أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب (—٢٩٢ هـ)

(١) كتاب البلدان— اعتنى بنشره دي خويه— طبع ليدن ١٨٩٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي— طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٠.

(١١٦) **اليغموري**: أبو المحاسن، يوسف بن أحمد (—٦٧٣ هـ). نور القبس من المقتبس— تحقيق رودلف زلهايم— طبع فسبادن ١٩٦٤.

(١١٧) **يوليوس فلهاوزن**: تاريخ الدولة العربية — نقله الى العربية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة— طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٨.

(ب) المصادر المخطوطة :

(١١٨) **ابن أعثم الكوفي** : أحمد (ـــ٣١٤هـ). كتاب الفتوح ـــ مخطوطة مكتبة أحمد الثالث ـــ اسطنبول ـــ رقم ٢٩٥٦.

(١١٩) **البلاذري** : أحمد بن يحيى بن جابر (ـــ٢٧٩هـ). أنساب الأشراف ـــ مصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة اسطنبول رقم ٥٩٧ ـــ ٥٩٨.

(١٢٠) **ابن عساكر**: أبو القاسم، علي بن الحسين بن عبد الله (ـــ٥٧١هـ). تاريخ دمشق ـــ مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٣٣٦٧ ـــ ٣٣٨٣.

(١٢١) **ابن الكلبي** : هشام بن محمد بن السائب (ـــ٢٠٤هـ). جمهرة النسب ـــ مصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٢٠٢.

مؤسسة خليفة للطباعة
بولفار الدورة - البوشرية
تلفون: ٨٩٤٨٣٧١





